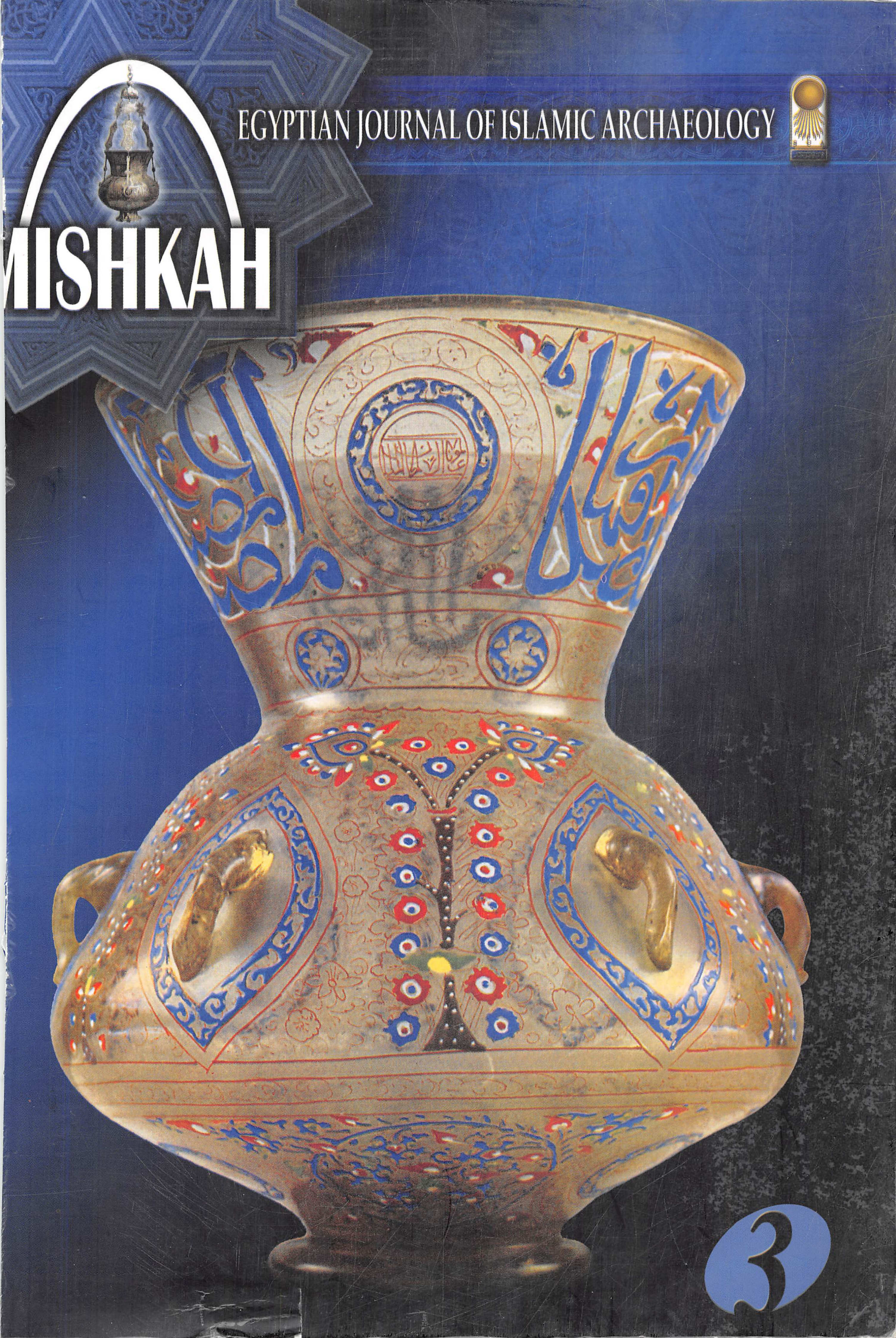
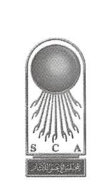

مشكاة
المجلة المصرية للآثار الإسلامية
3



MISHKAH
EGYPTIAN JOURNAL OF ISLAMIC ARCHAEOLOGY
3



مشكاة
المجلة المصرية للآثار الإسلامية

المجلد الثالث

٢٠٠٨



لوحة الغلاف:
مشكاة مزينة بكتابات عربية تمثل ألقاب السلطان حسن
- العصر المملوكى - متحف مكتبة الإسكندرية.

إهداء إلى

أحمد قدري

المجلد الثالث من مشكاة – المجلة المصرية للآثار الإسلامية ٢٠٠٨

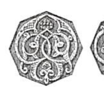
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٩/١٠١٤٠

رقم الإيداع الدولى للكتاب (I.S.B.N): 978-977-479-247-8

رقم الإيداع الدولى المسلسل (I.S.S.N): 1687-5613

طبعت بمطابع المجلس الأعلى للآثار.

وزارة الثقافة.







مطابع المجلس الأعلى للآثار ٢٠٠٨



الإرشادات العامة لتقديم المقالات

مقدمة

حوليات المجلس الأعلى للآثار ومجلة المتحف المصرى هما مجلتان محكمتان تقومان بنشر الأبحاث العلمية فى شتى الموضوعات التى تتعلق بالحضارة المصرية والفن المصرى القديم والمقتنيات الأثرية والترميم والعلوم المتحفية، وتتناولان مختلف العصور، وتصدر هاتان المجلتان بعدة لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والعربية.

التقديم المبدئى للمقالات

تقدم المقالات من ثلاث نسخ ليتم تقييمها ومراجعتها، ويتم فى ذلك اتباع قواعد النشر المنصوص عليها فى *Chicago Manual of Style* مع بعض التعديلات التى ستذكر فيما يلى، ولابد أن تكون المقالات متفقة مع هذا النظام وهذه التعديلات.

التقديم النهائى للمقالات

النص النهائى (بعد إجراء التغييرات التى يراها الناشر أو المراجعون) لابد أن يوضع على ديسك، من الأفضل أن يكون PC، مع استخدام نظام الكتابة MS Word وبنط ١٢ للغات الأجنبية، وبنط ١٤ للغة العربية، وتقديم نسخة مطبوعة على ورق A4 أو ورق Standard American، وتكون الكتابة على أحد الوجهين فقط، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور وهوامش كبيرة، مع عدم مساواة الكلام جهة الهامش الأيمن وعدم استخدام أنماط كتابة متعددة أو أحجام مختلفة للبنط.

ويُرجى مراعاة الآتى:

- لا تستخدم ألقاب مثل .Dr أو .Prof سواء فى داخل النص أو الحواشى أو عند كتابة اسم المؤلف.
- الأقواس جميعا تكون دائرية بهذا الشكل ( ).
- تستخدم علامات التنصيص المفردة دائما.
- يجب تجنب استخدام العلامات الحركية عند كتابة كلمات عربية باللغة الإنجليزية.
- أرقام الأسرات تكتب بالحروف، مثل: الأسرة الثامنة عشرة، وليس : الأسرة الـ ١٨.
- تكتب أرقام القرون أيضا بالحروف، فنقول: القرن الخامس.
- تستخدم الشَّرطة الصغيرة بين التواريخ أو أرقام الصفحات...إلخ (١٣٣-٢١٠).

البنط

لابد أن يرى المؤلفون والناشر مقدما إذا ما كان فى النص أى نوع من الخط غير القياسى أو غير التقليدى (مثل القيم الصوتية للكلمات أو الخط الهيروغليفى أو اليونانى أو القبطى إلخ) لتقدم على ديسك مع النص.

الحواشى السفلية

لا يستخدم نظام Harvard فى الإشارة إلى المراجع، بل تكتب الحواشى كحواشٍ ختامية فى صفحات مستقلة ملحقة بالنص، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور. وأرقام الحواشى تكون مرتفعة عن مستوى السطر ولا توضع بين قوسين، وعنوان المقال لابد ألا يتضمن إشارة إلى الحواشى، وإذا كان هناك احتياج لإدراج حاشية بغرض تقديم الشكر وما إلى ذلك، يوضع فى العنوان علامة النجمة * وتكون هذه قبل الحاشية رقم ١.

الملخص

يقدم ملخص باللغة الإنجليزية (بحد أقصى ١٥٠ كلمة) وذلك فى مقدمة المقال، ويستخدم الملخص فى استرجاع المعلومات، ويكتب بحيث يمكن فهمه إذا قرىء منفصلاً عن نص المقال.

الاختصارات

بالنسبة لاختصارات أسماء الدوريات والحوليات، يتبع فى ذلك اختصارات:

Bernard Mathieu, *Abréviations des périodiques et collections en usage à l'IFAO*, 4ème éd. (Cairo, 2003).

ويمكن الحصول عليها من الإنترنت *www. ifao.egnet.net*

ويمكن أن تستخدم الاختصارات الخاصة بعد أن تذكر بالكامل فى العناوين التى يشار إليها كثيراً فى المقالات الفردية، ويمكن أيضا استخدام الصيغ المقبولة (المتعارف عليها). أو القاموس الطوبوغرافى الـ Moss & Porter فيكتب PM (بخط غير مائل).



والإشارة إلى المراجع تكتب كالآتى:

- بالنسبة لمقال فى دورية:

يكتب المرجع أول مرة على النحو التالى:

J. D. Ray, 'The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382', *JEA* 85 (1999), 190.

وإذا تكرر يكتب:

Ray, *JEA* 85, 190.

- بالنسبة لمقال أو فصل فى كتاب لعدة مؤلفين:

S. S. Abd al-Mālik, 'Une inscription du sultan Mamelouk Kituġæ découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in J.-M. Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, *CAI* 21 (Cairo, 2001), 51-58.

وإذا تكرر يكتب:

Abd al-Malik, in Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, *CAI* 21, 51-58.

- وبالنسبة للكتب العلمية **Monographs**

K . A . C. Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 316 - 320.

وإذا تكرر يكتب:

Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, 316-320.

- وبالنسبة للمراجع العربية:

فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة) (القاهرة، ١٩٧٠)، ٥٨٦-٦٤٢.

وإذا تكرر يكتب:

فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)، ٥٨٦-٦٤٢.

- وبالنسبة لسلسلة المطبوعات:

W. M. F. Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, *BSAE* 12 (London, 1906), 37, pl. 38.A, no. 26.

واذا تكرر يكتب: Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, 37, pl. 38.A, no. 26.

- وبالنسبة للرسائل العلمية الأخرى:

Joseph W. Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos* (Ph. D. diss., University of Pennsylvania, 1996), 45-55.

وإذا تكرر يكتب: Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III*, 45-55.

- وبالنسبة للوسائل الإلكترونية:

عند الإشارة إلى مادة علمية موجودة فى موقع على الإنترنت، يفضل الإشارة إلى النسخة المطبوعة.. فإذا لم تتوفر هذه، عندئذ لابد من تقديم معلومات كافية عن الموقع تمكن القارئ من الدخول إليه بسهولة. وعلى أية حال فالإشارة إلى www.mfa.org/artemis/fullrecord.asp?oid=36525&did=200 ربما يفضل أن يعبر عنها بطريقة أفضل على النحو التالى acc.19.162 وقد أشير اى ذلك فى الموقع الموضح فى www.mfa.org/artemis

وبالنسبة لـ http:// فيمكن أن تحذف عند الإشارة إلى مراجع فى مواقع الشبكة العالمية فنقول مثلا:

www.mfa.org/giza بدلا من http ://www.mfa.org/giza

إلا أننا لا نحذفها فى بعض الأحيان، فنقول مثلا:

http ://aaupnet.org

وعند الإشارة إلى دوريات على الإنترنت أو أسطوانات مدمجة CD وما إلى ذلك، انظر الفصل الخاص بهذا فى كتاب: Chicago Manual of Style.

إن الحروف الأولى من اسم الكاتب وتفاصيل النشر الأخرى - بما فى ذلك عنوان المقال بالكامل واسم السلسلة ورقم الجزء - كل هذا لابد أن يذكر بالكامل عند الإشارة إليه للمرة الأولى، أما بعد ذلك فيذكر فقط اسم العائلة، ويذكر العنوان كذلك باختصار، ويجب تجنب استخدام مصطلحات مثل Ibid, op.cit, loc.cit، كما يجب الإشارة إلى رقم الصفحة بالتحديد وليس فقط إلى المقال ككل.

تعليقات الصور والأشكال

لابد أولا من التأكد من صحة التعليقات، على أن تكتب فى ورقة منفصلة، وتكون المسافة بين السطور مزدوجة، وتقدم على ديسك مع النسخة النهائية للمقال.



والصور والرسوم المقدمة للنشر لابد أن تحمل اسم الكاتب، وكذلك رقم الصورة أو الشكل، مكتوبا بوضوح على الخلفية أو على CD، وجميع الأصول سوف تُعاد إلى الكاتب بعد نشر العدد.

ويجب أن يكون عدد الصور والأشكال أقل ما يمكن، والقرار النهائى لتحديد عددها يترك لرئيس التحرير، وتكون الصور إما أبيض وأسود أو ملونة، وعلى مستوى عالٍ من الجودة.

خطوط الرسم

إن حجم الرسوم المقدمة لابد أن يكون على الأقل ضعف الحجم الذى ستظهر به فى النشر، ويجب أن تكون مرسومة بشكل صحيح، وأى تعليقات داخل الشكل نفسه إما أن تكون مطبوعة فى مكانها (ليست بخط اليد) أو تكون مقدمة على ديسك بشكل منفصل.

وإذا كانت الرسوم تحتوى على نسخة مصورة من أشكال نشرت سابقا (انظر حقوق الطبع أدناه) فيجب أن تكون واضحة جدا.

الصور الرقمية (الديجيتال)

لقد أصبح استخدام الصور الرقمية فى تزايد مستمر، وفيما يلى بعض الإرشادات فى هذا الشأن:

فى حالة الرغبة فى الاستفسار عن شئ، يرجى الاتصال بإدارة النشر العلمى قبل عمل مسح ضوئى للصور، كما يجب تقديم جميع الصور الرقمية مطبوعة (من الكمبيوتر) بشكل جيد جدا.

الصور

يتم عمل مسح ضوئى للصور بدرجة وضوح 300 dpi إذا كنا نريدها بنفس الحجم، أما إذا كنا نريد الحصول على حجم أكبر لها فيجب أن تكون درجة الوضوح أعلى. فمثلاً: الصورة المطلوب إخراجها بضعف حجمها لابد أن تكون درجة الوضوح فيها 600 dpi، وتحفظ الصور فى ملفات من نوع CMYK TIFF (لأن JPEG نادرا ما يكون مناسبا)، وإذا حفظ الملف تحت اسم TIFF. فعندئذ يستخدم برنامج ضغط الصور LZW (لأن هذا لا يقلل من جودة الصور)، وبذلك يمكن حفظ الملفات فى أقل حجم ممكن. ولابد من تقديم نسخ مطبوعة من الكمبيوتر لهذه الصور الرقمية على أن تكون واضحة جدا، وجميع ملفات الصور تقدم على CD، ويرجى عدم إرسال صور على البريد الإلكترونى لإدارة النشر العلمى بالمجلس الأعلى للآثار أو للمحررين إلا باتفاق مسبق.

خطوط الرسم

يتم عمل مسح ضوئى لها كـ 'line art' بدرجة وضوح لا تقل عن 600 dpi وتحفظ كملفات تحت اسم TIFF.

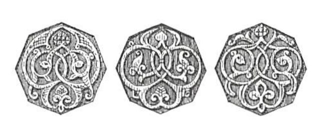
حقوق الطبع

بالنسبة للحصول على تصريح باستخدام مادة علمية لها حق الطبع، فهذه مسئولية الكاتب، وهذا يشمل النسخ المصورة من مواد تم نشرها من قبل.

والمقالات التى لا تتفق مع هذه القواعد سوف يتم استبعادها.
وتقدم المقالات (نسخة ورقية ونسخة إلكترونية) إلى:

رئيس التحرير
إدارة النشر العلمى
المجلس الأعلى للآثار
٣ ش العادل أبو بكر، الزمالك، القاهرة ص.ب. ١١٥٦١
بريد إلكترونى:
inu@liv.ac.uk
publication_department2004@yahoo.co.uk

كما يرجى عند إرسال المقالات تقديم وسيلة اتصال ممكنة بالمؤلف، ويفضل أن تكون عن طريق البريد الإلكترونى.



المحتويات

صفحة

11 زاهى حواس
مقدمة

13 على رضوان
الأستاذ الدكتور/ أحمد قدرى عبقرية فى الإدارة وملحمة فى العطاء

23 زاهى حواس وجمال مصطفى
تراث مصر الإسلامى بنية للفكر .. والتوجه

45 سامى صالح عبد المالك
حمّاما قَلْعتىْ صلاح الدين الأيوبى فى
'صَدْر وأَيْلَه' بسَيْنَاء 'دراسة آثارية – معمارية'

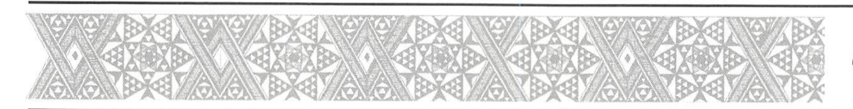
129 سعيد عبد الفتاح عطا الله
ملاحظات حول سكة نقود الفهريين والخوارج بإفريقية
(١٢٨ - ١٤٢ هـ /٧٤٥ - ٧٥٩ م) فى ضوء مجموعة جديدة

139 على سعيد سيف
جامع الإمام عبد الله بن حمزة بظفار ذيبين (٦٠٢هـ /١٢٠٦م)
'دراسة أثرية معمارية'

201 غزوان ياغى
أهمية العمائر السكنية المملوكية الباقية
بمدينة القاهرة والعوامل المؤثرة فى تصميمها

225 هشام بن محمد على بن حسن عجيمى
وثيقة ترميم قَلْعة مدائن صالح (الحجْر) فى طريق الحاج الشامى

235 وثيقة إنشاء قَلْعة الزُمُرّدْ فى طريق الحاج الشامى



المحتويات

Page

11 *Zahi HAWASS*
Editorial Foreword

13 *Khaled AZAB*
The Architect in Islamic Civilization

23 *Elizabeth S. BOLMAN*
Final Report: December 2002-May 2004 Campaign EAP Subproject: Conservation and Publication of the Late Antique and Medieval Wall Paintings and Sculpture in the Red Monastery (Deir Anba Bishoi), Sohag

47 *Stephen DAVIS and Others*
Yale Monastic Archaeology Project John the Little: Season 1 (June 7-27, 2006)

53 **Yale Monastic Archaeology Project Pherme (Qusur Higayla and Qusur 'Erayma): Season 1 (May 29-June 8, 2006)**

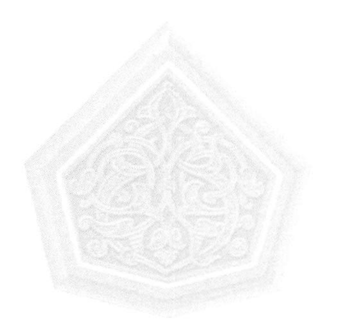
59 **Yale Monastic Archaeology Project John the Little: Season 2 (MAY 14-JUNE 16, 2007)**

65 *Włodzimierz GODLEWSKI*
Naqlun 2007: Preliminary Report

79 *Peter GROSSMANN*
Report on the Excavations at Abū Mīnā in Spring 2006

91 *Laila Ali IBRAHIM*
Dragons on a Cairene Mosque

111 *Mutsuo KAWATOKO and Yoko Shindo TAKAHASHI*
Archaeological Survey of the Rāya / al -Ṭūr Area on the Sinai Peninsula, Egypt in 2007





مقدمة

هذا هو العدد الثالث من 'مشكاة' ـ المجلة المصرية للآثار الإسلامية ـ نقدمه بعد أن حقق العددان الأول والثانى نجاحًا لم نكن نتوقعه، وحرصنا فيه على تنوع الموضوعات وتطرقها إلى الجديد فى مجال علم الآثار. وفى هذا العدد آثرنا أن ننشر دراسة للعالمة 'ليلى على إبراهيم' التى رحلت عنا بعد أن قدمت دراسات عديدة فى مجال الآثار الإسلامية.

كما أننا نهدى هذا العدد إلى العالم الجليل الدكتور أحمد قدرى ..

وقد عرفت أحمد قدرى عندما كنت أعمل بحفائر منطقة آثار أبوبللو فى بداية السبعينات، وكان يعمل حين ذاك مديرا عاما للشئون المالية والإدارية بمصلحة الآثار. وبعد ذلك أصبح مديرا لصندوق آثار النوبة، وكنت أرى فيه قوة الإرادة واتخاذ القرار. وقد نال دبلوم الآثار المصرية، وكذلك دبلوم الآثار الإسلامية، بل وقام بنيل درجة الدكتوراه فى الآثار المصرية من جامعة بوادبست. وقد نشأت بيننا صداقة خاصة، فعندما سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كان يحضر دائما لزيارتى بمدينة فلادلفيا.

وعندما تولى مسئولية رئاسة هيئة الآثار، قام بالعديد من المشروعات الهامة فى أعمال الترميم، واهتم بصفة خاصة بالآثار الإسلامية. وقد نتفق أو نختلف فى طريقة الترميم، ولكن أقول وبكل أمانة إن الدكتور أحمد قدرى استطاع أن يغرس الوعى الأثرى بين أفراد الشعب المصرى من المواطنين فى كل الأعمار. وقد استطاع أصدقاء الإله 'ست' للأسف أن يوقعوا بينى وبينه، ولكن قبل وفاته استطاع الصديق الراحل جمال مختار أن يظهر الحقيقة.

وأنا سعيد جدا أننا استطعنا خلال عيد الأثريين الثالث أن نكرم الراحل العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد قدرى، بل والأكثر من ذلك أننا نصدر هذا العدد من مجلة مشكاة تكريما للعالم الجليل. وقد اشتركت مع الزميل جمال مصطفى فى تحرير مقال عما قمنا به خلال السنوات الماضية من أعمال ترميم، وقد قررنا أن يكون التكريم من خلال كتاب عن الآثار الإسلامية نظرا لأن الجهد الأكبر للدكتور قدرى كان موجهًا إلى الآثار الإسلامية.

وقد أسعدتنا الدراسات التى لاقت قبولاً من اللجنة الاستشارية للمجلة، خاصة تلك التى جاءت من خارج مصر.

أما العددان القادمان، فقد تلقينا أبحاثًا ستجعل منهما مرجعين علميين للباحثين، وقد تلقينا العديد من الأبحاث المقدَّمة للنشر فيهما هى حاليًّا قيد التحكيم العلمى.

هذا، ونحن نعد من الآن لأحد الأعداد القادمة من المجلة ليتناول علم الآثار الإسلامية وأهميته ومستقبله، حيث إن نشأة علم الآثار الإسلامية جاءت على يد جيل من الرواد الإنجليز والفرنسيين والألمان بصورة خاصة، أما اليوم فلدينا جيل من الأثريين العرب لهم باع كبير فى هذا المجال؛ لذا وجهنا الدعوة لبعضهم ليكتبوا لنا موضوعات تطرح وجهات نظرهم لنفتح آفاقًا جديدة فى هذا المجال، خاصة مع استخدام التكنولوجيا بصورة مفرطة فى السنوات الأخيرة لخدمة هذا العلم، سواء فى مجالات التسجيل أو الحفظ أو البصمة الأثرية التى تحدد الأثر بدقة، أو التصوير الرقمى أو البيوأركيولوجى، أو حتى استخدام الأقمار الصناعية للمسح الأثرى. هذا كله يفرض تحديات أمام علماء الآثار أردنا أن نفرد لها عددًا خاصًّا يناقش طبيعة العلم ومستقبله.

كما حرصنا أيضًا على نشر تقارير حفائر الآثار الإسلامية بغيةَ تقديم المكتشفات الجديدة لكى يستفيد منها الباحثون، بعد أن ظلت لسنوات حبيسة الأدراج، دون أن يدرك المتخصصون ما تم الكشف عنه بدءًا من حفائر سيناء إلى حفائر منقباد بأسيوط، وإننا نعد القارئ أن ننشر تقريرًا وافيًا عن حفائر مدينة 'تنيس' التى تعد اكتشافاتها ذات أهمية خاصة فى مجال الآثار الإسلامية لما أدته هذه المدينة من دور فى صناعة النسيج، فضلاً عن شبكة تخزين وتوزيع المياه بها التى تعد فريدة من نوعها.

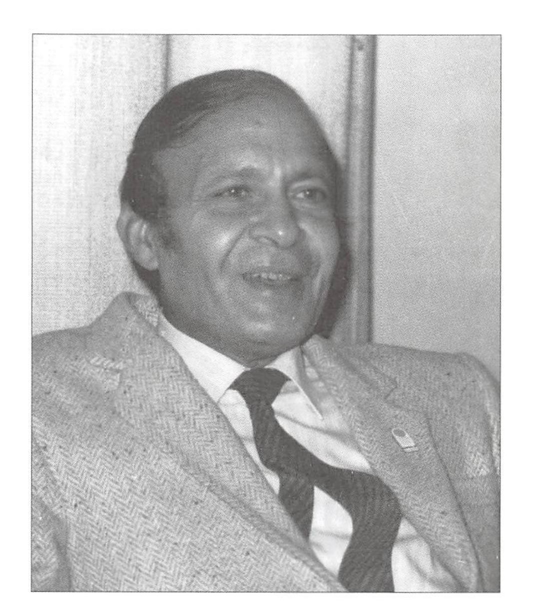
أ.د. زاهى حواس
أمين عام المجلس الأعلى للآثار



الأستاذ الدكتور/ أحمد قدرى

عبقرية فى الإدارة وملحمة فى العطاء

على رضوان



ولد أحمد قدرى محمد حلمى على أبوالعلا فايد بقرية كفر الحمام من الضواحى الشمالية لمدينة الزقازيق بالشرقية يوم ١٨ مارس عام ١٩٣١م، وقدرى هو ابن شقيق الشاعر الكبير د. محمد العلائى الذى يعد من رواد حركة الشعر الحديث، ألمعهم خلال فترة الأربعينات، وجده لوالدته الذى اشتهر باسم الشيخ الشرقاوى كان من علماء الأزهر الشريف وعميدًا للمعهد الدينى بالإسكندرية وعضواً بهيئة كبار العلماء، وهو أيضًا ابن شقيقة الشاعر أحمد فتحى الذى اشتهر بلقب شاعر الكرنك وكان من أوائل مذيعى القسم العربى بهيئة الإذاعة البريطانية فى لندن، وقدرى كان نموذجًا متميزًا فى الإدارة.. صاحب عبقرية إدارية فذة وقادرة وخبيرة وواثقة.. حقق طفرة فى الوعى بالتراث الحضارى للبلاد، هائلة فى المظهر رائعة فى المضمون، حظى التراث فى عهده بدرجة عالية من الرعاية والاهتمام والاحتفاء والاحترام، كان رائدًا فى الأداء والعطاء، يستحق أن يكرم أفضل وأبدع التكريم.

تخرج أحمد قدرى فى الكلية الحربية عام ١٩٥٠م، ثم من الكلية الجوية عام ١٩٥٦م، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٦٤م بعد تقاعده من الخدمة بالقوات المسلحة، وحصل على دبلوم الدراسات العليا فى الآثار المصرية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م، ثم على نفس الدبلوم فى الآثار الإسلامية من نفس الجامعة عام ١٩٧٦م، وكذلك حصل على درجة الدكتوراة فى الفلسفة من أكاديمية العلوم بالمجر عام ١٩٧٨م، وعمل كمدير للعلاقات العامة بوزارة الثقافة عام ١٩٥٦م - ١٩٦٥م، ثم مدير عام هيئة إنقاذ آثار النوبة عام ١٩٧٠م - ١٩٧٣م، ثم وكيل أول وزارة الثقافة ورئيس هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨١م، وبالتالى شغل منصب رئيس مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية عام ١٩٨١م - ١٩٨٨م.

ولقد عشق أحمد قدرى التاريخ وقام بتدريسه لعامين فى جامعة بغداد التى طلبت مد إعارته لثلاثة أعوام إضافية، ولكنه آثر العودة تلبية لنداء الواجب فى قيادة هيئة الآثار المصرية، كما قام بتدريسه أيضًا فى كثير من الجامعات المصرية إنتدابًا، واختتم حياته أستاذًا للتاريخ القديم بجامعة واسيدا اليابانية، وله الكثير من المؤلفات والبحوث وأعمال الترجمة فى مجالات الآثار.

أما بالنسبة للمؤلفات العلمية فمنها:

1983

Officers and Officials in the New Kingdom, in *Studia Aegyptiaca*, VIII (Budapest, 1982).

1984

- المؤسسة العسكرية فى عصر الإمبراطورية (القاهرة، ١٩٨٤).
- تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة (القاهرة، ١٩٨٤).

وله كذلك ثلاث عشرة مقالة علمية منشورة فى الحوليات العلمية المصرية والعالمية.

تعرفت على أحمد قدرى عندما جاء إلى جامعة القاهرة فى عام ١٩٧١ لدراسة الآثار المصرية القديمة، وأشهد أنه كان نموذجا فريدا لطالب العلم الذى يبحث دائما عن المزيد لكل ماهو جديد ومفيد فى تاريخ وتراث الفراعنة.

بعدها، وعند توليه منصب رئيس هيئة الآثار المصرية، كنت مشاركا له فى العديد من الاجتماعات واللجان، وخصوصا عضويتى فى مجلس إدارة الهيئة، حيث أننى كنت فى هذه الفترة رئيس قسم الآثار المصرية بجامعة القاهرة.

وكان أن صدر قانون حماية الآثار رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣ فى عهده، فنراه يقوم بترجمته إلى الإنجليزية، لكى يتعرف على مواده رجال البعثات والسفارات الأجنبية فى مصر، ويؤكد فى كلمة التقديم للنسختين العربية والأجنبية على أن هذا القانون سوف يحقق الآمال والأهداف التى يتطلع إليها جميع العاملين والمهتمين بآثار مصر، وأن تطبيق مواده سوف يكون بمثابة خطوة فعالة نحو تحقيق الحماية لآثار مصر.

ومنذ اليوم الأول لتوليه المسئولية فى هيئة الآثار، نجده شعلة نشاط وفى كل إتجاه، وبأسلوب لم نعهده من قبل، حتى أن مسألة إنقاذه لقلعة صلاح الدين بالقاهرة من أطنان المخلفات والاتربة، وكذلك ترميم مساجدها ومبانيها، وإقامة متحف الشرطة فيها، لتعد- وبحق- واحدة من أهم إنجازاته الكبيرة.

ولو قدر لى أن أنوه ببعض الأعمال التى أقدم على تنفيذها الراحل العظيم، فإننى أتخير تلك التى تشير -وبكلماته هو- إلى رؤيته الثاقبة فى أهمية الحفاظ على آثار وتراث مصر:

١- متحف مركب خوفو: 'بعد مضى قرابة ٢٥ عاما على إحتجاب هذا الأثر العظيم عن الأنظار، باستثناء قلة من عالم المتخصصين، ومن خلال الطفرة التى قامت بها هيئة الآثار المصرية فى فترة الثلاثة أعوام الماضية من ترميم وتطوير الأماكن الأثرية وتطوير المتاحف والحفاظ على التراث - تم إفتتاح متحف المركب بعد إعداده للزيارة العامة وتزويده بكل وسائل العرض المتحفى الحديثة'.

٢- دير القديسة كاترين: 'فى اطار من تعاون مثمر مع السلطات الروحية بدير القديسة كاترين، قامت هيئة الآثار المصرية باعمال الترميم المعمارى والدقيق للمسجد الفاطمى بالدير، والذى يمثل فى حد ذاته روح السماحة التى قامت على أرض سيناء بين المؤمنين بالديانات السماوية الثلاث. وكذلك تم ترميم بعض عناصر الكنيسة الكبرى ومبنى تاريخى من عصر الخديو إسماعيل، بكل مايمثله ذلك من أهمية لمكانة ذلك الدير العظيم على المستويات الروحية، والثقافية، والتاريخية على حد سواء'.

٣- جزيرة فرعون (قلعة صلاح الدين): 'تمثل قلعة صلاح الدين الأيوبى على جزيرة فرعون فى سيناء قيمة تاريخية وأثرية فى الآثار الإسلامية لأكثر من اعتبار، حيث لعبت هذه القلعة الشامخة دور الحارس الأمين للشواطىء العربية فى مصر والحجاز والأردن وفلسطين على حد سواء، وأسهمت فى درء الأخطار العسكرية أثناء الصراع الصليبى العربى، حيث كانت مصر الإسلامية تمثل الدرع الواقى للعالم العربى والإسلامى أثناء ذلك الصراع'.

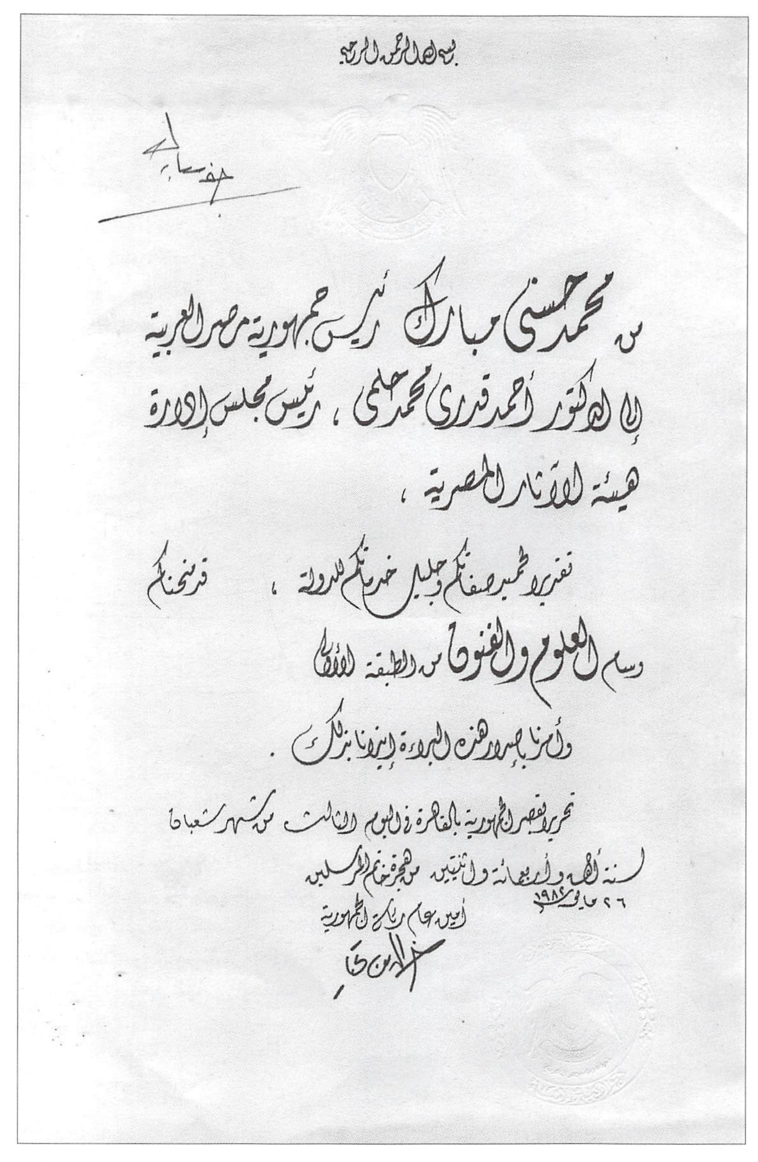
أما عن رسالته للدكتوراه، والتى سبقت الإشارة إليها، وطبعت فى المجر (بودابست - ١٩٨٢) فنجدها عملا علميا متكاملا ورصينا، فيه الجهد وفيه الإجتهاد، حتى أن ثبت المراجع يكاد أن يضم كل ماهو متعلق بموضوع الضباط والموظفين الإداريين فى الدولة المصرية إبان عصر الدولة الحديثة من تاريخ الفراعنة، ومنها بعض المقالات والدراسات التى كانت قد نشرت قبل طبع الرسالة بعامين فقط، الأمر الذى يدل على سعة الاطلاع والرغبة فى الوصول إلى كل الحقائق العلمية، حتى أن أحمد قدرى يُظهر اهتماما كبيرا ليس

فقط بالجانب الإدارى أو السياسى لرجالات الدولة فى هذا العصر الذهبى من التاريخ المصرى القديم، بل يعرج إلى جانب ذلك إلى أمور أخرى مؤثرة تتعلق بالفكر الدينى، خصوصا فيما كان سائدا قبل وأثناء وبعد فترة العمارنة.

وقد شارك أحمد قدرى فى عضوية العديد من المؤتمرات المحلية والدولية والمراكز والهيئات والمجالس العلمية، حيث أنه كان عضو المجلس الأعلى للثقافة 'لجنة التاريخ'، عضو المجمع العلمى المصرى، عضو المجالس القومية المتخصصة، مقرر لجنة الآثار المصرية والإسلامية، عضو لجنة التراث، عضو المجلس الدولى للمتاحف (الأيكوم)، عضو جمعية الاستكشافات الأثرية التابعة للمملكة المتحدة، عضو أكاديمية الفنون المصرية، عضو المعهد الأثرى الألمانى بألمانيا الغربية، عضو مجلس الترميم العالمى، عضو المجلس العالمى لصيانة المناطق الأثرية، عضو مركز شامبليون بباريس، عضو المركز القومى للبحث العلمى بفرنسا، كما أنه كان خبير إدارة التراث العالمى باليونسكو لمشروعى إنقاذ آثار مدينتى صنعاء باليمن الشمالية وفاس بالمملكة المغربية.

وقد أشرف على مشروعات إنقاذ معابد فيلة والنوبة فى المدة من عام ١٩٧٠م حتى عام ١٩٧٧م فى إطار الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة مع اليونسكو، وأثناء توليه رئاسة هيئة الآثار – وكما أشرنا آنفا – قام بتطوير وترميم العديد من مواقع ومتاحف الآثار على أرض مصر، وكذلك مبنى مجلس الشعب.

وقد حصل أحمد قدرى على أوسمة رفيعة من ألمانيا والنمسا والبرتغال والدنمارك وبولندا والمجر وجمهورية إفريقيا الوسطى، كما حصل فى مصر على وسام العلوم والفنون .. إلى جانب وسام الإستحقاق من الطبقة الأولى،


بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية
إلى الدكتور أحمد قدرى محمد حلمى ، رئيس مجلس إدارة
هيئة الآثار المصرية ،

تقديرا لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم للدولة ، قد منحناكم
وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى
وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذانا بذلك .

تحريرا بقصر الجمهورية بالقاهرة فى اليوم الثالث من شهر شعبان
سنة ألف وأربعمائة واثنتين من هجرة خاتم المرسلين
٢٦ مايو ١٩٨٢
أمين عام رئاسة الجمهورية

وكان قدرى يجيد من اللغات الأجنبية، كتابة وتحدثًا، الإنجليزية والألمانية مع إلمامه بالفرنسية.

وتوفى أحمد قدرى فجر الجمعة الخامس من أكتوبر ١٩٩٠م بمستشفى بتسبرج الجامعى فى ولاية بنسلفانيا الأمريكية، ودفن فى مقابر العائلة بقريته بالشرقية، وكرمت قريته ذكراه وسيرته بإطلاق اسمه على مدرسة لها .. إجلالاً لقدره، حيث أنه كان رجل دولة من عظماء هذا الوطن، وبطلاً من أبطال الأساطير الدرامية الملحمية، كان – رحمه الله – صاحب رسالة أكثر منه موظفًا أو رئيسًا لمصلحة أو هيئة، لقد كان حقًا النموذج الرائد الفريد والفعال فى الإدارة والعطاء. ■





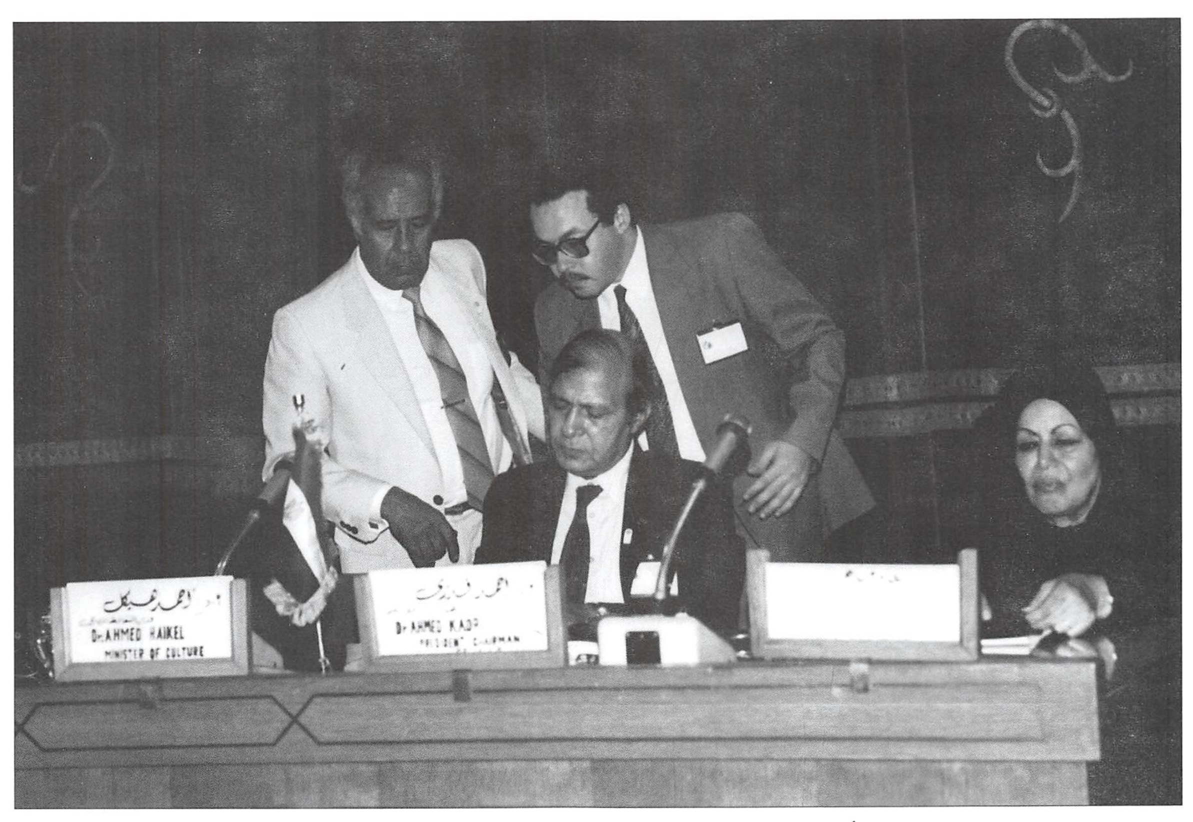
وضع حجر الأساس لمتحف اخناتون مع مسئولى متحف هلدسهايم بألمانيا ومحافظ المنيا ١٩٨٤.



الدكتور أحمد قدرى مع أعضاء مكتبه أثناء توليه رئاسة هيئة الاثار: د. احمد الزيات - د. فهمى عبد العليم - مهندس نبيل عبد السميع - استاذ جمال منتصر- المستشار عادل شريف - د. عبد الهادى الخفيف.



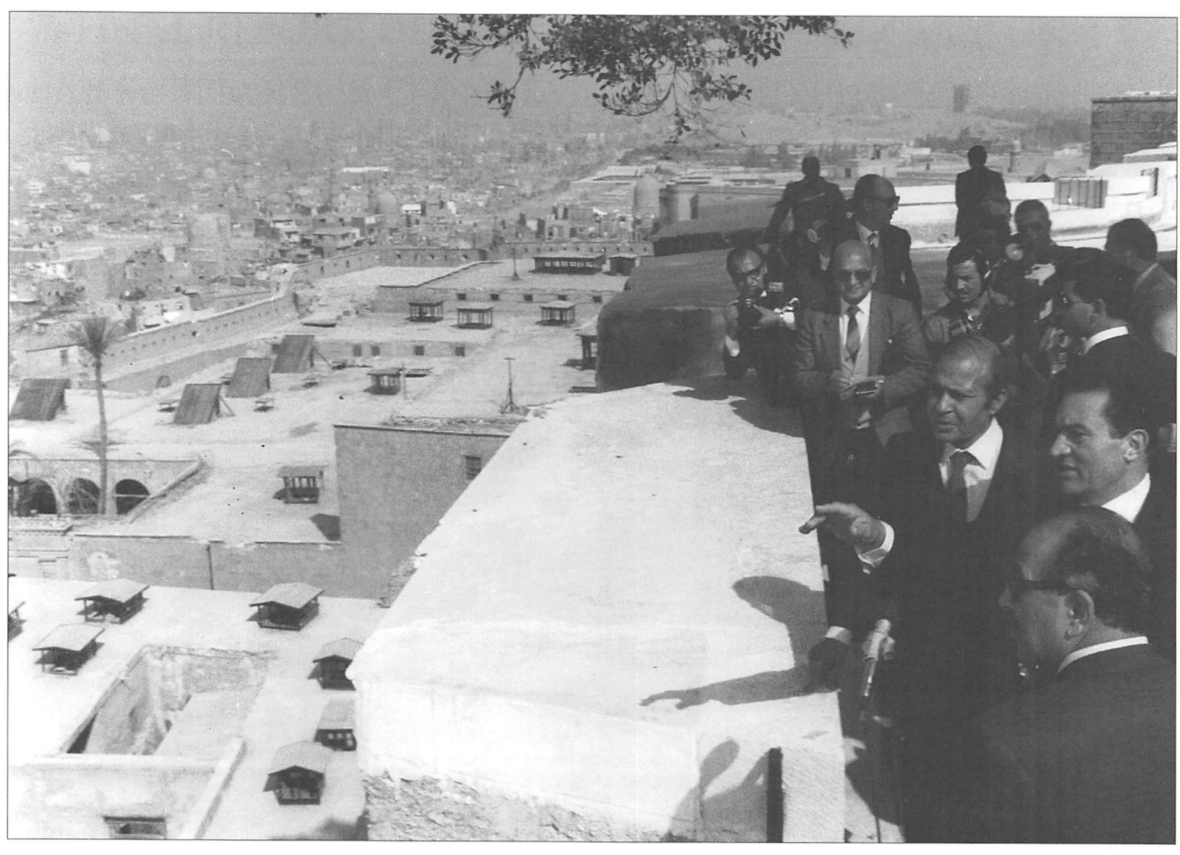
تهنئة من د. شتادلمان مدير المعهد الألمانى سابقا والدكتورة هوريج سوريزيان والدكتور فيرنر مدير المعهد التشيكى للدكتور أحمد قدرى.



أحمد قدرى مع الدكتورة سعاد ماهر فى مؤتمر الفن التركى.



أحمد قدرى فى مؤتمر الفن التركى.



أحمد قدرى مع الرئيس حسنى مبارك والدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة اثناء افتتاح مشروع ترميم وتطوير قلعة صلاح الدين ١٩٨٣.



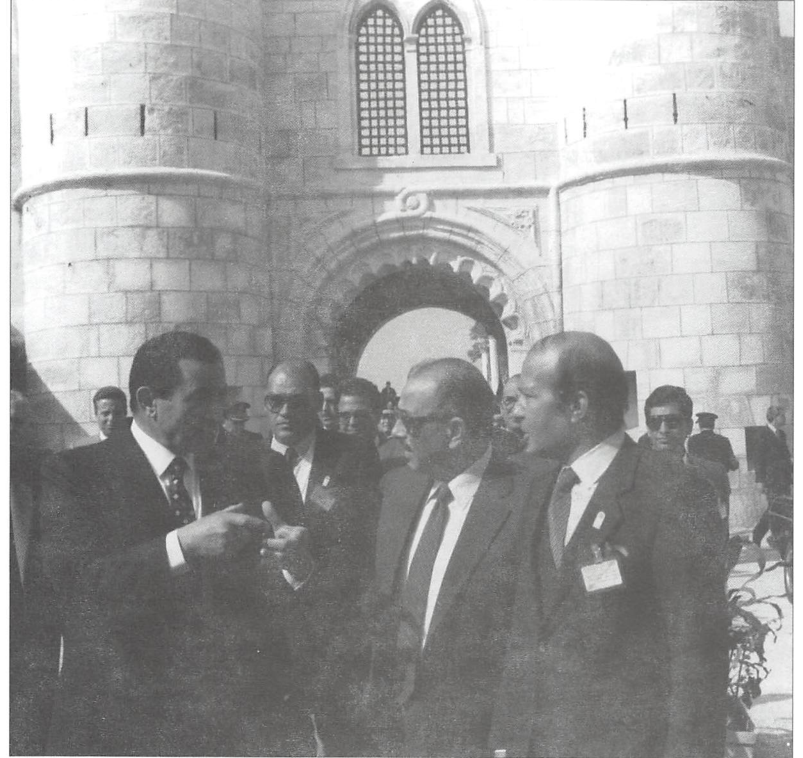
أحمد قدرى مع الرئيس حسنى مبارك فى متحف مجلس الشعب ١٩٨٦.



أحمد قدرى مع الرئيس حسنى مبارك فى متحف مجلس الشعب ١٩٨٦.



افتتاح أعمال الترميم المعمارى لقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون.



أحمد قدرى مع الرئيس حسنى مبارك أحمد هيكل وزير الثقافة فى افتتاح متحف الشرطة القومى بالقلعة ٢٥ يناير ١٩٨٦.



أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار ووزير الثقافة عبد الحميد رضوان بعد المرحلة الأولى لتطوير المتحف المصرى ١٩٨٢.



أحمد قدرى والسفير الأمريكى بالقاهرة فرانك وزنر فى جامع الظاهر بيبرس ١٩٨٦.



تقليد الدكتور أحمد قدرى لوسام فارس.



أحمد قدرى ووزير الثقافة السابق د. أحمد هيكل والاستاذ حسين مهران وكيل اول وزارة الثقافة وفاروق حسنى بروما.

تراث مصر الإسلامى
بنية للفكر .. والتوجه

زاهى حواس
جمال مصطفى

شرف لكل مواطن أن يخدم تراث وطنه، أمّا وإن كان هذا الوطن مصر الحبيبة فالشرف يزداد؛ فالتراث المصرى يمثل حضارة شعب جذوره ضاربة فى أعماق التاريخ..

فمنذ آلاف السنين، لاذ المصرى القديم بنيله ليكتشف حياة الاستقرار، ومنذ هذه اللحظة الفارقة وهو يصارع الطبيعة ويحاول التعايش معها بسلام رغم قسوتها، متطلعًا إلى مستقبل أفضل. وهذه طبيعة المصرى الذى خلف لنا بعد آلاف السنين حضارة يتعجب منها القاصى والدانى.

ولم تقتصر الحضارة المصرية على منتجها المحلى، بل توسعت فى فترات قوتها لتجلب ثمرة ما أنتجته الحضارات المجاورة وتنقلها إلى الداخل، أما فى فترات ضعفها فقد اجتذبت الحضارات المجاورة التى طمعت فى ثرواتها، ولكن سرعان ما انصهرت هذه الحضارات فى بوتقة مصر.

وبذا كانت الحضارة المصرية تضم بين جنباتها حضارات أخرى أثرت فيها وتأثرت بها، ونتج عن ذلك تراث مصرى فريد ومتنوع.

وتراث مصر الإسلامى مزيج بين التراث المحلى والتراث الوافد، ومن ثم فلا يشعر بلذته سوى من يتفحصه بعناية.

فحينما كُلِّفتُ بالعمل أمينًا للمجلس الأعلى للآثار، بدأت التعمق فى تراث مصر اليهودى والقبطى والإسلامى بقدر المستطاع، وفى إحدى زياراتى لقلعة صلاح الدين، وقف مختصو الآثار الإسلامية يقصون علىَّ تاريخ هذه العاصمة الإسلامية العملاقة، منذ دخول عمرو بن العاص لمصر فى بدايات القرن السابع الميلادى، القرن الأول الهجرى، وحتى نهايات عصر محمد على، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال هذه العمائر الفريدة التى تزهو بها أنحاء القاهرة.

ومنذ هذه اللحظة، بدأ يتبلور لدىَّ فكر لرعاية هذا التراث الضخم، وقد تطلب ذلك البدء فورًا فى أعمال الحصر الدقيق للحالة الإنشائية والمعمارية لهذا التراث الإسلامى على مستوى الجمهورية، ومن خلال هذا الحصر بدا واضحًا أن القاهرة وحدها تضم ما يقارب ثلثى هذا التراث الذى يضم عمائر قائمة، وأخرى مندثرة، وتراثًا منقولًا يحتاج إلى عناية خاصة.

وفى الحقيقة، لقد وجدت أن هذا العمل يحتاج إلى ميزانية ضخمة، وجهود مضنية، وكوادر لم تكن متوفرة فى حينها.

ومن هنا بدأنا فى جلسات متعددة لتدبير الميزانيات اللازمة، مع وضع خطط قصيرة - بالإضافة إلى خطط طويلة - الأمد للتعامل مع هذه الميزانيات، كما بدأنا فى تأهيل ودعم الآثاريين، وتم طرح مشاريع الآثار الاسلامية للدراسة والتنفيذ وفقًا لأولويات المخاطر التى تواجه هذه الآثار، وبشكل جديد، بحيث يتم طرح المشاريع المتجاورة على شكل مجموعات تضم أكثر من أثر، وذلك لعمل دراسات موسعة لمناطق بعينها، وليس لآثار منفردة، لضمان تحديد المشاكل ووضع حلول للقضاء عليها جذريًّا، وبخاصة مشاكل المياه الجوفية، مع مراعاة البعد الاجتماعى لسكان هذه المناطق، وكذا البيئة المحيطة بالأثر، ولم يكن هذا بالشىء اليسير نظرًا لكثرة التعديات الحادثة على هذه الآثار والمشاكل المتراكمة على مر العصور، بالإضافة إلى التعويضات التى يتم دفعها للمتعدين على هذه الآثار.

وقد انتهت هذه الجلسات إلى خطة عمل ذات ثلاثة محاور:

ـ **المحور الأول:** مشروع ترميم وتطوير القاهرة التاريخية.

ـ **المحور الثانى:** مشاريع الترميم التى تخرج عن النطاق المحدد للقاهرة التاريخية، بالإضافة إلى الآثار المنتشرة بمختلف محافظات مصر. ويقوم بطرحها والإشراف عليها قطاع المشروعات بالمجلس الأعلى للآثار، وتنفذ بواسطة شركات مصرية مؤهلة.

ـ **المحور الثالث:** مشاريع تقوم بتنفيذها المراكز والمعاهد الأجنبية المقيمة بمصر من خلال مِنَح تقدمها هذه الجهات، ويتم دراســـتها والإشــراف على تنفيذها من قِبَل المجلس الأعلى للآثار.

ـ **المحور الرابع:** حماية وصيانة التحف المنقولة بالآثار الإسلامية.

والقاهرة وحدها تضم نحو ثلثى الآثار الإسلامية، حيث تضم (٥٤٩) أثرًا موزعة على النحو التالى:

ـ منشآت دينية إسلامية

مساجد ومدارس وزوايا وخانقاوات وتكايا وأربطة. يبلغ عددها (٢١٠) آثار.

ـ منشآت جنائزية

حوش، ضريح، مشهد، قبة، تربة. يبلغ عددها (١٠٨) آثار.

ـ منشآت سكنية

قصر، مقعد، قاعات، ربع، بوابات حارات، منازل. يبلغ عددها (٧٨) أثرًا.

ـ منشآت مائية

قناطر، ساقية، بئر، صهريج، مقياس. يبلغ عددها (٧) آثار.

ـ منشآت صناعية

مـدش، مصبغة، دار لضرب العملة. يبلغ عددها (٤) آثار.

ـ منشآت رعاية اجتماعية

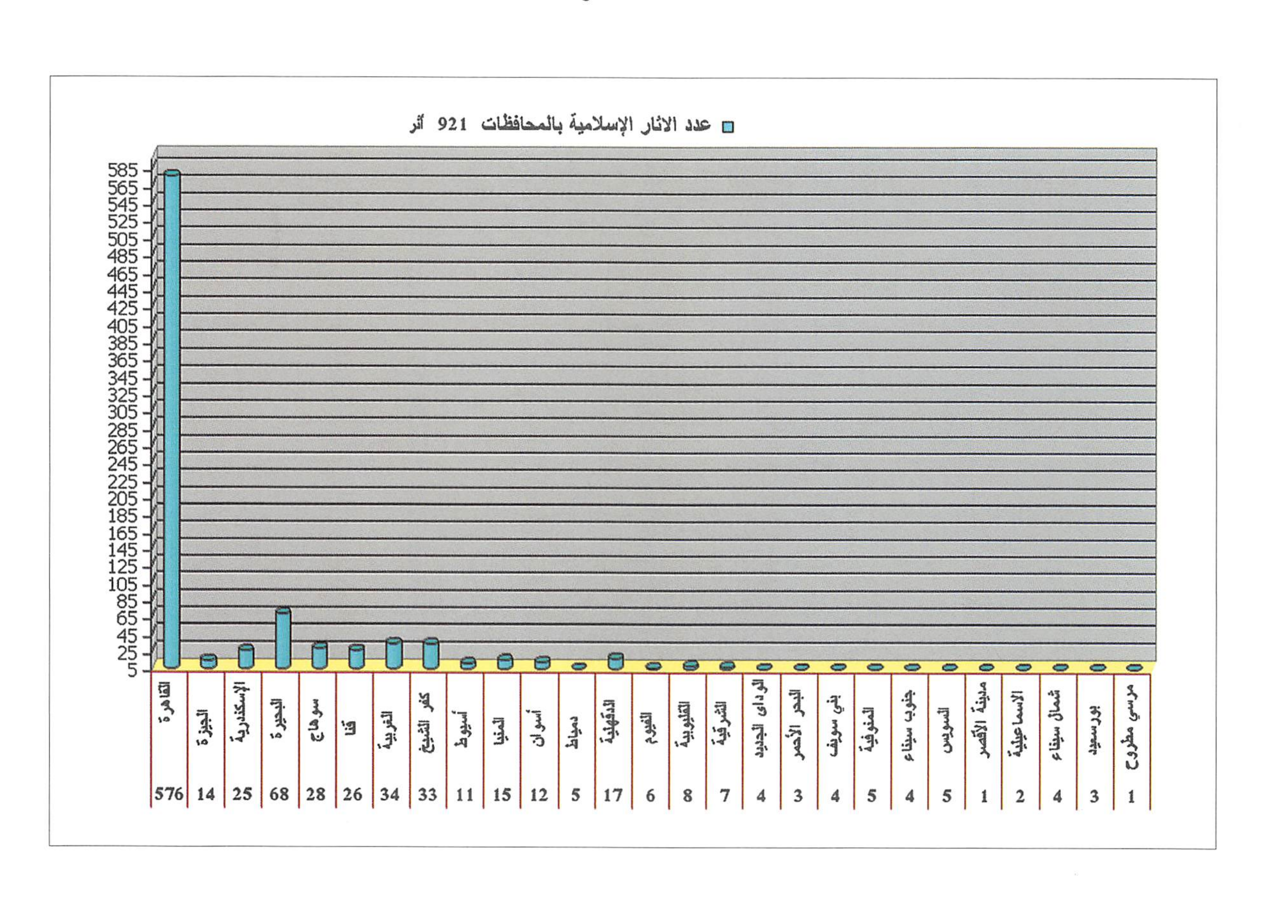
سبيل، حمام، بيمارستان، أحواض. يبلغ عددها (٩٣) أثرًا.

ـ منشآت لأغراض سياسية وثقافية ودينية

يبلغ عددها (١٢) أثرًا.

ـ منشآت دفاعية

قلاع وأبراج وأسوار وأبواب. يبلغ عددها (١٢) أثرًا.



الآثار الإسلامية التى تقع خارج حدود القاهرة التاريخية.

حدود القاهرة التاريخية التى تحوى ١٧٤ أثرًا إسلاميًا.

ـ منشآت تجارية

وكالة، سقيفة، مبنى بنك مصر. يبلغ عددها (٢٥) أثرًا.

وقد تم البدء فى العمل بالمحاور الثلاثة السابقة وكان التركيز على القاهرة نظرًا للخطورة الداهمة الحادثة للآثار القائمة بها آن ذاك.

ـ المحور الأول
مشروع ترميم وتطوير القاهرة التاريخية

فى بدايات عام ٢٠٠٢م، عُقد بالقاهرة المؤتمر الخاص بمشروع ترميم وتطوير القاهرة التاريخية، والذى أوصى بضرورة وضع حدود متعارف عليها للقاهرة التاريخية، وكذا توفير مناطق حماية لهذه الحدود. وكانت حدود المشروع آن ذاك على النحو التالى:

- **الحد الشمالى: سور القاهرة الشمالى وبوابتا النصر والفتوح.**
- **الحد الجنوبى: باب زويلة وشارع أحمد ماهر.**
- **الحد الشرقى: شـــارع صلاح ســـالم.**
- **الحد الغربى: شـــارع بورسعيد.**

وقد بدأ العمل بحصر المنشآت الأثرية الواقعة داخل نطاق المشروع، وتبين أنها تحتوى على (١٧٤) أثرًا إسلاميًّا وقبطيًّا (تم الانتهاء من ترميم عشرة مبانٍ قبل البدء فى أعمال المشروع، وخمسة عشر مبنى كانت تحت الترميم)، وتم تصنيف (١٤٩) أثرًا وفقًا لأربع مراحل:

- **المرحلة الأولى:**(٤٧) أثرًا ضمن مناطق آثار(الغورية، الدرب الأحمر، الأزهر، الحسين).
- **المرحلة الثانية:** (٢٥) أثرًا ضمن منطقتى آثار (النحاسين وبيت القاضى).
- **المرحلة الثالثة:** (٤٤) أثرًا ضمن منطقتى آثار (الجمالية والخرنفش).
- **المرحلة الرابعة:** (٣٣) أثرًا ضمن منطقتى آثار (باب زويلة وباب الوزير).

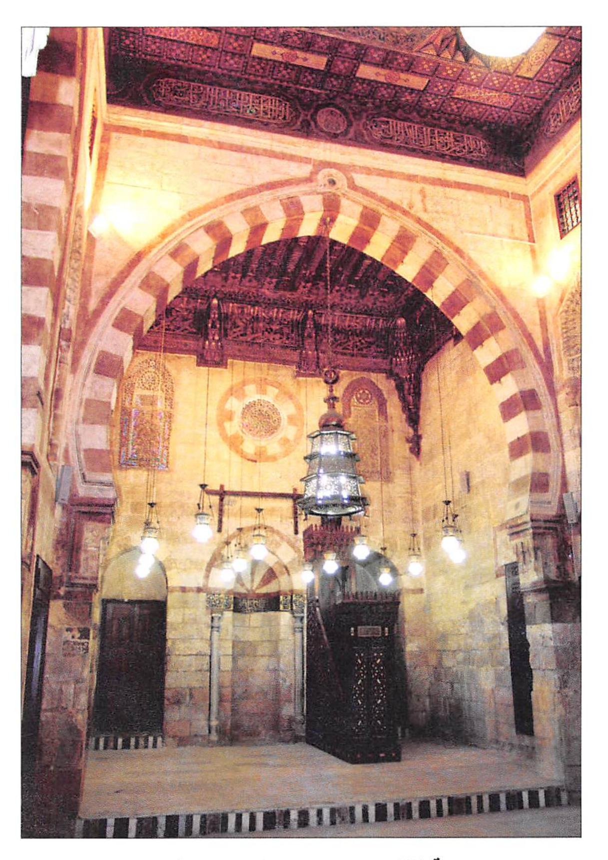
وقد تم ترميم آثار المرحلة الأولى والثانية ومعظم آثار المرحلة الثالثة، وتم افتتاحها، وجار العمل بآثار المرحلة الرابعة بقيمة إجمالية تقارب (٣٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه)، ويبدو ذلك جليًّا عند زيارة تلك الآثار على الطبيعة.

وقد استطاعت وزارة الثقافة-متمثلة فى المجلس الأعلى للآثار-أن تقيم خطة طموحة لتطوير القاهرة التاريخية خلال السنوات القليلة الماضية، حيث عزف المرممون والمهندسون والآثاريون سيمفونية رائعة تمثلت فى ترميم كافة المنشآت الدينية والمدنية والحربية والاجتماعية والاقتصادية ومنشآت الخدمة العامة، وكنا نسمع عن الكثير من الانتقادات لأعمال الترميم، ولكن هناك اتفاق على أن الأسلوب العلمى للترميم المدروس هو السبيل

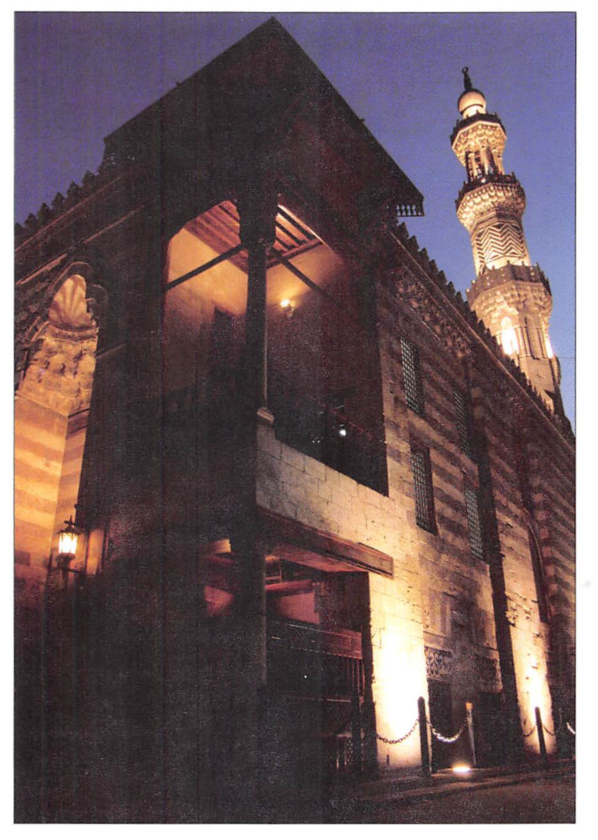


د. زاهى حواس يراس إحدى لجان التنسيق مع اليونسكو.

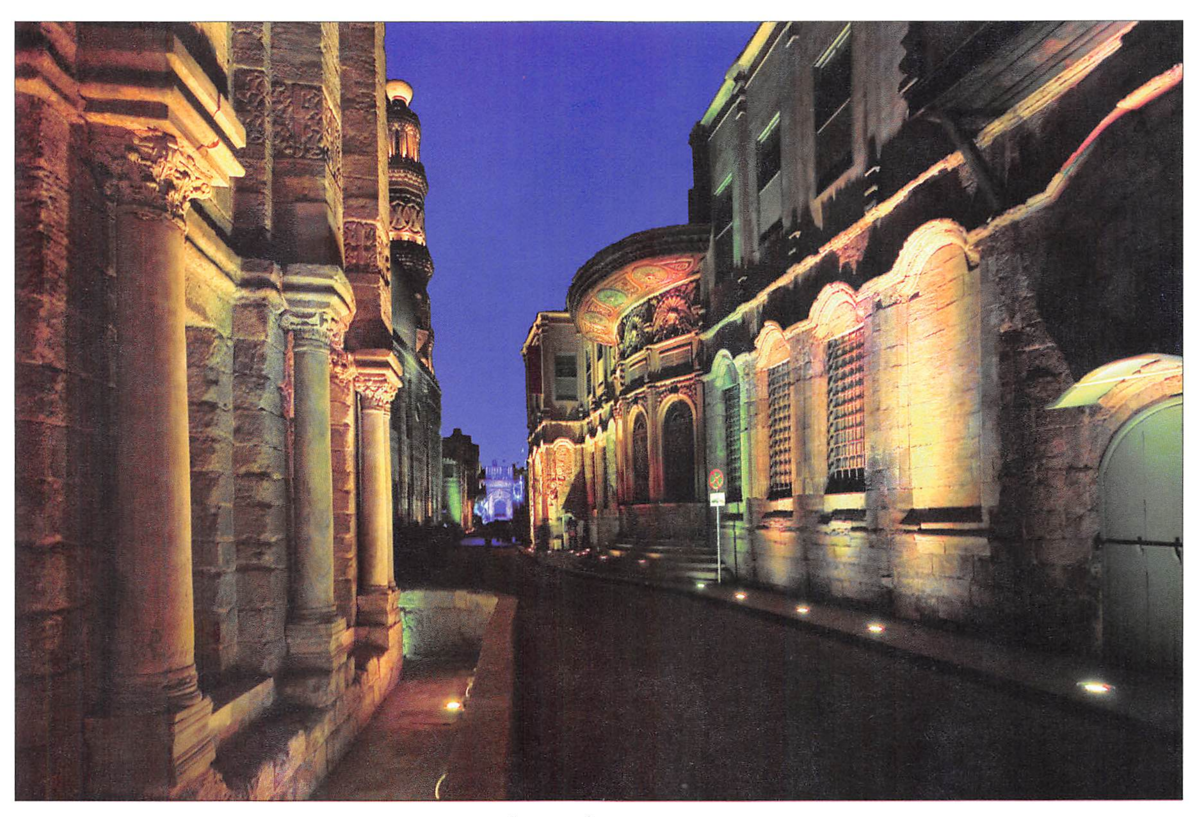
مجموعة السلطان برقوق بعد الترميم.



مدرسة القاضى يحى زين الدين بعد الترميم.



مدرسة القاضى عبد الباسط بعد الترميم.



صورة لشارع المعز (منطقة الجمالية) بعد التطوير.

للحفاظ على التراث الإسلامى، مع قبول النقد البناء الذى يساهم فى مزيد من التقدم، مع الاستعانة بالخبرات الأجنبية التى قد تسبقنا فى بعض التخصصات.

ولم تكن القاهرة سوى عاصمة ضمت بين جنباتها ثلاث عواصم تسبقها تاريخيًا وهى: الفسطاط والعسكر والقطائع، تحوى جميعها كمًا هائلاً من التراث الإسلامى.

ـ المحور الثانى
مشروعات قطاع المشروعات بالمجلس الأعلى للآثار

تولى قطاع المشروعات بالمجلس الأعلى للآثار طرح مشروعات لترميم عدد كبير من الآثار بالقاهرة والمحافظات الأخرى، وذلك بإسناد دراستها إلى مجموعة من مكاتب الاستشارات الهندسية، وتنفيذها بواسطة شركات مصرية مؤهلة، تحت الإشراف المباشر لكل من قطاع المشروعات وقطاع الآثار الإسلامية.

وقد نالت مدينة القاهرة نصيب الأسد نظرًا لكونها تضم أكثر من ثلثى الآثار الإسلامية المسجلة، فقد تم التعامل معها على شكل مجموعات أثرية تضم أكثر من أثر، وذلك لمراعاة البعد الحضارى والبيئى للمناطق الأثرية، وكذلك لتطوير البيئة المحيطة بالأثر أثناء تنفيذ مشاريع الترميم، مما يضفى جمالاً على أحياء بكاملها، ويدفع بقية المؤسسات الحكومية الأخرى لمواكبة هذا النهج، فيختلف شكل القاهرة، وكذا المحافظات، وقد كان هذا فى إطار خطة المجلس الأعلى للآثار للنهوض بمناطق بعينها على النحو التالى:

- **قلعة صلاح الدين**
- **شارع الصليبة**
- **شارع السيوفية**
- **شارع سوق السلاح وميدان الرميلة**
- **شارع باب الوزير**
- **منطقة مصر القديمة ومجمع الأديان**
- **منطقة إسطبل عنتر العشوائية**
- **جبانة المماليك**

وقد بذلت المناطق الأثرية مجهودًا كبيرًا للتعاون مع المكاتب الاستشارية لإتمام كافة الدراسات الأثرية والتاريخية، مع البحث فى سجلات المجلس الأعلى



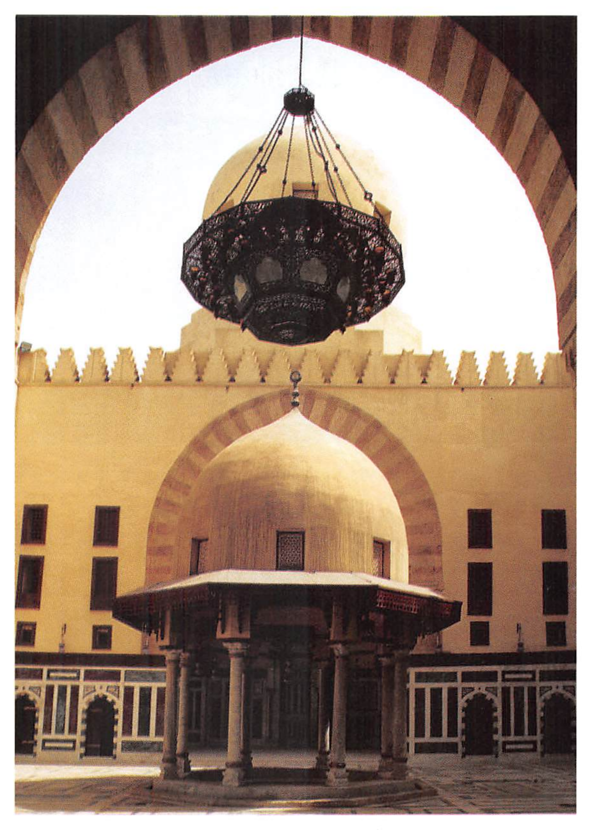
قصر السكاكينى الذى سيعاد توظيفه كمتحف لتاريخ الطب.

للآثار لمعرفة الترميمات السابقة التى تمت على هذه الآثار، بالإضافة إلى الوثائق والمخطوطات التى تخص هذه المنشآت الأثرية، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير.

وقد دفعنا ذلك لتوثيق كافة أعمال الترميم بواسطة الأثريين المقيمين بالمشاريع، كما تم مراجعة كافة المشروعات المقدمة من المكاتب الاستشارية من خلال لجان هندسية وأثرية مشتركة قبل بدء العمل بهذه المشروعات، فى حين كانت لجان المتابعة المشرفة على هذه المشاريع من قِبَل كل من قطاع الآثار الإسلامية وقطاع المشروعات تقوم بالمتابعة المستمرة.

وبقدر ما بذل من مجهود بهذه المشروعات، بقدر ما تم إنقاذ تراث مصرى إسلامى ضخم يحمل بين جنباته قصصًا نستمد منها العبرة وتورث لأجيالنا القادمة العظة، كما تبرز لنا مظاهر القوة ومظاهر الضعف.

ويبقى التراث الإسلامى شاهدًا على العصور المختلفة، ويبقى علينا تأمله والاستفادة من أخطاء الماضى حتى لا تتكرر بالحاضر، ويستشف ذلك كله من خلال تفقدنا للعمائر التى تم صيانتها والحفاظ عليها من تراثنا

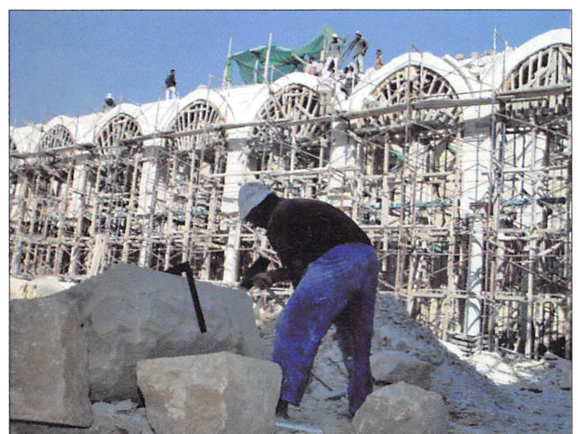


مدرسة الأمير صرغتمش بعد الترميم.



جامع عمرو بن العاص بعد الترميم.





تكلفة مشاريع ترميم الآثار الإسلامية 1/1

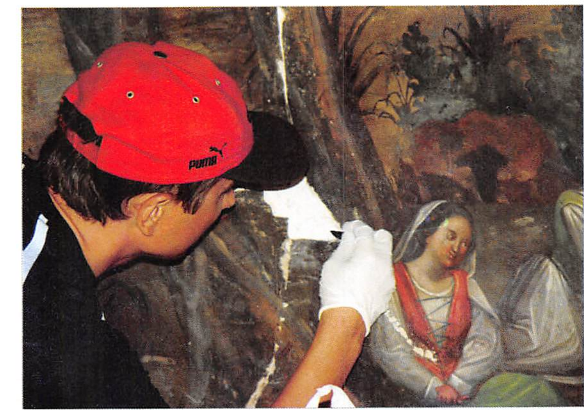
يتبع

تكلفة مشاريع ترميم الآثار الإسلامية 1/2

التكلفة الإجمالية لمشاريع ترميم الآثار الإسلامية (326388901 جم)

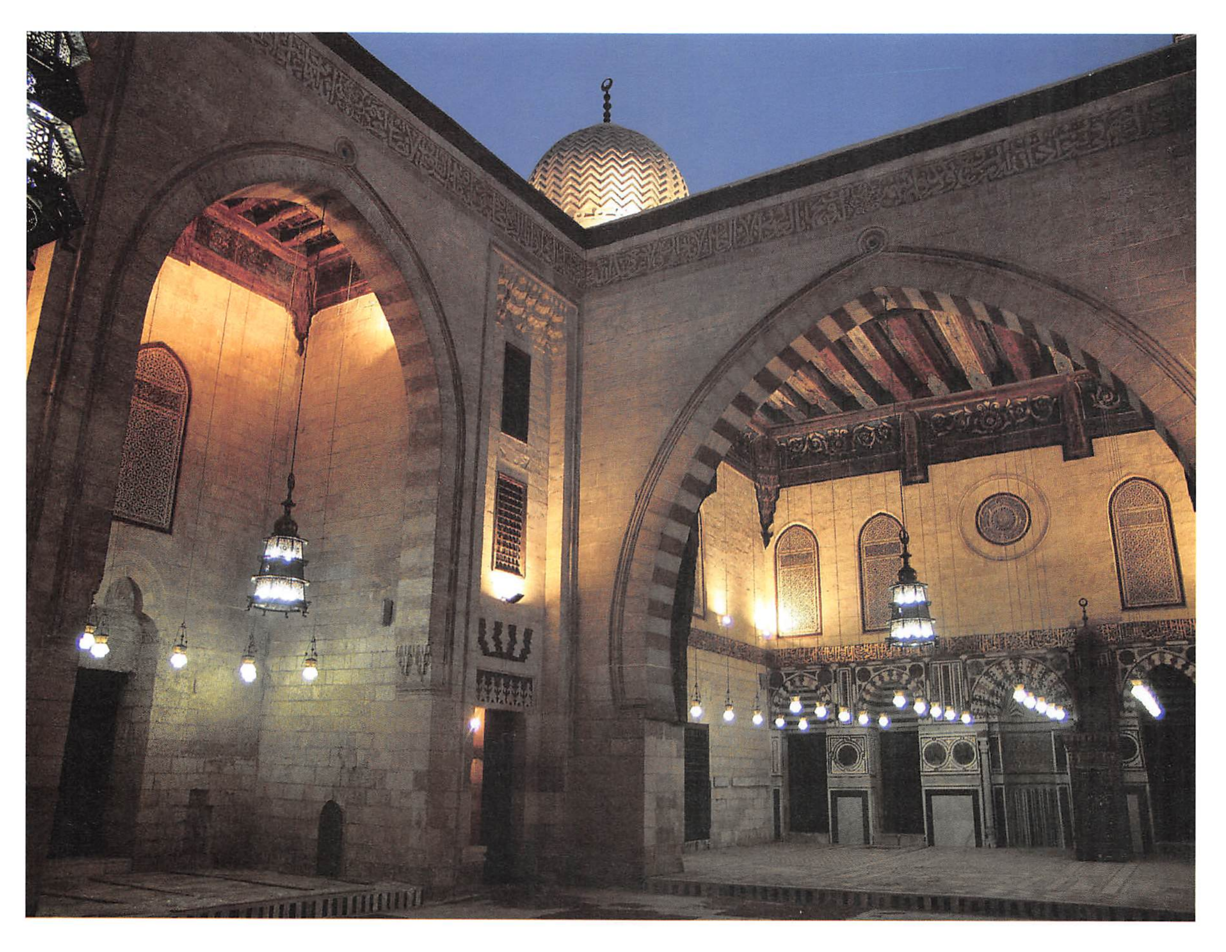
التكلفة الإجمالية لمشروعات قطاع المشروعات بالمجلس الأعلى للآثار منذ عام ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٩م.

مدرسة جمال الدين الإستدار .





الاستعانة بالخبراء الأجانب المتخصصين فى أعمال الترميم الدقيق .



مدرسة الأشرف برسباى.



طاحون حصن بابليون
بمصر القديمة.



الإسلامى، والتى أصبحت إرثًا للأجيال القادمة من أبنائنا واحفادنا.

- المحور الثالث

ويتمثل فى المشاريع التى تقوم بتنفيذها المراكز والمعاهد الأجنبية المقيمة بمصر من خلال مِنَح تقدمها هذه الجهات، ويتم دراستها والإشراف على تنفيذها من قِبَل اللجان المتخصصة بالمجلس الأعلى للآثار.

وقد تقدم إلينا العديد من المراكز والمعاهد الأجنبية العاملة بمصر، وكذا الجهات العالمية المنوط بها الحفاظ على التراث الإسلامى والعالمى، بمجموعة من المشاريع الخاصة بترميم بعض المنشآت المعمارية الإسلامية.

وقد تم قبول بعض هذه المشروعات، على حين تم الاعتذار للبعض الآخر وفق مقتضيات المصلحة العامة ووفقًا للقوانين المعمول بها فى مصر، وكان لهذا التعاون المشترك أثر كبير فى ترميم وصيانة بعض الآثار الإسلامية، ومنها على سبيل المثال:

- **المنحة الأمريكية لتخفيض منسوب المياه بمنطقة مصر القديمة (مجمع الأديان).**
- **منحة من قِبَل مؤسسة الأغا خان الثقافية لترميم كلٍّ من:**
  - مجموعة أم السلطان شعبان الأثرية بباب الوزير.
  - مجموعة خاير بك الأثرية بشارع باب الوزير.
  - سور القاهرة الأيوبى.
  - مسجد أصلم السلحدار.
- **منحة البعثة الهولندية لترميم سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب.**
- **البعثة الإيطالية لترميم التكية المولوية وقصر قوصون ويشبك بالسيوفية.**
- **البعثة الإسبانية لترميم كنيسة أبي سرجة.**
- **بعثة جامعة أكسفورد لترميم كلٍّ من:**
  - قبة مصطفى جاهين بالإمام الشافعى.
  - سبيل وكتاب رضوان أغا الرزاز.
  - واجهة جامع الإمام الشافعى.
- **البعثة الفرنسية لدراسة ناتج حفائر منطقة إصطبل عنتر بمصر القديمة.**
- **البعثة اليابانية لدراسة ناتج حفائر الفسطاط بمخازن الفسطاط.**



سبيل محمد على - العقادين.

المحور الرابع

وُجهَتْ للتراث المنقول بالآثار الإسلامية عناية خاصة بعد أن تم ملاحظة سرقة بعض العناصر المنقولة ذات القيمة الفنية العالية ببعض المنشآت المعمارية الدينية، مما دفعنا إلى سرعة التصدى لهذه السرقات بالتنسيق مع شرطة السياحة والإنتربول الدولى ووزارة الأوقاف المصرية، وسرعان ما تم تشكيل لجان لحصر هذه المقتنيات حصرًا دقيقًا، مع تكثيف الحراسات المتمثلة فى شرطة السياحة وأمن الآثار وأمن الأوقاف للحد من هذه السرقات وزيادة التأمين للتحف المنقولة.

لقد تم ترميم مئات الآثار الإسلامية خلال السنوات الماضية، وسوف نتناول مثالاً على كل منشأة معمارية إسلامية مما تم ترميمه:





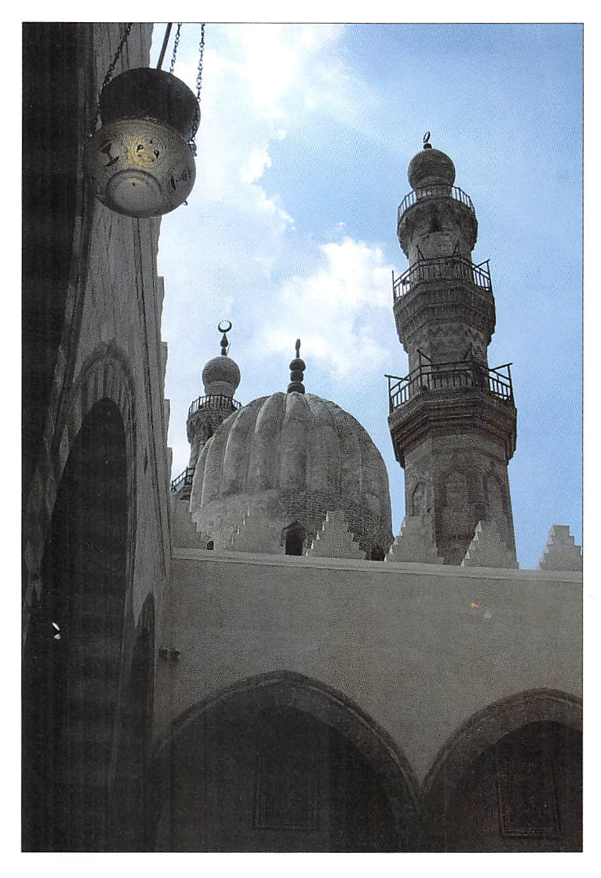
التكية المولوية.



الباب الحالى لجامع المؤيد شيخ، وتبدو الحشوة المفقودة.

أولاً: المنشآت الدينية

وسوف نكتفى هنا بمسجد شيخو بشارع الصليبة، حيث تم إسناد مشروع ترميم مسجد الأمير شيخو إلى شركة المقاولين العرب التى بدأت فى ترميمه فى (١٤/ ٧/ ٢٠٠٢م)، وتم افتتاحه فى (٢٨/ ٩/ ٢٠٠٨م) بتكلفة إجمالية (٧٤٠٠٠٠٠ جنيه).

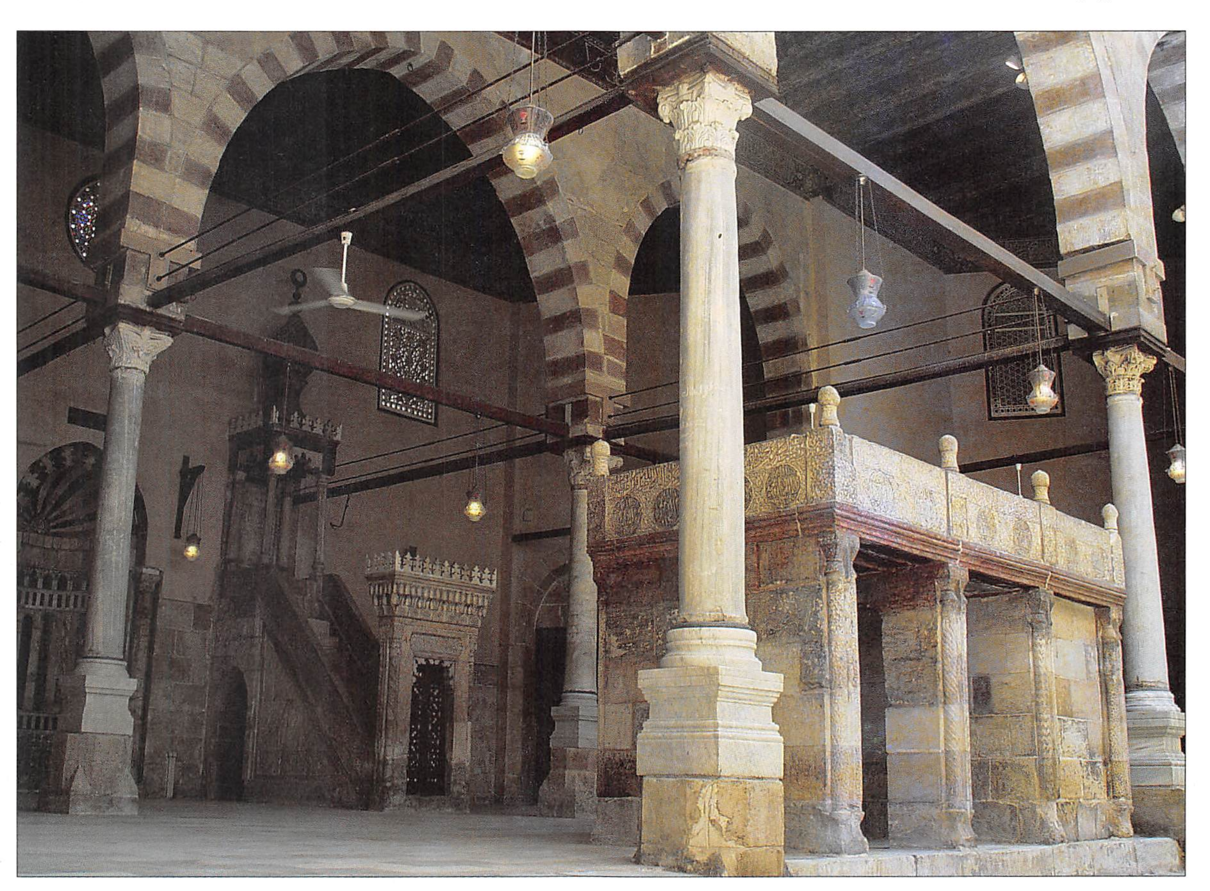


مسجد الأمير شيخو البحرى بشارع الصليبة.

الترميم الإنشائى والمعمارى للمسجد

أ. الأساسات والحوائط

- تم حقن الحشوات الداخلية للحوائط لملء الفراغات الداخلية بمونة متجانسة مع تكوين الأحجار لزيادة كفاءة تحميل الأسقف، كما تم تزرير الشروخ بوضع دبل خشبية معزولة لتتعامل مع القوة الرأسية.
- تم تقوية الأساسات بعمل إبر طولية بلاستيكية بعمق (١٠م) أسفل الأعمدة الحاملة للعقود، وكذلك بجوار الحوائط.
- تم معالجة الرطوبة بالحوائط والأساسات.
- تم تربيط العقود بأسياخ من حديد صلب لمقاومة الانبعاج الموجود لمقاومة المبنى للفصل لحمايته من الانهيار.



- تم حقن أرضية الصحن الرخامية لتفادى فك الأرضية الرخامية الأصلية.

ب. الأسقف الخشبية

- تم معالجة الأسقف الخشبية والإيزارات المزخرفة بكامل مسطح المسجد، وتم ترميمها وتقويتها وتثبيت الألوان الموجودة بها.
- تم توثيق ورفع الأسقف بالكامل.
- تم عمل سقف تخفيف للأسقف الأصلية حفاظًا عليها.

ج. الأرضيات والحوائط

- لم يتم تغيير قطعة حجر واحدة بالمشروع.
- تم الحفاظ على جميع العناصر الإنشائية وتقويتها.
- روعى عدم فك أىٍّ من الأرضيات الأثرية، وتم تقويتها بالحقن بضغوط منخفضة لتقوية الأساسات.

كما تم ترميم كافة العناصر الخشبية والحجرية والمعدنية القديمة ترميمًا دقيقًا، وتم استخدام وسائل إضاءة مناسبة تتناسب مع وظيفة الأثر، ليتم إضافة هذا الأثر إلى قائمة الآثار التى تم إنجازها.

ثانيًا: المنشآت السكنية

وسوف نكتفى بقصر الأمير طاز بالسيوفية كمثال:

فلقد مر هذا القصر بمراحل تدهور أتت على الكثير من عناصره المعمارية نتيجة الاستغلال السيئ من وزارة التربية والتعليم ووزارة الأوقاف، ولكن تم إنقاذه من خلال مشروع ترميم وتطوير القاهرة التاريخية، وذلك باستكمال الأجزاء المفقودة من عمارته، وترميم العناصر الأثرية التى تخلفت عن العصور السابقة، ليخرج القصر بالصورة الحالية بعد ثلاث سنوات ونصف هى عمر مشروع ترميمه الذى بدأ فى عام ٢٠٠٢م، حتى تم افتتاحه فى أكتوبر ٢٠٠٥م، ليواصل شهادته على عصر من أزهى عصور مصر، وهو العصر المملوكى.

يقع قصر الأمير طاز بشارع السيوفية المتفرع من صليبة ابن طولون بحى الخليفة حاليًا، فأرض هذا الشارع كانت تقع ضمن حدود مدينة القطائع، خاصة الجزء الجنوبى منه. وقد بُدِئَ فى إنشاء هذا القصر سنة (٧٥٣هـ / ١٣٥٢م)، وتولى الأمير منجك اليوسفى عمارته، وكان يقف عليها بنفسه.

أما منشئه فهو الأمير سيف الدين عبد الله طاز الناصرى، أحد المماليك المقربين للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذى أعتقه وتربى فى كنفه، وكان حسن الشكل، طويل القامة، بطلاً شجاعًا، محبًّا للعلماء، كثير الخيرات، عالى الهمة، قوى العزم، وافر التجمل، ظاهر الحشمة، وقد أخذ يتولى المناصب المتعددة حتى صار ساقيًا للسلطان وتدخل فى النزاع الذى حدث بين أبناء السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد وفاة أبيهم. واشتهر ذكره فى أيام الملك الصالح إسماعيل، وأصبح طاز صاحب كلمة، مما أغار عليه صدور بقية الأمراء. ثم دخلت سنة (٧٥٤هـ) ولم يزل طاز على حاله، حتى تآمر بعض الأمراء وخلعوا الملك الصالح، ونفى الأمير طاز وعين واليًا على مدينة حلب بالشام.

عناصر القصر

يتكون القصر من فناء مكشوف سماوى تحيط به أربعة عناصر معمارية:

- المقعد: وخُصص لاستقبال الزائرين، ويطلق عليه السلاملك.
- الحرملك: وهو مكان إقامة أسرة السلطان وحاشيته.
- القصر الشتوى: وقد انهار، ولم تتبقَّ منه سوى أطلال.
- الإصطبل: وهو مكان مخصص لإقامة الخيول الخاصة بالأمير ومماليكه.

وقد مر القصر بمراحل ترميم معمارية وإنشائية غاية فى الخطورة والصعوبة، ولكن تمكن فريق العمل من مهندسين وآثاريين ومرممين - كلٍّ فى تخصصه - أن يبذلوا قصارى جهدهم لاستكمال العناصر المفقودة وحماية المنشأة وتأمينها، بالإضافة إلى الترميم الدقيق الذى كان له الدور الأساسى فى الحفاظ على العناصر الخشبية والحجرية والمعدنية للقصر.

وقد تم اكتشاف مجموعة من العناصر الأثرية الهامة أثناء الترميم، منها: الساقية، والمسح، وبعض أوانى الاستخدامات اليومية من الفخار والخزف وغيرها. وقد تم وضعها بمتحف داخل موقع القصر.



قصر الأمير طاز.

ثالثًا: المنشآت المائية

وسوف نكتفى بسواقى مجرى العيون كمثال:

أنشأ هذا المجرى المائى السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م.

وعمارة هذه المنشأة تتكون من:

برج المأخذ، عقود السقاية، قناة مجرى المياه.

وبرج المأخذ مبنى سداسى الشكل، يتوسطه فراغ البئر الأسطوانى الذى تتجمع به مياه النيل التى يتم رفعها إلى حوض التجميع أعلى سطح برج المأخذ بواسطة ست سواق نقالة، ومن خلال قناة تتصل بالحوض يبدأ سريان المياه المتجهة إلى القلعة والمحمولة على عقود مدببة. وقد تم استكمال العناصر المفقودة من عقود السقاية، كما تم ترميم وتدعيم أساساتها، وتم ترميم قناة مجرى المياه، والكشف عن بقايا السواقى الست، وتنفيذ ثلاث سواقٍ خشبية كاملة العدة لتبين طريقة رفع هذه المياه.

وقد تم الانتهاء من ترميمه، ولم يتبقَّ سوى الحرم وتخطيط الموقع العام، فى انتظار نقل المدابغ.


مجري العيون.

رابعًا: المنشآت الصناعية

وسنكتفى بدار الضرب (سك العملة) بالقلعة كمثال:

تم إسناد مشروع ترميم دار الضرب بالقلعة إلى مؤسسة أسوان، والتى بدأت أعمال الترميم فى شهر يوليه ٢٠٠٣م. وقد انتهت أعمال الترميم التى بلغت تكلفتها (٨٩١٥٨٠٠ جنيه).

وقد أنشأها محمد على باشا لتكون دارا لضرب النقود وسكها، وتقع هذه الدار وفقا لما ذكرته الوثائق إلى الشرق من ديوان الكتخدا أو سراى العدل وسراى الجوهرة، وفى الناحية الجنوبية من مسجد محمد على باشا، وكان مكانها دارا قديمة لسك النقود يرجع تاريخها إلى سنة ١١٢١هـ / ١٧٠٩م، كان قد أنشأها الوالى العثمانى 'إبراهيم باشا القبطان' الذى تولى حكم مصر فى الفترة من ١٩ ذى القعدة سنة ١١٢١هـ إلى ١٥ رجب سنة ١١٢٢هـ/ ٢٠ يناير سنة ١٧١٠م إلى ٩ سبتمبر ١٧١٠ م، وقد قام محمد على باشا بتجديدها وترميمها وإضافة مبان جديدة لها. وقد بدأ فى إنشائها سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢م، وكان تاريخ افتتاحها سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م بعد إضافة مبان جديدة لها، وقد أثبت محمد على باشا تاريخ هذا التجديد على لوح رخامى يقع فوق بابها الأوسط فى كتابة من سطرين، نصها:

'جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد على باشا مصر حالا، وكان ذلك فى عام ١٢٢٧ هـ'.

وقد كانت دار الضرب تعرف باسم الضربخاناه، وكانت تجمع عددا كبيرا من الصناع والعمال بلغ سنة ١٢٢٧ هـ/ ١٨١٢م نحو خمسمائة صانع، وقد اشتهرت بها النقود المصرية.

وقد كان بدار الضرب مصنع لصهر وسبك المعادن، وكان معينًا به أشخاص يشرفون على نقل الخامات إلى مصنع الصهر، والتعبئة، وصب المزيج المصهور فى شكل سبائك.

وكان بها أيضا عدة أماكن لعملية الصهر والحدادة والطَّرْق، ومعمل خاص بالترقيق، وآخر لعملية التقطيع وعملية التبييض، كما كان ملحقا بها قلم عرف باسم قلم المباحث المتنوعة التابع لدار المحفوظات.

ويتكون التخطيط المعمارى لدار الضرب من مساحة مستطيلة لها حوش مكشوف ألحقت به عدة حجرات متجاورة تعلوها قباب بنيت من الآجر أو الطوب الأحمر، وتميزت هذه القباب بوجود ما عرف باسم المناور أعلاها، وقد استخدمت هذه المناور ليس فقط للإضاءة والتهوية،



دار الضرب بقلعة صلاح الدين.

وإنها أيضا كمداخن لصعود الأبخرة والسناج المتخلف عن عملية الصناعة. هذا، وتتوسط الحوش حجرة بيضاوية الشكل مبنية بالحجر.

وقد تم ترميم دار الضرب وفقًا لما ورد بالوثائق وما ذكره الرحالة لتكون شاهدًا على ازدهار الاقتصاد المصرى. وتجرى الآن دراسة لإعادة توظيف المبنى.

خامسًا: المنشآت دفاعية

وسنكتفى بباب زويلة كمثال:

وهو أحد المشروعات التى تمت بالتعاون مع مركز البحوث الأمريكى، وقد تم ترميم البوابة الخشبية وترميم كتلة المدخل وتنظيف مئذنتى جامع المؤيد شيخ وترميم الفراغات الداخلية للبوابة، مع عمل متحف موقع لما تم العثور عليه أثناء الترميم، وهو يعد إضافة كبيرة للقاهرة؛ حيث إن هذه البوابة شهدت حوادث جسامًا فى التاريخ المصرى، ولعل أقساها شنق طومان باى عليها.

ويتكون باب زويلة من برجين، لكل منهما واجهة نصف دائرية، ويكتنف البرجان ممرا مكشوفا، يؤدى إلى المدخل، وفى النهاية إلى حيز مربع واسع، مغطى بقبة ضحلة تحملها مثلثات كروية، وتوجد فى الجزء الشرقى من هذا الحيز، دخلة عميقة متعامدة الجوانب، تحمل نصف قبة ترتكز على حنايا ذات ضلوع مشعة. وثلثا برجى الباب يشكلان بناءً مصمتًا، فيما يضم الثلث العلوى من كل برج غرفة رماية. وتوجد فى أعلى واجهة البرجين ثلاث مزاغل (وهى فتحات رمى)، كما توجد حجرة تشرف على مدخل البوابة.



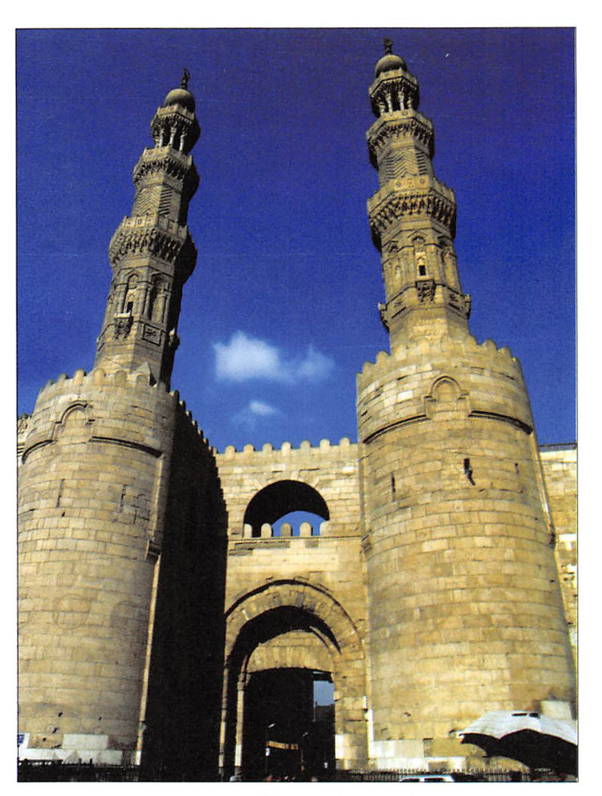
سادسًا: المنشآت الجنائزية

وسنكتفى بمجموعة قلاوون كمثال:

تعد مجموعة قلاوون من أهم المنشآت الإسلامية، حيث إنها تجمع بين منشآت الرعاية الاجتماعية والمنشآت الدينية والمنشآت الجنائزية حيث تضم مسجدًا ومدرسة وقبة ضريحية وبيمارستانًا، وقد جمعت عمارة هذه المنشأة بين الفخامة والضخامة، وقد تفنن المعمار فيها شيده من عناصر معمارية وزخرفها بزخارف غاية فى الدقة.

وقد تعرضت المدرسة وملحقاتها إلى عوامل قاسية أثرت فى عمارتها وأدت إلى فقدان بعض عناصرها وكانت المياه الجوفية هى أكبر هذه العوامل تدميرًا لأساسات وحوائط المنشأة، هذا بالإضافة إلى التعديات التى حدثت على المنشأة.

وقد جاء مشروع الترميم الذى أسند تنفيذه إلى شركة المقاولون العرب فى (٦/٨/١٩٩٧)، وتم الفراغ من ترميمه فى (١٣/١/٢٠٠٨م) بتكلفة قدرها (٣٦٥٦٥٤٠٥ جنيهات) لينقذ هذا الأثر ويقضى على



باب زويلة.



مجموعة قلاوون.

مشكلة المياه الجوفية ويعيد المجموعة بالكامل إلى السلامة الإنشائية التى تضمن لها الاستمرار من جيل إلى جيل كشاهد على فخامة العمارة الإسلامية. ■

مجموعة قلاوون.



حمّاما قلعتى صلاح الدين الأيوبى فى 'صَدْر وأَيْلَه' بسَيْنَاء 'دراسة آثارية - معمارية'*

سامى صالح عبد المالك**

تمهيد

اعتبر العلامة ابن خلدون الحَمَّامات[1] من أهم مميزات المُدن المستبحرة فى العمارة؛ لأنها تُوجد فى الأمصار دون المُدن المتوسطة، إذ قال: 'ما يستدعى لعوائد الترف وأحواله، فإنما يُوجد فى المُدن المستبحرة فى العمارة ... ومن هذا الباب الحَمَّامات؛ لأنها إنما تُوجد فى الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران'.[2] وهذا دليل على أن القلاع الحربية الدفاعية فى العصر الأيوبى - خاصةً تلك التى تُوجد فى شبه جزيرة سَيْنَاء كقَلْعتى صَدْر (صلاح الدين على رأس الجندى) وجزيرة أَيْلَه[3] (صلاح الدين فى جزيرة فرعون، île de Graye) - من القلاع المستبحرة فى العمارة لاشتمالها على حَمَّامين يُعتبران من مُلحقاتها الرئيسة والهامة، والتى أصبح لا غنى عنها فى عمارة القلاع طوال العصر الأيوبى، مثلها فى ذلك مثل الجوامع والمساجد والمُصليات،[4] وأبراج الحَمَام الزَّاجِل 'المطارات'،[5] ومصانع الأسلحة وصهاريج المياه والطواحين والمعاصر والأفران والمساكن والمخازن والإسطبلات وسواها.

كما يُضاف إلى ذلك أن اشتمال هاتين القلعتين، ذواتىْ المظهر العسكرى المهيب المكون من الأبراج والأسوار الدفاعية والبوابات المحصنة فى داخلها، على مُنشآت ذات طابع مدنى وخدمى، أضفى عليهما صفتىْ الرحمة والإنسانية، حتى إن هذه القلاع الحربية الدفاعية أصبحت بمثابة مُدن مُصغرة يحيا داخلها أُناس ذوو وظائف تخصصية حربية. ومن هذه المُنشآت المدنية والخدمية الهامة التى تُوجد فى القلاع ويُمكن دراستها دراسة آثارية ومعمارية، وتتبّع أصولها وجذورها التصميمية والتقنية، ومحاولة تأصيلها: الحَمَّامات المُلحقة بها، وسواها من منشآت معمارية سأبسط لها بحوثًا فى المستقبل القريب بعون الله.

تاريخ عمارة الحَمَّامات فى سَيْنَاء

عرفت العمارة القديمة فى سَيْنَاء قبل العصر الإسلامى عمارة الحَمَّامات العامة، إذ أُشير إليها فى بعض الكتابات والدراسات المتقدمة، وتم العثور على بعضها خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين عن طريق الحفائر الآثارية. ومن هذه الحَمَّامات التى تم العثور عليها فى سَيْنَاء - على سبيل المثال لا الحصر، ومرتبة جغرافيًّا من الشرق إلى الغرب: حَمَّام يوجد بالقرب من مدينة الشيخ زويد فى تل يسمى تل الشيخ 'Bitylion'، حيث يذكر أنه يشتمل على بقايا حَمَّام رومانى تم اكتشافه عن طريق جان كليدا 'Jean Clédat' فى سنة ١٩١٣م، وقد عثر فيه على بلاطات من الرخام الأبيض والفسيفساء 'Mosacis'، ونصوص كتابية يونانية، ويُؤرخ الحَمَّام بالفترة ما بين القرنين الثانى والرابع الميلاديين.[6] وبالقرب من مدينة الشيخ زويد أيضًا، تم اكتشاف بقايا حَمَّام آخر فى تل الأحيمر Tell el-Aheimer.[7] كما أن 'كليدا'، فيما بين سنتىْ ١٩٠٩ - ١٩١١م، قام أيضًا بأعمال حفائر آثارية فى المحمدية 'Gerra' فى شمال غرب سَيْنَاء، اكتشف خلالها فى النهاية الغربية من التل الرئيس حَمَّامًا عامًّا فيه بلاطات من الرخام، بعضها عليها نصوص يونانية ولاتينية، والعديد من العناصر المعمارية والمنقولات كالمسارج وسواها. ويُؤرخ الحَمَّام بالعصر البيزنطى المبكر.[8] كذلك فقد تم اكتشاف حَمَّامات عدة فى مدينة الفَرَمَا 'Péluse' وما حولها، منها حَمَّام رومانى يقع فى شمال حصن الفَرَمَا العباسى،[9] وتحديداً على مسافة غير

بعيدة من أمام بوابته الرئيسة الشمالية 'باب البحر'، وحَمَّام رومانى ثانٍ اكتُشف مؤخرًا يقع إلى الجنوب الشرقى من الحصن شرقَ الكنيسة البيزنطية والحمام العباسى مباشرةً. كما تم اكتشاف حَمَّام فى تل اللولى 'Tell el-Luli' إلى الغرب من حصن الفَرَمَا.[١٠] وتم اكتشاف أكثر من حَمَّام بطلمى وروماني فى تل الحير 'Magdolos'، أحدهما يقع على عدة مئات من الأمتار إلى الجنوب الشرقى من التل الرئيس، وقد تم اكتشافه خلال موسم حفائر ١٩٨٤ – ١٩٨٥م، وهو من العصر البطلمى المبكر[١١] (الشكل ١، اللوحات ١، ٢، ٣ أ، ب).

وربما تُكتشف فى المستقبل حَمَّامات عامة ترجع للعصور التاريخية السابقة على الفتح الإسلامى لِمصْر فى كلٍّ من مدينة الفلوسيات 'Ostrakine' المحصنة،[١٢] وفى القلس 'Kasion'، وسواها من مستوطنات ومراكز حضارية ترجع إلى تلك الحقبة من تاريخ شبه جزيرة سَيْنَاء[١٣] (الشكل ١، اللوحتان ٣ أ، ب).

أما خلال العصر الإسلامى، فتُعتبر الحَمَّامات الإسلامية من المُنشآت المعمارية الآثارية عزيزة الوجود فى كل سَيْنَاء، سواء على ضوء المعلومات المصدرية فى النصوص التاريخية والوثائقية المختلفة، أو أثريًّا على أرض الواقع؛ ففى الفترة الممتدة من الفتح الإسلامى حتى العصر الأيوبى، وتحديدًا فى عهد صلاح الدين الأيوبى – عهد تشييد وعمارة حَمَّامى قَلْعتى صَدْر 'الجندى' وجزيرة أَيْلَه '[١٤](صلاح الدين الأيوبى فى جزيرة فرعون) - وكذلك حتى بعد هذا العصر خلال العصرين المملوكى والعثمانى، لا تُوجد حتى الآن – على حد علمى – سوى إشارة واحدة نادرة ومؤكدة فى أحد المصادر التاريخية التى لا تزال مخطوطة، فقد ورد فيها أن بلدة قَطْيَا[١٥] – مركز مكوس بوابة مِصْر الشرقية فى العصور الوسطى – كانت تشتمل خلال العصر المملوكى على العديد من المنشآت المعمارية المختلفة الوظائف، والتى كان من ضمنها حَمَّام ورد ذكره عند مُحِبّ الدين بن العطار (ت حوالى ٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م) الذى قام بتأليف كتاب عن مَنَازل الحجاز،[١٦] كتب فيه عن الأبردة (جمع بريد) بين القاهرة وبيت المقدس، وقد قام فى مؤلفه القيم، والنادر من الناحية الحضارية، بوصف حالة كل بريد وما فيه من عمائر مختلفة الوظائف على طول هذه المسافة، وكان وصفه عن مشاهدة ومعاينة حقلية وتحقيق، فقد وصف لنا بريد بلدة قَطْيًا التى يُوجد فيها حَمَّام، قائلاً: 'بلدة قَطْيَا... بها النخل كثير والأحراج، والدركاه السلطانية يُوجد عندها المَكْس[١٧] بالقوة والعسف، وبها جامعان وسُوق وحَمَّام وطاحُون'[١٨] (الشكل ١، اللوحة ١٤).

وعلاوة على ذلك، لا تُوجد نقوش كتابية إنشائية وتعميرية وتجديدية تُؤرخ لعمارة الحَمَّامات فى سَيْنَاء، ولا تُوجد كذلك بقايا آثارية للحَمَّامات حتى الآن سوى ما وُجد خارج حصن الفَرَمَا العباسى، ويُؤرخ بالعصر العباسى كما سنرى، ولكن ربما فى المستقبل يتم الكشف عن حَمَّامات عامة أو خاصة داخل مدينة وحصن الفَرَمَا نفسيهما، وكذلك فى مدينة الوَرَّادَة 'الخوينات'[١٩] التى من المُؤكد أنها كانت تشتمل على حَمَّام أو أكثر فى فترة ازدهارها العمرانى والحضارى منذ الفتح الإسلامى وخلال العصور المتعاقبة – كالعباسى والفاطمى والأيوبى – حتى هجرها وخرابها فى النصف الثانى من العصر المملوكى لعوامل وظروف عدة. ويقوى فرضية وجود حَمَّام أو أكثر، بعض الإشارات الجغرافية والتاريخية المصدرية،[٢٠] فقد ورد فى نشر فستنفلد 'Wüstenfeld' لمُعجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموى، النص الآتى عن الوَرَّادَة: 'منزل فى طريق مِصْر من الشام فى وسط الرمل والماء الملح من أعمال الجفار، فيها سوق للمتعيشين، ومنازل، ومسجد، ومبرجة الحَمَام، يُكتب ويُعلق على أجنحتها ويُرسل إلى مِصْر بالوارد والصادر، وكانت قديماً مَدِينة فيها سوق وجامع وحَمَّامات، وكان برسمه عدة من الجند'.[٢١] أما فى الطبعة الأحدث، فقد وردت كلمة 'فنادق' بدلاً من 'حَمَّام' وذلك كالآتى: 'الوَرَّادَة ... كانت قديماً مَدِينة فيها سوق وجامع وفنادق...'.[٢٢] ولكن يظل حَمَّام مدينة الوَرَّادَة فى هذا النص الجغرافى التاريخى - إذا ثبتت صحته – رهن العثور عليه عن طريق الحفائر الآثارية التى تُجرى فى المنطقة منذ فترة ليست بالقصيرة، لكنها للأسف الشديد غير علمية وغير منظمة ولا منتظمة، ولا تُوجد لها خطة علمية واضحة المعالم. أما فيما يتعلق بالفنادق – أى الخَانات – التى ورد ذكرها فى النصوص التاريخية والجغرافية والرحلية، فقد تم بعون الله تحقيق إحداها عن طريق تكامل المنهج العلمى بين هذه النصوص التاريخية المختلفة والآثار المادية المعمارية



المكتشفة، وهو: خَان فَخْر الدين كاتب المماليك فى مدينة الْوَرَّادَة 'الخوينات'،[٢٣] وهو الخان الأكبر الذى تم تشييده فى مدينة الوَرَّادَة، وربما كان كذلك على طول الدرب السلطانى والطريق التجارى فى سَيْنَاء خلال العصر المملوكى. ومزيد من العمل فى المواقع الآثارية التى تشتمل على هذا النوع من العمارات الإسلامية يُؤكد ذلك أو ينفيه (الشكل ١، اللوحتان ١٥ أ، ب).

ومن المأمول العثور أيضًا على حَمَّامات فى مدينة العَرِيْش، ولكن يبقى الأمل ضعيفًا بالنسبة لمدينة العَرِيْش فى ظل عدم وجود مراقبة أثرية للحفر والمبانى فى نطاق المدينة القديمة، وربما تكتشف حَمَّامات كذلك فى الفلوسيات 'المخلصة'، وفى القلس 'القس'، وفى مدينة قَطْيَا، وفى المحمدية 'أم العرب'، وفى بُليدة الطِّيْنَة الواقعة فى جوار القَلْعة، وفى كلٍّ من القزوحة، والقصيبى، وبئر دويدار. وفى جنوب سيناء، تجرى حفائر آثارية فى مرسى راية 'رايثو، Rhaithou'[٢٤] ربما تكشف عن شىء من هذا،[٢٥] وكذلك فى الطُّور وضواحيها، أو سواها من مواقع حضارية ازدهرت على طول الطرق التاريخية فى كل سَيْنَاء (الشكل ١).

ومن الملاحظ أن هذا الوضع بالنسبة للحَمَّامات لم أجده عند دراستى للمنشآت الدينية الإسلامية المختلفة كالجوامع والمساجد والمُصليات التى يكثر وجودها فى سَيْنَاء مقارنةً بسواها من منشآت أخرى، فقد ورد لها ذكرٌ فى نصوص المصادر التاريخية المختلفة، والنقوش الإنشائية الآثارية، كما أن مُعظمها لا يزال قائمًا حتى يومنا هذا، وتم تحديد مواضع بعضها من خلال المسوح الآثارية الميدانية، وتم اكتشاف بعضها بمحض الصدفة البحتة، أو كذلك من خلال الحفائر الآثارية.[٢٦]

أما بالنسبة لتاريخ عمارة هذه الحَمَّامات فى سَيْنَاء خلال العصر الإسلامى، فقد كان العصر العباسى هو أول عصر مُؤكد حتى الآن من الناحية الآثارية ظهرت فيه الحَمَّامات الإسلامية فى سَيْنَاء، فيُذكر أن الحفائر الآثارية التى تمت فى عيون موسى أسفرت نتائجُها الكشفَ عن بقايا حَمَّام وأفران لصناعة الفخار، وعيون موسى نفسها هى التى عُثر فيها على آثار تُؤرخ منذ بداية العصر الإسلامى حتى القرنين الأول والثانى الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين،[٢٧] إذًا فربما كان هذا الحَمَّام ينتمى إلى هذه الفترة، خاصة العصر العباسى. كما تم الكشف مؤخرًا عن بقايا حَمَّام عباسى فى مدينة الفَرَمَا فى الركن الشمالى الغربى من سَيْنَاء.

ومن بعد العصر العباسى يأتى العصر الأيوبى، خاصةً عهد صلاح الدين الأيوبى، حيث ظهر حَمَّامان أيوبيان فى سَيْنَاء، وذلك فى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه، وهما يمثلان قيمة آثارية معمارية فى دراسة عمارة الحَمَّامات الأيوبية، سواء فى مِصْر وبلاد الشام عامة،[٢٨] أو فى سَيْنَاء خاصة، نظرًا لعدم وجود حَمَّامات أُخرى قائمة وشبه متكاملة فى سَيْنَاء كتلك الحَمَّامات القائمة فى كلٍّ من قَلْعة صَدْر أو فى قَلْعة جزيرة أَيْلَه، وهو ما ستبرزه هذه الدراسة وتُؤكد عليه.

أما بالنسبة للحَمَّام العباسى فى الفَرَمَا، فهو الأول من نوعه المُؤكد فى كل سَيْنَاء، ويقع إلى الجنوب الشرقى من حصن الفَرَمَا، ومُلحق بالكنيسة ذات التخطيط البيزنطى الفريد من نوعه فى المنطقة. وكان أهم ما فى هذا الكشف هو اكتشاف بقايا هذا الحَمَّام العباسى المُضافة أقسامه الرئيسة فى خارج ركن الكنيسة الجنوبى الغربى،[٢٩] وقد بُنى الحَمَّام خارج حدود الكنيسة الأصلية التى كانت مهجورة ومخربة عند بناء الحَمَّام، ويُلحظ أنها المرة الأولى التى يُقر فيها المكتشفون المحدثون صراحةً بوجود بقايا آثار معمارية فى الفَرَمَا ترجع للعصر الإسلامى، خاصةً الحقبة العباسية، عصر ازدهار الفَرَمَا معماريًّا وحضاريًّا، والتى بقى منها حصن المدينة الذى تبلغ مساحته حوالى ٤٠٠ × ٢٠٠م، أى ما يعادل حوالى عشرين فدانًا،[٣٠] ويُؤرخ الحَمَّام بالفترة ما بين القرنين الثانى والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين، وإن كنت أرجح أن يكون قبل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، وهو تاريخ بناء وعمارة حصن الفَرَمَا العباسى فى عهد الخليفة أبى جعفر المتوكل على الله، فى ولاية والى مِصْر عنبسة بن إسحاق الضبى سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٥م، على أساس أن كل المنشآت الهامة كالجامع والمساجد ودار الوالى والدور والأسواق والمصانع والصهاريج والحمامات وسواها شُيدت فى داخل الحصن لا خارجه، أو ربما كان تشيد الحمام فى الخازنة لضرورة صحية.

والواضح من عناصر الحَمَّام العباسى فى مدينة الفَرَمَا المعمارية حتى الآن ثلاث غرف، إحداها مزودة بحوض

أو مغطس، كما أُلحقت بالحَمَّام بئران للصرف الصحى، إحداها خاصة بالمياه المنصرفة من حوض المغطس، والثانية خاصة ببيت راحة الحَمَّام 'المستراح، المرحاض'، وربما كانت إحداها فى الأصل بقايا المستوقد[٣١] 'بيت النار، الأتون، فرن التسخين'.

وكان يُدْخَل إلى الحَمَّام من خلال فتحة باب فى وسط الجدار الغربى تُفضى إلى غرفة الاستقبال الخاصة، وهى مُستطيلة التخطيط وتمتد من الشرق إلى الغرب، ومزودة ببابين غير الباب الرئيس للحَمَّام، الباب الأول يُوجد على يسار الداخل، وهو يُفضى إلى الغرفة الخدمية الشمالية، أو ربما كانت هى قاعة الاستقبال، وأن قاعة الاستقبال الحالية هى الغرفة الباردة من غرف الحَمَّام الثلاث التى يتكون منها كل حَمَّام، وهى مستطيلة التخطيط وتمتد من الشرق إلى الغرب، وأرضيتها ترتفع عن أرضية غرفة الاستقبال بمقدار درجتين من السلالم للداخل لها، أما الباب الثانى فهو يُوجد على يمين الداخل.

ويُفضى الباب الثانى سالف الذكر إلى الغرفة الجنوبية الرئيسة للحَمَّام، وهى مُبلطة بالآجر لحفظ درجة حرارة الغرفة، وتشتمل هذه الغرفة على حوض أو مغطس صغير يشغل الركن الجنوبى الغربى من الغرفة، وله أرضية مبلطة ببلاطات من قطع الحجر الجيرى والرخام أُعيد استخدامها فى العصور السابقة، وبُلطت بشكل مائل ناحية الجنوب بحيث يسمح بصرف المياه المستعملة بسهولة ويسر من خلال فتحة صرف 'بالوعة' مربعة فى ركن المغطس، وذلك نحو بئر مُعدة لذلك. وبئر الصرف ذات تخطيط عبارة عن نصف دائرة، وتقع فى خارج حدود الحَمَّام فى الركن الجنوبى الشرقى منه، وكذلك يُوجد قسم دائرى التخطيط يشغل القسم الشرقى من الغرفة.

وخلف الحَمَّام - داخل حدود الكنيسة - يُوجد قسم ملحق بالحَمَّام يشتمل على بيت الراحة، ويُدْخَل إليه من خلف الحَمَّام، إذ يُوجد سلم صاعد يتكون من ثلاث درجات تنتهى ببسطة، ثم ثلاث درجات تُفضى بدورها إلى مساحة غير منتظمة وشبه مستطيلة، فى ركنها الجنوبى الغربى يُوجد بيت الراحة الذى لا يزال بحالته، إذ إن كرسى المقعد به فتحة مستطيلة تنصرف منها المُخلفات إلى بئر خلف جدار كرسى الحَمَّام فى الخارج، وهى دائرية التخطيط.[٣٢] ولكن لم يتم الكشف حتى الآن عن المستوقد وملحقات الحَمَّام (الشكلان ٢ أ، ب)، (اللوحات ٤-١٣).

كانت هذه دراسة تمهيدية موجزة عن الحَمَّامات وتاريخها فى سَيْنَاء قبل عهد صلاح الدين خلال العصر الأيوبى، أما عن الحَمَّامين الأيوبيين فى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه فقد تناولتها بالدراسة الآثارية - المعمارية والتحليلية التأصيلية من خلال مبحثين رئيسين، المبحث الأول منهما خصصته للدراسة الآثارية - المعمارية الوصفية لهما، والثانى للدراسة التحليلية التأصيلية لعنصر التخطيط المعمارى وتقنية تدفئتها، ثم شفعت البحث بخاتمة أبرزت فيها أهم النتائج والتوصيات التى توصل إليها البحث، وجاءت الدراسة على النحو الآتى:

المبحث الأول: الدراسة الآثارية - المعمارية

تناولت من خلاله دراسة تاريخ ووصف عمارة حَمَّامى قَلْعتى صلاح الدين الأيوبى فى صَدْر وجزيرة أَيْلَه بجميع مكوناتها المعمارية، وذلك على النحو الآتى:

أولاً: حَمَّام قَلْعة صَدْر 'الجندى'

منشئ القَلْعة - وبالتالى الحَمَّام أحد أهم مُلحقاتها الرئيسة - هو السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى، وقد ورد ذكر اسمه فى جميع النقوش الإنشائية التعميرية المعروفة حتى الآن فى القَلْعة، وهى سبعة نقوش تعميرية تُؤرخ لكل قسم تم إنجازه من القَلْعة وملحقاتها الرئيسة، وذلك فى الفترة الممتدة من شهر ذى القعدة سنة ٥٧٨هـ / فبراير - مارس ١١٨٣م.. تاريخ أقدم نقش إنشائى معروف فى القَلْعة حتى الآن، ويُؤرخ لُمصلى القَلْعة الكشف سماوى، وحتى شهر جُمادى الآخرة من سنة ٥٨٣هـ / أغسطس - سبتمبر ١١٨٧م.. تاريخ نقش مجموعة البوابة الرئيسة فى القَلْعة، ويُؤرخ النقش الرئيس لنهاية عمارة القَلْعة فى هذه السنة.[٣٣] وعلى الرغم من أن حَمَّام القَلْعة حتى الآن لا يُوجد فيه نقش إنشائى تعميرى يُؤرخ له، إلا أنه يُمكن تُأريخه فى الفترة ما بين سنة ٥٨١هـ / ١١٨٤ - ١١٨٥م.. تاريخ عمارة البرج الجنوبى الغربى 'بُرْج الأرانب ' من القَلْعة، وشهر شعبان من سنة ٥٨٢هـ / ديسمبر ١١٦٨ - يناير ١١٨٧م.. تاريخ عمارة البرج الشمالى الشرقى من القَلْعة، وذلك بناءً على عدة أدلة



وقرائن مساعدة نوردها كالآتى:

١. أن خُطة بناء الأبراج والأسوار والمُلحقات الداخلية تسير وفق خُطة مُعَدّة سلفًا ومُتسلسلة، فنهاية بناء قسم من الأبراج والأسوار - وربما مُلحقات ظاهر القلعة - هى بداية بناء إحدى المُلحقات الرئيسة الداخلية، فكانت خُطة البناء متوازنة وتبادلية بين بناء المُلحقات فى الداخل ومُلحقات ظاهر القَلْعة وأسوارها وأبراجها.

٢. خلوّ الفترة بين بناء البرجين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى من أى منشآت داخلية ملحقة مُؤرخة تم تشييدها فى تلك الفترة، وهو ما لم نجده بين أى تاريخين لأبراج وأسوار إلا ويتم إنجاز مُنشأة داخلية رئيسة حسب النقوش الآثارية التاريخية التى فى القَلْعة، وبالتالى يمكن أن يكون قد تم إنجاز الحَمَّام فى هذه الفترة، والذى لا يُمكن عمارته بالتأكيد دون الانتهاء من بناء السور والأبراج المجاورة له.

٣. النقوش الآثارية التى تُؤرخ للمنشآت الداخلية تُؤكد الانتهاء من عمارة المُصلى المكشوف والصهريج الصغير، وبالتالى ظهور الحاجة إلى الاغتسال للصلاة. وتوافر مصدر للمياه من الصهريج الصغير، يقوى فكرة ظهور الحَمَّام فى تلك الفترة أو التى تليها مباشرةً.

أما عن موقع القَلْعة التى يُوجد فيها الحَمَّام، فهى تقع على طريق صلاح الدين الأيوبى الحربى المار فى وسط سَيْنَاء، والمعروف فى المصادر التاريخية باسم: 'طريق صَدْر وأَيْلَه'،[٣٤] وتقع عند خط عرض (N 24° 51´ 08.88´´) وخط طول شرق (E 33° 07´ 55.82´´) وتحتل القَلْعة موضعًا عبارة عن جبل ينفصل عما حوله يُعرف باسم رأس الجُنْدى، وهو يُوجد بالقرب من عين مياه صَدْر، ويرتفع موضع القَلْعة فوق سطح البحر بمسافة ٢١٥٠ قدمًا بما يساوى ٦٥٦,٠٠م، ويرتفع فوق السهل المستوى المجاور له والأودية بمسافة ٥٠٠ قدم بما يساوى ١٥٦,٠٠م.[٣٥] وأما موضع القَلْعة، فأقصى طول لها يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ١٤٥م، وأقصى اتساع لها فى المسافة بين البُرْجين الشمالى الغربى - 'بُرْج تقى الدين' - والجنوبى الشرقى كانت حوالى ٨٧,٠٠م، وهى تشغل مساحة مقدراها بالمتر المربع ١٣٢٨٠م٢، أى ما يُعادل ثلاثة أفدنة وثلاثة قراريط، وواحدًا وعشرين سهماً وأربعةً وعشرين من مائة من السهم (الأشكال ٣ - ٥)، (اللوحات ١٦ -١٨).

أما الحَمَّام[٣٦] نفسه فيوجد فى الركن الجنوبى الشرقى من القَلْعة إلى الشمال قليلاً من البُرْج الجنوبى الشرقى دائرى التخطيط، ضمن المجموعة السكنية الخاصة بسكن والى أو نائب القَلْعة، ولم يتم توقيعه على أول تخطيط كروكى مبسط تم إنجازه للقَلْعة، وهو تخطيط الجيولوجى المِصْرى حسن صادق،[٣٧] ولا على ثانى تخطيط للقَلْعة، وهو تخطيط الجيولوجى الفرنسى جان بارتو 'Jean Barthoux'، والذى تم إنجازه بعد الأول بفترة قصيرة، وما تم رسمه فى مكان الحَمَّام ما هو إلا عبارة عن بعض الجُدران عليها تهشيرات، إشارة منه إلى تهدم تلك المنطقة، ولم يشر بارتو إلى الحَمَّام بأى رمز من الرموز المتعارف عليها للمنشآت الرئيسة على تخطيطه العام للقلعة[٣٨] (الشكلان ٥، ٦)، (اللوحات ١٦، ١٨، ١٩).

ويُلاحظ أن المعمار قد اختار للحَمَّام الركن الجنوبى الشرقى من القلعة، وذلك تنفيذًا ومراعاة لاشتراطات صحية وبيئية، حيث إن هذا الموقع يعتبر من أواخر القلعة فى اتجاه الهواء والرياح التى تهب من جهة الشمال، وكذلك لصرف مياه ومخلفات الحمام فى جنوب القلعة؛ لانحدار الهضبة بشكل رأسى فى تلك المنطقة من القلعة.

أما عن وصف عمارة الحَمَّام، فكان ولا يزال الدخول إلى القسم الرئيسى منه من خلال باب يُوجد فى الناحية الغربية، اتساع فتحته ٦٥سم، ويُفضى إلى دهليز صغير مقبى السقف طوله ٧٦سم، كُسيت جوانبه وقبوه بطبقة من الملاط الجصى الأبيض، ويُفضى هذا الدهليز بدوره إلى غُرفة صغيرة كانت مقباة، مساحتها ٢,١٤ × ١,٠٦م، وربما نجد بها مصاطب لجلوس المسئول عن نظافة الحَمَّام ومتابعة عملية تسخين المياه، وكذلك يتم فيها خلع الملابس، وهذه الحجرة جزء من المسلخ 'قاعة الاستقبال أو البرانى' فى الحَمَّامات العامة الكبيرة. ونلاحظ وجود دخلة على يسار الداخل فى الجدار الشمالى الشرقى عمقها ٨,٥سم، واتساعها ٧٦سم، وقد غُطيت

هذه الغُرفة بسقف مُسطح من عروق الأخشاب وجريد النخيل وسعفه المضفور وحصر نبات النال المجدولة، وقد بُطن بطبقة من الجص، وتُوجد درجات من السلالم، يُفضى أعلاها لأعلى الحَمَّام، وتُوجد فى جدارها الجنوبى فتحة باب اتساعها ٦٥سم، ومتوجة بعقد مدبب مقطوع فى مدماك حجرى واحد ارتفاع عقده ٣٠سم، وسمك أكتافه ٢٠سم، وقد شُكلت فتحة الباب من الداخل على هيئة مستطيل عرضها ٨٠سم، وبارتفاع الباب تُوجد فتحة علوية بكتف الباب الأيسر عمقها ٥سم، وعند فتح الباب يستقر داخل الدخلة المجاورة (الشكل ٧).

ويُفضى الباب السابق إلى حجرة مستطيلة التخطيط، وهى الغرفة الباردة، أبعادها ١٥ ,٣ × ٤٦ ,١م، والباقى من ارتفاع جُدرانها ١٧ ,١م، وقد كُسيت جدرانها بطبقة من الجص الأبيض والطوبى، وكانت مغطاة بقبو، وربما كانت تُوجد بها مصاطب لجلوس المستحمين، وفيها يتم خلع ملابسهم. إذ تم الكشف فى جدارها الجنوبى عن دخلات حائطية مزينة بعقود مقصوصة ومفصصة ومدببة النهاية توضع فيها ملابس وحاجات المستحمين، وتُوجد فى جدارها الشمالى فتحة باب اتساعها ٥ ,٥٧سم، وسمك أكتافها ٢٤سم، وارتفاع عقدها ٨سم، وهو عقد مدبب مستقيم الجوانب، وعلى يسار الداخل تُوجد فتحة صغيرة لتثبيت حلق فرد الباب التى تُغلق عليه، كما تُوجد فتحة ثانية على اليمين لإغلاق الباب عند الاستعمال.

كما يُفضى هذا الباب إلى دهليز طوله ١٠ ,١م، وعرضه ٧٣سم، وقد غُطى بقبو برميلى عقده نصف دائرى ارتفاعه ٤٠سم، وقد فُتحت فى السقف ثلاث فتحات دائرية عبارة عن مَضَاوى 'جامات'[٣٩] كانت مغشاة بالزجاج الشفاف الملون أو غير الملون، يبلغ قُطر الأولى والثالثة منها ١٨سم، أما الثانية فهى صغيرة، ويبلغ قُطرها ١٢سم، وكانت هذه المضاوى مزدوجة الوظيفة، فهى مُخصصة للإضاءة، وكذلك لإكساب هذا الدهليز إضاءة خافتة جمالية، وقد كُسيت جدران هذا الدهليز بالجص لكونه مادة مسامية تسمح بامتصاص الرطوبة والبخار، مما يساعد على تلطيف الجو العام للحَمَّام. ووصل عدد طبقات الجص فى هذا الدهليز إلى عشر طبقات متتالية، وهذا يدل على أن هذا الحَمَّام شهد عدة أعمال ترميم وتجديد طول فترة استخدامه منذ بنائه فى عهد صلاح الدين الأيوبى بداية من سنة ٥٧١هـ / ١١٧٦م،[٤٠] وهو تاريخ أقدم ذكر للقَلْعة فى المصادر التاريخية الوثائقية حتى هَجْرها بشكل رسمى – فيما هو مؤكد حتى الآن – فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أواخر العصر الأيوبى،[٤١] فالفترة التى استُخدم فيها الحَمَّام بشكل دائم تُقدر إذًا بحوالى سبع وستين سنة (اللوحتان ٢٠، ٢١).

ويُفضى الدهليز سالف الذكر إلى الحجرة الدافئة ' بيت أول – الوسطانى'،[٤٢] إذ تُوجد فتحة باب فى نهاية الدهليز اتساعها ٥ ,٤٨سم، والارتفاع الحالى للباب ٢٠ ,١م، وذلك لوجود رديم فى داخل الحَمَّام قبل الحفائر وأعمال النظافة، وقد تُوج هذا الباب فى أعلاه بعقد دائرى، وتُوجد بعد الباب مباشرةً على يمين الداخل دخلة حائطية معقودة اتساعها ٥ ,٤٧م، وعمقها من ١١: ٥ ,١٢سم، وارتفاعها الحالى ٣٥ ,١م، والحجرة الدافئة مقاساتها ٤١ ,٢ × ٧٣ ,١م، ويُوجد فيها حوض حجرى مقاساته ٧٢ ,٥ × ٥ ,٤١م، وقد وضع داخل دخلة فى الحائط الشرقى عمقها ٥١سم، واتساعها ١٠٨سم، وارتفاعها ١٣٨سم، وقد تُوجت بعقد موتور، وكانت الأحواض فى الحَمَّام تُملأ بالمياه عن طريق أنابيب معدنية مغلفة بأنابيب فُخارية من الفخار الأحمر' برابخ، قساطل'[٤٣] قُطرها ١٠سم. والحوض الثانى يشغل الجدار الغربى، ومقاساته ٥٩ × ٣٣سم، وقد تم وضعه داخل دخلة عمقها ٦٢سم، واتساعها ٧٦ ,١م، وهذه الدخلة جزء من الحجرة الساخنة. وتصل بين هذا الحوض والذى يسبقه أنابيب فخارية طولها ٤٠ ,١م تأخذ شكل زاوية قائمة. وإلى الخلف من الحوض الثانى تُوجد أيضاً دخلة عمقها ٣٨سم، وارتفاعها ٩٠سم، واتساعها ٤٩سم، ومتوجة بعقد مدبب ارتفاعه ٢٢سم. ويخرج من هذه الدخلة قبل تهدمها زوج من الأنابيب الفخارية، إحداهما تصب فى الحوض الأول، والأخرى تصل إلى الحجرة الساخنة أو بيت الحرارة، وقد سُقفت هذه الحجرة بقبو بسيط مقبى قليلاً، حيث حُمل على جدار مرتكز ومرتد إلى الداخل عن جدران الحجرة بمقدار ١٩سم، وقد فُتحت فى السقف فتحات صغيرة عبارة عن مَضَاوى كانت تشتمل على زجاج ملون بلغ عددها أثنى عشر فتحة، وقد شُكلت هذه الفتحات على هيئة نُجوم سُداسية الرؤوس عددها خمسة نجوم، قُطر كل منها ٢٣سم، ودوائر عددها سبع



دوائر، قُطر كل منها يتراوح ما بين ١٩ : ٢٢سم، إحداها مسننة الأطراف، ربما كانت فى الأصل نجمة، وكانت هذه الفتحات كلها فى الأصل مسدودة من أعلاها بقطع من الزجاج دائرى الشكل، بعضه مسطح شفاف خلو من الألوان بلون الزجاج الطبيعى، وبعضه ربما كان ملونًا باللون الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر، وذلك من خلال بقايا كسر الزجاج التى كانت لا تزال تُوجد فى فتحات المضاوى وفى أرضية غرف الحَمّام قبل تنظيفها (اللوحات ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥).

ويلحظ أن هذه الغرفة كُسيت كبقية جدران الحَمّام بالملاط الأبيض، ولكن الجزء الأسفل من هذا الملاط كُسى بمادة مغايرة تتكون من الجير المحروق ورماد النار، أو ما يُسمى اصطلاحًا باسم الخافقى 'الصاروج' المستخدم فى الصهاريج لمقاومته الرطوبة،[٤٤] وذلك لكى يقاوم تأثير المياه، على عكس الجص الأبيض الذى يتحلل بتأثير المياه بسرعة. وهذا الجزء الأسفل قد لُوِّنَ بلون طوبى من عصر الإنشاء، وهو نفس اللون المستخدم فى أرضيات النقوش الإنشائية الموجودة فى القَلْعة التى تُؤرخ لمنشآتها المعمارية المختلفة، ومنها نقش البُرْج الشمالى الغربى 'بُرْج تقى الدين عمر' الذى اكتشفتُهُ أثناء دراستى ووصفى لعمارة القلعة،[٤٥] والنقش الإنشائى الخاص بالصهريج الصغير، وهذا اللون الطوبى يُحيط بجدران الحَمّام بارتفاع ٣٧سم، وسمك طبقته ٥سم.

ويُوجد فى الجدار الجنوبى للحجرة سالفة الذكر باب اتساعه ٥٢سم على يسار الداخل، وارتفاعه ١,٤٠م متوج بعقد دائرى، وسمك أكتافه ٢١سم، وبخلف الباب على يسار الداخل تُوجد فتحة من أعلى صغيرة، عمقها ١٠سم لتثبيت الباب، ويُفضى هذا الباب إلى الجوانى 'بيت الحرارة أو الحجرة الساخنة'، وهى مستطيلة التخطيط، مساحتها ١,٦٢ × ١,١٣م، ويُوجد بها حوض فى الجزء الشمالى منها مقاساته ٦٣ × ٣٥سم، وتدخل المياه الساخنة إليه من حوض مجاور بالحجرة الدافئة عن طريق قناة صغيرة تصل بينهما طولها ١,٠٦م، وكذلك عن طريق أنابيب فخارية من المستوقد، طول الباقى منها ١,٤٠م، وقُطر هذه الأنابيب ٦سم، وتُوجد إلى جوار الحوض فى الجدار المقابل للداخل، دخلة حائطية لوضع وسائل الإضاءة والنظافة، مقاساتها ٣٥ × ١٢ × ١٢سم. ومثل الحجرة الدافئة السابقة، نلحظ أن الجزء الأسفل من هذه الحجرة مكسو بطبقة من الملاط شديد الصلابة، والمكون من الجير المحروق والحصى وبعض رماد النار، والمعروف باسم القصروميل، وهو بارتفاع ٤٠سم، ويُغطى هذه الغرفة سقف مقبى به تسع فتحات دائرية، أقطارها تتراوح ما بين ١٥ : ٢٢سم، وهى عبارة عن مَضَاوى كان يوضع عليها زجاج ملون وغير ملون، يتم تثبيته من أطرافه فى أعلى الفتحات بالجص، ويسمح بنفاذ الضوء الخافت للإضاءة، مما يضفى على الحَمّام ومن يستخدمه مسحة جمالية، وجو يُساعد على الاسترخاء ونسيان التعب والإرهاق، ويساعد على الشعور بالراحة النفسية التى هى أمر هام لمن يرابط فى هذه القلاع النائية (الشكل ٧، اللوحة ٢٦).

أما عن تسخين الحجرة الدافئة والساخنة من الحَمّام، فكان يجرى عن طريق استخدام ثلاث وسائل تقنية رئيسة، سواء فى هذا الحَمّام أو فى حَمّام قَلْعة جزيرة أَيْلَه الواقعة فى جزيرة فرعون حاليًا، وهى كالآتى:

- أولاها: عن طريق الأرضيات التى تعلو مباشرة أقبيةً أسفلَها متصلة بالمستوقد، وقدور 'مراجل' تسخين المياه، وهذه الوسيلة واضحة بشكل جلى فى هذا الحَمّام وحَمّام قَلْعة جزيرة أَيْلَه، إذ لا تزال بقايا أرضيات غرف الحَمّام وأقبيتها فى حالة جيدة من الحفظ، وهى أصيلة لم تُجْرَ فيها أى ترميمات حديثة (اللوحات ٢٢، ٢٧، ٤٤، ٤٩-٥١).
- ثانيتها: التدفئة من خلال وصول بخار الماء المنبعث من قدور تسخين المياه عبر فتحة متصلة بالغرفة الدافئة.
- ثالثتها: التدفئة بطريقة غير مباشرة من خلال أنابيب الفخار التى تحمل الماء الحار داخلها، والمغيبة فى جدران وأرضيات غرف الحَمّام، سواء الدافئة أو الحارة.

كما يُغذَّى الحَمّام بالمياه الساخنة عن طريق أنابيب فخارية متصلة بقدور تسخين الماء التى تتبع المستوقد، إذ تسير مع الجدران بطول ٣,٧٠م والتى تتصل بدورها بصهريج الحمام الصغير، وهو يعلو مجموعة المستوقد، ويقع المستوقد خلف الحَمّام فى الناحية الشمالية الغربية، ويتم الدخول إليه من خلال فتحة باب متسعة باتساع الحجرة

التى تتقدم الفرن والتى يبلغ اتساعها ١,٧٥م، وتتوج بعقد موتور بُنى من أسفله بمداميك من الحجر الجيرى حُدد أعلاه بصف من الطوب الآجُرى الأحمر، ربما تم جلبه من القاهرة أو أى من مدن الدلتا فى الحوف الشرقى، وحجرة الفرن نفسها مساحتها ٢,٠٥ × ١,٧٥م، وارتفاع عقد القبو الذى يسقفها ٤٥سم، وقد كُسى الجدار الجنوبى لحجرة المستوقد بطبقة من الجص الأبيض ناصع البياض. وحجرة الحريق لا تزال تُوجد بها آثار الحريق الذى يتم عند تسخين المياه، ويعلوها مباشرة صهريج الحمام الصغير المستطيل المتصل بقدور تسخين المياه التى كانت فيما يبدو من الفخار كما فى حَمَّام قلعة جزيرة أَيْلَه ونلاحظ أن جدار هذه الحجرة غير مرتبط مع الجدار الجنوبى، وقد يكون نتيجة حدوث تطور فى الإنشاء. وتُوجد على يسار الداخل فتحة باب اتساعها ٧٢سم، وسمك أكتاف الباب يتراوح ما بين ٤٧ : ٨٩سم، تصل بين هذه الحجرة وفرن تسخين المياه الدائرى التخطيط والذى تعلوه قدور تسخين المياه المتصلة بصهريج الحمام الصغير، كما يتصل الفرن بأقبية أرضية حجرة الحمام الدافئة عن طريق فتحة تصل بينهما، وهى التى تصل بدورها بأرضية الحجرة الساخنة، وأعتقد أنه كان مزودًا بمدخنة عالية تساعد على صرف الدخان عن المنطقة السكنية المجاورة، كما تُوجد غرفة ملاصقة للفرن أعتقد أنها كانت مخصصة لوضع وتخزين الأخشاب والفحم الخاص بإشعال موقد الفرن (الشكل ٧، اللوحات ١٩، ٢٧، ٢٨، ٢٩).

وللحَمَّام مُلحقات خدمية تقع إلى الغرب منه أعتقد أنها كانت تشتمل على مستويين من المبانى نظرًا لكونها جزءاً من سكن والى أو نائب القَلْعة، والواضح منها بقايا درجات من السلالم كانت تُفضى للطابق العلوى ترتكز على قبو مساحته ٥,٧٥ × ١٥ ,٢م، ويشغل جزءًا من هذه المساحة صهريج للمياه تلتصق به غرفة مجاورة. والصهريج تخطيطه عبارة عن مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها ٢,٢٥ × ١,٢٥م، وعمقه ٦٠سم، يتم تخزين فيه كمية مياه مقدارها ١,٦٥م٣، وتكسو جدرانه طبقة من الملاط الوردى شديد الصلابة وغير نافذ للمياه، وهو المعروف باسم الصاروج كما هو معتاد فى تكسية وتبطين الصهاريج، وكان مُغطى بقبو برميلى ذى عقد نصف دائرى، وكان يجرى ملء هذا الصهريج من خلال فتحة مربعة طول أضلاعها ٤٦سم، وكان يغلق عليها غطاء خشبى، وتُوجد به فتحة صرف فى الركن الجنوبى الشرقى تتصل بأنابيب رصاصية داخل أنابيب فخارية قُطرها أكبر من الأنابيب الرصاصية لإمداد أحواض الحَمَّام بالمياه الباردة مباشرةً، أو أحواض المستوقد لتسخينها، ومن ثم توصل إلى أحواض الحَمَّام، خاصةً تلك التى تُوجد فى غرف الحَمَّام (اللوحات ١٩، ٢٧-٢٩).

كما كان يتم صرف المياه المستعملة خارج الحَمَّام من خلال فتحة صرف تُوجد فى سور القَلْعة الجنوبى الشرقى المجاور للحَمَّام، وهى مبطنة بمادة القَار 'الزِّفْت'[٤٦] العازلة؛ لحماية جدرانها من تأثير المياه، ومنزلقة إلى الخارج بطول ٢,٠٠م، وارتفاعها ٨٥سم، واتساعها ٢٣سم، وكذلك ربما كان يُخْرَجُ منها دخان المستوقد أيضًا خارج سور القَلْعة فى اتجاه الجنوب والجنوب الشرقى، ليكون عكس هبوب رياح الصبا الشمالية فى تلك المنطقة المرتفعة التى لم تُحرم منها طوال فصول السنة صيفًا أو شتاءً، وطوال اليوم سواء نهارًا أو ليلاً.

ويستفيد الحَمَّام من المياه المخزنة فى الصهريجين الكبير والصغير المعدين لتخزين المياه،[٤٧] والتى تُوجد أسفل جامع القَلْعة ومسجدها، إذ يُوجد باب فى الجدار الفاصل بين مجمع المساجد والصهاريج والكتلة السكنية الجنوبية الخاصة بنائب - أو والى - القَلْعة التى يُوجد فيها الحَمَّام، وهذا يُسهل عملية نقل المياه من هذه الصهاريج العمومية إلى الصهريج الخاص بالحَمَّام ومُلحقاته، وهذا ما حرص عليه معمار القَلْعة أن تكون وحداتها ذات استقلالية وخصوصية، لكنها متقاربة ومترابطة مع بعضها فى الوقت نفسه (الأشكال ٨-١٤، اللوحات ٢٨-٣٥).

ثانيًا: حَمَّام قَلْعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'

منشئ القَلْعة الباقية حتى يومنا هذا على جزيرة أَيْلَه 'جزيرة فرعون حاليًا'، وبالتالى الحَمَّام - أحد أهم مُلحقاتها الرئيسة - هو السلطان الناصر صلاح الدين



الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية، وذلك بناءً على ما ورد فى النصوص التاريخية المختلفة والنقوش الآثارية الإنشائية التعميرية التى تم اكتشافها فى القَلْعة مُؤخرًا،[٤٨] وهو المنشئ نفسه لقَلْعة صَدْر على رأس الجندى فى سَيْنَاء سالفة الذكر، وذلك لتقوية وحماية طريقه الحربى فى وسط سَيْنَاء المعروف باسم هاتين القلعتين فى المصادر التاريخية المعاصرة، وهو طريق 'صَدْر وأَيْلَه' الشهير فى العصور الوسطى.

وتقع قَلْعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين بجزيرة فرعون، île de Graye' على جزيرة جرانيتية صغيرة تحتل فم خليج العَقَبَة، وتقع تحديدًا عند تقاطع خط عرض ٢٨ ٢٩ شمالاً مع خط الطول٥٣ ٣٤ شرقًا، وتبعد عن ميناء العَقَبَة فى الطرف الشمالى الشرقى لخليج العَقَبَة بنحو اثنى عشر كيلو مترًا، وإلى الجنوب من قرية طابا بمسافة خمسة كيلو مترات، وتفصلها عن الساحل الشرقى لشبه جزيرة سَيْنَاء شقة مائية ضيقة لا يزيد اتساعها عن مائتين وخمسين مترًا فقط،[٤٩] أما المساحة الكلية للجزيرة التى تتوزع عليها تحصينات القَلْعة فتبلغ ٠٣, ٠كم٢، أى ما يساوى ٠٠٠, ٣٠م٢، أى أن مساحة الجزيرة تساوى حوالى سبعة أفدنة، وقيراطين، وعشرة أسهم،[٥٠] أى أنها أكثر من ضعف مساحة قلعة صَدْر، وهى أقرب إلى الاستطالة فى شكلها؛ إذ يبلغ أقصى طول لها من الشمال إلى الجنوب ٣٠٠م، على حين لا يزيد عرضها فى أوسع جهاتها على ١٥٠م، ويتسم المظهر المساحى العام للجزيرة بارتفاع منسوبها عند طرفيها، حيث يوجد التحصين الشمالى فى التل الشمالى الذى يزيد ارتفاعه عن سطح البحر المجاور بحوالى ٠٦, ٢٨م، ويصل بأعلى نقطة إلى ٠٠, ٢٩م،[٥١] وهى المنطقة التى شيد فيها حَمّام القَلْعة لاعتبارات مُناخية وصحية وبيئية كما رأينا فى قَلْعة صَدْر، وتحف بسواحل الجزيرة شعاب مرجانية مغمورة من كل الجهات،[٥٢] وهى السبب فى شهرتها سياحيًّا باسم 'Coral Island' أى 'جزيرة المرجان'[٥٣] (الشكلان ١٥، ١٦، اللوحات ٣٦-٣٨).

أما الحَمّام فيلحظ أنه لم يُوقع على أول تخطيط تم إنجازه للجزيرة والقَلْعة، وهو تخطيط الرحالة الفرنسى 'ليون دى لابورد' 'Léon de Laborde'، ومساعده الفرنسى المهندس الرسام 'لينانت دى بيلفوند 'Linant de Bellefonds'. ويظهر جداره الغربى فى اللوحة الأولى عند لابورد،[٥٤] ولكنه وُقع على تخطيط هاشمشونى دون رقم، فى حين أنه يُعطى المنشآت الهامة على تخطيطه أرقامًا ورموزًا بالنسبة لهذا القسم من القَلْعة، وتخطيطه بالنسبة لمنطقة الحَمّام غير مطابق للواقع المعمارى فى الحالة الراهنة،[٥٥] كما وُقع على تخطيطات هيئة الآثار المصْرية 'المجلس الأعلى للآثار حاليًا' التى أُنجزت للقَلْعة أثناء مشروع الترميم المعمارى لها فى عام ١٩٨٦م، وذلك بعد استعادتها من الاحتلال الإسرائيلى، بالأرقام (٤، ١١)،[٥٦] كما أفرد له رسم معمارى خاص به[٥٧] (الشكلان ١٧، ١٨، اللوحات ٣٦-٤١).

ويُعتبر حَمّام قَلْعة جزيرة أَيْلَه هو الحَمّام الوحيد فى القَلْعة على الرغم من تعدد أقسامها وكبر مساحتها، كما يُعتبر جزءًا هامًّا ورئيسًا فى القسم الثانى 'الجنوبى' من التحصين الشمالى، وهو يشبه حَمّام قَلْعة صَدْر من حيث الموقع والموضع والتخطيط المعمارى، وكذلك نظام التدفئة وتسخين المياه لكونهما حَمّامىْ قلاع وينتميان لعصر وفترة تاريخية واحدة، إذ يقع هذا الحَمّام فى الجزء الجنوبى منها، فى المكان الذى كان يُقيم فيه نائب القَلْعة، وهو يقع تحديدًا بين البُرْجين الحادى عشر والثالث عشر من أبراج التحصين الشمالى للقَلْعة، إلى الشمال الغربى من الصهريج الثانى الصغير. وتخطيطه المعمارى يتكون من ثلاثة مستويات، الأول - وهو الأرضى - ويشغله المستوقد وأقبيته، والثانى هو المستوى الرئيس، ويشتمل على غرف الحَمّام الرئيسة الثلاث، والمستوى الثالث هو السطح العلوى، وبه أحواض المياه الساخنة والباردة، وقنوات توزيع المياه (الشكل ١٨، اللوحات ٤٢-٥٤).

ويتم الوصول إليه من خلال الدهليز الذى يتقدم البُرْج الحادى عشر، والمُفضى إلى الحَمّام والصهريج الصغير معًا. ويُوجد مدخل البُرْج فى بدايته على يمين الداخل، ويبلغ طول هذا الدهليز ٨٥, ٥م، وأقصى عرض له ٥٣, ١م، وفى نهايته يُوجد على يسار الداخل صهريج القلعة الصغير المجاور للحَمّام، وعلى اليمين الحَمّام، فينحرف الداخل فى دهليز صغير طوله ٥٠, ١م، ثم باب الحَمّام الذى يبلغ اتساعه ٨١سم، وله عتب من الرُّخام الأبيض عرضه ٥, ١٤سم، والباقى من ارتفاع هذا الباب على اليمين ١٠, ٢م، وعلى اليسار ٩٠سم، وتُوجد فى نهاية هذا الدهليز الصغير مصطبة فى مواجهة الداخل ارتفاعها

٥٥سم، وعرضها ٧٩سم، وطولها ١,٥٤م، تكسوها طبقة ملاط من الجص الأبيض سمكها ٢سم، وهى خاصة لجلوس القَيِّم على نظافة وترتيب الحَمَّام، وتهيئته قبل وبعد استخدام كل فرد من أفراد الحامية فى القَلْعة المحروسة.

ثم ينحرف الداخل يمينًا فى دهليز طوله ١,٩٤م، وعرضه ٦٤سم، مُبلَّط ببلاطات من الرُّخام الأبيض، وأعتقد أنه كان مُغطى بأقبية تشتمل على مَضَاوى ذات زجاج ملون وشفاف للإضاءة، كما رأينا فى دهليز حَمَّام قَلْعة صَدْر الواصل بين غرفة خلع الملابس والغرفة الباردة.

ويُفضى هذا الدهليز بدوره إلى الغرفة الباردة 'بيت أول أو البرانى'،[٥٨] والتى ربما كانت تُستخدم أيضاً كغرفة لخلع الملابس 'المسلخ'، وهى غرفة مساحتها مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، أبعادها ٢,٧٠ × ٢,٠٦م، ويُوجد بها على اليمين واليسار مصطبتان، تأخذ كل منهما شكل زاوية قائمة، طول التى على يمين الداخل من الشمال إلى الجنوب ٢,١٢م، وطولها من الشرق إلى الغرب ١,١٠م، وارتفاعها عن الأرضية ٨٠سم، وعرضها ٥٧سم، والثانية على اليسار طولها من الشمال إلى الجنوب ١,٩١م، ومن الشرق إلى الغرب ٩٦سم، وعرضها ٤٧سم، وارتفاعها عن الأرضية ٥٨سم، وبها أعمال ترميم، والأرضية مُبلطة ببلاطات من الرُّخام الأبيض، وكانت هذه الغرفة مُغطاة بقبو برميلى مُتهدم الآن، أعتقد أنه كان يشتمل على مَضَاوى ذات زجاج ملون وشفاف للإضاءة وإضفاء لمسة جمالية على الحَمَّام، مثل تلك التى كانت تُوجد فى حَمَّام قَلْعة صَدْر (اللوحة ٤٢).

وتُوجد فى جدار هذه الغرفة الشمالية فتحة باب اتساعها ٦٩سم، وارتفاعها ١,٧٢م، وتتوج بعقد نصف دائرى من الحجر الجيرى، يُفضى إلى دهليز طوله ١,٣٢م، ويتسع كلما تعمقنا فيه، وكان يغطيه قبو برميلى عقده نصف دائرى لا تزال تُوجد بقاياه على يمين الداخل، وقد تم ترميم بقيته الآن، ويُلاحظ عدم وجود مَضَاوى كتلك التى تُوجد فى حَمَّام قَلْعة صَدْر، مما يُؤكد وجود خطإٍ معمارى جسيم فى الترميم، وكانت جدران هذا الدهليز تكسوها طبقة ملاط من الجص الأبيض يصل سمكها إلى ٣سم.

ويُفضى هذا الدهليز إلى الغرفة الدافئة من خلال باب يُوجد فى نهايته، اتساعه ٥٧سم، وارتفاعه ١.٧٧م، وسمك أكتافه ٦٥سم، وتُوج بعتب غير مستقيم موتور قليلًا، ارتفاع وتره ٢٠سم، وقد كسى بطبقة من الملاط. والغرفة الدافئة مستطيلة التخطيط، وتمتد من الشرق إلى الغرب، مساحتها ٢,٣٦ × ١,٨٨م، وتُوجد بها دخلة على اليمين فى الجدار الشمالى اتساعها ٨٠سم، وارتفاعها ١,٤٧م، وعمقها ٢٤سم، تتوج بعقد موتور قليلاً بُنى من أحجار جيرية صغيرة بلغ عددها سبعة عشر حجراً، ويبلغ ارتفاعه ٣٥سم، وقد كُسيت جدران هذه الغرفة والدخلة بطبقة ملاط من الجص لا تزال بحالة جيدة فى أجزاء كبيرة منها، وبُلطت الأرضية ببلاطات من الحجر الجيرى جيدة القطع لامتصاص الحرارة المنبعثة من المستوقد والاحتفاظ بها، ثم يبدأ فى طردها بشكل منتظم مما يساعد على جعل جو هذه الغرفة دافئًا، كما أن الحجر الجيرى عند امتصاصه للحرارة لا يُؤذى الإنسان مقارنة بالرخام والجرانيت، ولذا نجد أن الغرفة الباردة السابقة بُلطت بالرخام ليساعد على أن يكون جوها باردًا فى أشهر الصيف. وجزء من أرضية هذه الغرفة مفقود الآن، إذ تظهر أقبية التدفئة، وهى التقنية الفنية المعمارية الواضحة فى عملية تدفئة الحَمَّام، بالاستفادة من الحرارة المنبعثة من المستوقد عند تسخين المياه فى القدور للاستحمام، كما كانت تُوجد أنابيب من الفخار الأحمر لا تزال بقاياها موجودة، قُطرها ٦سم '٢,٣٦ بوصة' مغيبة فى أرضية الحَمَّام، كانت فيما يبدو تصل ما بين الأحواض التى فى المستوى الثالث والمستوقد الواقع فى المستوى الأرضى، وتُوجد أيضًا فى الجدار الغربى والجنوبى بقايا الأنابيب الفخارية لنقل المياه من الحوض أعلى الحَمَّام، قُطرها ٥,٢سم '٢ بوصة'، وكانت الغرفة مغطاة بقبو برميلى عقده نصف دائرى سَقط مع الزمن، وتم ترميمه وبناؤه من جديد بدون أى فتحات مَضَاوى، وأعتقد أنها كانت فى الأصل تشتمل على فتحات مَضَاوى للإضاءة كما فى حَمَّام قَلْعة صَدْر المعاصرة، وهو خطأ جسيم فى الترميم المعمارى يجب تلافيه هو وغيره فى المشروع المزمع تنفيذه لتطوير الجزيرة (اللوحات ٤٣-٤٥).

كما تُوجد فى الركن الجنوبى للغرفة الدافئة فتحة باب اتساعها ٦٢سم، وارتفاعها ١,٧٢م، تُفضى إلى



الحجرة الساخنة،[٥٩] وهى شبه مربعة، مساحتها ١,٨٨ × ١,٦٩م، بُلطت أرضيتها ببلاطات مقطوعة من الحجر الجيرى جيدة القطع، وكانت تكسو جدرانها طبقة ملاط من الجص، وهى بحالة جيدة فى أجزاء كثيرة منها يصل سمكها إلى ٣سم، وتُوجد فى الجدار الجنوبى لهذه الغرفة أنابيب من الفخار الأحمر لتوصيل المياه الساخنة من المستوقد ومستودع المياه الساخنة، قطر هذه الأنابيب ٢,٥سم 'بوصة'، وكانت مغطاة بقبو برميلى عقده نصف دائرى تهدم وتم ترميمه، بدون أى فتحات مَضَاوى، وأعتقد أنها كانت فى الأصل تشتمل على فتحات مَضَاوى للإضاءة كما فى حَمَّام قَلْعة صَدْر المعاصرة. وكان يتم تسخين أرضية وجو هذه الغرفة عن طريق الحرارة المنبعثة من المستوقد، والذى تُوجد أقبيته فى المستوى الأول الأرضى أسفل هذه الغرفة مباشرة كما سنرى (اللوحات ٤٦، ٤٧، ٤٩-٥١).

أما المستوى الأول - أو الطابق الأرضى - من الحَمَّام، فيشغله المستوقد، وذلك مراعاة لاعتبارات مناخية وأمنية وصحية وبيئية، ويتم الوصول إليه من خلال باب يوجد فى السور الجنوبى الغربى من القسم الجنوبى للتحصين الشمالى، ومنه يلتف المسئول عن إشعال نار المستوقد حول السور والبُرْج، حيث يُوجد باب فى الجدار الغربى من الحَمَّام يبرز بمسافة ١,٣٠م، اتساعه ٧٨سم، وارتفاعه ١,٦٠م، وهو يقع بين واجهتى البُرْجين الحادى عشر والثالث عشر، ويُفضى هذا الباب إلى دهليز مقبى فى نهايته، وطول جداره الأيمن ٢,١٤م، والأيسر ٢,٦٦م، حيث تُوجد به فتحة صغيرة اتساعها ٣٥سم، تُفضى إلى الفرن من المستوقد، وهو شبه دائرى؛ إذ أنه واسع من أسفله ويضيق تدريجيًا كلما ارتفع، حيث يبلغ قُطر فوهته ٧٠سم، وأعلى الفوهة بقايا حوض دائرى بقى منه الجزء الشمالى، وهو مبنى بالآجُر الوردى اللون بدلاً من أوانى الرصاص أو النحاس، وكُسى بطبقة ملاط من الجير والحصى الصغير بقى منه ارتفاع ٥٠سم، وكان يتصل بالأحواض التى تقع فى الركن الغربى من السطح الخاص بالحَمَّام. وفى الجدار الشرقى للفرن تُوجد فتحة اتساعها ٣٢سم، وسمك أكتافها يتراوح ما بين ٥٣ : ٥٧سم، وتصل هذه الفتحة بين الفرن وأقبية المستوقد التى تُوجد أعلاها الغرفة الساخنة، وأقبية المستوقد عبارة عن قبوين متجاورين تصل بينهما فتحة اتساعها ١,٠٠م ذات عقد نصف دائرى، مساحة كل منهما ١٦٠ × ٧٠سم، يُغطى كُلًّا منهما قبو، ارتفاعه ١,١٠م، وتُوجد فتحة ثانية بالفرن اتساعها ٢٠سم، تُفضى إلى أقبية ثانية من المستوقد تعلوها الغرفة الدافئة، وتنقسم هذه الأقبية إلى قسمين تفصل بينهما دُعامة تحمل عقدين يحملان بدورهما الأقبية، وهما فى الوقت نفسه أرضية الغرفة الدافئة، ويُلحظ أن وجود فتحة المستوقد خارج القلعة يوفر شروطًا أمنية، خاصة أن أسقف القلعة معظمها من الخشب وأفلاق وجريد النخيل، وبالتالى يتم إبعاد مصدر النار عن داخل القلعة، كما يساعد وجود باب المستوقد فى الخارج - فى منطقة يصعب الوصول إليها من قِبَل الأعداء - على دخول التيارات الهوائية، مما يساعد على سرعة وقوة نار المستوقد، وكذلك خروج دخان المستوقد خارج التحصين وكل الجزيرة (اللوحات ٤٨-٥١).

أما سطح الحَمَّام فيُتَوَصَّل إليه من خلال سبع درجات صاعدة من السلالم تُوجد إلى جوار الباب المؤدى إلى الحَمَّام نفسه، وفى مواجهة باب الصهريج الصغير، تبلغ مساحة سطحه ٧,٠٠ × ٥,٠٠م تمتد من الشرق إلى الغرب، والبقية الباقية من مُنشآت المستوى الثالث للحَمَّام تُوجد فى الركن الغربى منه، وهى عبارة عن حوض صغير مساحته ١٠٢ × ٨٥سم، تكسو جوانبه وأرضيته طبقة من الملاط عليها طلاء من الأكاسيد حمراء اللون، وسمك طبقة الملاط يتراوح ما بين ٣ : ٥سم، وتُوجد فى ركنه الجنوبى الشرقى فتحة صغيرة تتصل بأنبوب من الفخار الأحمر فى حالة جيدة من الحفظ قُطرها ٥سم '٢ بوصة'، وطولها ١٧سم، تتصل بدورها بقناة صغيرة مقطوعة فى الحجر الجيرى، الباقى منها بطول ٥٠سم، وعرضها ٤سم، ويُوجد أيضاً حوض ثان مساحته ١٥٠ × ١٢٠سم متصل بالحوض السابق، أما بقية السطح فنحن نعلم أن أقبية غرف الحَمَّام قد تهدمت، وبالتالى تهدمت المُنشآت التى كانت تعلوها، وأعتقد أنها كانت تشتمل على صهريج صغير أو حوض لتخزين المياه التى تستخدم فى الحَمَّام (اللوحات ٥٢، ٥٣، ٥٤ أ، ب).

ويُلحظ أن هذا الحَمَّام خضع تخطيطه للمكان الذى أُنشى فيه، حيث إنه كان جزءًا من مجموعة معمارية متكاملة، وليست مُنشأة منفردة مستقلة قائمة بذاتها، ولهذا اختُزلت مساحة الحَمَّام فأصبحت لا تشتمل على قاعة



استقبال كبيرة، وإنما أصبحت تُؤدى الغرفة الباردة 'بيت أول – البرانى' دور قاعة الاستقبال وغرف خلع الملابس 'المشلح، المسلخ'، وبُنى المستوقد أسفل الحَمَّام للاستفادة من المساحة المتاحة، بعد أن كان يُبنى إلى جوار الحَمَّام، ولهذا نجد أن هذا الحَمَّام يشتمل على ثلاثة مستويات معمارية تُكوّن فى النهاية كتلة ومجموعة الحَمَّام المعمارية كاملةً (الشكل ١٨).

ويتم إمداد الحَمَّام بالمياه بالدرجة الأولى من الصهريج الصغير المجاور له من الناحية الجنوبية، وهو الذى يُملأ عن طريق المراكب التى تجلب المياه إلى الجزيرة من العين التى فى البر، ثم ترسو فى ميناء ومرسى الجزيرة والقَلْعة الداخلى، ومنها على أكتاف الرجال أو ظهور دواب الحمل إلى الصهريجين، سواء الصغير الجنوبى، أو الكبير الشمالى، اللذين داخل التحصين الشمالى من القَلْعة الذى يستفاد منه بالنسبة للحَمَّام فى حالة نفاد مياه الصهريج الصغير (الشكلان ١٩، ٢٠، اللوحات ٥٥–٥٨).

المبحث الثانى: الدراسة التحليلية المقارنة

بعد الدراسة الآثارية والمعمارية الوصفية لهذين الحَمَّامين اللذين فى قَلْعتى صلاح الدين الأيوبى 'صَدْر وأَيْلَه' فى سَيْنَاء، تَرَاءَى حظ لى أن ظهورهما فى هاتين القَلْعتين لم يكن دليل حضارة وترف وغنى فحسب، بل كان لحاجة ضروريّة أوجبتها فريضة الاغتسال والتطهر على كل مسلم غنى أو فقير، على عكس ما كانت عليه الحَمَّامات فى الحضارات السابقة، وقد أكد على ذلك ابن خلدون إذ قال: 'ما يستدعى لعوائد الترف وأحواله، فإنما يوجد فى المدن المستبحرة فى العمارة، الآخذة فى عوائد الترف والحضارة ... ومن هذا الباب الحَمَّامات؛ لأنها إنما تُوجد فى الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران، لما يدعو إليه الترف والغنى من التنعّم. ولذلك لا يكون فى المدن المتوسطة ...'.[٦٠] ولأن ظهورها فى العمارة الإسلامية – سواء كانت عامة أو خاصة – كان بتأثير العامل الدينى الذى كان ولا يزال له اليد العليا فى حركة الجهاد التى نشطت بشكل قوى من أجل تحرير الأرض عن طريق بناء هذه القلاع وما بها من مُلحقات ضرورية كان منها الحَمَّامات، ولأن تأثير هذا العامل الدينى ظهر فى حث القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منه على الأمر بالنظافة الدائمة والتطهر بالاغتسال،[٦١] خاصة يوم الجمعة؛ إذ إنها سُنة مُحببة، مما جعل مهندسى ومعماريى القلاع الإسلامية حريصين على تضمين تخطيطاتها حَمَّاماتٍ خاصة بها، ولكنها فى الوقت نفسه عامة لعموم استعمالها من قِبَل رجال الحاميات المرابطة فيها بصفة دائمة، فهى ليست مِلْكَ فرد بعينه، وإنما هى منشآت عامة داخل قلاع دفاعية لها خصوصية فى إدارتها وتنظيمها.

كما حرص المعمار على حل مشكل المياه بشتى الوسائل عن طريق توفيرها بصفة دائمة عن طريق حفر الآبار وطيها لاستنباط المياه الجوفية، وبناء صهاريج ضخمة لتتسع لأكبر كمية من المياه، وجَلْبها من مصادر متنوعة ومختلفة، سواء دائمة متمثلة فى العيون الطبيعية أو الآبار، أو من مصادر ثانوية عن طريق مياه السيول والأمطار، حيث تم بناء السدود الحاجزة على الأودية العميقة القريبة من القلاع، وكذلك تجميع مياه الأمطار عن طريق أرضيات مُبلطة كشف سماوى صُممت بشكل مائل لهذا الغرض، أو من أسطح المُنشآت وربطها بالصهاريج عن طريق شبكة من القنوات والأنابيب متصلة بالمَيَازيب 'مَزْارِيب'[٦٢] التى فى أسطح المبانى، أو نقلها عن طريق المراكب المعدة خصيصًا لهذا الغرض، أو دواب الحمل، وتخزينها داخل هذه الصهاريج.

أما بالنسبة لمصادر إمداد هذين الحَمَّامين بالمياه، فهى متنوعة ما بين مياه الأمطار التى يتم تجميعها عن طريق عمل أرضيات مُبلطة فى أسطح المنشآت بهاتين القَلْعتين وتخزينها بواسطة قنوات ومجارٍ تنتهى فى الصهاريج المُعدة لذلك، أو تلك التى يتم حجزها عن طريق سُدود شُيدت لهذا الغرض فى شمال قَلْعة صَدْر، ثم المياه المجلوبة من العيون الطبيعية، سواء عين صَدْر التى بالقرب من القَلْعة، أو العين التى تُوجد فى البر بأحد الأودية القريبة من جزيرة فرعون حيث وَادى طويبة ووَادى طابا، ثم تُحمل على ظهر دواب الحمل من بغال وحمير وجمال لتُخزن فى الصهاريج المعدة لذلك الغرض فى حالة قَلْعة صَدْر، أما فى حالة قلعة جزيرة أَيْلَه فمن دواب الحمل إلى مراكب جلب المياه المخصصة لذلك، وقد تأكد وجود هذه الوسائل فى المصادر التاريخية.[٦٣]

كما تجرى عملية تسخين المياه، خاصة فى أيام البرد الشديد فى أشهر الشتاء، باستخدام جذوع وعروق



الأشجار المحلية البرية أو المنزرعة التى يكثر وجودها فى المنطقة، أو التى تُنقل للجزيرة من المناطق المجاورة، أو بالمخلفات الناتجة عن استعمالات الحامية ودوابها، وربما كان الفحم والحطب يرسَلان مع بدل القَلْعة الذى يتم كل سنة، فقد ورد ذكر عملية بدل الحاميات وغيرها فى المصادر التاريخية المعاصرة لعمارة هاتين القَلْعتين.[٦٤]

كما تلاحظ لى أنها كانت مُعدة من الناحية المعمارية المساحية لاستخدام شخص واحد، أو اثنين على الأكثر بالتبادل، فى عملية الاستحمام فى الوقت نفسه، بمعنى أنه إذا انتهى الأول من مرحلة 'يدخل الثانى بعده' وهكذا.. مع مراعاة الضوابط الشرعية المتعلقة بذلك عن طريق استخدام المئزر[٦٥] فى ستر العورة، فلا يجوز كشف عورة المسلم لآخرين إلا لضرورات حددها الشرع.

أما بالنسبة للفئات التى تستفيد من هذه الحَمَّامات فى القلاع، فأعتقد بالدرجة الأولى أن أول المستفيدين هو والى القَلْعة ومن ينوب عنه، أو نائب القَلْعة،[٦٦] وإمام جامع ومساجد كلّ قَلْعة، وربما أيضاً الجُند كلّ حسب رُتبته العسكرية، ولابد أن هناك نظامًا كان يُتبع فى استخدام الحَمَّام خلال أيام الأسبوع.

كما يُلاحظ أن حمامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه فى سَيْنَاء كانا مُلحقين بصفة خاصة فى بمجموعة سكن نائب القَلْعة، وأُدمج هذان الحَمَّامان فى التخطيط حتى أضْحيا جزءاً لا يتجزأ منها دون حدوث مشاكل معمارية وبكامل وحداتها التى تُوجد فى الحَمَّامات الكُبرى، العامة القائمة بذاتها كمنشآت معمارية مستقلة، وذلك عن طريق تصغير وإدماج بعض هذه الوحدات، والإبقاء على الضرورى منها فقط، بحيث أصبحت الوحدة المعمارية الواحدة فى هذين الحَمَّامين تؤدى وظيفتين فى الحَمَّامات الكُبرى مثل قاعة الاستقبال والمسلخ،[٦٧] وذلك لكى يضمن للمستحم عدم تعرضه للإيذاء بالانتقال السريع من البرد إلى الحر أو العكس،[٦٨] فقد كانت تشتمل على عدة بيوت، الأول منها مبرِّد مرطِّب، والبيت الثانى مسخِّن مُرْخ، والبيت الثالث مسخِّن مجفِّف.[٦٩] أما عن وحدات ومكونات هذه الحَمَّامات، فنجد الحَمَّام فى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه يشتمل كل منهما على قاعة للاستقبال أو مسلخ، والحجرة الباردة أو البرانى مزودة بمصاطب للجلوس. وقد فُرشت أرضية هذه القاعة فى قَلْعة صَدْر ببلاطات من الحجر الجيرى وطبقة من الملاط، وفى جزيرة أَيْلَه بالرخام، والحجرة الدافئة أو الوسطانى، والحجرة الساخنة أو الجوانى. أما عن مُلحقات الحَمَّام، فقد اكتُفى بالمستوقد أو بيت النار وهو فرن تسخين المياه، واستُخدم للتغطية فى الحَمَّامات الأقبية المقباة والبرميلية، والطريقة الوحيدة لإضاءة حجرات هذه الحَمَّامات فى النهار كانت بواسطة فتحات أو كوات مختلفة الشكل دائرية ونجمية تتخلل الأقبية، وهى المعروفة باسم المَضَاوى، والتى تُغلف بالزجاج الملون بهدف الإضاءة والتدفئة وإضفاء جمال على سقوف هذه الحَمَّامات، أما ليلاً فكان أمرًا نادر الحدوث؛ لأن الاستحمام بعد الغروب كان غير مُستحب،[٧٠] أما إذا كانت هناك ضرورة، فأعتقد أنها كانت تستخدم الوسائل المعروفة فى تلك الفترة، خاصة المسارج[٧١] الفخارية والخزفية أو المعدنية بأنواعها وطرزها المختلفة، والتدفئة عن طريق ثلاث وسائل ذكرناها فى مواضعها.

ويُعتبر حَمَّاما قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه الأيوبيتين فى سَيْنَاء بهذا التخطيط مثالَيْن جيدَيْن ونادرَيْن للحَمَّامات الأيوبية فى مِصْرَ بصفة عامة، وسَيْنَاء بصفة خاصة، ودليلًا على مدى الاهتمام بتوفير جميع سُبل الراحة لرجال حاميات هذه القلاع، حتى إن ابن خلدون اعتبر وجود الحَمَّامات فى المدن الكبرى من العلامات الرئيسة الدالة على استبحارها فى العمران، ودليل حضارة وترف وغنى، فما بالنا بوجودها فى القلاع التى تكون فى الغالب فى مناطق منعزلة ونائية على ذرى جبال منفصلة عما حولها، وفى جزر منعزلة تمامًا عن البر، كقَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه موضع بحث ودراسة حَمَّاميهما.

أما عن تأصيل تخطيط عمارة هذه الحَمَّامات التى وصلت إلينا فى هاتين القَلْعتين بحالة جيدة، فنجد أن هذا التخطيط متأثر قليلًا بعمارة الحَمَّامات القديمة، خاصةً الحَمَّامات الرومانية،[٧٢] وإن كانت الحَمَّامات الرومانية أكثر عظمة وأكبر حجماً وأعظم ترفًا، فإن العرب والمسلمين لم يراعوا إلا الفائدة العملية فى جُل أبنيتهم المختلفة الوظائف،[٧٣] كما أنهم جعلوها مرفقًا ومؤسسة عمرانية مدنية واجتماعية 'عامة وشعبية' بمعنى الكلمة، وقد تم تطوير تخطيطها المعمارى فى العمارة الإسلامية المبكرة منذ الفتح الإسلامى للعديد من البلدان خلال القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى كبلاد الشام ومِصْر والعراق.

ومن حَمَّاماتها المبكرة على سبيل المثال: حَمَّام عياض بن غنم (ت ٢٠هـ / ٦٤٠م) فى بيت المقدس.[٧٤] وفى مِصْر الحَمَّام الذى بناه عمرو بن العاص فى سويقة المغاربة فى مدينة الفسطاط، وهو حمّام صغير اشتُهر لصغر مساحته ومخططه مقارنًا بحَمَّامات الروم الضخمة التى كانت معروفة من قبل، وعرف كذلك باسم حَمَّام الفار،[٧٥] وهو - على حد علمى - يُعتبر أول حَمَّام عام بناه المسلمين فى مِصْر وإفريقيا. كما أن مدينة البصرة كانت تشتمل على ثلاث حَمَّامات ترجع لتلك الفترة.[٧٦] وأعتقد أن تخطيطاتها المعمارية كانت نموذجاً مُصغَّرًا للحَمَّامات الرومانية والبيزنطية العامة التى سبقتها، إذ كانت الدولة الإسلامية فى بداية تكوينها، وإنما بعد الفتوح الهائلة التى تمت قد استفادت من الحضارات السابقة فى الكثير من نظمها وعمائرها.

وانتشرت الحَمَّامات بعد ذلك فى العصور التالية وكثر عددها، وأضحت واضحة المعالم التصميمية والعمرانية والبنائية، خاصة خلال العصر الأموى، فقد وصلنا منها عدد غير قليل من الحَمَّامات الخاصة التى كانت مُلحقة بالقصور الأموية المنتشرة فى كل بادية بلاد الشام، مثلها فى ذلك مثل الحَمَّامين موضوعىْ البحث والدراسة، ولعل المعمار الإسلامى هو أول من ألحق الحَمَّام ببناء السكن، سواء كانت قصرًا ودارًا أو قلعةً أوحصنًا. ومن الحَمَّامات الأموية التى كان لتخطيطها وتصميمها تأثير واضح على تخطيط وتصميم حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أيْلَه: الحَمَّامات التى تنتشر فى بادية الأردن والشام، كحَمَّام قصر جبل أسيس 'سيس' الذى شُيد فى سنة ٩٣هـ / ٧١٣م، وهو أقدم حَمَّام يقع خارج المُدن،[٧٧] وحَمَّام قُصَير عَمْرَة (٩٤-٩٦هـ / ٧١٢-٧١٤م) الملحقة به دارٌ للإقامة، - وهو بالإضافة إلى تخطيطه - قد ظهرت فيه تقنية تدفئة الأرضيات بشكل واضح،[٧٨] وهو ما يُوجد فى الحَمَّامين موضعىْ البحث والدراسة. وحَمَّاما مدينة عَنْجَر 'عين الجَرّا' فى البقاع اللبنانى التى يرجع تاريخ بنائها إلى سنة ٩٦هـ / ٧١٤ - ٧١٥م،[٧٩] وهذه الحَمَّامات الأربع من بناء الخليفة الأُموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م) (الشكلان ٢١، ٢٢).

أما قصر الحير الغربى فى البادية السورية فقد شُيد خلال الفترة ١٠٥ - ١٠٩هـ/ ٧٢٤ - ٧٢٨م،[٨٠] ويشتمل على حَمَّام له نفس التخطيط،[٨١] وقصر الحير الشرقى 'الزيتونة'[٨٢] المُشيد فى سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م، ويشتمل على حَمَّام له نفس تخطيط الحَمَّامات الملحقة فى القصور المعاصرة،[٨٣] وحَمَّام الصرح 'السراح'[٨٤] الذى شُيد خلال هذه الفترة ١٠٧ - ١١٢هـ / ٧٢٥ - ٧٣٠م،[٨٥] وحَمَّام قصر خربة المفجر (١٠٦ - ١٢٦هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) بالقرب من أريحا فى فلسطين،[٨٦] وهو مزود بتقنية توزيع البخار للتدفئة فى أرضية الغرفة الساخنة من خلال قنوات مغيبة فى أرضيتها، ويُعتبر هذا الحَمَّام من أفخم الحَمَّامات الأموية قاطبة، بل يُعد من أروع الحَمَّامات التى اكتُشفت فى ديار الإسلام وفقاً لوصف كريزويل،[٨٧] وهذه الحَمَّامات سالفة الذكر جميعها من بناء الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣ - ٧٤٣م) (الأشكال ٢٣، ٢٤، ٢٥).

وهناك أيضاً حَمَّام فى قصر مشاش،[٨٨] وحَمَّام آخر فى قصر عين السل،[٨٩] وكلاهما فى بادية الأردن، ويتبعان نفس الطراز من حيث التخطيط العام وبعض التقنيات المستخدمة، سواء فى طرائق التشييد أو أساليب التسقيف، أو تقنيات تسخين المياه والتدفئة وتوزيع وصرف المياه وسواه.

وبالدراسة المتعمقة لهذه الحَمَّامات الأُموية، لوحظ أن معظمها كانت حَمَّامات خاصة مُلحقة بالقصور التى فى البادية، على حين كان حَمَّام قصر الحير الشرقى حَمَّامًا عامًّا، أُقيم لخدمة الناس المقيمين فى البلاد والزائرين من الوافدين عليها.[٩٠] كما نجد أن ما يجمعها مع الحَمَّامات الرومانية هى الوظيفة فقط، فعادة تشييدها كما نعلم رومانية، ولكن الأموية منها مختلفة كثيرًا معها، وإن كانت أصولها المعمارية ومرجعيتها رومانية وبيزنطية، فمثلًا نظام التدفئة المستعمل فى الحَمَّامات الأُموية عن طريق الأرضيات والجدران هو فى الأصل نظام رومانى،[٩١] فيُمكن القول إن الإسلام غَيّر من تركيبة الحَمَّام الإنسانية، ولكنه حافظ إلى حد كبير على التصميم المعمارى والتقنية العملية التشغيلية، ولكنه فى هذه المرحلة استفاد من الحَمَّامات التى ظهرت فى الفترة المبكرة من تأسيس الدولة الإسلامية، حيث أصبحت لها شخصيتها المستقلة. أما من حيث الحجم والمساحة، فمساحة وحجم الحَمَّامات الأموية متواضعة مقارنةً بمساحات الحَمَّامات الرومانية، باستثناء حَمَّام قصر



خربة المفجر الذى تُعتبر مقاساته كبيرة نوعًا ما،[٩٢] كما أن العرب والمسلمين لم يراعوا إلا الفائدة العملية فى جل أبنيتهم المختلفة الوظائف، ومنها الحَمَّامات، كما أنهم جعلوها مرافق ومؤسسات عمرانية، مدنية واجتماعية، عامة وشعبية، بمعنى الكلمة، على عكس ما كانت عليه الحَمَّامات الرومانية.

كما استمر هذا النوع من التصميمات والطرز المعمارية فى الحَمَّامات خلال العصور التالية بعد العصر الأُموى، فنجده فى العصر العباسى، حيث زُود قصر الأُخيضر بحَمَّام على طراز تخطيط حَمَّامات القصور الأُموية[٩٣] (الشكل ٢٦).

كما أن مكة المكرمة كانت تُوجد فيها العديد من الحَمَّامات العامة التى كانت تخدم الحجاج والعمار خلال العصر العباسى، وربما يرجع بعضها إلى العصر الأموى؛ ففى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى، وصل عددها فى مكة المكرمة حوالى سبعة عشر حَمَّامًا، وأن بعضها كانت موقوفة للصرف على أربطة ومدارس فى مكة المكرمة،[٩٤] وأعتقد أن عمارتها كانت على طراز الحَمَّامات فى هذين العصرين الأُموى والعباسى، ولكن للأسف الشديد لم يصلنا منها أى حَمَّامًا خلال الوقت الحالى بسبب توسعات المسجد الحرام التى كانت تجرى عبر العصور.

وقد عُرف هذا التخطيط - فيما يبدو كذلك - فى مِصْر الإسلامية منذ الفتح الإسلامى، حيث بنى عمرو بن العاص فى مدينة الفسطاط حَمَّام الفار، أما أقدم مثال قائم فهو الحَمَّام الفاطمى ناحية كوم الجارح فى الشمال الشرقى من ضريح أبى السعود الجارحى فى مِصْر القديمة.[٩٥]

أما عن وجود الحَمَّامات فى القلاع، فنجد أن هَجر وخَراب قَلْعتى صلاح الدين الأيوبى فى كلٍّ من صَدْر وجزيرة أَيْلَه فى سَيْنَاء قد ساعد على احتفاظهما بمخططاتهما الأصلية، ومنها الحَمَّامان، كما أن هناك قلاعًا مُعاصرة اشتملت مخططاتها على حَمَّامات، منها عدة قلاع فى بلاد الشام بسورية، كقَلْعة حلب التى ورد ذكر أكثر من حَمَّام فيها، سواء فى القصور أو الدور، على اعتبار أنها كانت مقراً لحاكم حلب لفترات طويلة، ولعل أهم حَمَّامات القَلْعة حَمَّامين، أولهما: حَمَّام اكتُشف فى العصر الحديث يُعتقد أنه من العصر الزنكى؛ إذ تم تشييده فى عهد نور الدين محمود بن زنكى،[٩٦] وثانيهما: الحَمَّام الملكى الذى شُيد فى العصر الأيوبى، ويتكون تخطيطه - كما هو معروف فى الحَمَّامات الإسلامية السابقة والمعاصرة - من ثلاث غرف رئيسة[٩٧] (اللوحات ٥٩-٦٧).

كما أن قَلْعة دمَشْق التى ترجع إلى العصر السلجوقى كان مُشيداً فيها حَمَّام من عهد شمس الملوك، تم تشييده فى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م،[٩٨] وقد شيد فى القسم الشمالى من القَلْعة، كما أن القلعة لابد كانت تشتمل على حَمَّام خلال وطوال العصر الأيوبى، كما تم مؤخرًا اكتشاف حَمَّام من خلال الحفائر الآثارية التى أُجريت فى الركن الشمالى الغربى من القَلْعة، ويُعتقد أنه من العصر المملوكى[٩٩] (اللوحات ٦٨-٧٠).

كما أن قَلْعة صلاح الدين الأيوبى 'صهيون'[١٠٠] تم فيها تشييد حَمَّام بعد أن استطاع صلاح الدين الأيوبى تحريرها فى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م[١٠١] (اللوحتان ٧١، ٧٢)

وقَلْعة الحصن 'حصن الأكراد - Le Crac des Chevaliers'[١٠٢] بعد تحريرها من أيدى الفرنج، تم تشييد حَمَّام فيها خاص بحاميتها، جاء تخطيطه على الطراز العربى الإسلامى خلال العصر المملوكى[١٠٣] (اللوحتان ٧٣، ٧٤).

ويلاحظ مما تقدم فيما يتعلق بالقلاع الشامية التى تم تحريرها، كقلعة صلاح الدين والحصن والمرقب، أنه بمجرد تحريرها تمت إضافة مُلحقات رئيسة لها أصبح لا غنى عنها فى القلاع الإسلامية كالجامع والمسجد والحَمَّام، وذلك مما يُؤكد أن فرض النظافة البدنية كان جد مهم لحاميات القلاع الإسلامية، على عكس ما كانت عليه قلاع الفرنج فى بلاد الشام، وإلا فلماذا كانت خالية من عمارة الحَمَّامات ؟ أليس هذا مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية وتقدمها يجب أن يُحسب لها !

أما فى بلاد الأندلس، فقد خلص العلامة باسيليو بابون مالدونادو 'Basilio Pavón Maldonado' فى دراسته القيمة عن عمارة المدن والحصون فى الأندلس، إلى نتيجة هامة فيما يتعلق بوجود الحَمَّامات فى المنشآت الحربية الدفاعية الأندلسية، مفادها أن لا حَمَّامات فى هذه الحصون، إذ قال: 'من نافلة القول الإشارة إلى أن الحصون والقلاع وحظارات البقر والحزام لم يكن بها حَمَّامات، وأنها موجودة فقط فى المدن وأرباضها وفى القصبات المهمة. وهذا ما يبرهن على الطابع الريفى للحصون، التى لم يعثر

فيها على أثر زخرفى ...'.[١٠٤] ولكن يبقى التحفظ على هذا الرأى نظرًا لأن دراسته تمثل فى معظمها الوضع الراهن للحصون والقلاع، فربما بعد الاسترداد تمت إزالة هذه الحَمَّامات وغُيِّرت وظائفها فاندثرت، ويبقى إثبات أو نفى هذا الرأى رهن القيام بأعمال حفائر آثارية فى هذه الحصون والقلاع، كما أن موضوع الزخارف فى الحصون والقلاع مرتبط بعدة عوامل، منها طبيعة المكان والأحجار والصخور المستخدمة فى البناء، ويظهر ذلك بشكل جلى فى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه موضوع دراسة حَمَّاميهما فى هذا البحث، فالأولى لأنها شيدت فى منطقة جبالها كلها من الحجر الجيرى ويسهل تنفيذ الزخارف فيها، ولهذا وجدناها بكثرة مقارنةً بالقلعة الثانية فى جزيرة أَيْلَه التى تتكون من الصخور الجرانيتية التى يصعب تنفيذ الزخارف فيها، وما وُجد فيها من زخارف وكتابات تأريخية وجدناه على الحجر الجيرى أو الرملى.

ومن هنا يُمكن القول إن التخطيط المعمارى للحَمَّام كوحدة معمارية متكاملة فى القلاع الأيوبية عامة، وقَلْعتى صلاح الدين الأيوبى فى صَدْر وجزيرة أَيْلَه فى سَيْنَاء بطرازه هذا، كان استمراراً للحَمَّامات الإسلامية المُبكرة التى كانت معروفةً خلال العصر الراشدى والأُموى والعباسى، خاصة تلك التى كانت مُلحقة بالقصور والدور السكنية الكبيرة، وقد نجح المعمار الأيوبى فى تصغير وحدات الحَمَّام المعمارية وإدماجها فى تخطيط القلاع دون مشاكل معمارية تُذكر، حتى إنها أضحت من أهم مُلحقات القلاع الأيوبية، ومنها قَلْعتا صَدْر وجزيرة أَيْلَه فى سَيْنَاء، وإن هناك قلاعًا مُعاصرة فى بلاد الشام كانت ولا تزال تحتفظ بحَمَّاماتها التى شُيدت فيها، سواء منذ نشأتها فى بعض القلاع، أو تلك التى تم تشييدها فيها بعد تحريرها من أيدى الفرنج.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

كانت هذه دراسة آثارية معمارية حضارية خاصة بحَمَّامى قَلْعتى صلاح الدين الأيوبى فى 'صَدْر وجزيرة أَيْلَه' بسَيْنَاء، توصل الباحث فيها إلى نتائج عدة هامة، وكذلك توصيات عدة، لعل أبرزها كانت على النحو الآتى:

أولًا: النتائج

قصدت من هذه الدراسة المطولة إبراز عمارة حَمَّامى قَلْعتى صلاح الدين الأيوبى فى 'صَدْر وجزيرة أَيْلَه' بسَيْنَاء بقصد لفت الانتباه لأهميتهما كمنشآتيْن نادرتيْن فى سَيْنَاء، وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج، كان من أبرزها وأهمها الآتى:

١. أثبتت الدراسة أن سَيْنَاء عرفت عمارة الحَمَّامات قبل الفتح الإسلامى، خاصةً تلك التى تم الكشف عنها فى تلال الشيخ زويد أو بالقرب منها، وفى الفَرَمَا وتل اللولى وتل الحير، أو تلك التى ربما يُمكن الكشف عنها فى المستقبل فى كلٍّ من الفلوسيات والقلس والمحمديات وسواها من أماكن استقرار حضارية ترجع إلى الفترة السابقة على الفتح الإسلامى لشبه جزيرة سَيْنَاء بقسميها الشمالى والجنوبى.
٢. أثبتت الدراسة أن العصر العباسى هو أول عصر مؤكد حتى الآن من الناحية الآثارية ظهرت فيه الحَمَّامات الإسلامية فى سَيْنَاء، ومن بعده العصر الأيوبى، خاصةً عهد صلاح الدين، إذ يُوجد حَمَّامان فى سَيْنَاء ضمن مُلحقات قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه الرئيسة، وأن سَيْنَاء عرفت فى العصر المملوكى عمارة الحَمَّامات، ومنها حَمَّام قَطْيَا، أو تلك التى كانت تُوجد فى مدينة الوَرَّادَة الإسلامية، ومن المحتمل اكتشاف حَمَّامات أخرى فى العديد من المواقع والمراكز الحضارية الإسلامية بسَيْنَاء فى المستقبل.
٣. على الرغم من أن حَمَّام قَلْعة صَدْر لم يكن له نقش إنشائى تعميرى يُؤرخ له، ولم يتم اكتشاف ذلك خلال الحفائر الآثارية حتى الآن، إلا أنه يُمكن تأريخه فى الفترة من سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٤ - ١١٨٥م، وهو تاريخ عمارة البرج الجنوبى الغربى 'بُرْج الأرانب' من القَلْعة، وشهر شعبان من سنة ٥٨٢هـ / ديسمبر ١١٦٨ - يناير ١١٨٧م، وهو تاريخ عمارة البرج الشمالى الشرقى من القَلْعة، وذلك بناءً على عدة أدلة وقرائن أوردناها فى متن الدراسة.
٤. أن المعمار اختار للحَمَّامين نهاية القلاع الجنوبية، أى عكس اتجاه هبوب الرياح الشمالية، وذلك تنفيذًا ومراعاة لاشتراطات مناخية وصحية وبيئية؛ حيث إن



هذا الموقع يعتبر من أواخر القلعة فى اتجاه عكس الهواء والرياح التى تهب من جهة الشمال، وكذلك لصرف مياه ومخلفات الحمام فى جنوب القلعة؛ لانحدار الهضبة بشكل رأسى فى تلك المنطقة من القلعة.

٥. أن حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه لم يكونا حَمَّامين مستقلين كالحَمَّامات العامة المستقلة، وليسا خاصيْن كتلك الحَمَّامات التى أُلحقت بالقصور والدور، وإنما هما جزء من قلاع حربية لها خصوصيتها، ولكنها عامة فى الوقت نفسه لقاطنيها من رجال الحاميات على اختلاف رتبهم العسكرية.

٦. أن حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه قد خضعا فى تخطيطهما المعمارى لاعتبارات معمارية وظيفية معينة لكونهما جزءًا من قلاع حربية دفاعية؛ فقد تم تصغير وحداتهما المعمارية لتتناسب مع بقية مُفردات القَلْعة التى شُيدت فيها بدون شذوذ أو مشاكل معمارية مع بقية الوحدات الأخرى، كما تم إدماج بعض وحدات هذه الحَمَّامات المعمارية لتؤدى أكثر من وظيفة فى ذات الوقت، ولكنها كانت تشتمل على كل العناصر المعروفة فى الحَمَّامات الإسلامية المبكرة.

٧. نجح المعمار فى الاستفادة من المساحة المتاحة عند تشييد هذين الحَمَّامين فى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه عن طريق جعل تصميمها يتكون من أكثر من مستوى معمارى، إذ وصلت إلى ثلاثة مستويات فى قَلْعة جزيرة أَيْلَه.

٨. أثبتت الدراسة أن حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه خضع تخطيطهما للمكان الذى أُنشئا فيه، حيث إنهما كانا جزءًا من مجموعة معمارية متكاملة، وليسا مُنشأتيْن مفردتيْن مستقلتيْن قائمتيْن بذاتهما، ولهذا اختُزلت مساحة الحَمّاميْن وأصبحت لا تشتمل على قاعة استقبال كبيرة، وإنما أصبحت تُؤدى الغرفة الباردة دور قاعة الاستقبال وغرف خلع الملابس، كما بُنى المستوقد فى حَمَّام قَلْعة جزيرة أَيْلَه أسفل الحَمَّام للاستفادة من المساحة المتاحة، بعد أن كان يُبنى إلى جوار الحَمّام، ولهذا نجد هذه الحَمّامات تشتمل على ثلاثة مستويات معمارية تكوّن فى النهاية كتلة الحَمَّام كاملةً.

٩. تمت دراسة ووصف التخطيط المعمارى لحَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه دراسة آثارية ومعمارية متكاملة لأول مرة نظرًا لندرة هذه النوعية من العمائر الإسلامية من العصر الأيوبى، سواء فى سَيْنَاء خاصة أو مِصْر عامة.

١٠. أثبتت الدراسة أن مصدر التخطيط المعمارى لحَمّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه هو مصدر غير مباشر، وهو تخطيط الحَمَّامات السابقة على العصر الإسلامى كتلك التى تُوجد فى سَيْنَاء وخارجها باقيةً من العصرين اليونانى - الرومانى، وأخرى مباشرة وهى تلك التى ترجع للعصر الإسلامى المبكر، خاصةً حَمَّامات المُدن الإسلامية المبكرة كالبصرة والفسطاط، وحَمَّامات العصر الأُموى فى بادية الشام، وأشهرها حَمَّام قُصير عمرا، وحَمَّام الصرخ، وحَمَّام قصر الحير الغربى، وحَمَّام قصر الحير الشرقى، وحَمَّام قصر جبل سيس، ثم حَمَّامات العصر العباسى، وأهمها حَمَّام قصر الأخيضر فى جنوب العراق، كما عُرف هذا التخطيط أيضًا فى مِصْر، ولعل أهمها الحَمَّام الفاطمى المعروف باسم حَمَّام أبى السعود الجارحى فى مِصْرَ القديمة.

١١. أثبتت الدراسة أن التخطيط المعمارى للحَمَّام كوحدة معمارية متكاملة فى القلاع الأيوبية عامة، وقَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه فى سَيْنَاء بطرازه هذا، كان استمراراً للحَمَّامات الإسلامية المُبكرة التى كانت معروفة خلال الفترة الراشدية والأُموية والعباسية، خاصة تلك التى كانت مُلحقة بالقصور والدور السكنية الكبيرة. وقد نجح المعمار الأيوبى فى تصغير وحدات الحَمَّام المعمارية وإدماجها فى تخطيط القلاع دون مشاكل معمارية، حتى لقد أضحت من أهم مُلحقات قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه الأيوبيتين فى سَيْنَاء، كما أثبتت الدراسة أن هناك قلاعًا مُعاصرة فى بلاد الشام كانت ولا تزال تحتفظ بحَمَّاماتها التى شُيدت فيها، سواء منذ نشأتها فى بعض القلاع، أو تم تشييدها فيما بعد تحريرها من أيدى الفرنج.

١٢. كما أكدت الدراسة على التزام المعمار الذى صمم وشيد هذين الحَمَّامين بالوحدات والأقسام الرئيسة فى الحَمَّامات العامة، وذلك حتى تُتيح للمستحم أن ينتقل تدريجياً من الجو الخارجى العادى إلى الجو البارد المناظر لدرجة الحرارة خارج الحَمَّام، فالجو الدافئ، فالحار، والعكس.. مما يؤثر على صحة مُستخدم هذه الحَمَّامات بالسلب، ولكى لا يُصاب بأذى.



١٣. وضحتُ فى هذه الدراسة عدة استفسارات هامة تتعلق بحَمامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه، لعل أهمها: مصادر إمداد الحَمَّامَيْن بالمياه، والمنشآت المائية فى كل منهما، وكذلك الوقود المستخدم فى الأفران وكيفية جلبه إليهما، والفئات التى تستفيد من الاغتسال بهما، وعدد الأفراد الذين يُمكن أن يستفيدوا من الحَمَّام فى المرة الواحدة، وتقنية تدفئة وتسخين المياه، وكيفية صرف مياه الحَمَّام المستعملة، وأدخنة المستوقد ومخلفاته.

ثانيًا: التوصيات

١. اعتبار حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى' فى سَيْنَاء، من الآثار النادرة التى يجب الحفاظ عليها خوفاً عليها من الاندثار، كما حدث للعديد من الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية والكتابية فى قلاع وآثار سَيْنَاء، ويتطلب هذا وضع استراتيجية مبرمجة واضحة المعالم للحفاظ على آثار سَيْنَاء عامة، وقلاعها خاصة، التى هى أبرزها على الإطلاق.

٢. ضرورة إبراز الدور الحضارى الإنسانى لحَمَّامات القلاع، خاصةً حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى' فى سَيْنَاء كدليل على رُقى الحضارة الإسلامية فى الاهتمام غير المسبوق بالفرد والجماعة فى أماكن كانت تُعتبر برية ومنفية مقارنةً بالمُدن وقلاعها.

٣. ضرورة وضع مسقط أفقى وقطاع رأسى على لوحة تذكارية معدة إعداداً جيداً شكلاً ومضموناً بالقرب من الحَمَّام فى قَلْعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى بجزيرة فرعون'، موضح عليها أقسام الحَمَّام المختلفة، وملحقاته، وكيفية عمله، والفئات المستفيدة منه، وغيرها من مظاهر حضارية كان يُؤديها الحَمَّام، وذلك من أجل إبرازه كوحدة معمارية هامة ورئيسة فى عمارة القلاع الإسلامية عامة، وقلاع سَيْنَاء خاصة، ومن أجل جعل الآثار تتحدث عن نفسها.

٤. ضرورة إعادة ترميم الحَمَّام فى قَلْعة جزيرة أَيْلَه ترميماً معماريًا بشكل علمى وسليم، وإعادة تأهيله باعتباره من المُلحقات الرئيسة فى القلاع الإسلامية، خاصةً أن جُلَّ عناصره وأقسامه أصلية من عصر الإنشاء، مع الأخذ فى الاعتبار الاستفادة من حَمَّام قَلْعة صَدْر التى لا تزال عمارتها وأقسامها المختلفة فى حالة أصلية وجيدة من الحفظ خاصة الغرفة الدافئة والساخنة فيجب عمل مضاوى فيها تغلق بزجاج ملون، فلم تكن خلو منها كما هو الوضع الحالى لخطأ جسيم فى الترميم المعمارى. وكاتبه على استعداد لعمل هذا المشروع ووضع التصور المناسب لإعادة ترميم الحَمَّام فى قَلْعة جزيرة أَيْلَه ترميماً معماريًّا سليماً.

٥. ضرورة تفصيل وتركيب باب مقوى يغلق بقفل قوى لحَمَّام قَلْعة صَدْر 'الجندى' خوفًا عليه من عبث الزوار والمترددين على القَلْعة، نظراً لتنظيفه من قِبَل البعثة الفرنسية، وتوقف أعمال هذه البعثة فى القَلْعة، مما قد يؤثر على سلامة الحَمَّام من تطفل الزائرين، وهو واضح جلى للعيان فى عدة مواضع من القَلْعة.

٦. ضرورة تنظيف أقبية تسخين ومستوقد حَمَّام جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى' حتى يمكن إظهار وإبراز تقنية عملية تدفئة غرف الحَمَّام وأرضياته، وهى عملية جد خطيرة فى عمارة حَمَّامى قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى' فى سَيْنَاء.

٧. ضم قَلْعتى صَدْر وجزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين الأيوبى' فى سَيْنَاء بما تشتمل عليه من ملحقات رئيسة، ومنها الحَمَّامان - إلى قائمة التراث العالمى، وتنميتهما من الناحية الآثارية لتكونا - خاصةً قلعة صَدْر - مزارًا سياحيًّا عالميًّا. ■





الحواشى

* ألقى هذا البحث فى المؤتمر الدولى الذى انعقد فى مكتبة الإسكندرية خلال الفترة من ١ - ٤ ديسمبر عام ٢٠٠٦م، وموضوعه:'أصل الحمامات وكيف أصبحت حَمَّامات عامة فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط'، ويشكر الباحث كل من قدم له يد العون والمساعدة فى هذا البحث، وأخص بالشكر والعرفان السيد المهندس محمد أبا العمايم، والأخ الصديق الأستاذ سالم سليمان سالمان رحمه الله، وأهدى روحه الطاهرة هذا البحث عرفانًا وتقديرًا وتذكارًا، والأستاذ الدكتور ميشيل توشيرير 'M. Tuchscherer' على جل المساعدات العلمية، كما أشكر الدكتورة بوساك 'M. F. Boussac' رئيس المؤتمر، والدكتور بنجامين ميشوديل 'B. Michaudel' من المعهد الفرنسى للشرق الأدنى بدمشق، كما أشكر الأستاذ الفاضل عبد الحفيظ دياب مدير عام آثار جنوب سيناء السابق على كل التيسيرات التى أتاحها أثناء الدراسة الميدانية، وكذلك الأستاذ محمد عمران مدير عام آثار خليج السويس. وينوه الباحث إلى أن الخرائط والأشكال الملحقة بالبحث تم الإشارة إلى مصادرها عند ذكر كل منها، وأما التى لم تذكر فهى من مجموعة الباحث الخاصة وتُنشر بحثيًا لأول مرة، وأن الصور التى لم يكتب عليها اسم المصور فهى من تصوير الباحث ومجموعته الخاصة.

** المجلس الأعلى للآثار - مصر.

١ الحمامات: جمع، ومفردها حَمَّام، والحَمَّام - مشددًا - واحد الحمامات المبنية، قال ابن برى: وقد جاء الحَمَّام مؤنثًا فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حَمَّاما، وهو قوله: فإذا دخلت سمعت فيها رجةً، لغط المعاول فى بيوت هداد. قال ابن سيده: والحَمَّام الديماس، مشتق من الحميم، مذكر تذكره الغرب، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال نحو القذاف والجبان، والجمع حَمَّامات؛ قال سيبويه: جمعوه بالألف والتاء وإن كان مذكرًا حين لم يكسر، جعلوا ذلك عوضًا من التكسير. للمزيد انظر: ابن منظور المصرى، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق مجموعة من العلماء، مج٢ (القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ٦٠٩؛ المنجد فى اللغة العربية المعاصرة، ط١ (بيروت، ٢٠٠٠)، ٣٣٤.

٢ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد الزغبى (بيروت، د. ت)، ٤١٢، ٤١٣؛ عبد العال عبد المنعم الشامى، جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، مج٩، ع١ (الكويت، أبريل - يونيو ١٩٧٨)، ١٣٦.

٣ فضلت خلال هذا البحث ذكر اسم هاتين القلعتين بالاسم الذى ورد به فى إحدى الوثائق المعاصرة لازدهارهما، إذ وردتا باسم:'القَلْعتين المحروستين بأَيْلَه وصَدْر'، وكذلك فى المصادر المعاصرة، وجعلتهما كذلك باسم صلاح الدين الأيوبى لشهرته العالمية، وتخليدًا لأعماله العظيمة باهتمامه بتحصين وسط سيناء، وهو أول من لفت الانتباه لأهميتها الاستراتيجية لأول مرة فى التاريخ. عن الوثيقة انظر:

S. Heidemann, Ch. Müller et Y. Ràğib, 'Un décret d'al-Malik al-Ādil en 571/ 1176 Relatif aux Moines du Mont Sinaï', *AnIsl* 31 (1997), 81-107.

٤ سامى صالح عبد المالك، مساجد سَيْنَاء عبر العصور 'تاريخها وآثارها'، قيد النشر؛ مساجد الحصون والقلاع فى سيناء 'دراسة آثارية - معمارية مقارنة'، قيد النشر.

S. Ş. Abd al-Mālik, 'Les mosquées du Sinaï au Moyen Âge', in D. Valbelle et Ch. Bonnet (eds), *Le Sinaï durant l'antiquité et le moyen age- 4000 ans d'histoire pour un désert* (Paris, 1998), 171-176, figs 130-140.

٥ سامى صالح عبد المالك، أبراج حَمَام الزاجل فى القلاع الإسلامية 'دراسة آثارية - معمارية مقارنة'، قيد النشر؛ برج حَمَام الزاجل فى قلعة جزيرة أيلة 'صلاح الدين بجزيرة فرعون' فى سيناء 'دراسة آثارية - معمارية مقارنة'، قيد النشر.

٦ تل الشيخ والشيخ زويد: تل الشيخ، ربما كان اسمه القديم بيتليون، وهو اسم يونانى، يعنى فى اللغة العربية: زهرة المباهج، وقد ازدهر فى الفترة من القرن الرابع إلى السابع الميلادى، وهو يقع شمال غرب الشيخ زويد الحالية على مسافة ٣-٥كم، وفى جنوب ساحل البحر على مسافة كيلو متر واحد، وجنوب رفح على مسافة ١٨كم، أما الشيخ زويد الحالية فكانت تسمى فى العصور الوسطى باسم الزعقة، وهى تقع على بُعد ٣٠كم إلى الشمال الشرقى من مدينة العريش، وعلى بعد ١٥كم إلى الجنوب الغربى من مدينة رفح، وكانت عبارة عن منزل صغير على الدرب السلطانى وطريق التجارة بين مصر وبلاد الشام، فكانت فيها بئر وقبة لشيخ صالح مدفون هناك، كان عليه نقش كتابى، إلا أنه غير موجود الآن، وقد قرأه نعوم شقير، وشاهده ونسخه جان كليدا فى بداية القرن الماضى. وتشتمل الشيخ زويد على العديد من التلال الآثارية، انظر: نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها (أثينا، ١٩٨٥)، ١٧٢-١٧٤، ١٨٨؛ سامى صالح عبد المالك، طريق هروب العائلة المقدسة لمصر عبر سيناء: دراسة تاريخية-آثارية، مجلة أسبوع القبطيات، ع٧ (القاهرة، ١٩٩٨)، ٥٩-٦٠.

G. Schumacher, 'Researches in southern Palestine', *PEQ* 17 (1886), 186-188; J. Clédat, 'Fouilles à Cheikh Zouede (Janvier-Fevrier 1913)', *ASAE* 15 (1915), 15-48, figs 1-22, pls 1-9; Ch. Picard, 'Note sur les timbres amphoriques rhodiens trouvés à Cheikh Zouède, dans le Sahel', *BCH* 40 (1916), 357-358; F. M. Abel, 'Les confins de la Palestine et de l'Égypte sous les Ptolémées', *Revue Biblique* 48 (1939), 539-540; Y. Tsafrir et al., *Tabula imperii romani, Iudaea, palaestina* (Jerusalem, 1994), 91; D. Valbelle et F. Le Saout, 'Les archives Clédat sur le Nord-Sinaï', *CRIPEL* 20 (1999), 76; H. Verreth, *The northern Sinai from the 7th century Hill the 7th century AD. A guide to the sources* (Leuven, 2006), I, 222-224, 236-245; II, 929.

٧ تل الأحيمر: يقع شمال مدينة الشيخ زويد بمسافة ٥,٤كم، وجنوب شرق رفح بمسافة ١٠كم، وذلك على ساحل البحر المتوسط، والتل ارتفاعه حوالى ٥,٤م، وقطره ١٥م، وقد أجريت فيه حفائر أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء، حيث تم الكشف فى سنة ١٩٧٦م عن قلعة مربعة مزودة بأربعة أبراج فى الأركان، ولها صحن أوسط مربع كشف سماوى محاط بغرف خدمية، والقلعة مبنية بالطوب اللبن، وتُؤرخ بالعصر الفارسى، وبها بقايا آثار مبنية بالآجر وفخار وخزف ترجع إلى العصور اليونانية - الرومانية والبيزنطية، وكذلك فخار وخزف من العصر الإسلامى يرجع إلى القرون من الثانى - الرابع الهجرى/ الثامن - العاشر الميلادى، انظر:

Schumacher, *PEQ* 17, 188-189; K. Cytryn-Silverman, *The Islamic in North Sinai 'The Pottery Evidence'*, Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Degree of Master of Arts, IA., The Hebrew Un. (Jerusalem, 1996), 19-22, maps 32-34; Verreth, *The northern Sinai*, I, 221-222.

٨ المحمدية: اسمها القديم جارا، وتقع عند نهاية بحيرة البردويل الغربية وغرب القلس بمسافة ٤٠كم، وإلى الشمال الغربى من

قَطْيًا بمسافة ١٥كم، وإلى الشرق من الفرما بمسافة ١٥كم، ونظرًا لقربها من البحر فقد التهم البحر قسمًا منها، فأظهر قسمًا من حصنها، وقد أجريت بها حفائر فى القسم الجنوبى الشرقى منها، حيث تم الكشف عن أسوار حصنها، ووُجدت داخلها جدران من الطوب اللبن والحجر الرسوبى البحرى والجيرى والآجر، وتشتمل على دير أو كنائس اكتُشف منها قسم أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء، وأجريت فى قسم منها حفائر آثارية سنة ١٩٩٤م، حيث تم الكشف عن بعض الآثار النبطية، وكانت تشتمل على قلعة أو خان محصن على طريق التجارة الساحلى بين مصر وبلاد الشام من العصر الإسلامى فى القرون من الثانى إلى الرابع الهجريين/ الثامن والعاشر الميلاديين، كما تم العثور على مقبرة إسلامية بالقرب من الموقع ترجع إلى العصر المملوكى، وحمامها يشغل مساحة مقدارها ٢٠ × ٢٠م، انظر: نعوم شقير، تاريخ سيناء، ١٨١؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى (القاهرة، ١٩٧٧)، ٧٧؛ سامى صالح عبد المالك، طريق هروب العائلة المقدسة، ٦٧-٦٨.

Clédat, 'Séance du 24 septembre [1909] Recherches et fouilles au Mont Casios et au lac Sirbonis', *CRAIBL* (1909), 771-773; 'Le temple de Zeus Cassios à Péluse', *ASAE* 13/1 (1914), 85, n. 1; Clédat, 'Notes sur l'Isthme de Suez. VIII. Les canaux. IX. Le canal de Zarou. X. Les routes. XI. Aphnaion', *BIFAO* 17 (1920), 119; Abel, *Revue Biblique* 49, 539-540; E. D. Oren, 'Northern Sinai', in Stern, Ephraim et al. (eds), *The new encyclopedia of archaeological excavations in the Holy Land*. II-IV (Jerusalem, 1993), 1396; P. Figueras, 'From Gaza to Pelusium. Materials for the historical geography of North Sinai and Southwestern Palestine (332 BCE-640 CE)', *Beer-Sheva. Studies by the Department of Bible and Ancient Near East* 14 (Beer-Sheva, 2000), 192, fig. 22; J. Y. Carrez-Maratray, 'L'occupation romaine tardive à Tell el-Herr (250-400 apr. J.-C.)- L'occupation militaire de la région - La vie civile - Documents. La stèle - Les monnaies', in Valbelle et al. (eds), *Le camp romain du Bas-Empire à Tell el-Herr* (Paris, 2000), 17; Cytryn-Silverman, 'The Settlement in Northern Sinai during the Islamic Period', in J.-M. Mouton (éd.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, *Cahiers de Annales islamologiques* 21 (Le Caire, 2001), 20-21; Verreth, *The northern Sinai*, I, 580-585; II, 1018.

٩ M. Abd el-Maksoud, 'Preliminary Report on the Excavations at Tell el-Farama (Pelusium) First Two Seasons (1983-84 and 1984-85)', *ASAE* 70 (1984-85), 3-8; Abd al-Maksoud et G. Wagner, 'L'inscription grecque du grand bain romain de Péluse', *CRIPEL* 11 (1989), 135-138; J. Y. Carrez-Maratray, *Péluse et l'angle oriental du delta égyptien aux époques grecque, romaine, et byzantine* (Le Caire, 1999).

١٠ تل اللولى: يقع إلى الغرب من حصن الفرما العباسى على مسافة ١١كم، وإلى الشرق من قناة السويس على مسافة ١١كم، وإلى الجنوب الغربى من تل مسلم بمسافة ٥,١كم، ويرتفع من ٦: ٧م عن مستوى الأرض المنبسطة المجاورة له، ويعتقد أنه كان على الشاطئ الشرقى لفرع النيل البيلوزى الذى كان يمر فى المنطقة. وفى سنة ١٩٩٢م أجريت حفائر آثارية، حيث تم اكتشاف قلعة صغيرة وأسوار وحمام وصهريج مقبى فى التل، كلها مبنية بالآجر والحجر الجيرى، والحمام مكسو بطبقة من الجص الأبيض تعلوها رسوم على الفريسكو، وهو يؤرخ بالقرن الثالث الميلادى، أى من العصر الرومانى المتأخر، والآثار المكتشفة فيه ترجع إلى العصرين الرومانى والبيزنطى والإسلامى، والقلعة أو البرج تحديدًا ترجع للعصور الوسطى، من العصر المملوكى، فربما يكون إذا أحد الأبراج التى شيدها السلطان المملوكى الأشرف برسباى. عن هذا التل والحمام انظر:

N. Grimal (ed.), *BIA* 4, *Juillet-Décembre 1991* (Le Caire), 52; F. Haikal, 'Recent excavations in North Sinai', in Bonacasa, Nicola-Naro, Cristina et al. (eds), *Alessandria e il mondo ellenistico-romano. I centenario del Museo grecoromano. Atti del II Congresso internazionale italo-egiziano, Alessandria, 23-27 Novembre 1992* (Roma, 1995), 187; Oren, in E. Stern, et al. (eds), *The new encyclopedia of archaeological excavations in the Holy Land*. II-IV, 1396; G. Höber-Kamel, *Bad aus dem 3. Jahrhundert entdeckt, Kemet 5-3* (1996), 70-71; J. Leclant et C. Gisèle, 'Fouilles et travaux en Égypte et au Soudan, 1995-1996', *Orientalia* 66 (1997), 241; R. S. Bagnall, 'Archaeological work on Hellenistic and Roman Egypt, 1995-2000', *AJA* 105 (2001), 232; Verreth, *The northern Sinai*, I, 108, 880-881.

١١ تل الحير: يقع شمال غرب قرية جلبانة التابعة إداريًّا لمجلس مدينة القنطرة شرق فى محافظة الإسماعيلية، وجنوب شرق حصن الفرما بمسافة ١٠كم، وشمال شرق القنطرة شرق وتل أبى صيفى بمسافة ١٦-١٨كم، وجنوب شرق تل الكدوة، وقد تم اكتشاف ثلاث قلاع بها، كما اكتشف بها عدة حمامات، منها حَمَّام فيها مساحته ٢٥×٥٠,١٨م، انظر:

Leclant et Gisèle, *Orientalia* 56 (1987), 249; Abd el-Maksoud, 'Fouilles récentes au Nord-Sinaï, sur le site de Tell el-Herr. Première saison: 1984-1985', *CRIPEL* 8 (1986), 15-16, pl. 1a; *Le bain ptolémaïque de Tell el-Herr, Lille* (1986) (non vidi); Abd al-Maksoud et Wagner, *CRIPEL*, 135, n. 3; Valbelle, 'Entre l'Égypte et la Palestine, Tell el-Herr', *BSFE* 109 (1987), 27-28; 'Recherches archéologiques récentes dans le Nord-Sinaï', *CRAI* (1989), 601; 'Les niveaux hellénistiques de Tell el-Herr', *BSFE* 132 (1995), 33-39; 'Les garnisons de Migdol (Tell el-Herr) de l'époque achéménide au Bas-Empire: état de question en 1998', *CRAI* (1998), 811; 'Tell el-Herr', in Bard, Kathryn A. Shubert, Steven Blake (eds), *Encyclopedia of the archaeology of ancient Egypt* (London-New York, 1999), 784-786; É. Louis et Valbelle, 'Les trois dernières forteresses de Tell el- Herr', *CRIPEL* 10 (1988), 65; Louis et B. Gratien, 'Tell el-Herr. Premières observations sur l'agglomération antique', *CRIPEL* 12 (1990), 71-72; Haikal, in Bonacasa, Nicola-Naro, Cristina et al. (eds), *Alessandria e il mondo ellenistico-romano. I centenario del Museo grecoromano*, 187; M. C. Boyrivent, S. Desplancques, N. Favry et al., 'Tell el-Herr 1995-1997. Agglomération et nécropoles', *CRIPEL* 19 (1998), 62; Verreth, *The northern Sinai*, I, 771; II, 1108.

١٢ سامى صالح عبد المالك، طريق هروب العائلة المقدسة، ٦١-٦٥.

Clédat, 'Fouilles à Khirbet el-Flousiyeh (Janvier-Mars 1914)', *ASAE* 16 (1916), 21-32; Verreth, *The northern Sinai*, I, 350-412; II, 961-980.

١٣ سامى صالح عبد المالك، طريق هروب العائلة المقدسة، ٥٨-٧٠.

Verreth, *The northern Sinai*, I, 413-588; II, 981-1020.

١٤ هناك فرق بين أيله البر وهى العقبة الحالية، وأيله البحر وهى جزيرة فرعون حاليًا، وقد قام ويت كومب بعمل حفائر فى مكان مدينة أيْله التى فى البر استطاع بها الكشف عن المسجد الجامع والحصن، وأن القَلْعة الحالية بُنيت أولاً برجًا فى عهد الظاهر بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارىّ، ثم بُنيت خانًا فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم بُنيت قلعة فى عهد السلطان الأشرف قانصوه الغَورى عند تعميره لدرب الحاجّ المصرى على يد الأمير خاير بك العلائى سنة ٩١٥هـ/ ١٥١٠م، وهى القَلْعة الباقية إلى الآن. انظر: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الجزيرى، الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة، د. ت)، ٥٠٠، تحقيق حمد الجاسر (الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ١٣٣٦-١٣٣٨، ١٣٤٤، ١٣٤٨؛ نعوم شقير، تاريخ سينا، ١٩٣-٢٠٠؛ عبد الرحمن زكى، العقبة، مجلة الكتاب، س٤، مج٧، ج٢ (القاهرة، ربيع الثانى ١٣٦٨هـ/ فبراير ١٩٤٩م)، ٢٠٩؛ يوسف درويش غوانمة، التاريخ الحضارى لشرقى الأردُن فى العصر المملوكى، ط٢ (عَمان، ١٩٨٢)، ٢٣٢-٢٣٧؛ أيْلَه 'العقبة' والبحر الأحمر وأهميتها الإستراتيجية، ط١ (إربد، ١٩٨٤)، ١٢٩-١٣٣؛ رامى جورج خورى ودونالد ويتكومب، العَقَبَة: دليل المدينة الأثرى (عَمان، ١٩٨٨)؛ على بن إبراهيم بن على حامد غبان، نقشان من شبه جزيرة سَيْنَاء يؤرخان لعمارة السلطان المملوكى قانصوه الغَورى لطريق الحاج المصرى والأماكن المقدسة فى الحجاز، ط١ (الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ٨٦-٨٩؛ تألق الأمويين فى قرطبة، معرض فى مدينة الزهراء، قرطبة، من مايو إلى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١م، ٦٥؛ سوسن الفاخرى، أيلة، مجلة آثار، ع٢ (عمان، أيلول ١٩٩٨)، ٥٤-٥٥؛ تاريخ قلعة العقبة فى ضوء الحفريات الجديدة، مجلة آثار، ع٤ (عمان، ٢٠٠١)، ٣٩-٤٠؛ عبد الله المنزلاوى ياسين، التاريخ الثقافى فى العقبة، ط١ (العقبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ١٢١-١٣٢؛ سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بسيناء من العصر الأيوبى 'دراسة آثارية - معمارية'، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٢٠٠٢)، ٢١٢-٣٤٦؛ درب الحاجّ المصْرى: همزة وصل غرب العالم الإسلامى ببلاد الحَرَمين الشريفين 'دراسة تاريخية - آثارية'، مج٩، ج٣، جامعة أم القرى (مكة المكرمة، ٢٠٠٦)، ٣٠٦-٣٣٥، ش٢٢-٢٤، اللوحات ٥٧-٥٩.

R. Khouri and D. Whitcomb, *'Aqaba' Port of Palestine on the China Sea* (Amman, 1988); Whitcomb, *Evidence of the Umayyad period from the Aqaba Excavations*, in *The Fourth International Conference in the History of Bilad al-Shām during the Umayyad period*, II (Amman, 1989), 164-184; 'Dioceltian's misr at 'Aqaba', *ZDPV* 106 (1990), 156-161; 'Exacavations in the site of Medieval 'Aqaba'', in *Documents L'Islam Médiéval: Nouvelles Perpectives de Recherche, IFAO* (Le Caire, 1991), 123-130; 'The Mişr of Ayla: Settlement at al-'Aqaba' in the Early Islamic Period', in G. R. D. King et A. Cameron (eds), *The Byzantine and early Islamic Near East*, II. *Land Use and Settlement Patterns, Studies in Late Antiquity and Early Islam* 1 (Princeton, 1994), 155-170; 'Amsar in Syria? Syrian cities after the conquest', *ARAM* 6 (1994), 13-33; ''Ayla' Art and Industry in the Islamic Port of Aqaba' (Chicago, 1994), 3-30; 'The Mişr of Ayla: New Evidence for the Early Islamic City', *SHAJ* 5 (Amman, 1995), 277-288; 'A Street and the Beach at Ayla: The Fall Season of Excavations at 'Aqaba 1992', *ADAJ* 39 (1995), 499-507; 'The Town and Name of Aqaba, An Inquiry into the Settlement History from Archaeological Perspective', *SHAJ* 6 (Amman, 1997), 359-363; 'Out of Arabia, Early Islamic Aqaba in its regional context', in R. Gayraud (éd.) (Le Caire, 1998), 403-418; R. Al-Shqour, 'From Roman Fortress to Islamic Khan in Jordan 'An Archaeological Look at structural Continuity in Defence Systems', *Faculteit Letteren, Katholieke Universiteit* (Leuven 2005-2006), I, 96-111; II, figs 64-123; D. Pringle, 'The Castles of Ayla (al-Aqaba) in the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods', in V. Urbain, Van Steenbergen Jo (eds), *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras, Orientalia Lovaniensia Analecta*, 4 (Leuven, 2006), 335-355.

١٥ قَطْيَا: قام الباحث برئاسة بعثة للحفائر والترميم فى قَطْيَا فى الفترة من شهر ديسمبر ٢٠٠١م إلى فبراير ٢٠٠٢م، وكان من أهم نتائجها إعادة اكتشاف الجامع وتأريخه وتحديد شكل عمارة قبلته، فهو من عمارة السلطان المملوكى الظاهر بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارىّ، ومحرابه يبرز عن جدار القبلة على هيئة نصف دائرة ممتدة، كما أسفرت الحفائر بقَطْيَا عن تحقيق موضع السوق، وبيت الوالى، والمبرجة، وبعض المساكن، ويُوجد بها أيضاً بقايا قبتين ومقبرة أثرية. للمزيد عن المعلومات المصدرية والمنشآت الآثارية، يُنظر فيما بعد: سامى صالح عبد المالك، قَلْعة نَخْل على درب الحاجّ المصْرى فى سَيْنَاء 'دراسة آثارية معمارية جديدة فى ضوء الحفائر الآثارية'، مشكاة، الحولية المصرية للآثار الإسلامية، مج١ (القاهرة، ٢٠٠٦)، ١٤٥، ١٦٦، الحاشية (٧)؛ حصن الفَرَمَا العباسى فى سَيْنَاء 'دراسة تاريخية - آثارية معمارية جديدة'، مشكاة، المجلة المصرية للآثار الإسلامية، مج٢ (القاهرة، ٢٠٠٧)، ١٠٩، ١٢٧، اللوحتان (٣٧ أ، ب)؛ قَطْيَا مركز مكوس بوابة مصْر الشرقية فى سَيْنَاء 'دراسة فى التاريخ والآثار على ضوء الحفَائر الآثارية'، قيد النشر.

Abd al-Mālik, in Valbelle et Bonnet (eds), *Le Sinaï durant l'antiquité et le moyen age- 4000 ans d'histoire pour un désert* (Paris, 1998), 171.

١٦ نظرًا لأهمية كتاب منازل الحجاز لمؤلفه ابن العطار فيما يتعلق بالأبردة بين القاهرة وبيت المقدس، فالباحث عاقد العزم على القيام بدراسة حضارية - آثارية لتحقيق منازله ومناهله والأبردة، وانظر: ابن العطار، مُحبّ الدين محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد البكرى الوفائى، منازل الحج، مُتحف لاله لى (إستانبول)، رقم ٣٤٨٦/ ٢؛ سامى صالح عبد المالك، الطريق بين القاهرة والقدس الشريف على ضوء أبردة ابن العطار المتوفى حوالى سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م 'دراسة تاريخية - آثارية لتحقيق منازله ومناهله'، قيد النشر.

١٧ مَكْسُ: مفرد، وجمعها المَكُوس، وهى ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة الموجودة فى الموانئ، وفى بعض المناهل على الدروب البرية، وهى تساوى كلمة جمرك من الإيطالية Commercio، وصاحبها يسمى الماكس، وقد ألغيت مكوس قطيا فى بعض الفترات، منها زمن السلطان الأشرف قايتباى، انظر: السخاوى، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان، البُلدانيات، تحقيق حسام محمد القطان، ط١ (الرياض، ٢٠٠١)، ٢٤٤؛ عبد المنعم ماجد، نُظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مِصْر، ج١ (القاهرة، ١٩٦٤)، ٧٣-٧٤؛ محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة، ١٩٨٣)، ٣٢٥؛ أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، ط١ (القاهرة،

١٩٧٩م)، ٧٠، ١٨٠-١٨١؛ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢ (القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م)، ٩١٩؛ محمد بن فهد عبد الله الفعر، الكتابات والنقوش فى الحجاز فى العصرين المملوكى والعثمانى من القرن الثامن حتى القرن الثانى عشر الهجرى (١٤-١٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٥١-٥٩.

١٨ ابن العطار، منازل الحج، اللوحة ١٨ظ.

١٩ الوَرَّادَة: أجريت بها حفائر منذ عام ١٩٨٩م، حيث تم الكشف عن مبنى لم يستطع مكتشفوه تحديد هويته وتاريخه، ولكنى استطعتُ بعون وتوفيق من الله تحديد هويته وتاريخه، حيث إنه خَان به مسجد من العصر المملوكى، وجارٍ نشره علميًّا، وقد حصلت على موافقة اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية المنعقدة فى ٢٥/ ١/ ٢٠٠٤م على التصوير الفوتوغرافى والدراسة والنشر العلمى للخان وما حوله، وما تم الكشف عنه من منقولات تم تخزينها فى المخازن المتحفية، سواء فى مخزن المتحف القومى فى بورسعيد، أو المخزن المتحفى فى تل البندارية بوسط الدلتا - المنوفية. انظر: سامى صالح عبد المالك، طريق هروب العائلة المقدسة، ٦١-٦٢؛ تأريخ الآثار الإسلامية فى شبه جزيرة سيناء، بحث ألقى بندوة سيناء عبر العصور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٨- ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م؛ خَان الوَرَّادَة 'الخوينات' فى شمال سَيْنَاء 'دراسة تاريخية - آثارية على ضوء الحفائر الآثارية'، قيد النشر.

Abd al-Mālik, in Valbelle et Bonnet (eds), *Le Sinaï durant l'antiquité et le moyen age- 4000 ans d'histoire pour un désert*, 173, 176; Cytryn-Silverman, 'The Islamic in North Sinai', 14-16, in Mouton (éd.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, 22-24; Verreth, *The northern Sinai*, I, 380, 384.

٢٠ ورد فى طبعة فستنفلد لكتاب معجم البلدان لياقوت الحموى ذكر كلمة: 'حَمَّامات' فى الوَرَّادَة بدلاً من 'فنادق' التى وردت فى الطبعات الأخرى، ومنها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، انظر: ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومى البغدادى، مُعجم البلدان، نشر فرديناند فستنفلد، جوتنجين، ١٨٦٩م، ج٤، ٩١٧، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى (بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)؛ ج٥، ٤٢٥؛ محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصْرية من عهد قدماء المصْريين إلى سنة ١٩٤٥م، ٢ق، دار الكتب المصْرية، ١٣٨٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٣-١٩٥٤م (القاهرة، ١٩٩٤)، ق١، ١٢٤-١٢٥؛ الشامى، مُدن مصر وقراها عند ياقوت، ط١ (الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١٨.

Verreth, *The northern Sinai*, I, 380, 384.

٢١ ياقوت الحموى، مُعجم البلدان، ج٢، ٩٠؛ ج٤، ٩١٧.

٢٢ ياقوت الحموى، مُعجم البلدان، ج٥، ٤٢٥.

٢٣ سامى صالح عبد المالك، خَان الوَرَّادَة 'الخوينات' فى شمال سَيْنَاء 'دراسة تاريخية - آثارية على ضوء الحفائر الآثارية'، قيد النشر.

٢٤ راية: كانت تعرف خلال العصر البيزنطى باسم ريثوا 'Rhaithou'. وكانت تشتمل قديماً على دير من بناء يوستينيانوس ملك القسطنطينية به أكثر من كنيسة، ربما يكون دير الوادى، وكانت ساحل جزيرة العرب وميناء بحريا خلال العصور الوسطى، وهى من كور مصر البحرية أو ما يعرف بأسفل الأرض، وقد تم اكتشاف حصنها وجامعها، والعديد من المنقولات، لعل أهمها مجموعة الخزف ذى البريق المعدنى، انظر: سامى صالح عبد المالك، راية والطور فى سَيْنَاء: حصنها وقلعتها فى العصر الإسلامى 'دراسة تاريخية وثائقية آثارية'؛ الخزف ذو البريق المعدنى المكتشف فى مرسى راية فى جنوب سيناء 'دراسة آثارية - فنية '، كلاهما قيد النشر.

٢٥ تمت الموافقة لى من اللجنة الدائمة للآثار الإسلامية والقبطية بجلستها المنعقدة فى ٧/ ٢/ ٢٠٠٨م على الدراسة والتصوير والنشر العلمى، وبهذه المناسبة أشكر كل من قدم لى يد العون والمساعدة، واسدى الشكر الخاص للأستاذ الدكتور زاهى حواس - أمين عام المجلس الأعلى للآثار واللجنة الدائمة - للموافقة لى على الدراسة والتصوير والنشر العلمى على الرغم من أن منطقة آثار جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية رفضت التصوير بناءً على الطلب المقدم منى عند أخذ رأى المنطقة، كما أشكر الزميل الفاضل الأستاذ خالد عليان مدير آثار جنوب سيناء على كل المساعدات، والأستاذ جمال القصاص مدير منطقة البندارية والمخزن المتحفى فيها، والأستاذ أحمد الطيب، والأستاذ خالد الفخرانى، مفتشى الآثار، وجميع العاملين فى المخزن.

٢٦ منذ أن عملتُ فى حقل الآثار - خاصةً فى سيناء - وضعتُ لنفسى عدة برامج عملية وعلمية لدراسة آثار سيناء، خاصةً البيزنطية والإسلامية، كالمدن والأديرة والكنائس والقلاع والخانات والجوامع والمساجد والمصليات والحمامات، فعكفتُ أولاً على دراسة قلاعها، ثم مساجدها، إذ قمت بمسح شامل للمصادر التاريخية المختلفة، ثم تبع ذلك القيام بالدراسة الحقلية الميدانية، حيث تم تحديد مواقع العديد منها فى كل سَيْنَاء بشقيها الشمالى والجنوبى.. كما قمت بحفائر آثارية، وتم اكتشاف بعضها، وكانت هذه المساجد موضوع بحثى فى المؤتمر الذى عُقد فى اليونسكو بباريس عام ١٩٩٧م عن تاريخ وآثار سَيْنَاء منذ أربعة آلاف سنة حتى العصور الوسطى. عن هذه المساجد انظر:

سامى صالح عبد المالك، درب الحاجّ المصْرى همزة وصل غرب العالم الإسلامى ببلاد الحَرَمين الشريفَين، مج٩، ج٣، ١٥٠-١٥٤، ٢٣٢، ٢٤٢-٢٤٣، ٢٥٣-٢٥٦، ٢٩١-٢٩٢؛ قَلْعة نَخْل على درب الحَاجّ المصْرى فى سَيْنَاء، ١٦١، ١٦٣-١٦٤؛ طرز عمارة المسجد فى شبه جزيرة سَيْنَاء، الندوة العلمية الخامسة لجمعية الآثاريين العرب (القاهرة، ٤-٦ أكتوبر ٢٠٠٣م)؛ درب الحاج المصرى فى سيناء 'دراسة تاريخية - آثارية معمارية'، فى أعمال ندوة طرق الحج: جسور للتواصل الحضارى بين الشعوب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) (الرباط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧)، ١-١٤٤ ومنشور على موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) *WWW.isesco.org.ma/arabe/pubications/Toroqalhajj* ؛ مساجد سَيْنَاء عبر العصور 'بين التاريخ والآثار'، قيد النشر.

Abd al-Mālik, in Valbelle et Bonnet (eds), *Le Sinaï durant l'antiquité et le moyen age- 4000 ans d'histoire pour un désert*, 171-176, figs 132-140; 'Une inscription du sultan mamelouk Kituğā découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, 51-58, figs 1-4; M. Kawatoko et Y. Shindo, 'Archaeological Survey of the Rāya/ al-Ṭur Area on the Sinai Peninsula, Egypt 2003', *Mishkah: EJIA* 1 (Cairo, 2006), 22, 26, pls 1, 4, 6, 7; Kawatoko, 'Archaeological Survey of the Rāya/ al-Ṭur Area in 2005 and 2006', *Mishkah: EJIA* 2 (Cairo, 2007), 28, 54, pl. 3, color pl. 1.

٢٧ عيون موسى: إحدى مناهل طريق صلاح الدين بوسط سَيْنَاء، وطريق سانت كاترين والطور، تشتمل على عيون مياه وأشجار ونخيل، وقد تم اكتشاف أفران لحرق الفخار والآجُر وحَمَّام بها، وفى أواخر العصر المملوكى تم بناء أحواض وقنوات بها لتجميع

المياه وإمداد السفن بها، وتتبع محافظة السُّوَيْس حاليًّا، وتبعد عن النفق بمسافة ٣٠ كم على الطريق الرئيس الواصل بين نفق الشهيد المهندس أحمد حمدى ومدينة الطور وشرم الشيخ وما سواها، انظر: مجلة عالم الآثار، ع ٢٨ (القاهرة، يونيه ١٩٨٦).

Mouton, Abd al-Mālik, O. Joubert et C. Piaton, 'La route de Saladin au sinaï (tariq Şadr wa Ayla), *AnIsl* 30 (1996), 56-57', figs 14, 15; P. Ballet, Un atelier de potiers aux 'Sources de Moïse' (Uyūn Mūsā), in Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, 37, 38, 44, 45, 46.

٢٨ J. Sauvaget, 'Un bain Damasquin du XIIIe Siècle', *Syria* 11 (Paris, 1930), 330-370, figs 1-7; M. Écochard et C. Le Cœur, *Les Bains de Damas 'monographies architecturales*, I (Beyrouth, 1942).

٢٩ Bonnet et al., 'L'église crucif tétraconque de Farama sud à Péluse (Égypte)', *L'archéologue, archéologie nouvelle* 73 (août-septembre 2004), 31-33; Bonnet et al., 'L'église tétraconque et les faubourgs romains de Farama à Péluse (Égypte-Nord Sinai)', *Genva* 54 (2006), 372, 377, figs 1, 2, 6.

٣٠ للمزيد عن حصن الفَرَمَا العباسى، انظر: سامى صالح عبدالمالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سَيْنَاء من العصر الأيوبى 'دراسة آثارية - معمارية'، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٢٠٠٢)، ٢-٥٣، الأشكال (٣-٩)، اللوحات (١-٢٥)؛ حصن الفَرَمَا العباسى فى سَيْنَاء، ١٠٩-١٨٩، الأشكال (١-١٠)، اللوحات (١-٤٥).

٣١ المستوقد: يُعرف باسم بيت النار، وهو عبارة عن فرن له جورة يتم فيها إشعال النار، يعلوها قدور من النحاس أو الفخار مملوءة بالماء الساخن الذى يندفع إلى داخل الحمام من خلال أنابيب من الفخار أو الرصاص أو الرخام أو الخشب مُغيبة فى الأرض أو داخل الجدران، وله ملحقات، منها: المخزن، وجورة للرماد وسواها. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج ١١، ع٢ (الكويت، إبريل - يونيه ١٩٨٠)، ١٢٠؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (القاهرة، ١٩٩٠)، ٣٧، ١٠٦؛ عاصم عبد الحليم رزق، مُعجم مُصطلحات العمارة والفنون الإسلامية (القاهرة، ٢٠٠٠)، ٨٦.

٣٢ هذا موجز وضعتُهُ فى عُجالة، وسأفرد بمشيئة الله لهذا الحَمَّام بحثًا خاصًّا به لأهميته فى تاريخ مدينة الفَرَمَا وحصنها، والبحث موسوم بالعنوان الآتى: حَمَّام الفَرَمَا العباسى فى سَيْنَاء 'دراسة آثارية - معمارية'، قيد النشر.

٣٣ نعوم شقير، تاريخ سينا، ٥٣٣، ٥٣٤-٥٣٥؛ رفعت الجوهرى، مشاهدات فى الصحراء الشرقية وسَيْنَاء (القاهرة، ١٩٣٧)، ٦٤-٦٥؛ عبد الرحمن زكى، قَلْعة صلاح الدين فى سَيْنَاء، مجلة الجيش المصْرى، مج٢، ع١ (القاهرة، ١٩٣٩)، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠؛ سَيْنَاء أرض المعارك (القاهرة، ١٩٥٧م)، ٧٥؛ قَلْعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١١٨، ١١٩، ١٢٠؛ الجيش المِصْرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المَنصورة (القاهرة، ١٩٧٠م)، ج١، ١٠٨-١١٣؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سَيْنَاء، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢؛ عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبى بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين (القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ١٦٨-١٦٩؛ سوسن سليمان يحيى، مُنشآت السيف والقلم فى الجهاد الإسلامى 'العمارة الأيوبية' (القاهرة، ١٩٩٤)، ٧٦، ٧٨.

H. Sadek, 'Salah el-Din's fort on Ras el-Gindi in Sinai', *BIE* 2 (Le Caire, 1922), 113, 115, 116; Wiet, 'Inscriptions de la Qal'ah Guindi', *Syria* 3 (Paris, 1922), 58-65, pls 9, 10; *Catalogue Général du Musée de l'Art Islamic du Caire 'Inscriptions historique sur Pierre'* (Le Caire, 1971), 51, 66-8115, pl. 10; *RCEA*, VIII (Le Caire, 1937), 119, nº 3374, 141-142 nº 3399, 157-158 nº 3421, 158-159 nº 3422; M. *Har-El, The Sinai*, 369-370; Mouton, 'Autour des inscriptions de la forteresse de Şadr (Qal'at al Guindi) au Sinaï', *AnIIsl* 28 (Le Caire, 1994), 29-57; Şadr 11; Abd al-Mālik et Mouton, 'Autour des inscriptions de la forteresse de Şadr addendum', *AnIIsl* 30 (Le Caire, 1996), 71-77.

٣٤ سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سَيْنَاء، ٥٦-٧٢.

Mouton, Abd al-Mālik et al., *La route de Saladin*, 41-70.

٣٥ نعوم شقير، تاريخ سينا، ٥٣٣؛ عبد الرحمن زكى، قَلْعة صلاح الدين فى سَيْنَاء، ١٠٥؛ سَيْنَاء أرض المعارك، ٧٦؛ قَلْعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة (القاهرة، ١٩٦٠)، ١١٧؛ الجيش المِصْرى فى العصر الإسلامى، ج١، ١٠٩؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سَيْنَاء فى العصور الوسطى، ١٤٧؛ خريطة وادى تيسار المالح، إدارة المساحة العسكرية، مقياس الرسم ١ : ٢٥,٠٠٠، سنة ١٩٨٥؛ سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سَيْنَاء، ٧٦-٧٨.

Sadek, *Salah el- Din's fort*, 112; N. Levallois, *Les déserts d' Egypte: Forteresse El-Gindi* (Paris, 1992), 52.

٣٦ Mouton et al., 'Qal'at al-Guindi', *BIFAO* 103 (2003), 584-594; Mouton et al., 'Qal'at al-Guindi', *BIFAO* 104 (2004), 679-685; Mouton et al., 'Qal'at al-Guindi', *BIFAO* 105 (2005), 485-498; Mouton, *Sadr, une forteresse de Saladin au Sinaï: Histoire et archéologie* (Le Caire, 2008).

٣٧ Sadek, *Salah El-Din's Fort*, pl. III.

٣٨ J. Barthoux, 'Description d'une forteresse de Saladin découverte au Sinaï', *Syria* 3 (1922), pl. VII.

٣٩ مَضَاوى ومَضَاو: جمع، ومفردها مَضْوَى، وهى فتحة صغيرة فى أعلى الجدار أو فى قباب وأقبية سقوف الحمامات، وكانت تسد ببلاطات من الحجر الشفاف أو قطع الزجاج الملون الشفاف بهدف إضفاء لمسة جمالية وإضاءة الحمام طبيعيًّا، إذ لا تجدى نفعًا الإضاءة الصناعية مع وجود بخار الماء، وكانت تسمى هذه الفتحات فى وثائق العصر المملوكى باسم جامات، انظر: عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط١ (بيروت، ١٩٨٨)، ٣٩٠؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ٣٧، ١٠٨.

٤٠ Heidemann, Müller et Ràgib, 'Un décret d'al-Malik al-Ādil en 571/1176 Relatif aux Moines du Mont Sinaï', *AnIsl* 31 (1997), 96, 98, 99, 100.

٤١ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، ج٥ (القاهرة، ١٩٧٧)، ٢٧٦؛ ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج٦ (بيروت، ١٩٩٢)، ٢٨٣.

٤٢ فريد محمود شافعى، العمارة العربية فى مصْر الإسلامية عصر الولاة، مج١ (القاهرة، ١٩٧٠)، ١٠٧؛ فوَاز أحمد طوقان، الحائر 'بحث فى القصور الأموية فى البادية' (عَمَّان، ١٩٧٩)، ٤٣٤.

٤٣ البرابخ والقساطل تسميتان عاميتان، الأولى مِصْرية والثانية شامية، انظر: شوقى شعث، قَلْعة حلب تاريخها ومَعالمها الأثرية،

ط١ (حلب، ١٩٩٦)، ٨٥.

٤٤ الخافقى أو الصَّارُوج: هى النورة وأخلاطها، معرب، وصرَّة الحوض. ويقال له الشاروق أيضًا وشرق الحوض، وحوض مُصَرَّج ومصهرج. وهو مصطلح صناع، وهو نوع من المونة مَركبة من جير مأخوذ من الحجر الجيرى، ويتم إحراقه مع حمرة وأسراميل أو قصروميل، والقصروميل هو تراب الفحم؛ أى الرماد بعد حرقه بالنار، وتخلط وتعجن - أى تضرب وتترك - لتخمر هذه المواد الثلاثة، ثم تكسى بها الأسطح وأحواض وقنوات المياه لأنها عازلة للرطوبة، ولا تسمح للمياه بالتسرب من خلالها، فتحفظ هذه الأسطح من التسريبات المائية، وتُبقى على المياه المخزنة بتلك الأحواض والصهاريج دون تسرب، وسُمى الصهريج صهريجًا نسبة إلى الصاروج، وهى المادة التى استُخدمت فى كسوة جدران صهاريج المياه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ٤١٨-٤١٩؛ محمود تيمور، أعلام المهندسين فى الإسلام، ط١ (القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ٨٠؛ السيد أدى شير، مُعجم الألفاظ الفارسية المعربة (بيروت، ١٩٨٠)، ١٠٧؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ٢٤٠؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ٣٦، ٣٩، ٥٦، ٧٣؛ عاصم محمد عبد الحليم رزق، مُعجم مُصطلحات العمارة، ٩٠-٩١، ٩٦، ١٧٣.

٤٥ سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سَيْنَاء، ٩٨، ١٣١-١٣٤.

Abd al-Mālik et Mouton, 'Autour des inscriptions de la forteresse de Ṣadr, Addendum', *AnIsl* 30 (1996), 71-77.

٤٦ الزِفت: من مرادفاته القار، والزفت بالكسر: كالقير، وقيل: الزِّفت القار، ووعاء مزفت، وجرة مزفتة: مطلية بالزفت، والزفت: غير القير الذى تقير به السفن، إنما هو شىء أسود أيضًا، والزفت: شىء يخرج من الأرض، يقع فى الأودية، وليس هو الزفت المعروف، ويكثر ظهوره فى بلاد الرافدين والعراق، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ٣٧٧.

٤٧ أقوم حاليًّا بإعداد بحث عن مشكل المياه ومنشآتها المعمارية فى حصون وقلاع سيناء الإسلامية، ينظر مستقبلاً بعون الله، سامى صالح عبد المالك، المنشآت المائية فى حصون وقلاع سيناء الإسلامية 'دراسة آثارية - معمارية'، قيد النشر.

٤٨ للمزيد عن منشئ القَلْعة انظر: سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سِيناء، ٢١٥-٢٢٢؛ قَلْعة صلاح الدين الأيوبى فى جزيرة أَيْلَه 'جزيرة فرعون' فى سَيْنَاء: ثغر الحَرَمين الشريفَيْن فى العصر الأيوبى 'دراسة فى التاريخ والآثار'، قيد النشر.

Mouton et Abd al-Mālik, 'La forteresse de l'île de Graye (Qal'at Ayla) à l'époque de Saladin', *AnIsl* 29 (1995), 75-90.

٤٩ للمزيد عن القَلْعة وموقعها وموضعها وتاريخها ووصف عمارتها ومخططاتها والصور الجوية انظر: خريطة طابا، بمقياس رسم ١: ٢٥٠٠٠ (القاهرة، ١٩٨٨)؛ جُزر البحر الأحمر 'الملف العلمى'، الجمعية العلمية الملكية الأردُنية، مركز الدراسات العربية، معهد البحوث والدراسات العربية (جامعة الدول العربية، ١٩٨٩)، القسم الموسوعى، الجزر المصْرية، ٦٤٨؛ سعد محمد المومنى، القلاع الإسلامية فى الأردن الفترة الأيوبية المملوكية 'دراسة تاريخية أثرية استراتيجية'، ط١ (عمّان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٣٤٣؛ سامى صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء، ٢٢٢-٢٢٧.

٥٠ الفدان = ٤٢٠٠م، والقيراط = ١٧٦م، والفدان = ٢٤ قيراطًا، والقيراط = ٢٤ سهم، والسهم = ٧,٢٩م.

٥١ خريطة طابا بمقياس رسم ١: ٢٥٠٠٠ (القاهرة، ١٩٨٨).

A. Hashimshoni, 'Jeziret Fara'un', in B. Rothenberg (ed.), *God's Wilderness 'Discoveries in Sinai'* (New York-Toronto, 1968), 186, fig. 16.

٥٢ جزر البحر الأحمر، الجزر المِصْرية، ٦٤٩.

٥٣ Har-El, *The Sinai Journeys 'The route of the Exodus'* (Jerusalem, 1983), 359; Tsafir, *Terre Sainte*, 154; Sh. Baginski, *Textiles from Jesirtet Fara'un*, 4; *Basketery from Coral Island*, 1.

٥٤ L. de Laborde, *Voyage de l'Arabie pétrée* (Paris, 1830), 48; *Pétra retrouvée 'Voyage de l'Arabie pétrée, 1828'* (Paris, 1994), 131; Saad el-Din et al., *Sinai the Site and the History* (Milan, 1995), 38-39.

٥٥ Hashimshoni, in Rothenberg (ed.), *God's Wilderness 'Discoveries in Sinai'*, 186, fig. 16.

٥٦ أحمد قدرى، آثار سيناء: قَلْعة صلاح الدين، جزيرة فرعون (القاهرة، ١٩٨٦)، د. ص؛ عبد الحفيظ منصور دياب ومحمود ماهر، آثار سَيْنَاء: قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون، مجلة عالم الآثار، ع ٢٨ (القاهرة، يونيه ١٩٨٦)، ٤-١٥.

٥٧ قام بعمل الرفع المعمارى الخاص بالحمام والصهريجين الكبير والصغير فى قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون أثناء مشروع الترميم، عاشق الآثار المهندس الفاضل محمد أبو العمايم، وقدم لى أصل هذا الرفع، خاصة الحمام .. فله جزيل الشكر والعرفان على جميل صنعه.

٥٨ تسمية عامية شامية، والتسمية المِصْرَية: المسلخ، وتُعرف قاعة الاستقبال فى المصطلح الشامى بَاسم البِرانى، انظر: فواز أحمد طوقان، الحائر، ٤٣٤؛ شوقى شعث، قَلْعة حلب، ٨٥؛ خالد زنيد، الحمامات العامة فى بلاد الشام فى العصر المملوكى (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة الذخائر، س٤، ع١٣-١٤ (بيروت، شتاء - ربيع ٢٠٠٣)، س٥.

٥٩ فريد محمود شافعى، العمارة العربية، مج١، ١٠٧؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ٤٣٤.

٦٠ ابن خلدون، المقدمة، ٤١٢، ٤١٣.

٦١ فريد محمود شافعى، العمارة العربية، مج١، ٢٥٨-٢٥٩؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ١٣٨-١٣٩؛ يحيى وزيرى، العمارة الإسلامية والبيئة، عالم المعرفة، ع٣٠٤ (الكويت، يونيو ٢٠٠٤)، ٤١؛ شكران خربوطلى وسهيل زكار، الحضارة العربية الإسلامية (دمشق، ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦)، ٣٤١.

٦٢ الميزاب أو المزراب: عنصر معمارى عبارة عن قناة رفيعة تبرز عن الجدار، وقد تكون من الخشب أو المعدن أو مقطوعة فى الحجر، تستخدم لتصريف المياه من الأسقف، وفتحة الماء فى الشاذروان فى الأسبلة، ولعل أشهرها على الإطلاق ميزاب الكعبة المشرفة. انظر: عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ٣٧٦، ٤١٣؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ٥٩؛ ناصر بن على الحارثى، ميزاب الكعبة المشرفة المؤرخ عام ١٢٧٣هـ، مجلة جامعة أم القرى، مج١٢، ع١٩ (مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٠هـ/ نوفمبر ١٩٩٩م)، ٥٦١-٥٩٠.

٦٣ المقريزى، أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى وآخرين، ج١، ق ١ (القاهرة، ١٩٣٤)، ٧٢، ٧٥، ٨٣، ٨٧؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١ (بيروت، د. ت)، ١٨٥.

P. Deschamps, *Les Châteaux des Croisés en Terre-Sainte: 'La Défense du Royaume de Jérusalem'* (Paris, 1939), 52.

٦٤ المقريزى، السلوك، ج١، ق١، ٨٣، ٨٧.

٦٥ المئزر: مفرد، وجمعه مآزر، قطعة من القماش تستخدم فى الحمامات العامة لستر العورات، انظر: المكناسى، محمد بن عبد الوهاب بن عثمان (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) رحلة المكناسى: إحراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام، حررها وقدم لها محمد بوكبوط، ط١ (أبو ظبى وبيروت، ٢٠٠٣)، ١٤٠؛ سعد زغلول الكواكبى، الحمامات فى حلب عبر التاريخ والأدب، مجلة عاديات حلب، ع٤ (حلب، ١٩٧٥)، ١٧٩.

٦٦ المقريزى، السلوك، ج١، ق١، ٧٢، ٧٥؛ الخطط، ج١، ١٨٥.
Deschamps, *Les Châteaux des Croisés en Terre–Sainte*, 52.

٦٧ عن مسميات وأقسام الحمام المختلفة، انظر: عبد الرءوف المناوى، كتاب النزهة الزهية فى أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط١ (القاهرة، ١٩٨٧)، ١٧-٢١؛ محمد بن إبراهيم اللخمى البنا بن رامى، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان (الإسكندرية، ١٩٨٨)، ١٥٧؛ ليوبولدو توريس بالباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ١٠٨-١١٨؛ السيد عبد العزيز سالم، العمارة المدنية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، الكتاب (٦٤) (القاهرة، ١٩٥٩)، ١٣٩-١٤٣؛ جورج مارسيه، الفن الإسلامى، ترجمة عفيف بهنسى (دمشق، ١٩٦٨)، ١٢٢؛ سعد زغلول الكواكبى، الحمامات فى حلب، ١٤٦-١٨١؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ١٧٦-١٧٧، ١٩٠-١٩١، ٤٣٣-٤٣٥، الشكلان ٦، ١٠؛ محمد سيف النصر أبو الفتوح، مُنشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط (١٩٨٠)، ٢٤١-٢٧٢؛ سعاد محمد حسن، الحمامات فى مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة (١٩٨٣)؛ هيوار، الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكى خورشيد وآخرين، مج٨ (القاهرة، د. ت)؛ ميشيل أيكورشال وكلود لوكور، حمامات دمشق، تعريب ممدوح الزركلى ونزيه الكواكبى، ج١ (دمشق، ١٩٨٥)، ٢٠-٤٦؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية (دمشق، ١٩٨٦)، ٢١٥-٢٣٠؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ٢٤، ١٣٨-١٤٤؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ط٤ (القاهرة، ١٩٨٩)، ٣٠، ٣٤-٣٥؛ كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الإسلام (القاهرة، ١٩٨٧)، ٣٢-٤٢؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية، الكتاب الأول (القاهرة، ١٩٩٦)، ١٢٦-١٣١؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ٣١، ٣٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧؛ عاصم محمد عبد الحليم رزق، مُعجم مصطلحات العمارة، ١٥-١٦، ٨٤-٨٦، ٢٨١-٢٨٢، ٢٨٥؛ خالد زنيد، الحمامات، ٥٦-٥٨.
Sauvaget, *Syria* 11, 330-370, figs 1-7; *Écochard et Le Cœur, Les Bains de Damas*, 126, 127; K. A. C. Creswell et J. W. Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 105-117, 122, 124, 141-142, 159-160, 164-167, 186, 258; A. Almagro, 'Building Patterns in Umayyad architecture in Jordan', *ADAJ* 4 (Amman, 1992), 356.

٦٨ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ط١ (القاهرة، ١٩٤٨)، ٢٨؛ عبد العال عبد المنعم الشامى، جغرافية المدن، ١٦٢.

٦٩ الشيرازى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، ٨٦؛ الغزولى، مطالع البدور فى منازل السرور، ج٢ (القاهرة، ١٢٩٩هـ)، ٤؛ عبد العال عبد المنعم الشامى، جغرافية المدن، ١٦٢.

٧٠ الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، مصر، ١٩٣٩م، ج١، ١٤٤-١٤٥؛ ابن الجوزى، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن، ذم الهوى (القاهرة، ١٩٦٢)، ٤٧٤؛ ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أبى أحمد القرشى، معالم القربة فى أحكام الحسبة (كمبردج، ١٩٣٧)، ١٥٥.

٧١ المَسارِج: جمع، ومفردها مسْرَجَة بالكسر والفتح، وهى التى فيها الفتيل أو التى توضع فيها الفتيل والدهن، والمَسْرَجَة بالفتح التى يجعل عليها المِسْرَجَة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ٥٤٨-٥٤٩.

٧٢ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٨؛ السيد عبد العزيز سالم، العمارة المدنية، ١٤١؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية وزخارفها فى عهد الأمويين، الحوليات الأثرية السورية، مج٢٥، ج١-٢ (دمشق، ١٩٧٥)، ١٦-١٧؛ القصور الشامية وزخارفها فى عهد الأمويين (دمشق، ١٩٨٦)، ٢٩؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط، ٣٥؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ مصْر وآثارها منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى (القاهرة، ١٩٩٣)، ٢٦٧؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى الإنجاز والتأويل (دمشق، ٢٠٠٦)، ٢٤٢.
Almagro, *ADAJ* 4, 356.

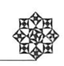
٧٣ ليوبولدو توريس بالباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ١٠٨؛ عبد العال عبد المنعم الشامى، جغرافية المدن، ١٦٢.

٧٤ مجير الدين العليمى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مج١ (بيروت، ١٩٨٣)، ٢٦١؛ خالد زنيد، الحمامات، ٥١.

٧٥ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، نشره شارل تورى (جامعة ييل، ١٩٢٢)، ٩٦؛ المسبحى، محمد بن عبيد بن أحمد، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى (القاهرة، ١٩٧٨)، ٥٢، ٩٨؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نشره فولوز، ج٤ (القاهرة، ١٨٩٤)، ١٠٥؛ السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر، حُسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ج١ (القاهرة، ١٩٦٧)، ٦٦.
P. Casanova, *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Fousṭâṭ ou Miṣr*, *MIFAO* 35 (1913-19), 121.

٧٦ انظر: البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت، ١٩٩١)، ٣٤٨.

٧٧ قصر جبل أسيس: يقع إلى الجنوب الشرقى من دمَشق بمسافة ١٠٥كم، وهو يضم جامعًا وحَمّامًا، بناه الوليد بن عبد الملك، واتبع فى بنائه النمط الذى شاع فى القصور الصحراوية، فمخططه مربع الشكل، وعلى الجدران الخارجية أبراج دائرية تُدعم البناء، وفى داخله سلسلة من الحجرات موزعة فى مجموعات سكنية حول فناء مركزى، واكتشفه الألمانى بريش K. Brisch سنة ١٩٦٢-١٩٦٣م، انظر: جعفر الحسنى، قصور الأمويين، ٢٢٢-٢٢٣؛ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤؛ أبو الفرج العش، كتابات عربية فى جبل أسيس، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج١٣ (دمشق، ١٩٦٣)، ٢٨١؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ٨٥؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية، ٢٠-٢١؛ القصور الشامية وزخارفها، ٤١-٤٤، ش٨؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية (جدة، ١٩٩٠)، ٧٥.
Sauvaget, 'Les ruines Omeyyades du Djebel Seis', *Syria* 20 (Paris, 1939), 239-256, pls 40-41; *Châteaux Umayyades de Syrie' contribution a l'étude de la* colonisation arabe aux Ier et IIe siècles de l'Hégire', *RevÉIsl* (Paris, 1968), 21-25; Creswell and Allan, *A Short Account*, 118-122, figs 60, 71; Stierlin, *Architecture*, 75-79, fig. 9; Mesqui, *Châteaux*, 34;



R. Hillenbrand, *Islamic Architecture* (London, 1994), 385, fig. 7. 16, 7. 17.

٧٨ حَمَّام قُصَير عَمْرَة: يقع على بُعد ٧٠ كم إلى الشرق من عمان العاصمة، على حافة وادى البطم الذى يخترق المنطقة الصحراوية، وقد اكتشف القصر لأول مرة الرحالة النمساوى ألويز موزيل سنة ١٨٩٨م، انظر: زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤-٤٥؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية، ١٦-١٧، ش٤؛ القصور الشامية وزخارفها، ٢٨-٣٧، ش٤، ٥؛ العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع (الرباط، د. ت)، ١٦٤؛ أبو صالح الألفى، الفن الإسلامى 'أصوله، فلسفته، مدارسه' (القاهرة، ١٩٨٤)، ١٤٩-١٥٠، ش٦؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط، ٣٥؛ يوسف درويش غوانمة، عمان: حضارتها وتاريخها (عمان، ١٩٧٩)، ١٩٣؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ٦٨؛ وجدان على بن نايف، الأمويون - العباسيون - الأندلسيون (عمان، ١٩٨٨)، ٤٦-٥٦؛ محمد سليمان الروسان، تطور الحمام فى بلاد الشام فى العصر الإسلامى المبكر فى ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك (إربد، ١٩٨٩)، ٩٠؛ غازى رجب محمد، العمارة العربية فى العصر الإسلامى فى العراق (بغداد، ١٩٨٩)، ٢٠، ش١؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٨٤-٨٦، ش٦١، ٦٢؛ سوسن سليمان يحيى، آثارنا الإسلامية 'العمارة فى صدر الإسلام والعصر العباسى الأول' (القاهرة، ١٩٩٧)، ٩٠-٩٦؛ رأفت النبراوى، الآثار الإسلامية: العمارة والفنون والنقود (القاهرة، ٢٠٠٣)، ١٨٩-١٩١، ش٤٤؛ محمد حمزة الحداد، المجمل فى الآثار والحضارة الإسلامية، ط١ (القاهرة، ٢٠٠٦)، اللوحتان ٢٢، ٢٣؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٨٢-١٨٧.

D. Schlumberger, 'Les Fouilles de Qasr el-Heir el-Gharbi (1936-1938)', *Syria* 20 (1939), 222-223, fig. 9; Otto-Dorn et Katharin, *L'art de l'islam* (Paris, 1967), 42-48; Creswell, *Early Muslim Architecture*, 105-116; *A Short Account of Early Muslim Architecture* (Oxford, 1969), 108-117; Almagro, 'Qusayr Amra', *ADAJ* 4, 355, fig. 3 (Madrid, 1975); Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 105-108, fig. 66; D. T. Rice, *Islamic Art* (London, 1996), 26-28, pl. 19; A. Renz, *Geschichte und Stätten des Islam von Spanien bis Indien* (München- London- New York, 2001), 89-90, figs 33-35.

٧٩ عن حَمَّام ومدينة عنجر، انظر: عفيف بهنسى، القصور الشامية، ٢٣، ش١٠؛ القصور الشامية وزخارفها، ٤٦، المخطط ١٠؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٧٥.

Sauvaget, 'Les ruines Omeyyades de Anjar', *BMB* 3 (Beyrouth, 1940); M. Chehab, 'The Umayyad Palace at Anjar', *ArsOr* 5 (1963), 17; Creswell, *Early Muslim Architecture*, I/II, 481, fig. 542; Almagro, *ADAJ* 4, 355, fig. 3; A. Petersen, '*The Towns of Palestine under Muslim Rule. AD 600-1600*', *BAR International Series* 1381 (Oxford, 2005), 170; Al-Shqour, *From Roman Fortress to Islamic Khan in Jordan* I, 79; II, fig. 40.

٨٠ قصر الحير الغربى: يقع فى البادية على بُعد ١٥٠كم من دمَشْق، ومن تدمر على بُعد ٤٦ كم، اكتشفته مصلحة الآثار السورية سنة ١٩٣٦م، يشتمل على خَان ومسجد وحَمَّام وقصر ومبانٍ زراعية، انظر: جعفر الحسنى، قصور الأمويين فى الديار الشامية، مجلة المجمع العلمى العربى، مج١٧، ج١-٢ (دمشق، المحرم - صفر ١٣٦١هـ/ كانون الثانى - شباط ١٩٤٢م)، ٢٢٠-٢٢١؛ سليم عادل عبد الحق، إعادة تشييد جناح قصر الحير الغربى فى متحف دمشق، الحوليات الأثرية السورية، مج١، ج٢ (دمشق، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)، ٥-٥٧؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية، ٢٩-٣١؛ القصور الشامية وزخارفها، ٧١-٨٧؛ العمارة العربية، ١٦٤؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ١٥٥-١٧٣؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية الإسلامية: خصائصها وآثارها فى سورية (دمشق، ١٩٧٩)، ٥٢، ٧١-٧٩؛ العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٦٦-٧٠، أش٤٣-٤٦؛ صلاح الدين سيد على البحيرى، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون، حوليات كلية الآداب (٣)، جامعة الكويت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ٣٤، ٤٠-٤١؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٨٧-١٩٠.

Schumberger, *Syria*, 20, 195-238, 324-373; Sauvaget, *Revue d'études islamiques*, 25-26; Creswell, *Early Muslim Architecture*, I/II (Oxford, 1969), 511, fig. 563; Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 138, fig. 79; Stierlin, *Architecture*, 53; G. Degeorge, *Syrie 'art, histoire, architecture'* (Paris, 1988), 118-120; Mesqui, *Châteaux*, 34.

٨١ عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية الإسلامية، ٦١؛ العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٦٨؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ١٧٦-١٧٧؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية وزخارفها، ٧٢؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٨٧، ٣٣٥.

Écochard et Le Cœur, *Les bains de Damas*, 126, 127; Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 141-142, fig. 83; Almagro, *ADAJ* 4, 355, fig. 3.

٨٢ قصر الحير الشرقى أو الزيتونة: يُوجد فى المنطقة قصران، أحدهما صغير وهو خان المسافرين، والثانى كبير وهو القصر، وهما يقعان على بُعد ١٠٥كم شمال شرقى تدمر وعلى مسافة ٦٠كم جنوب الرصافة، وأول من أشار إلى وجوده هو الرحالة جاك روسو سنة ١٨٠٨م، انظر: جعفر الحسنى، قصور الأمويين، ٢١٧-٢١٩؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية، ٣٥-٣٦؛ العمارة العربية، ١٦٥؛ عبد القادر الريحاوى، قصر الحير الشرقى، الحوليات الأثرية السورية، مج٢٧ (دمشق، ١٩٧٧)؛ العمارة العربية، ٨٠-٨٩؛ العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٧٠-٧٥، أش٤٧-٥٠؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ١٨٣-٢٠١؛ البحيرى، عالمية الحضارة، ٣٤؛ معرض تألق الأمويين فى قرطبة، من ٣ مايو - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١م (قرطبة، ٢٠٠١)، ٦٠؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٩٠-١٩٦، ٣٣٥-٣٣٧.

L. J. Rousseau, *Voyage de Bagdad à Alep* (Paris, 1808), 146-154; Creswell, *Early Muslim Architecture*, I/II, 524, fig. 570; Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 148-164, figs 90-91; Sauvaget, *Revue d'études islamiques* 27-28; Stern, *ARS Islamica* 11-12, 79, fig. 8; Degeorge, *Syrie*, 116-118; Mesqui, *Châteaux*, 33, 37.

٨٣ عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية، ٦٨، ٧١، ٧٦؛ العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٧١؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ١٩٠-١٩١، ش٦؛ عفيف بهنسى، العمارة العربية، ١٦٥؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٩٠، ٢٤٢.

Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 158, fig. 92; Almagro, *ADAJ* 4, 355, fig. 3.

٨٤ الصرح: يُوجد فى وادى الضليل، الممتد بين الزرقاء الواقعة شمال شرقى عمان، والقصر الأزرق فى الشرق. وقد دُون اسم هذا البناء



الأُموى فى العصر الحديث على صيغتين، الغربية: الصرح بفتح الصاد والراء، والرسمية الأُرْدُنية: السراح، ولو دققنا فى صيغة الغربيين لرأينا أنها أقرب نقلا عن طريقة نطق البدو الدارجة، ذلك لأنهم يحركون الحرف الثانى الساكن فى الكلمات ثلاثية البنية، وبخاصة إذا كان من الأحرف الحلقية. وبالنسبة للتسمية الغربية، قام المستشرقون بتدوين الاسم بالشكل العربى، خاصة حرف الحاء وحرف الصاد، ويعتقد طوقان أن الاسم هو الصرح، انظر: فواز أحمد طوقان، الحائر، ٤٢٥-٤٢٨؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٨٦؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٩٦-٢٠٠، ٢٤٢.
Creswell, *Early Muslim Architecture*, 165-169; Hillenbrand, *Islamic Architecture*, 382, 385, 386, fig. 7. 32.

٨٥ حَمّام الصرح: اكتشفته بعثة جامعة برستون سنة ١٩٠٥م، ويتشابه تخطيطه مع تخطيط حَمّام قُصَير عَمْرَة، انظر: زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٧-٤٨؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ٤٣٣-٤٣٧، ش١٠؛ محمد سليمان الروسان، تطور الحمام، ٧٨-٨٥؛ كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الإسلام، ٤٠-٤٢، ش٢٤، ٢٥؛ عفيف بهنسى، العمارة العربية، ١٦٤؛ غازى رجب محمد، العمارة العربية، ٢٠، ٢١، ش٢؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٨٦-٨٧، ش٦٣؛ رأفت النبراوى، الآثار الإسلامية، ١٩١، ش٤٥؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ١٩٦-٢٠٠.
Creswell, *Early Muslim Architecture*, I/II, 498; Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 165-166, fig. 94; Almagro, *ADAJ* 4, 355, fig. 3.

٨٦ قصر خربة المفجر: يقع على مبعدة بضعة كيلو مترات من أريحا، وقد قامت مصلحة الآثار الفلسْطينية بإجراء حفائر فيه بإشراف هاميلتون وبرامكى، وهو عبارة عن مجموعة متكاملة تتكون من مسجد ومُلحقات وحَمّام، وتم اكتشاف كتابة كوفية به باسم هشام بن عبد الملك، وأشهر ما فيه فسيفساء الأسد والغزلان، انظر: جعفر الحسنى، قصور الأمويين، ٢٢٤-٢٢٥؛ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٥٣؛ محمد عبد العزيز مرزوق، بين الآثار الإسلامية فى العالم (الإسكندرية، ١٩٥٣)، ٣٩-٤٠؛ عفيف بهنسى، القصور الشامية، ٣٦-٤٠؛ فواز أحمد طوقان، الحائر، ٦٦-٦٧؛ أبو صالح الألفى، الفن الإسلامى، ١٥٢-١٥٥؛ صلاح الدين سيد على البحيرى، عالمية الحضارة الإسلامية، ٣٤؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ٢٩-٣١؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٧٨-٨٢، أش٥٣-٥٧؛ معرض تألق الأمويين، ٦٠.
Creswell, *Early Muslim Architecture*, I/II, 545-577; Stern, *ARS Islamica* XI-XII, 72-94, fig. 2; Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 178-200.

٨٧ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٥٣؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط، ٢٩-٣١؛ عبد القادر الريحاوى، العمارة فى الحضارة الإسلامية، ٨٠-٨١، ش٥٣، ٥٥؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ٢٠٢، ٢٠٦-٢٠٩، ٢٤٢، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٦-٣٤٧.
Creswell et Allan, *A Short Account of Early Muslim Architecture*, 186, fig. 100; Almagro, *ADAJ* 4, 355, fig. 3.

٨٨ رامى جورج خورى، القصور الصحراوية: دليل موجز للآثار، ترجمة غازى بيشة (عمان، ١٩٨٨)، ١٣.

٨٩ رامى جورج خورى، القصور الصحراوية، ٢٤.

٩٠ محمد سليمان الروسان، تطور الحمام، ٧٧-٧٨؛ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ٢٤٣.

٩١ عبد القادر الريحاوى، العمارة العربية، ٧٦.

٩٢ خالد السلطانى، العمارة فى العصر الأموى، ٢٤٣.

٩٣ كمال الدين سامح، العمارة فى صَدْر الإسلام، ٦٩، ش٣٥؛ غازى رجب محمد، العمارة العربية، ١٢٤، الشكل ٦٠؛ محمد حمزة، المجمل فى الآثار والحضارة الإسلامية، الشكل ٥١ مكرر.
Creswell et Allan, *A Short Account*, 258, fig. 159; Renz, *Geschichte und Stätten des Islam*, 110-112, figs 50, 51.

٩٤ ورد ذكر حَمّامات مكة المكرمة فى العديد من المصادر التاريخية التى أرخت لمكة المكرمة وعمارتها، ونظرًا لأننى أعد بحثًا عن حَمّامات جزيرة العرب 'المملكة العربية السعودية' عامة، وبلاد الحرمين الشريفين خاصة، فإن المعلومات المصدرية سترد فى هذا البحث الموسوم بـ: حَمّامات جزيرة العرب العامة 'المملكة العربية السعودية' 'دراسة فى التاريخ والآثار'، قيد النشر.

٩٥ تم اكتشاف هذا الحمام عن طريق حفائر دار الآثار العربية 'متحف الفن الإسلامى' فى القاهرة سنة ١٩٣٢م، وتخطيطه يشبه تخطيط الحمامات الرومانية؛ إذ يتكون من قاعة باردة، وإلى اليسار منها توجد القاعة الدافئة، ثم الحجرة الساخنة، ثم المستوقد لتسخين المياه، وكان مزودًا بفرن ثان، وتزين جدرانه رسوم على الجص، انظر: نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط، ١٢٩-١٣٠؛ سعاد محمد ماهر، الفنون الإسلامية (القاهرة، ١٩٨٦)، ٢٢٥-٢٢٦؛ محمد سيف النصر أبو الفتوح، مُنشآت الرعاية الاجتماعية، ٢٢١-٢٢٣؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ مصْر وآثارها، ٢٦٧-٢٧٠، ش٢١؛ رأفت النبراوى، الآثار الإسلامية، ١٩٢-١٩٣، ش٤٧.
Rice, *Islamic Art*, 85, pl. 83.

٩٦ اكتشفته المديرية العامة للآثار والمتاحف فى سورية سنة ١٩٧٣م، انظر: شوقى شعث، حلب: تاريخها ومعالمها التاريخية (حلب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ١٠٠، ش٨١.

٩٧ ابن شداد، عز الدين محمد بن على بن إبراهيم، الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق دومنيك سُورديل وسامى الدهان، ج٣ (دمَشْق، ١٩٦٣)، ٩٢؛ أكرم ساطع، القلاع والحصون فى سورية (دمشق، ١٩٧٥)، ٥٧، ٦٤؛ شوقى شعث، حلب، ١٠٢، ش٨٥؛ محمد نادر العطار، قلعة حلب: أنموذج متكامل للعمارة الحربية الإسلامية (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ٦٩.

٩٨ القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ٢٣٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ١٦٢؛ عبد القادر الريحاوى، قَلْعة دمشق 'تاريخ القَلْعة وآثارها وفنونها المعمارية' (دمشق، ١٩٧٩)، ٢٧.

٩٩ المديرية العامة للآثار والمتاحف، قَلْعة دمشق 'المرحلة الأولى لترميم قَلْعة دمشق ٢٠٠٦' (دمشق، ٢٠٠٦)، ٨، ٩.

١٠٠ كانت تُعرف باسم قَلْعة صهيون نسبة إلى القرية المجاورة حتى سنة ١٩٥٩م، ثم جرى تغيير اسمها إلى قَلْعة صلاح الدين تخليدًا لذكرى محررها، ولا تزال تُعرف به إلى الآن، انظر: ساطع، القلاع والحصون، ٩٩-١٠٩؛ هايدى حكيم وأحمد كتوب، صلاح الدين سيرة بطل وقصة قَلْعة (د. م، د. ت)، ١٢-١٣.

١٠١ أكرم ساطع، القلاع والحصون، ١٠٣؛ هايدى حكيم وأحمد كتوب، صلاح الدين، ١١، ١٤، ١٥، ٢٩.

١٠٢ قَلْعة الحصن: تقع على الطريق بين حِمْص وصافيتا، وعلى بُعد ٣٠ كم من البحر بوسط سُورية، وغرب مدينة حِمْص بمسافة ٤٠ كم بمنخفض سُورية الصغير، وشمال شرق طَرابلس، وعلى مُفترق طُرق طرطوس وطرابلس وحَماه وحِمْص وصافيتا. وقد كانت على اتصال بالقلاع المجاورة لحماية مملكة طَرابلس الفرنجية، وكانت تُعرف قبل مجيء الفرنج باسم حصن الأكراد، وهى حصن منيع على الجبل الذى يقابل حِمْص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل



المتصل بجبل لبنان، بين بَعْلَبَك وحِمْص، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه بُرْجاً جعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج، وأجرى لهم أرزاقا، فتديروا بأهاليهم، ثم خافوا على أنفسهم فى غارة، فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلْعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم، فنازلوه، فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم وملكه الفرنج. بينه وبين حِمْص يوم أو مرحلة، وعلى بُعد مرحلة من طرابلس، ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم، حتى استطاع الظاهر بيبرس تخليصها الفرنج فى عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م. وهو فى المسافة بين حِمْص وطرطوس على بُعد ٤١كم إلى الغرب من حِمْص، وقد قمتَ بزيارتها على الواقع عدة مرات للاستفادة من دراسة تحصيناتها، انظر: ياقوت، مُعجم البلدان، ج٢، ٣٠٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ٣٩٧؛ ج٢، ٢٤، ٩١، ١٥٥، ١٦٠، ٣٦٠؛ ج٤، ٨، ٩، ٧١؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣، ١١٥-١٢٠؛ الشجاعى، شمس الدين، تاريخ الملك الظاهر (فيسبادن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٣٦، ١٢٠، ٢١٩، ٢٤١، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٥٧، ٣٦٠؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر، تقويم البلدان (بيروت، د. ت)، ٢٥٨، ٢٥٩؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتى، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت وحلب، د. ت)، ٤٩، ٢٢٧-٢٣٠؛ عبد الرحمن زكى، القلاع فى الحروب الصليبية، ٦١؛ العمارة العسكرية، ١٢٨؛ عبد القادر الريحاوى، قَلْعة الحصن (دمَشْق، ١٩٦٠)، ٣-٣٢؛ قَلْعة دمَشْق، ٢٤٣؛ أكرم ساطع، القلاع والحصون، ٨٣-٩٠؛ محمد عَدنان الدقر، قَلْعة الحصن، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع١٩ (الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ١٠٢-١٠٧؛ فولفانغ مولر- فينر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد (دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٧٦-٧٩؛ مصطفى طلاس ومحمد وليد الجلاد، قَلْعة الحصن 'حصن الأكراد'، ط١ (دمَشْق، ١٩٩٠)، ١-١٥٢، ٢٢٧-٢٣٠؛ شوقى شعث، قَلْعة حَلَب، ١١٧؛ نضال مسلمانى، قَلْعة الحصن (د. م، د. ت)، ١-٢١.

E. G. Rey, *Étude sur les monuments de l'architecteur militaire des croisés en Syrie et dans l'île de Chypre* (Paris, 1871), 39-67, figs 9-19, pls IV, V; Deschamps, 'Les entrées des châteaux des Croisés en Syrie et leurs défenses', *Syria* 12 (Paris, 1932), 380-384; *Les Châteaux des Croisés en Terre Sainte*, I. *Le Crac des Chevaliers: Étude historique et géographique*, précédée d'une introduction général sur la Syrie et au Liban (Paris, 1934), 82, 105-140, 142-305, figs 18, 18 bis, Carte 104; K. M. Setton, *History of the Crusades*, IV (Phillia Peelihia, 1957), 152- 157, fig. 7; J. C. Palmes, *A History of Architectaire* (London, 1975), 543-544; R. Burns, *Monuments of syria*, 'An Historical Guide' (London-New York, 1992), 137-143, pl. 12, figs 35, 66; Degeorge, *Syrie*, 136, 138, pls 130-143; F. R. Schech and J. Odenthal, *Syrien* (Köln, 1998), 103, 231- 236; H. Kennedy, *Crusader Castles* (Cambridge, 1994), 150-166, figs 21, 22, pls 55-71.

١٠٣ مصطفى طلاس ومحمد وليد الجلاد، قَلْعة الحصن، ٢٦٨، اللوحة ٩٥؛ نضال مسلمانى، قَلْعة الحصن، ٨.

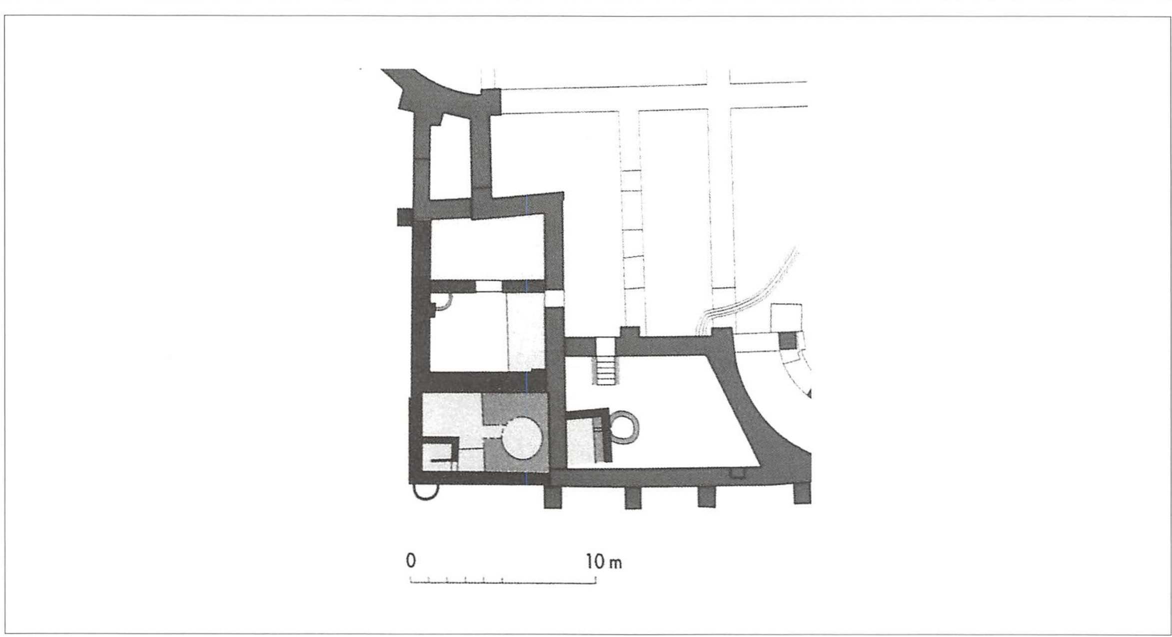
١٠٤ باسيليو بابون مالدونادو، العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون، ترجمة على إبراهيم المنوفى، مراجعة وتقديم محمد حمزة، مج١ (القاهرة، ٢٠٠٥)، ٣٤٩.





رفح
الشيخ زويد
العريش
الفلوسيات
الوَرادة
البقارة
المحمديات
قلعة الطينة
حصن الفرما
تل اللولي
تل الحير
قطيا
عجرود
القباب
درب الحاج المصري
قلعة نخل
القلزم
السويس
قلعة صدر
طريق صدر وأيله
قلعة أبيار العلائى
عيون موسى
إلى دمشق
أيله
العقبة
قلعة جزيرة أيله
" جزيرة فرعون "
إلى الحرمين الشريفين
فيران
سانت كاترين
الطور
راية
N
0 10 20 30 40Km

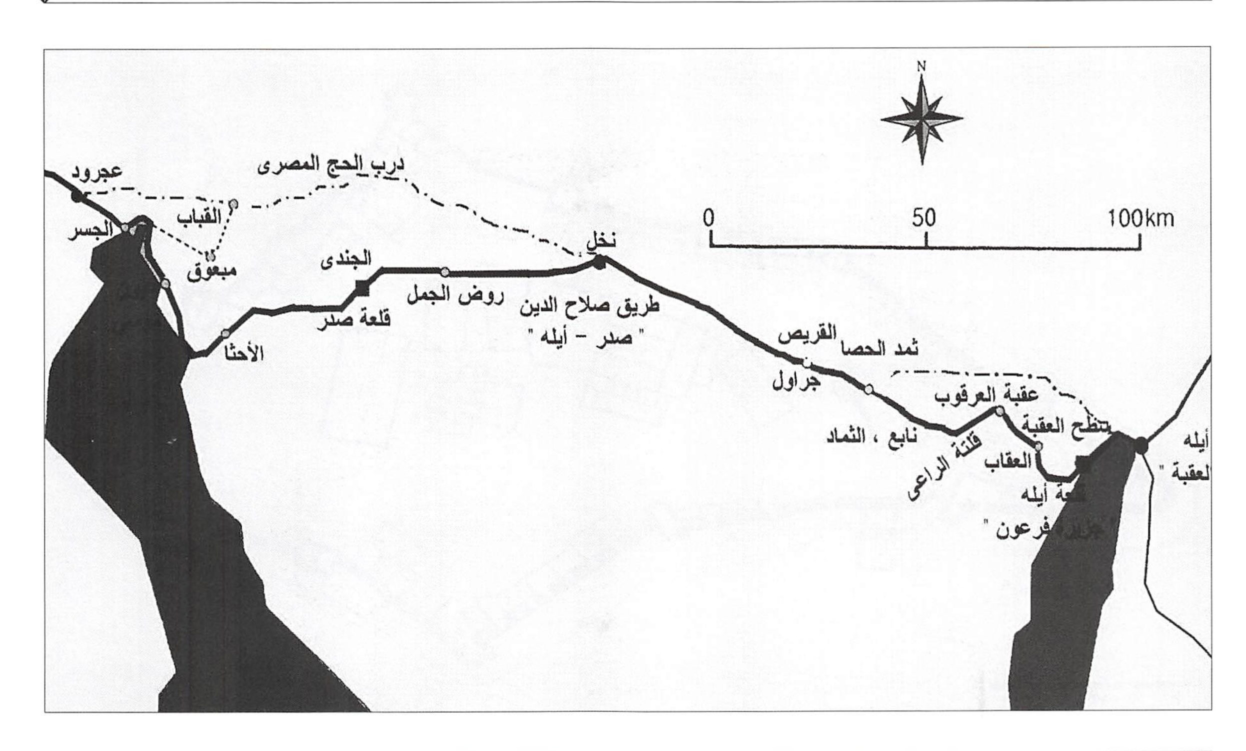
الشكل ١. خارطة سيناء موقع عليها المركز الحضارية والعمرانية التى تم أو من المأمول اكتشاف حمامات فى بعضها.



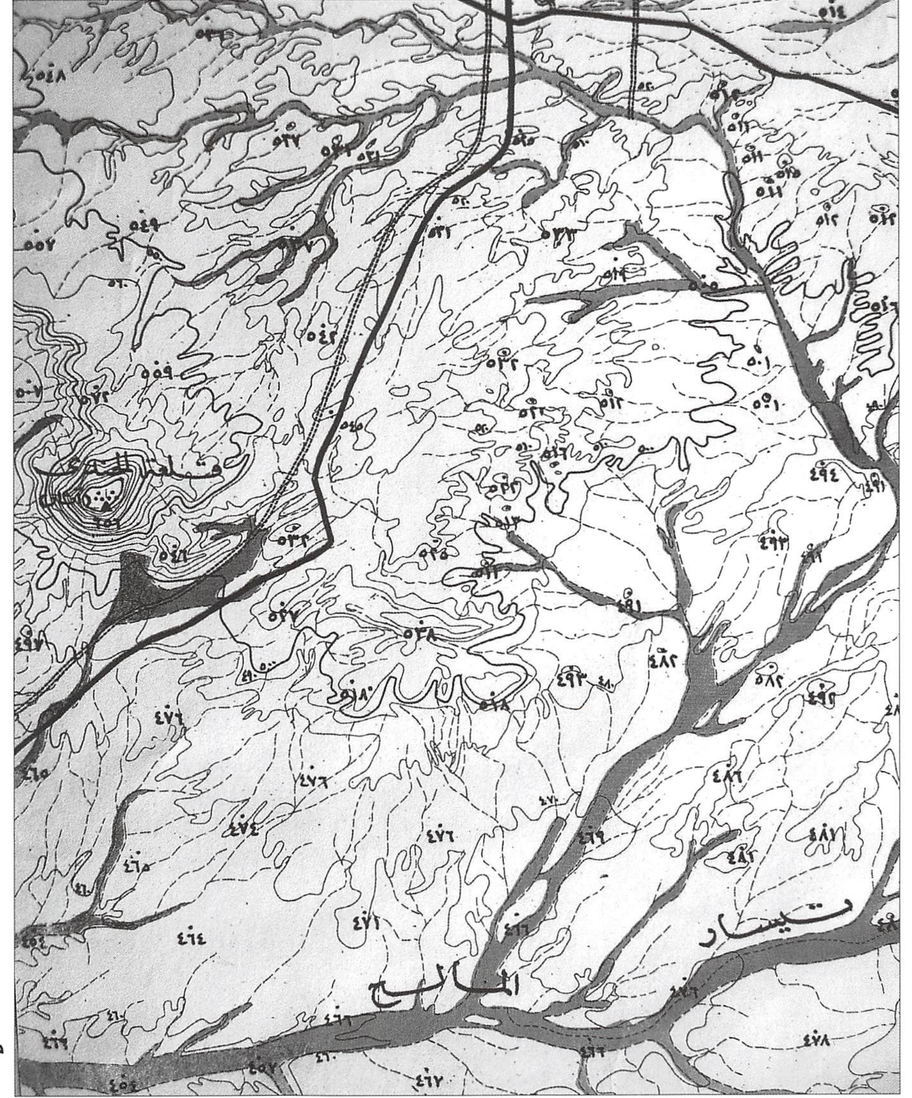
الشكل ٢ أ، ب . تخطيط كنيسة الفَرَمَا الجنوبية الشرقية ملحق فيها الحمام العباسى فى الركن الجنوبى الغربى تخطيط الحمام منفردًا، عن:

Bonnet et al., 'L'église tétraconque', fig. 1.

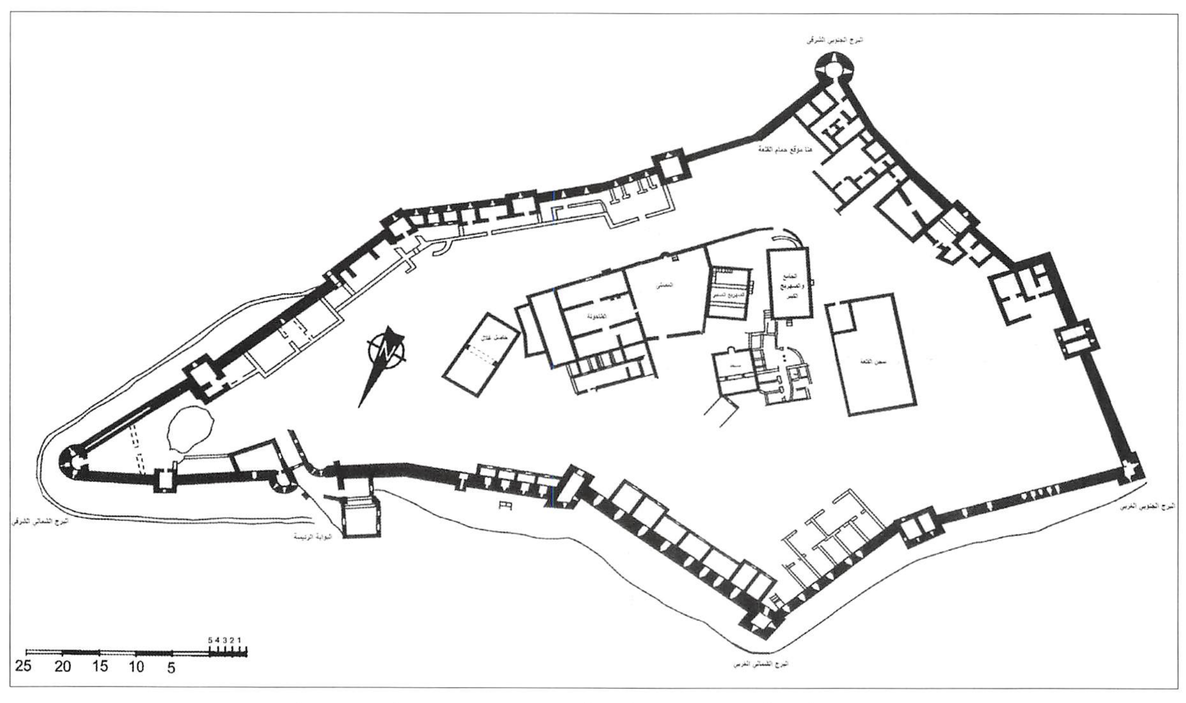




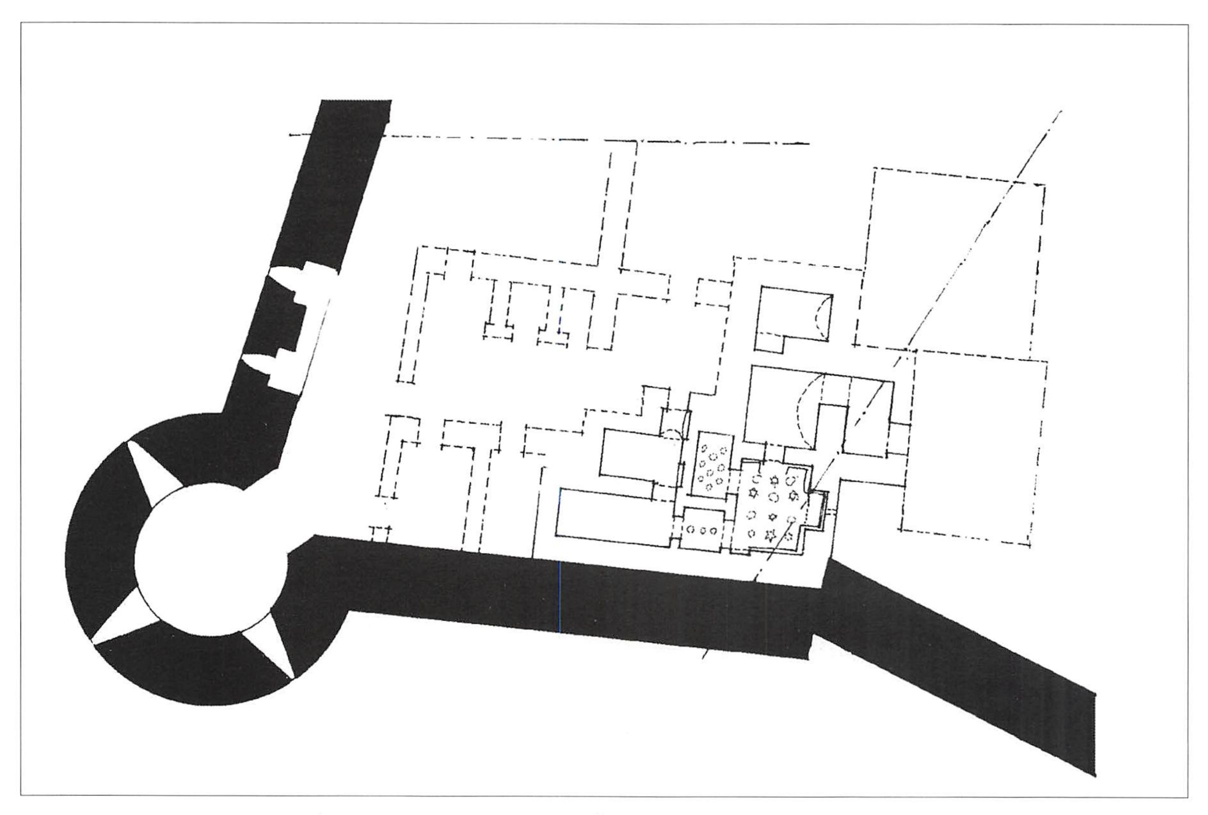
الشكل ٣. خارطة منازل ومناهل طريق صلاح الدين الأيوبى في وسط سَيْنَاء، وقلعتيه فِى صَدْر 'الجندىَ وجزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ' اللتين فيهما الحمامين موضع البحث والدراسة.



الشكل ٤. خارطة مساحية موقع عليها قلعة صَدْر 'الجندىَ، مقياس رسم ١: ٢٥,٠٠٠.

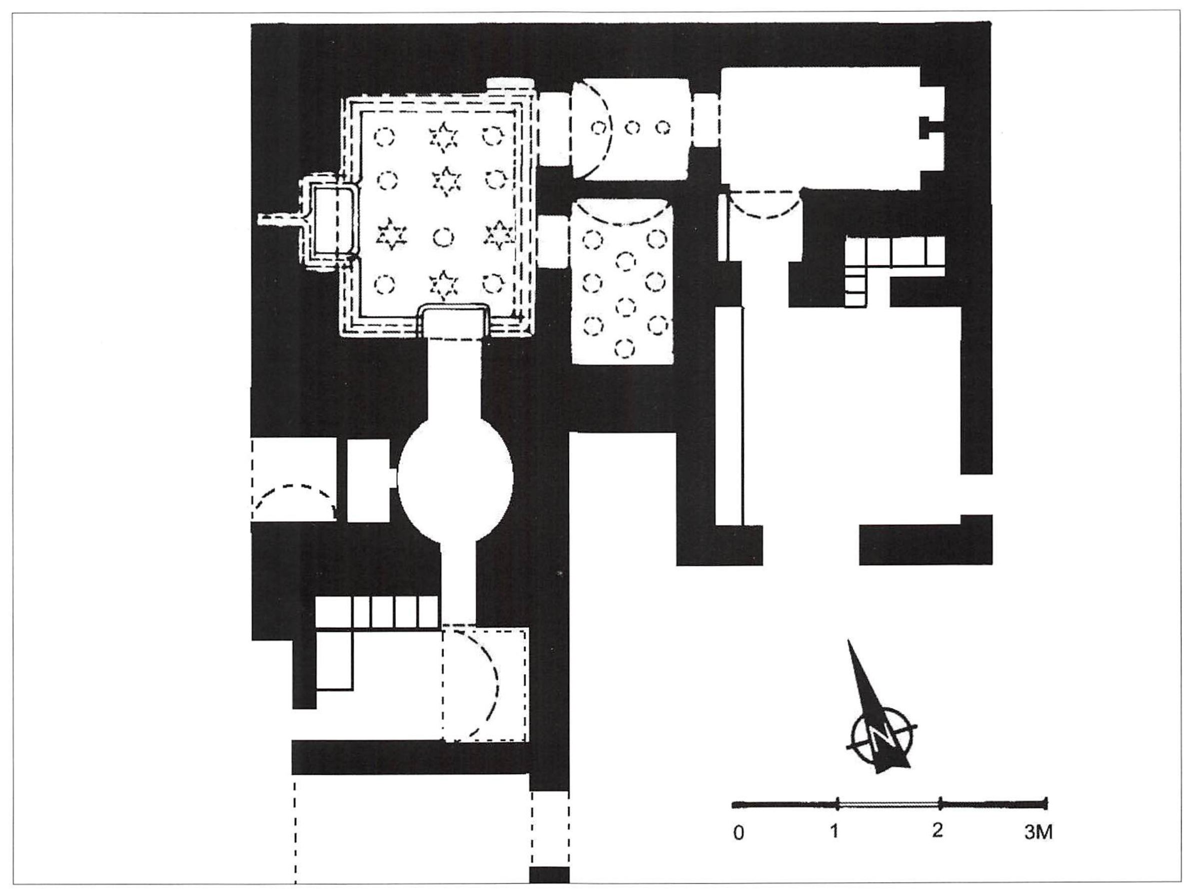


الشكل ٥. تخطيط قلعة صَدْر َصلاح الدين فى رأس الجندىَ العام وموقع حمامها فى داخلها، رسم المهندس المعمارى محمد رشدى بإشراف ولصالح الباحث.

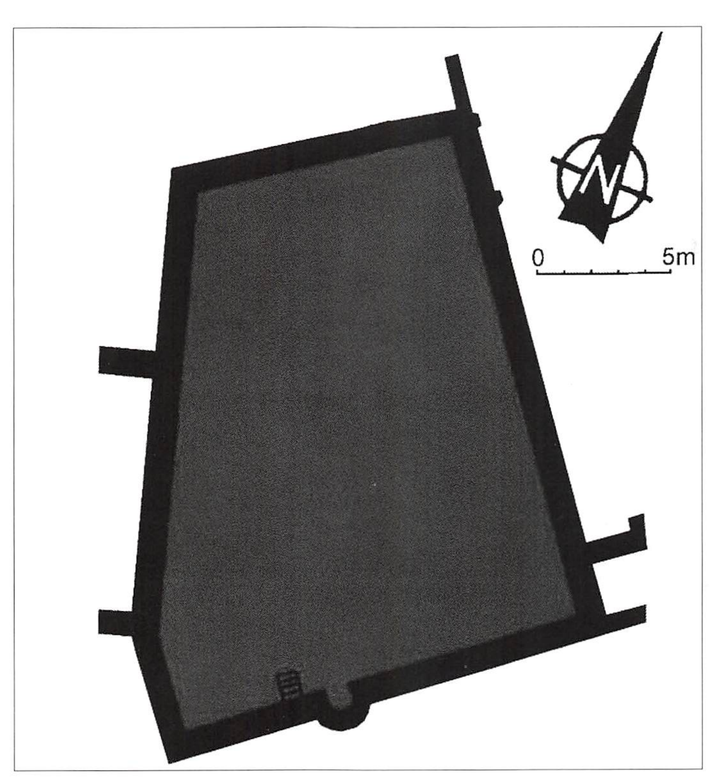


الشكل ٦. الركن الجنوبى الشرقى من قلعة صَدْر َالجندىَ حيث يوجد حمام القلعة وملحقاته، رسم المهندس المعمارى محمد رشدى بإشراف ولصالح الباحث.



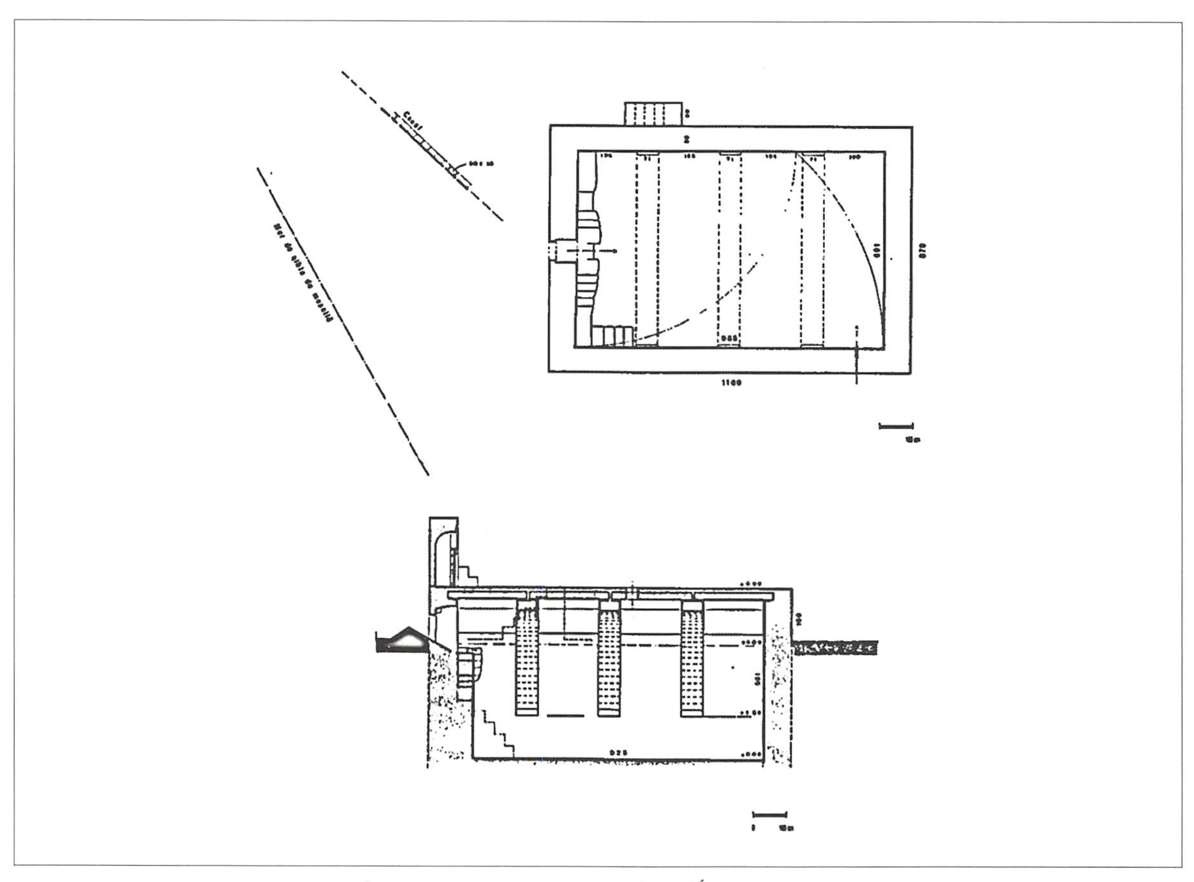


الشكل ٧. تخطيط حمام قلعة صدْر الجندى رسم المهندس المعمارى محمد رشدى بإشراف ولصالح الباحث.

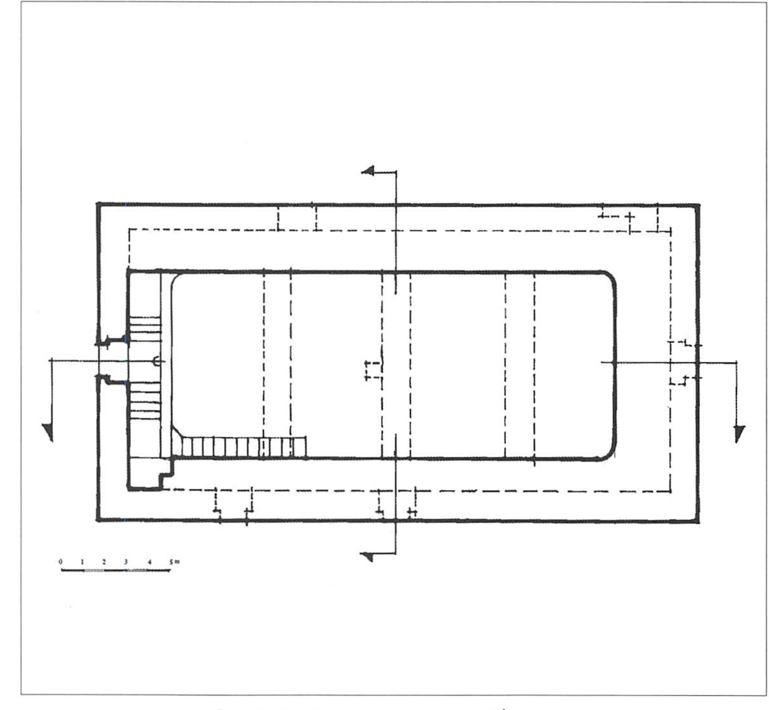


الشكل ٨. مصلى قلعة صَدْر الجندىَ كانت أرضيته المبلطة تستخدم فى تجميع مياه الأمطار حيث تخزن فى الصهريجين الكبير والصغير فيستفيد منها حمام القلعة.

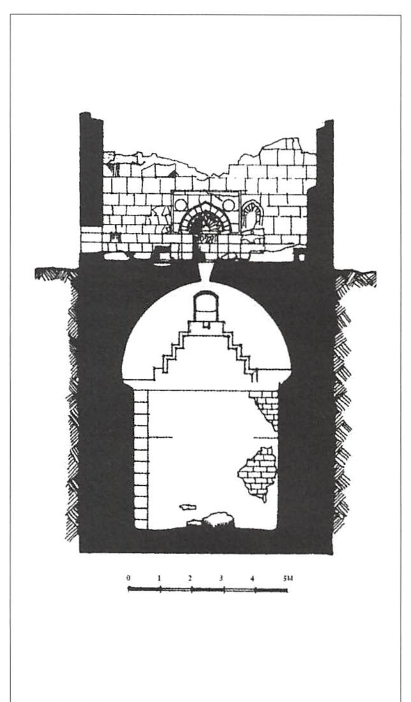




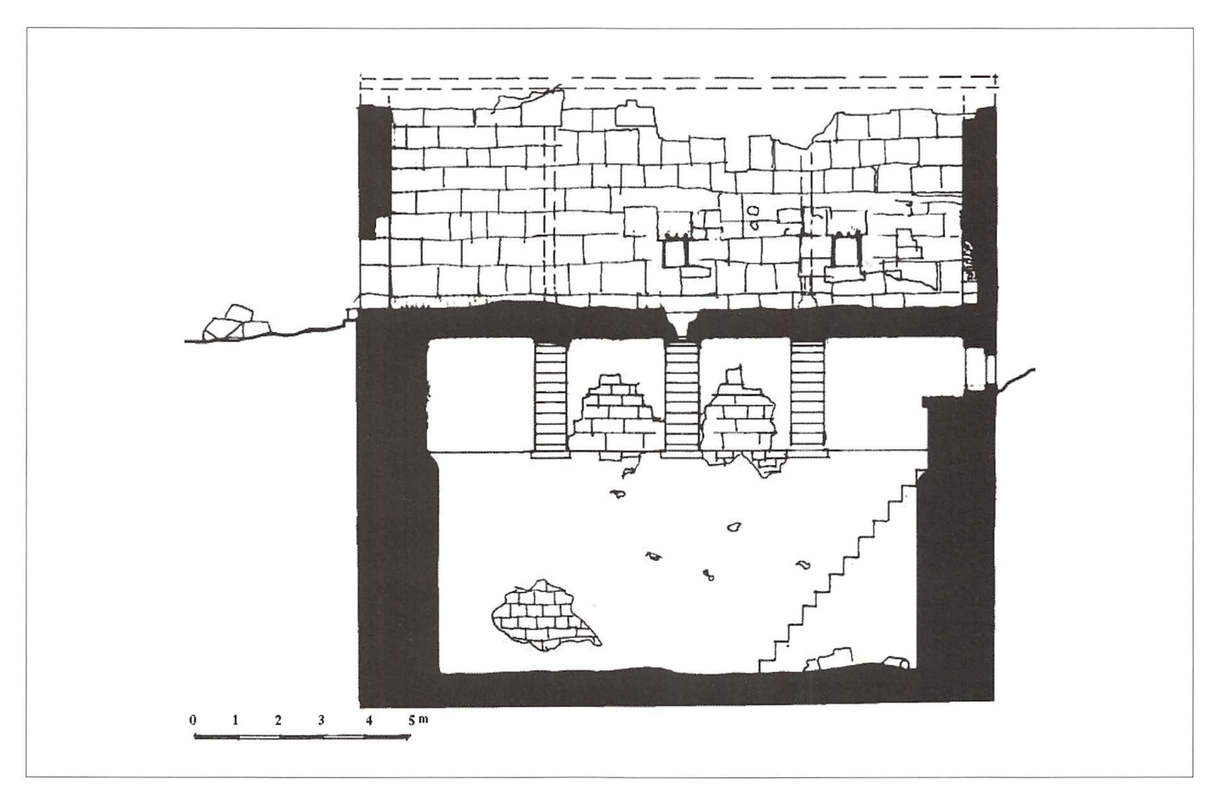
الشكل ٩. مسقط أفقى وقطاع عرضى للصهريج الصغير فى قلعة صَدْر َالجندىَ الذى يستفيد من مائه الحمام.



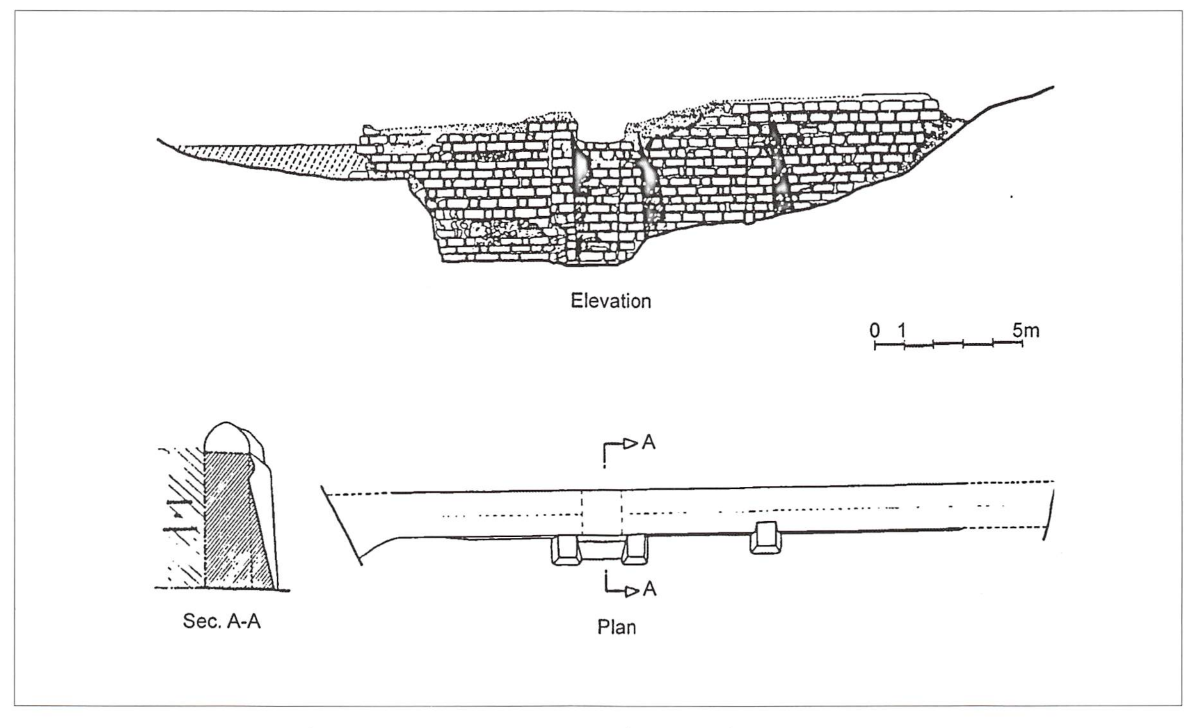
الشكل ١٠. مسقط أفقى للصهريج الكبير فى قلعة صَدْر َالجندىَ الذى يستفيد من مائه الحمام.



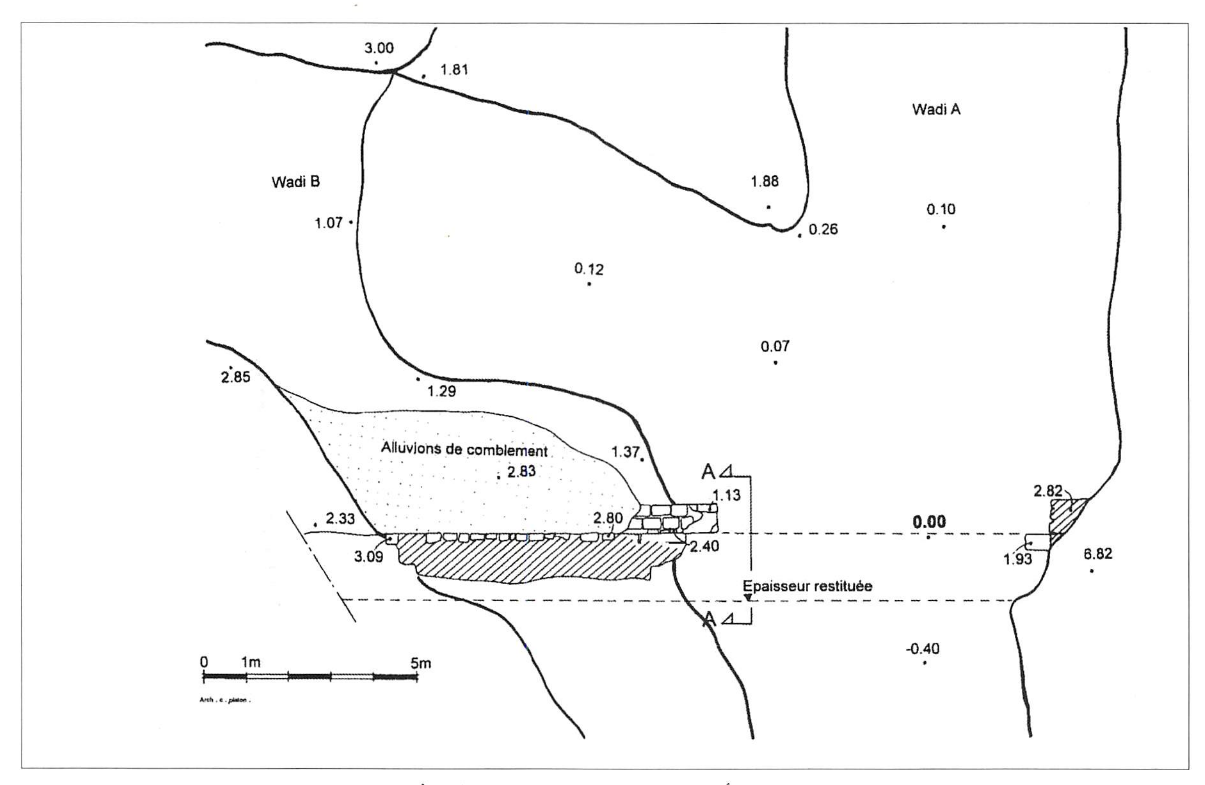
الشكل ١١. قطاع طولى للصهريج الكبير فى قلعة صَدْر َالجندىَ الذى يستفيد من مائه الحمام.



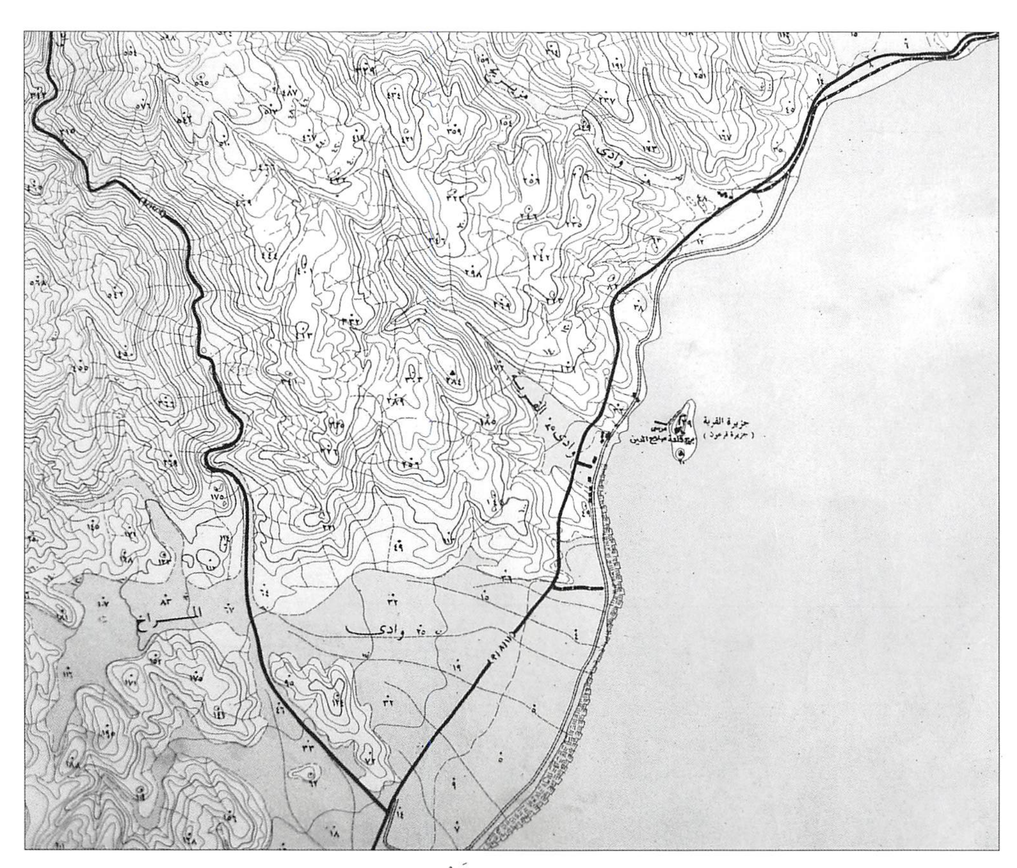
الشكل ١٢. قطاع عرضى للصهريج الكبير فى قلعة صَدْر
'الجندىَ الذى يستفيد من مائه الحمام.



الشكل ١٣. واجهة ومسقط أفقى السد الأول الكبير الغربى من سدود قلعة صَدْر 'الجندىَ
استخدم فى حجز مياه السيول من أجل استخدامها فى القلعة والحمام، رسم المهندسة كلودين باتون 'Cl. Pation'، بإشراف الباحث.

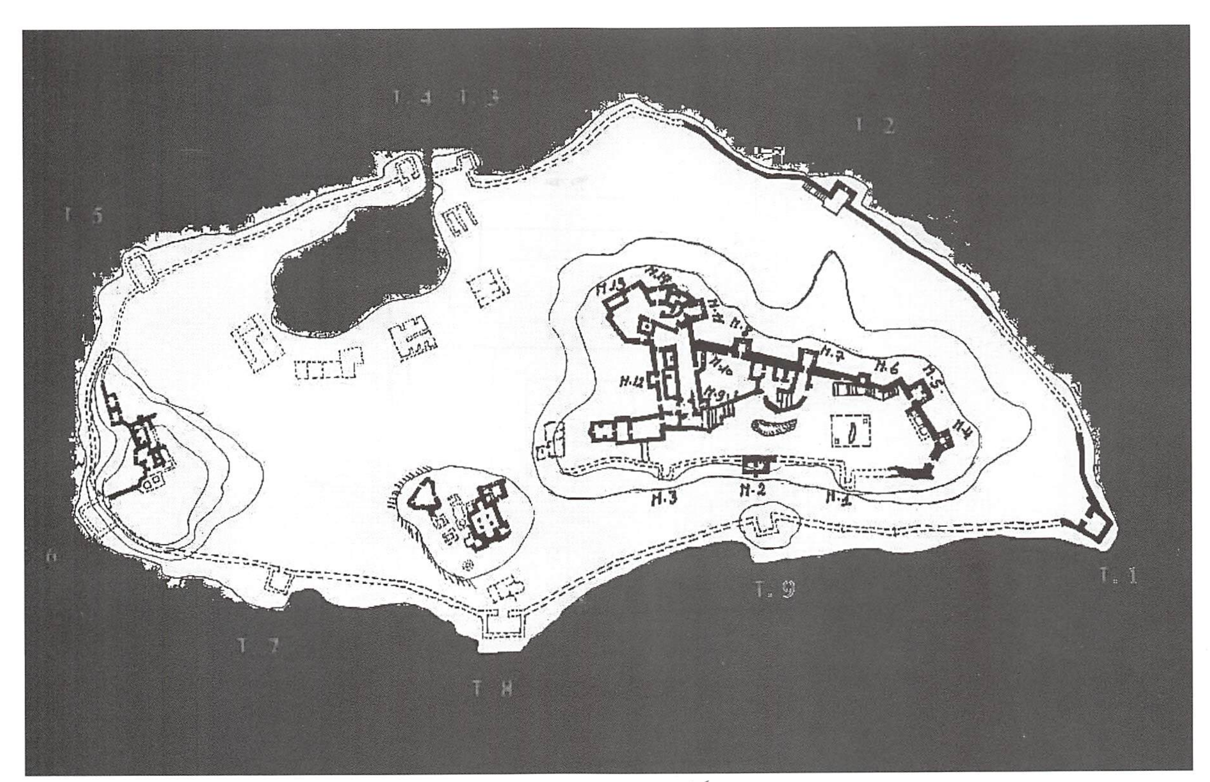


الشكل ١٤. خارطة مساحية موقع عليها مسقط أفقى للسد الثالث من سدود قلعة صَدْر ’الجندى‘ استخدم فى حجز مياه السيول من أجل القلعة والحمام، اكتشفه الباحث أثناء المسح الآثارى، رسم المهندسة كلودين باتون ’Cl. Pation‘.

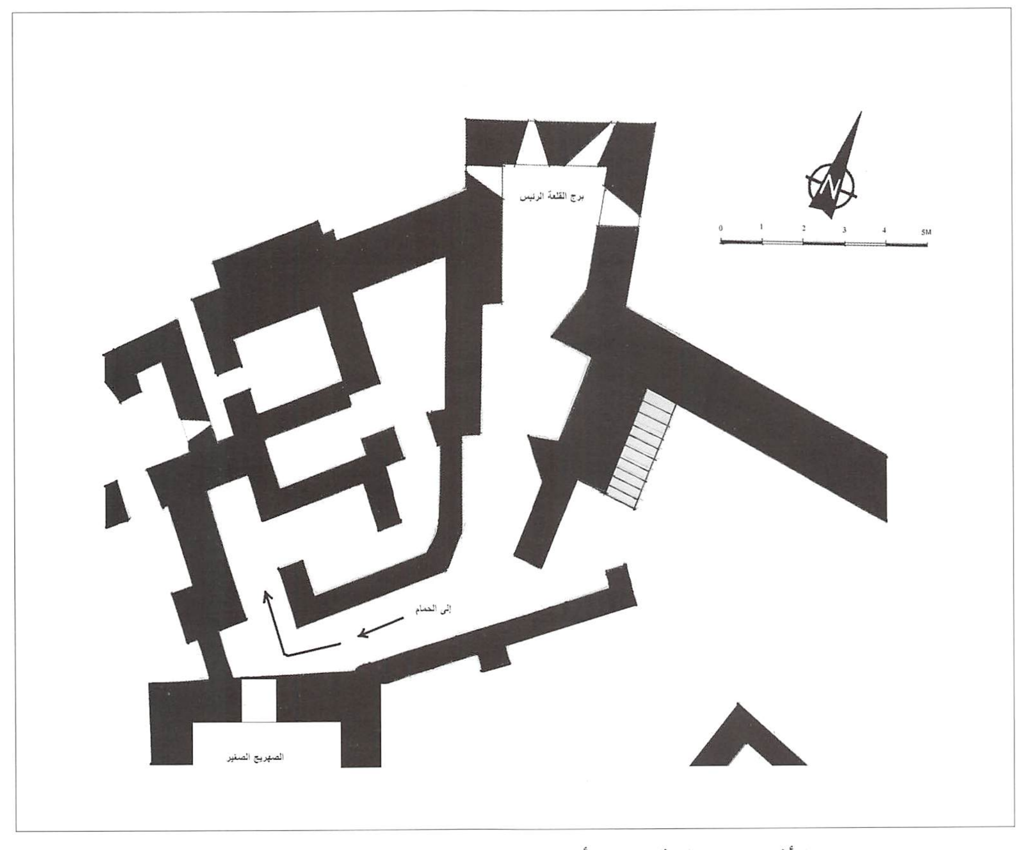


الشكل ١٥. خارطة مساحية موقع عليها جزيرة أَيْلَه ’صلاح الدين فى جزيرة فرعون‘،
مقياس رسم ١: ٢٥,٠٠٠.

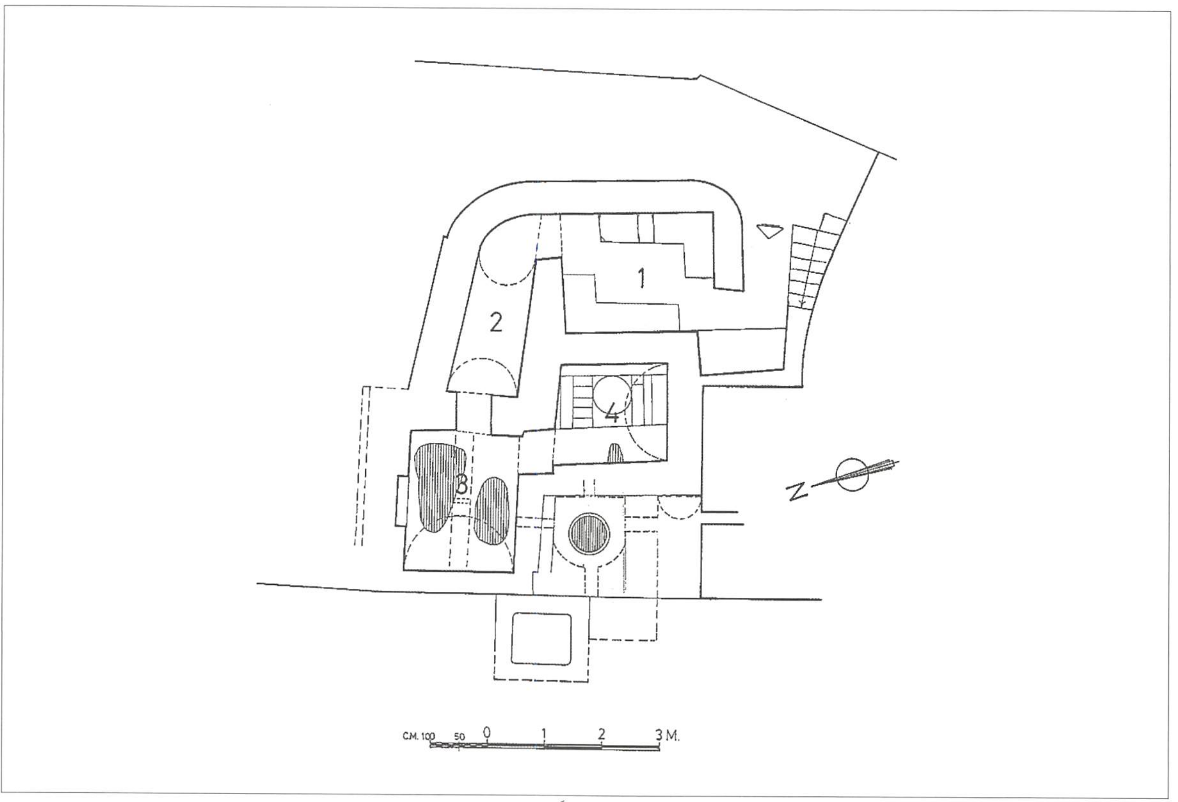




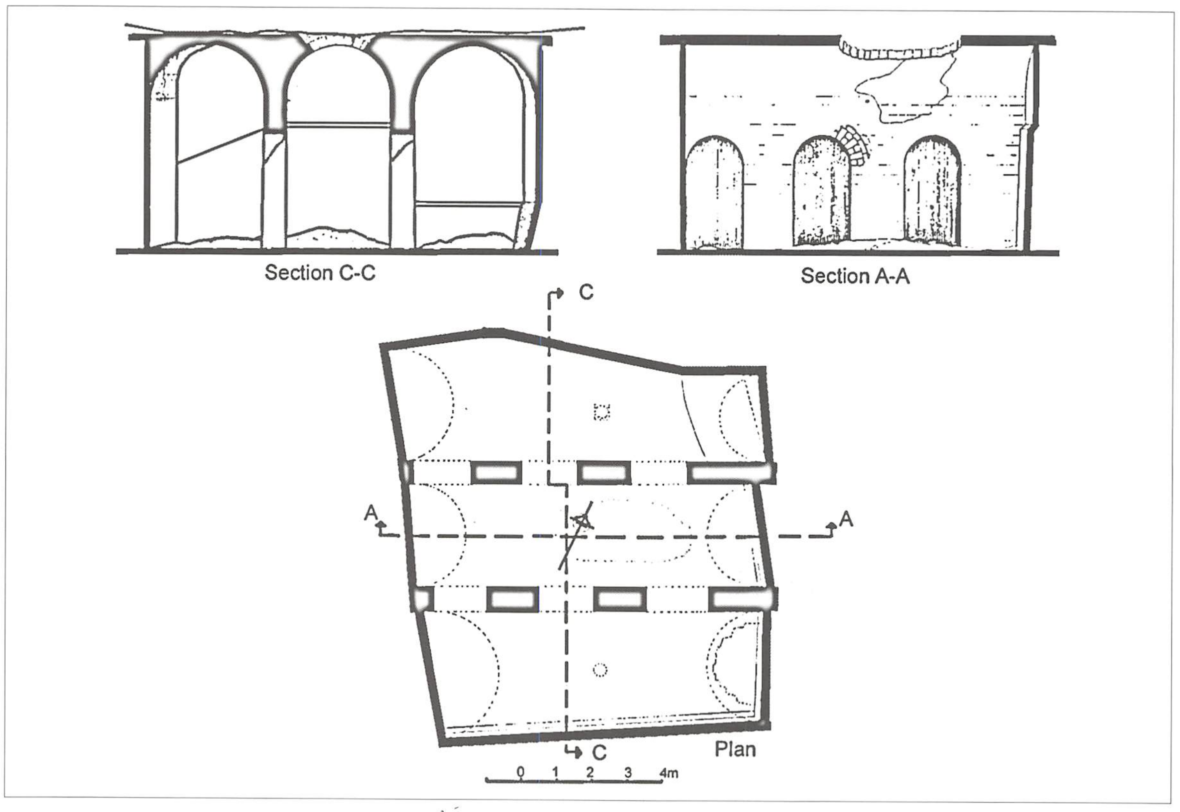
الشكل ١٦. مسقط أفقى لقلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ التى يوجد فيها الحمام.



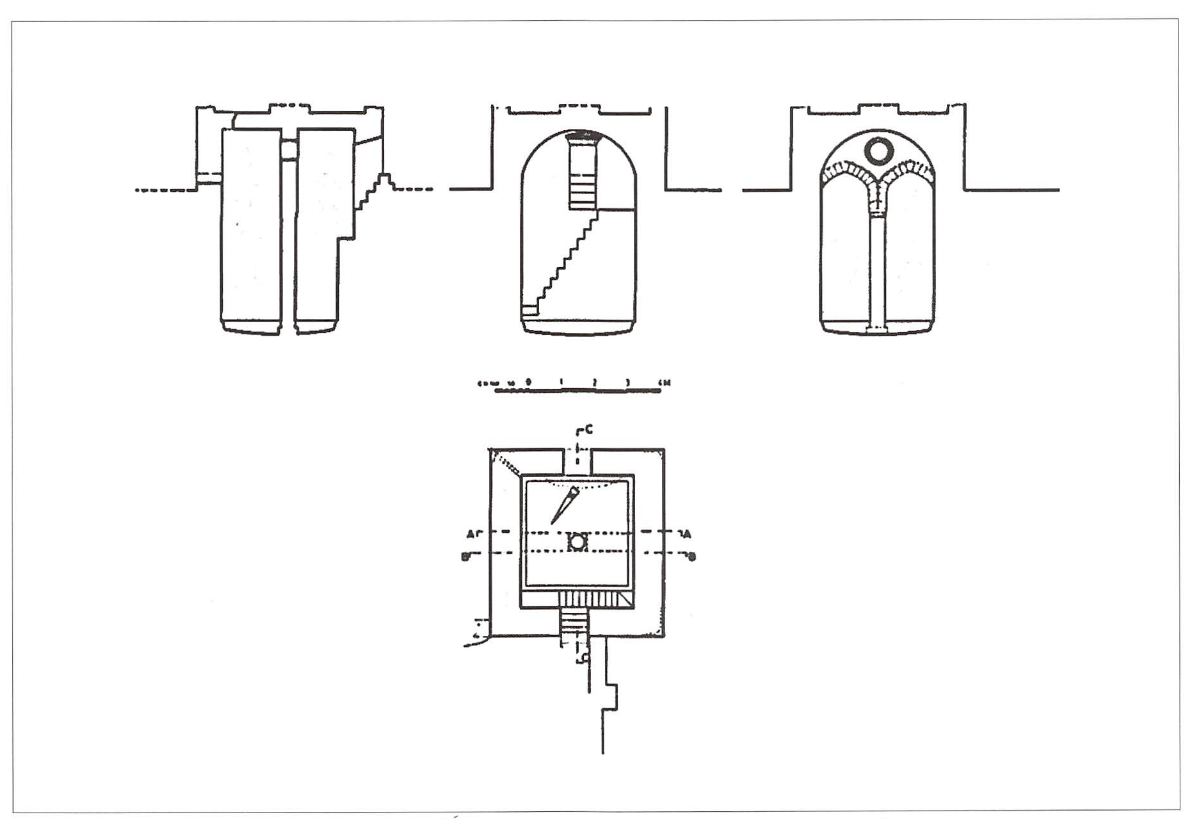
الشكل ١٧. مسقط أفقى لحمام قلعة جزيرة أيله 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ وما حوله من منشآت.



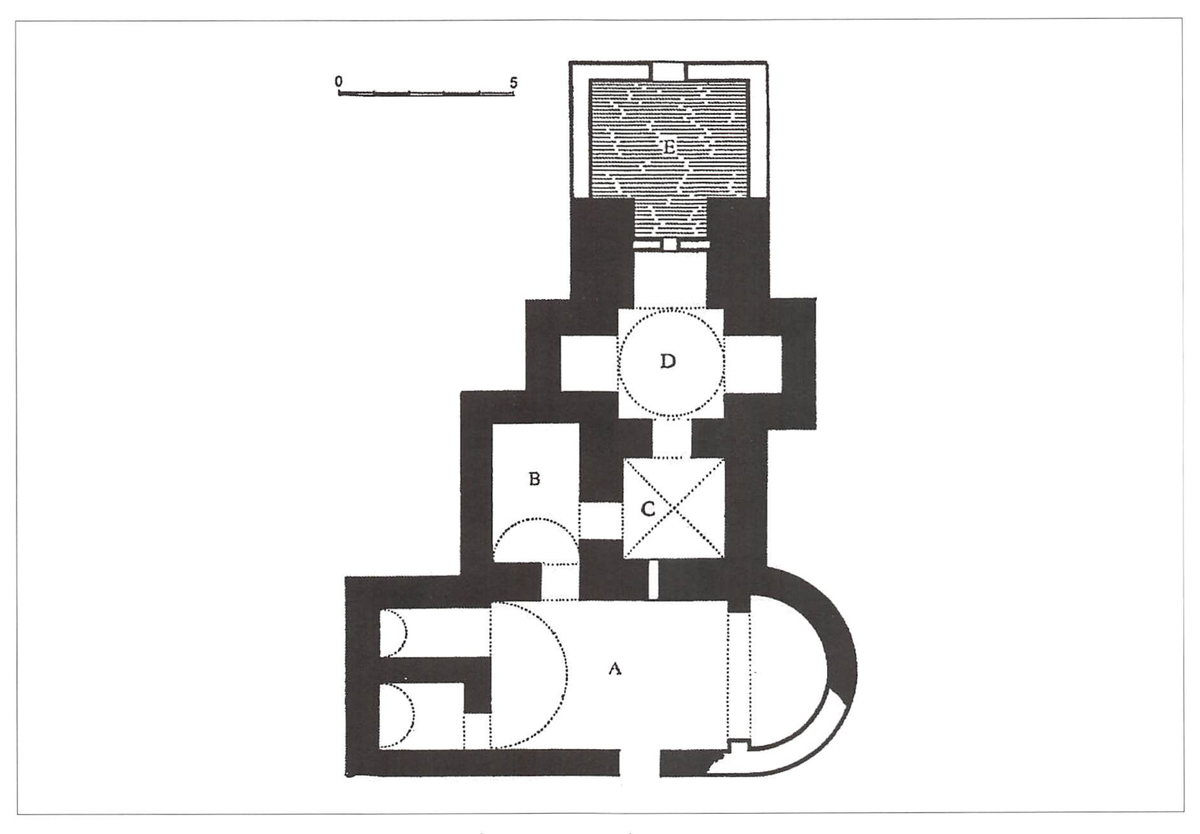
الشكل ١٨. مسقط أفقى لحمام قلعة جزيرة أَيلَه'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'،
رسم المهندس المعمارى محمد أبو العمايم.



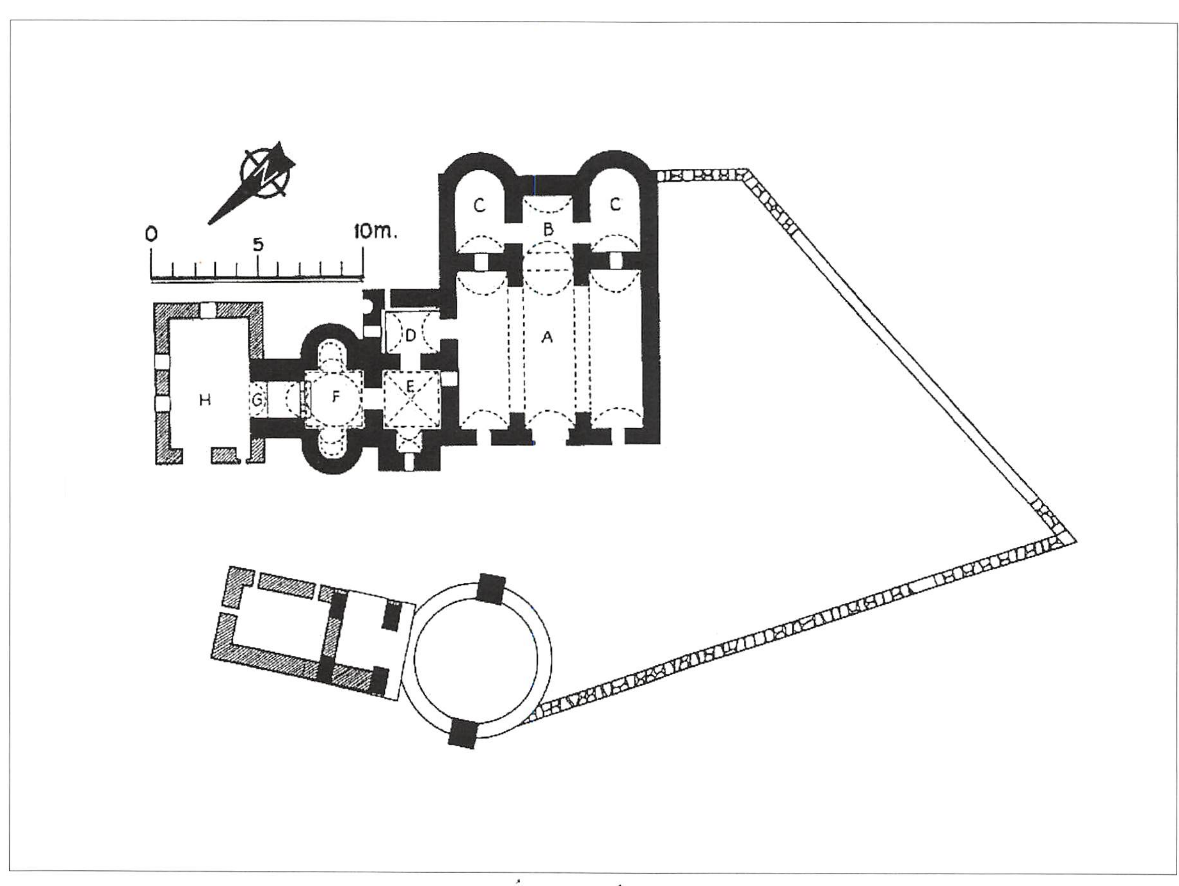
الشكل ١٩. تخطيط وقطاع طولى وعرضى للصهريج الكبير فى قلعة جزيرة أَيلَه'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'
يستفيد من مائهما الحمام، رسم المهندس المعمارى محمد أبو العمايم.



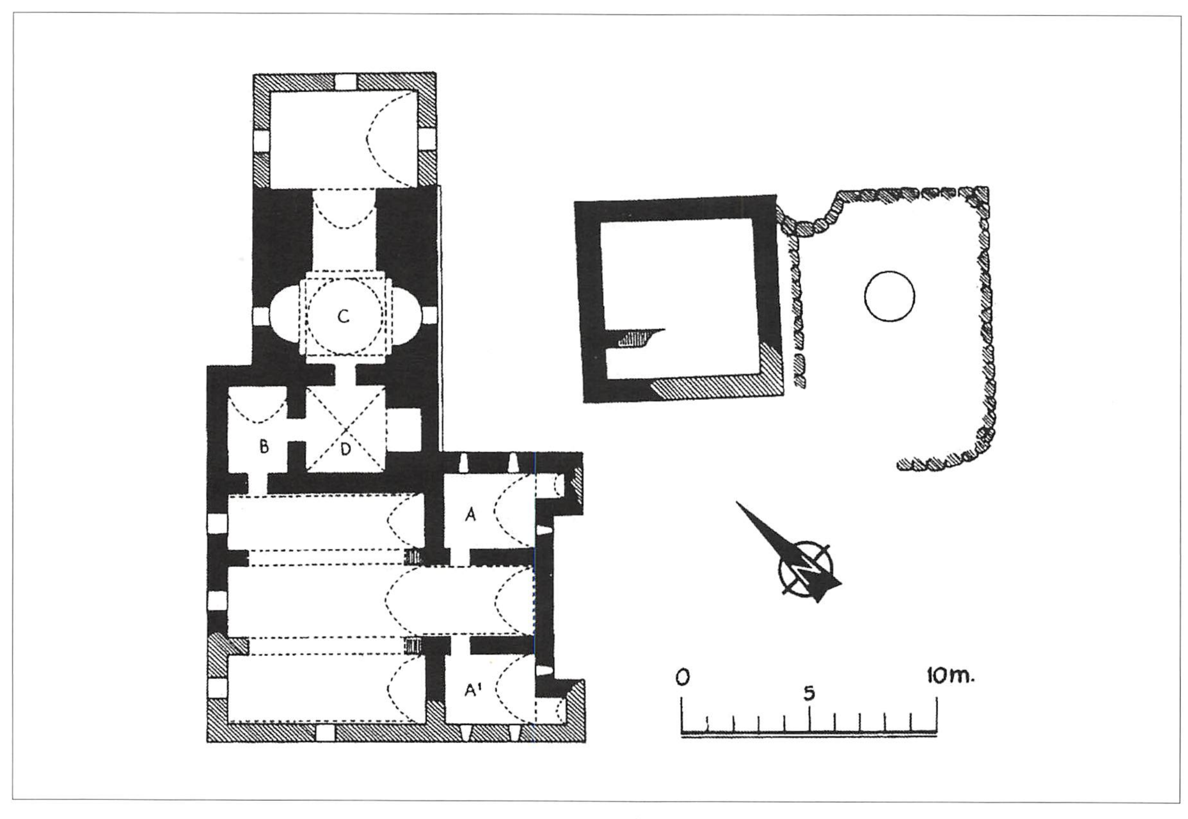
الشكل ٢٠. مسقط أفقى وقطاعات للصهريج الصغير فى قلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون' المصَدْر الرئيس لإمداد حمام القلعة بالمياه، رسم المهندس المعمارى محمد أبو العمايم.



الشكل ٢١. مسقط أفقى لحمام قصر أسيس.

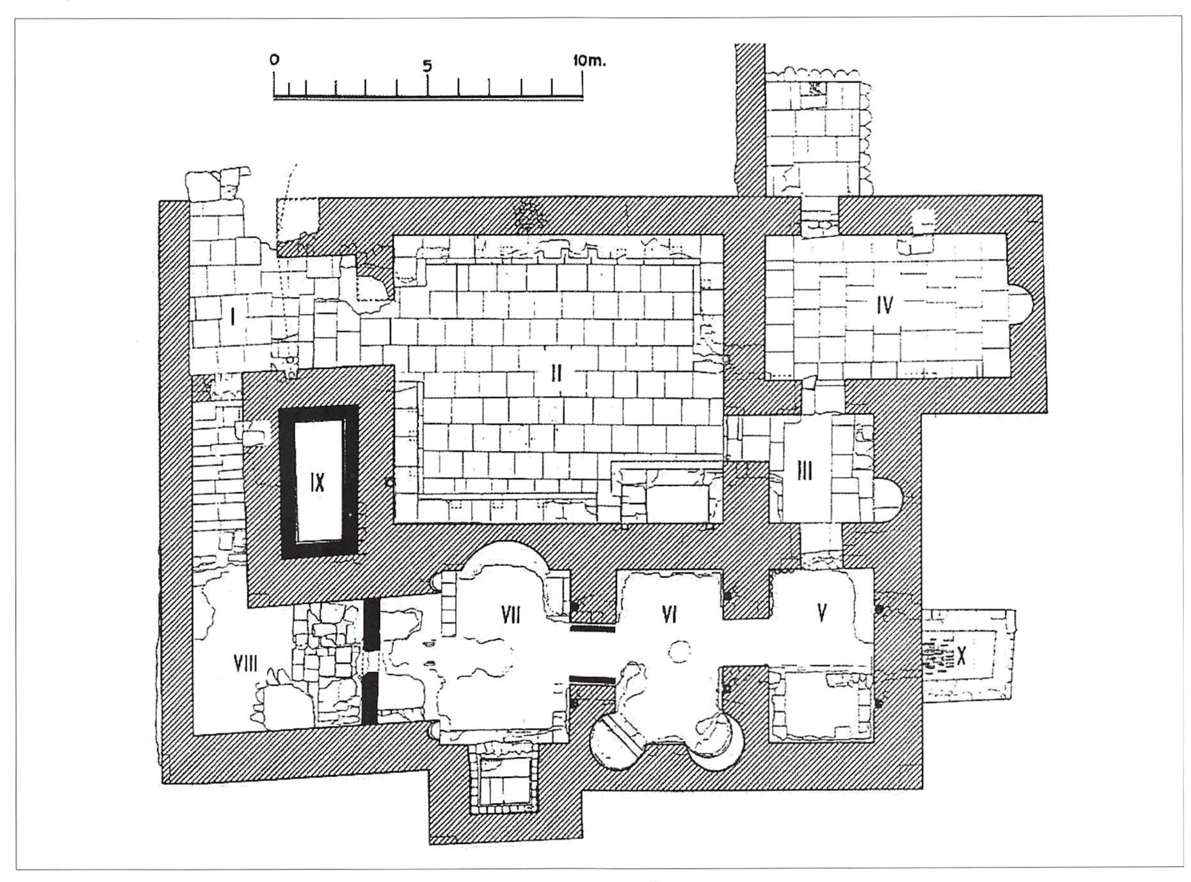


الشكل ٢٢. مسقط أفقى لحمام قُصَيرْ عَمْرَة.

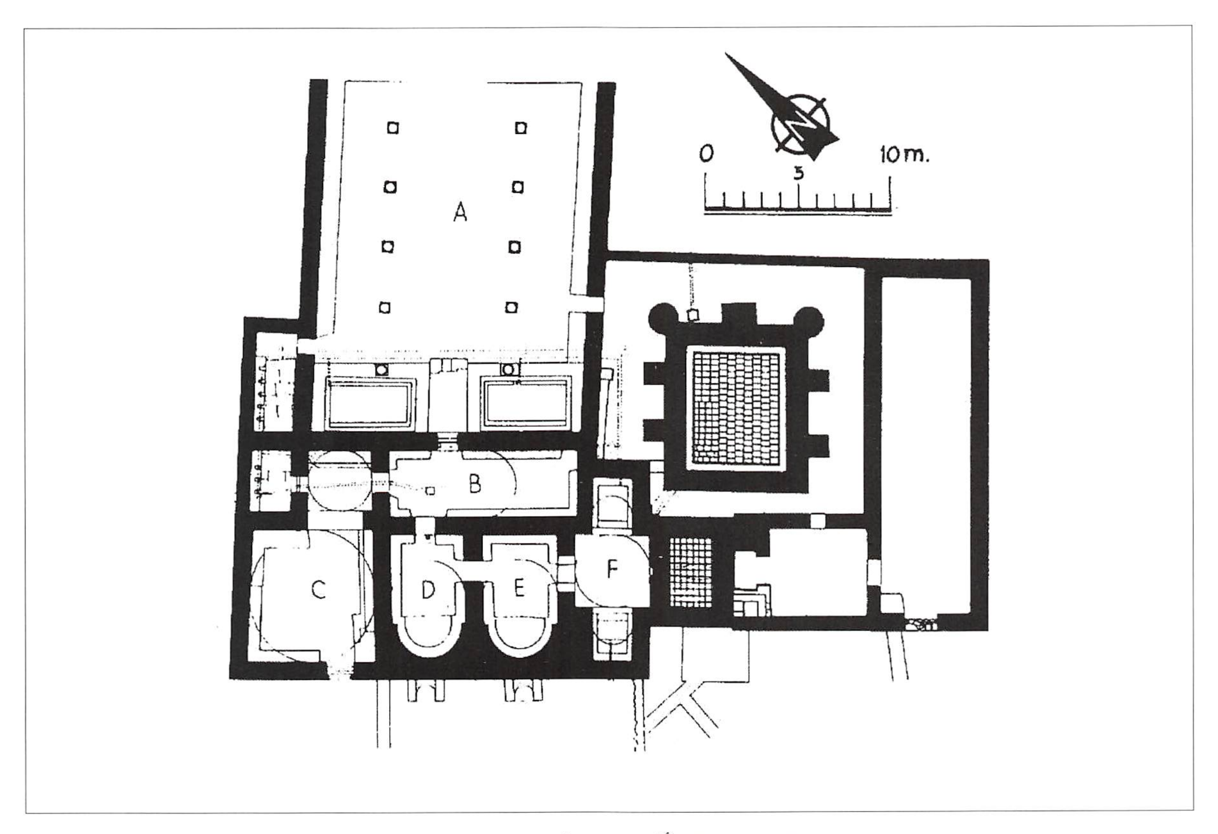


الشكل ٢٣. مسقط أفقى لحمام الصرح السراحَ.

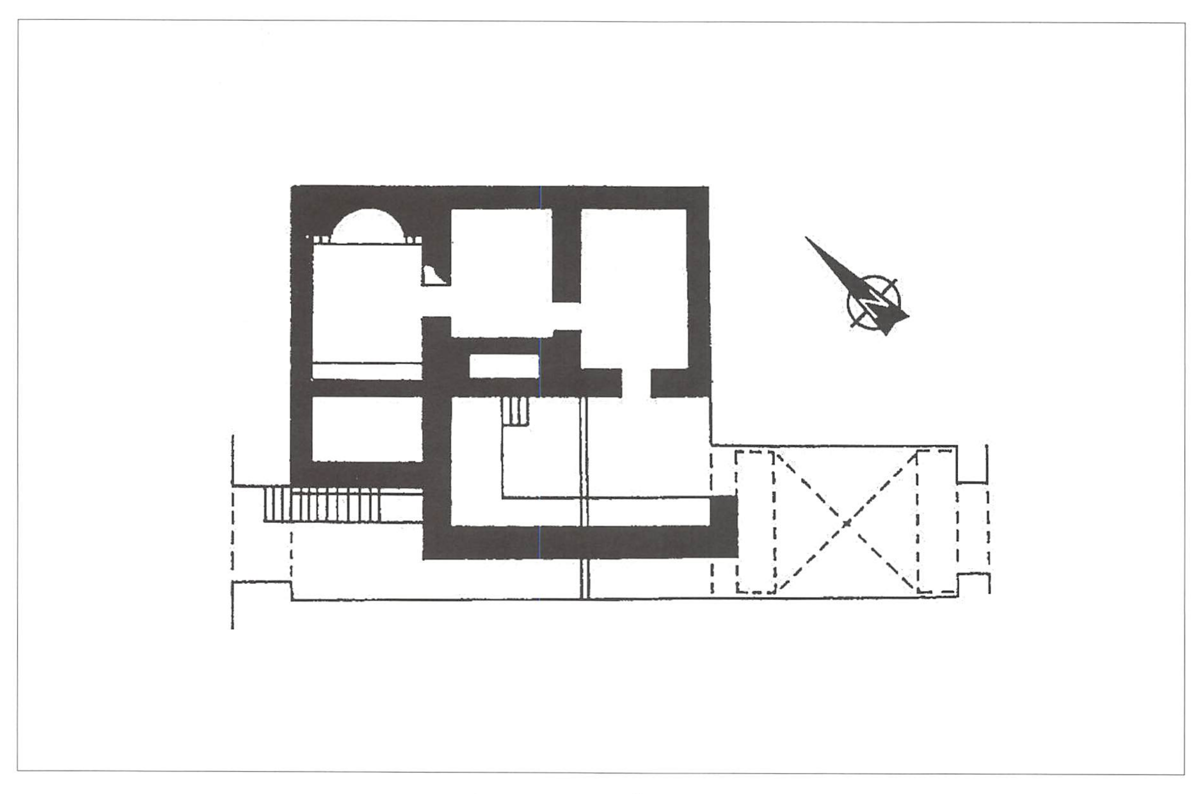




الشكل ٢٤. مسقط أفقى لحمام قصر الحير الغربى.



الشكل ٢٥. مسقط أفقى لحمام قصر الحير الشرقى.



الشكل ٢٦. مسقط أفقى لحمام قصر الأخيضر.



اللوحة ١. بقايا حمام رومانى فى شمال البوابة الشمالية 'باب البحر' من حصن الفَرَمَا فى سيناء.



اللوحة ٢. بقايا حمام فى جنوب شرق حصن الفَرَمَا فى سيناء.





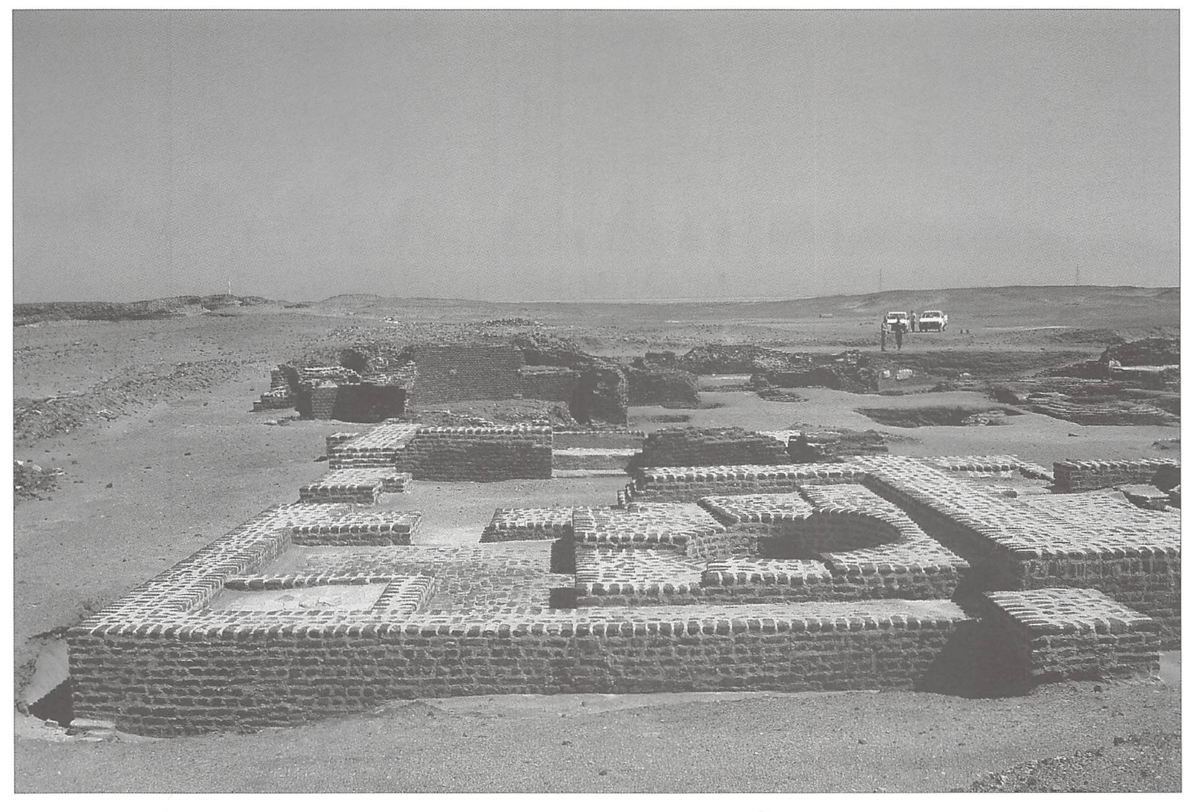
اللوحة ٣ أ، ب. بقايا مدينة وحصن الفلوسيات/اوستراكين/ المسورة من المأمول العثور فيها على حمامات.

اللوحة ٤. صورة جوية لكنيسة الفَرَمَا الجنوبية الشرقية والحمام العباسى فى الركن الجنوبى الشرقى منها بعد الحفائر الآثارية وقبل ترميمه، عن:

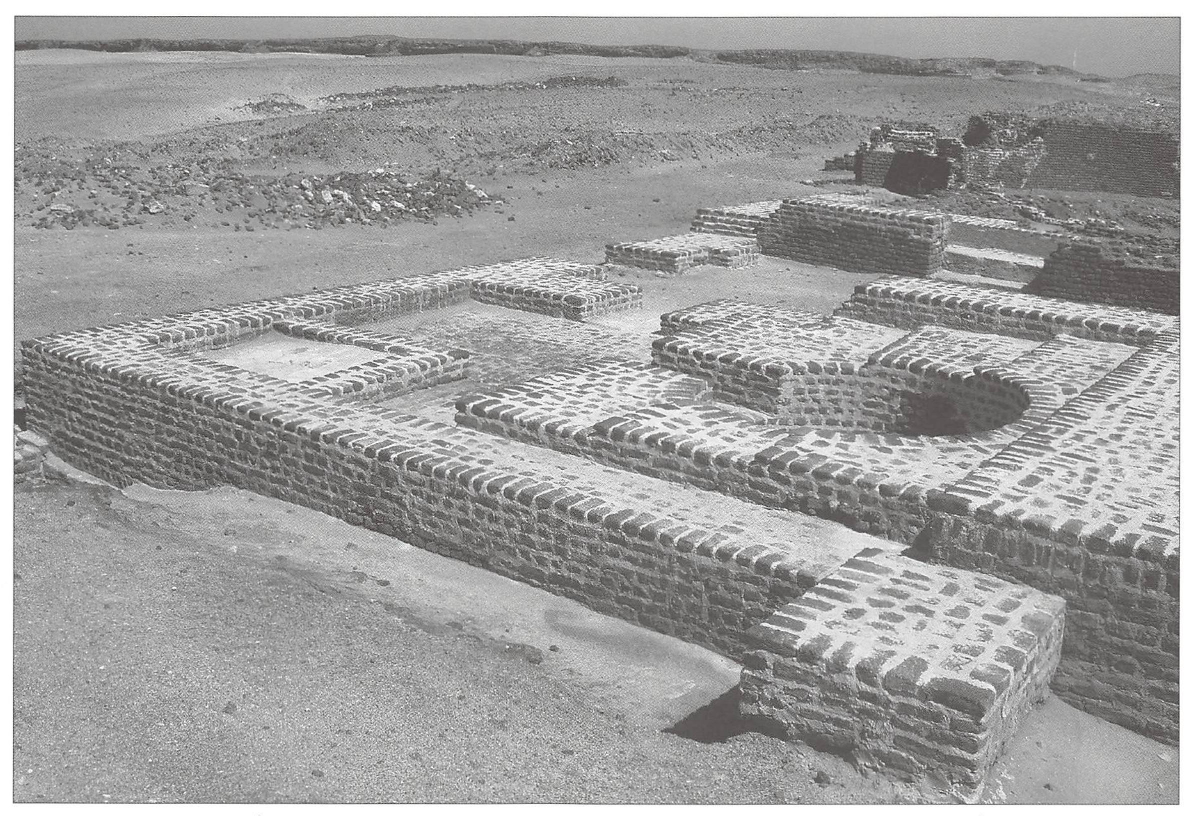
Bonnet et al., *L' église tétraconque et les faubourgs romains de Farama*, fig. 2.



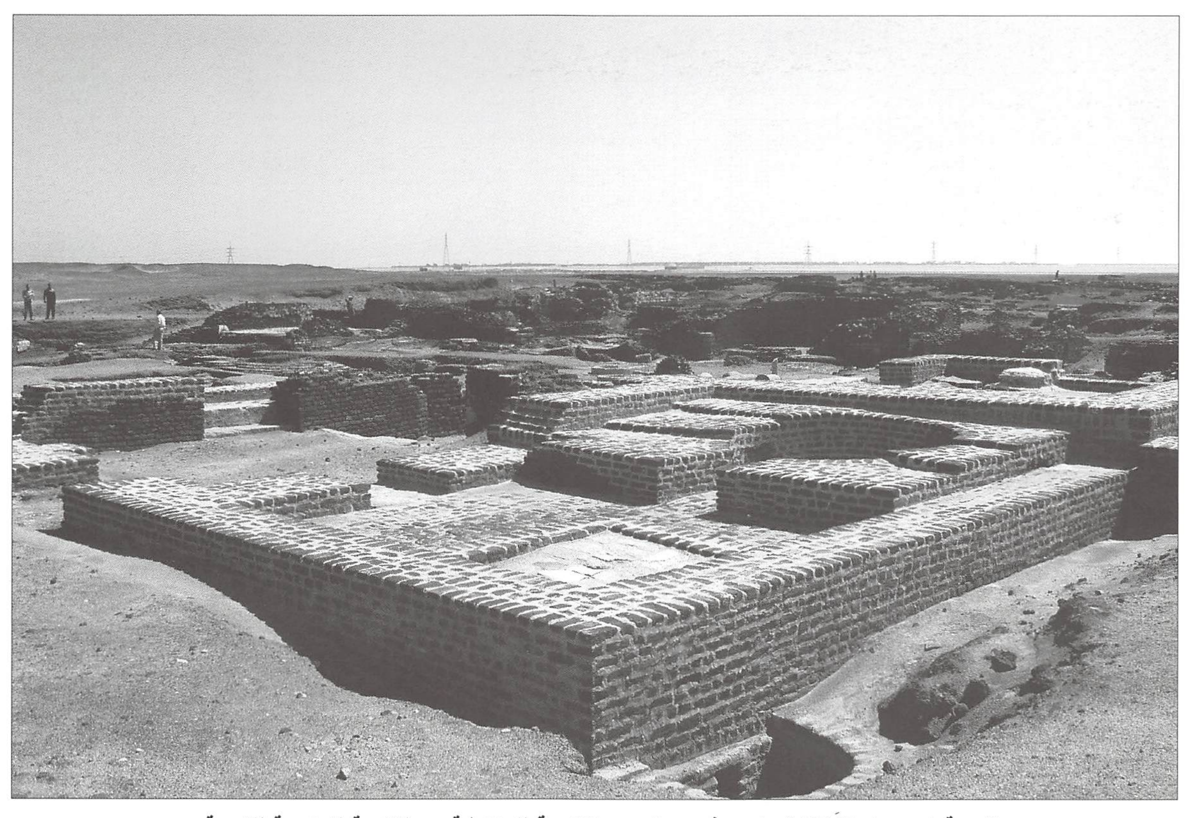
اللوحة ٥. بقايا حمام الفَرَمَا العباسى من الناحية الشمالية بعد اكتشافه وترميمه، وهو فى الركن الجنوبى الغربى من كنيسة الفَرَمَا البيزنطية.



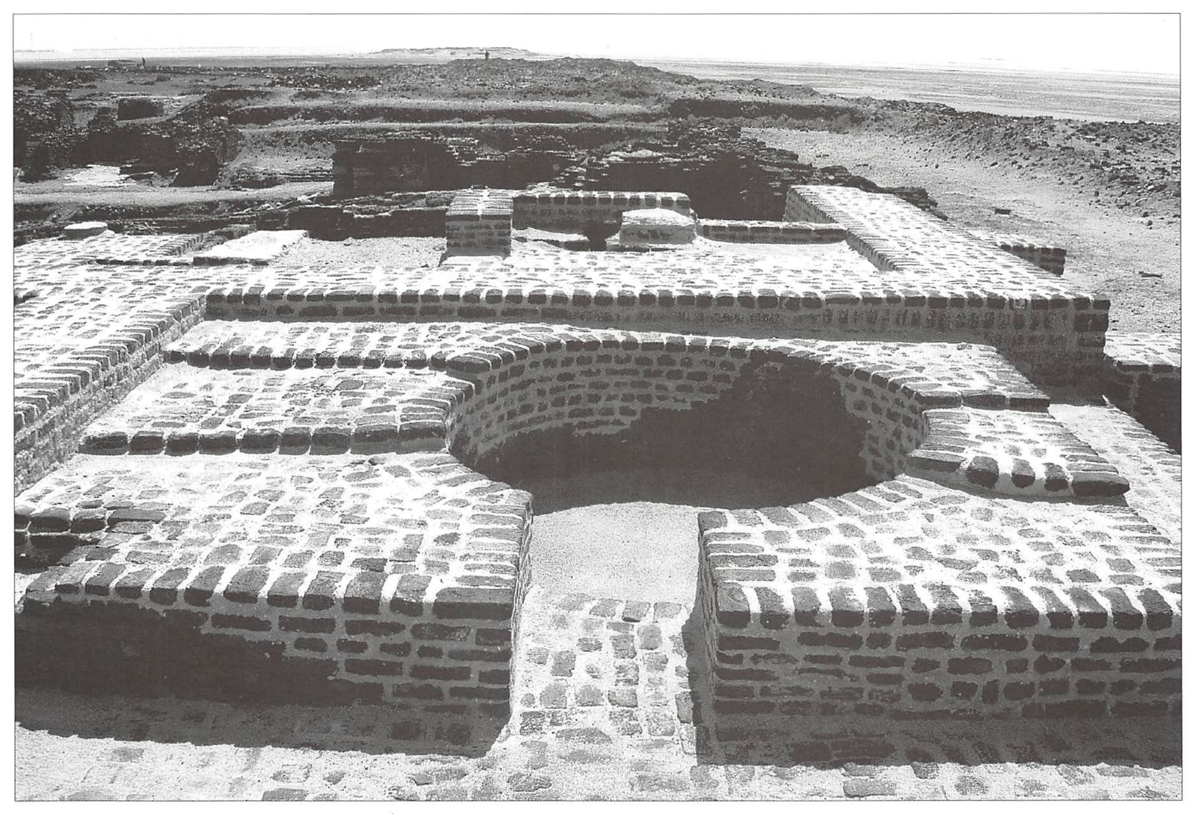
اللوحة ٦. بقايا حمام الفَرَمَا العباسى من الناحية الجنوبية وهو مبنى فى الركن الجنوبى الغربى من كنيسة الفَرَمَا الجنوبية الشرقية التى اكتشفت مؤخرًا.



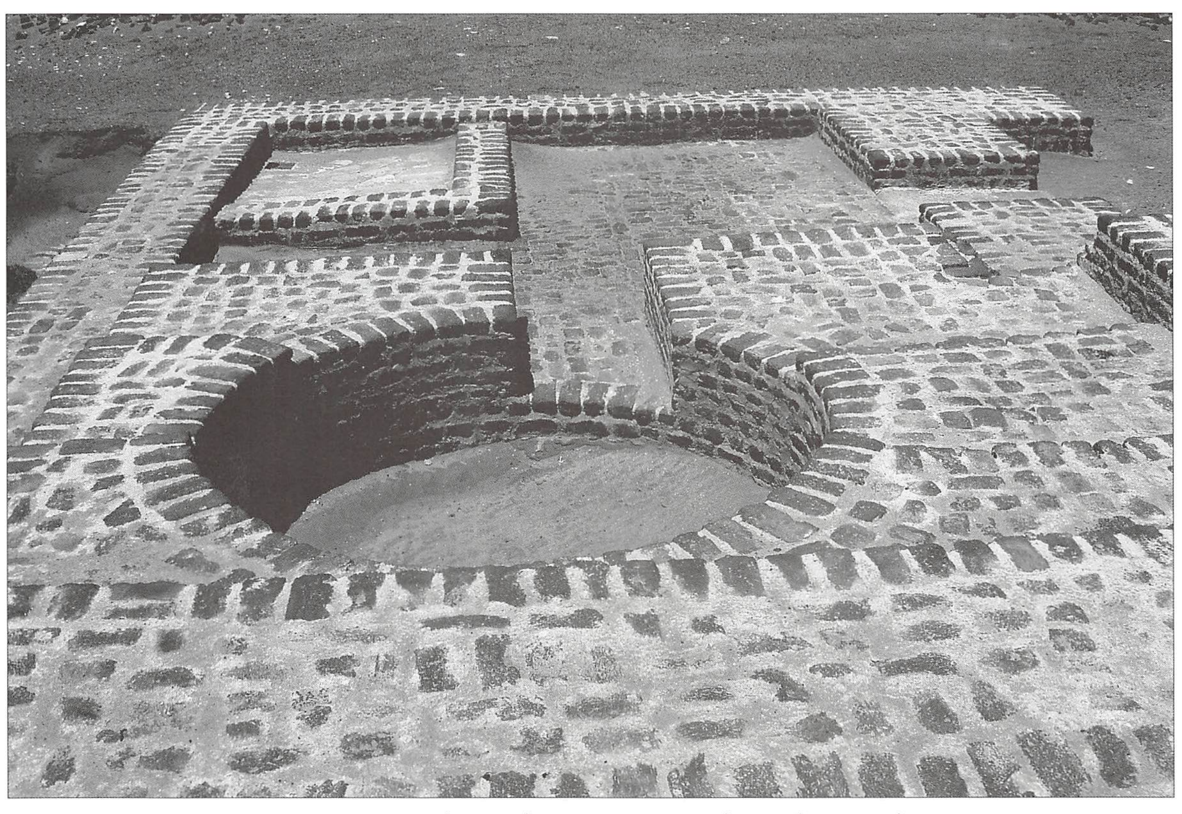
اللوحة ٧. حمام الفَرَمَا العباسى فى سيناء من الناحية الجنوبية الشرقية وشماله الغربى يوجد حصن الفَرَمَا العباسى من الناحية الجنوبية الغربية.



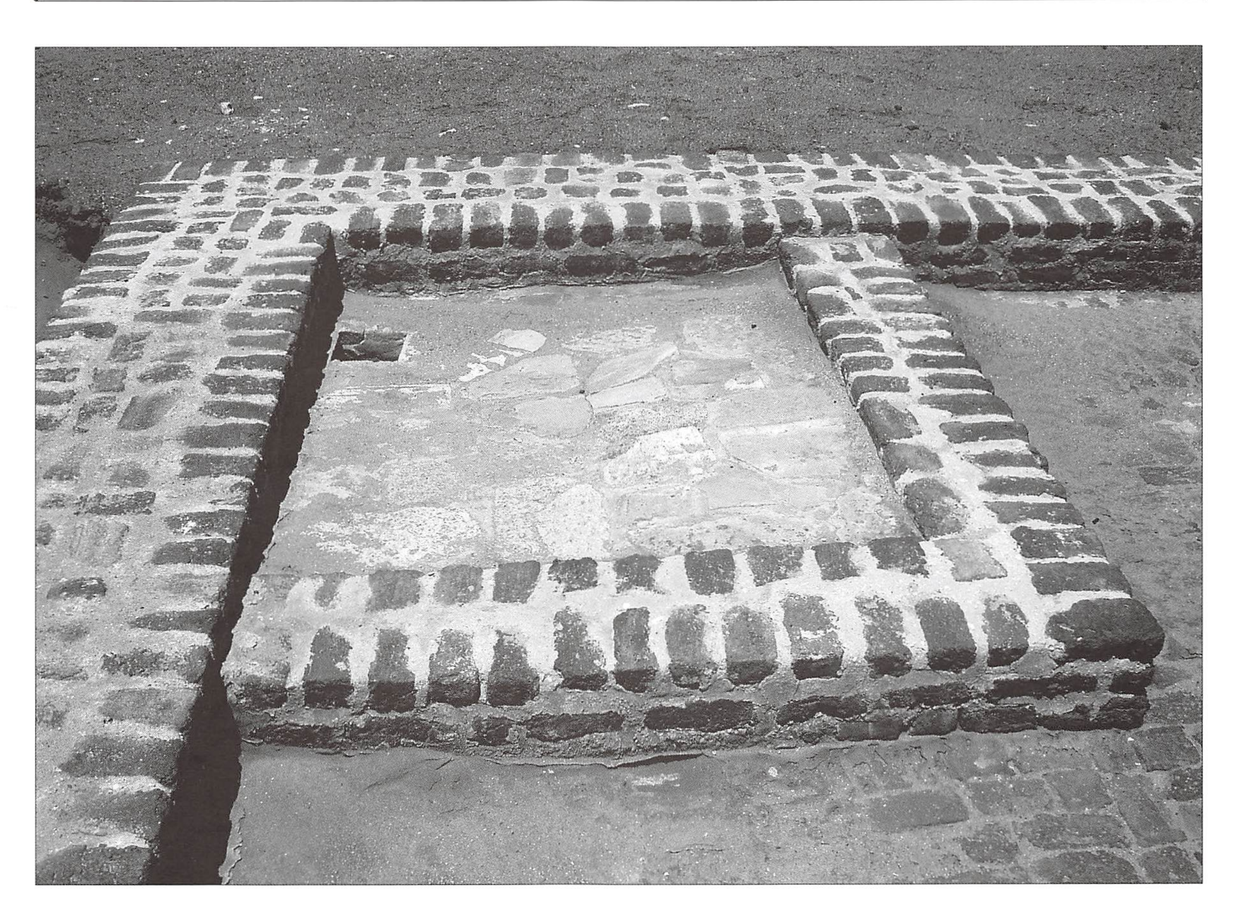
اللوحة ٨. حمام الفَرَمَا العباسى فى سيناء مع الكنيسة البيزنطية من الناحية الجنوبية الغربية.



اللوحة ٩. غرفة دائرية كانت مغطاة بقبة وخلفها بيت الراحة من حمام الفَرَمَا العباسى فى سيناء.



اللوحة ١٠. الغرفة الدائرية التخطيط تتقدمها غرفة مستطيلة التخطيط مزودة بحوض من حمام الفَرَمَا العباسى فى سيناء.





اللوحتان ١١، ١٢. حوض استحمام مبلط ومزود بفتحة لتصريف الماء فى بئر خارج حمام الفَرَمَا العباسى فى سيناء.



اللوحة ١٣. بيت راحة حمام الفَرَما العباسى فى سيناء وخلفه يوجد بئر الصرف.



اللوحة ١٤. بقايا جامع بلدة قَطْيَا المملوكى فى شمال سيناء تم اكتشافه عن طريق الحفائر الآثارية،
هل ستساعد الحفائر الآثارية إذا استكملت فى تحقيق بقية عمائرها العديدة والمختلفة الوظائف التى منها حمام عام؟







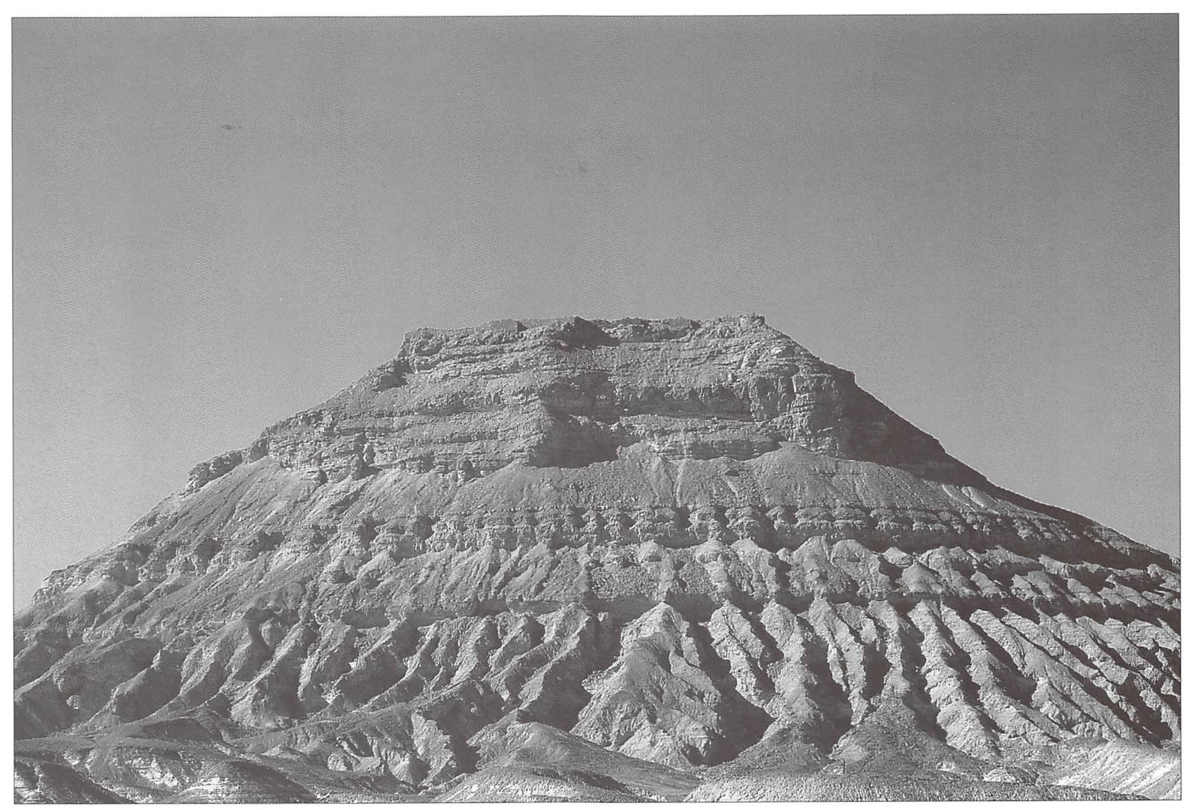
اللوحة ١٥ أ، ب. بقايا مدينة الوَرَّادَة 'الخوينات' فى شمال سيناء بعد تحقيق موقعها وموضعها، هل تكون مقدمة للكشف عن حمام أو حمامات المدينة العامة وعمائرها العديدة المختلفة الوظائف؟



اللوحة ١٦. صورة جوية نادرة لقلعة صَدْر ٱلجندىٰ وحمامها الذى يقع فى الركن الجنوبى الشرقى منها.



اللوحة ١٧. قلعة صَدْر ٱلجندىٰ من الناحية الشمالية الغربية حيث يظهر الجبل الذى تشغله القلعة وملحقاتها.



اللوحة ١٨. قلعة صَدْر 'الجندىَ من الناحية الجنوبية حيث يوجد الحمام فى ركنها الجنوبى الشرقى.



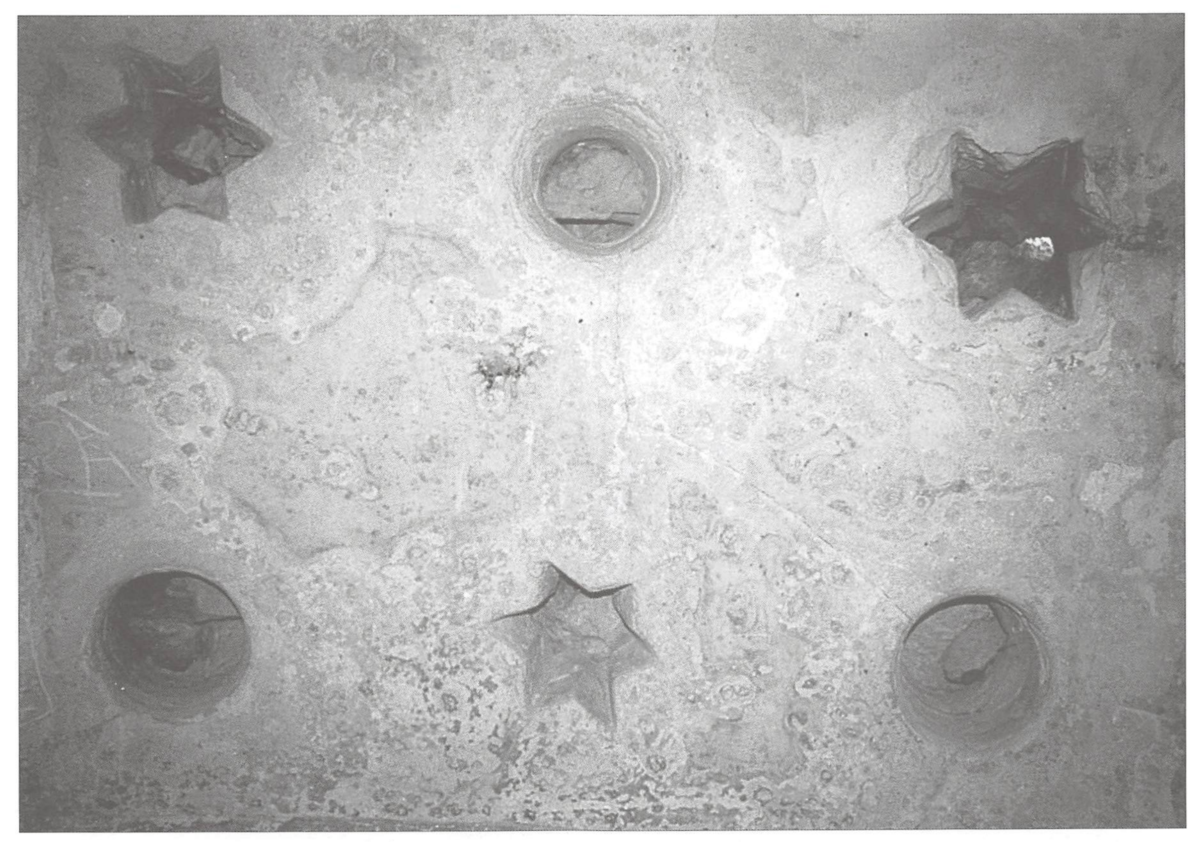
اللوحة ١٩. حمّام قلعة صَدْر 'الجندىَ من الناحية الشمالية وهو يقع في الركن الجنوبى الشرقى من القلعة بجوار السور بين برجين من أبراج القلعة.

اللوحة ٢٠. الباب والسقف ذو المضاوى الدائرية الدهليز الواصل
بين قاعة الاستقبال والحجرة الدافئة من حمام قلعة صَدْر 'الجندى'.



اللوحة ٢١. سقف ومضاوى دهليز الحمام الدائرية من حمام قلعة صَدْر 'الجندىَ كانت فى الأصل مغلقة بالزجاج الملون والشفاف.

اللوحة ٢٢. الباب الواصل بين الدهليز والغرفة الدافئة من حمام قلعة صَدْر َالجندىَ وتظهر أرضية الغرفة الدافئة المبلطة ببلاطات الحجر الجيرى أعلى أقبية تسخين الحمام.



اللوحة ٢٣. سقف الحجرة الدافئة ذات الفتحات النجمية والدائرية من حمَّام قلعة صَدْر 'الجندىَ'.





اللوحتان ٢٤، ٢٥. تفصيل من فتحات المضاوى على شكل دوائر ونجوم سداسية، والتى كانت مغلفة بالزجاج الملون والشفاف فى الغرفة الدافئة من حمام قلعة صَدْر 'الجندىَ'.



اللوحة ٢٦. المضاوى الدائرية فى الغرفة الساخنة من حمام قلعة صَدْر ʼالجندىʼ والتى كانت مغلفة بالزجاج الملون الأخضر والأحمر والأصفر وكذلك بالزجاج الشفاف.



اللوحة ٢٧. موقد حمام قلعة صَدْر 'الجندىُ وملحقاته.



اللوحة ٢٨. حمام قلعة صَدْر 'الجندىُ فى الخلف وأمامه الصهريج الكبير أسفل الجامع، والصهريج الصغير وأرضية المصلى المبلطة لتجميع المياه وحفظها فى الصهريجين لإمداد الحمام بالمياه.



اللوحة ٢٩. المصلى الكشف سماوى ذو الأرضية المبلطة لتجميع مياه الأمطار وتخزينها فى الصهريجين المجاورين فى قلعة صَدْر ٬الجندىَ للاستفادة منها فى إمداد حمام القلعة بالمياه.



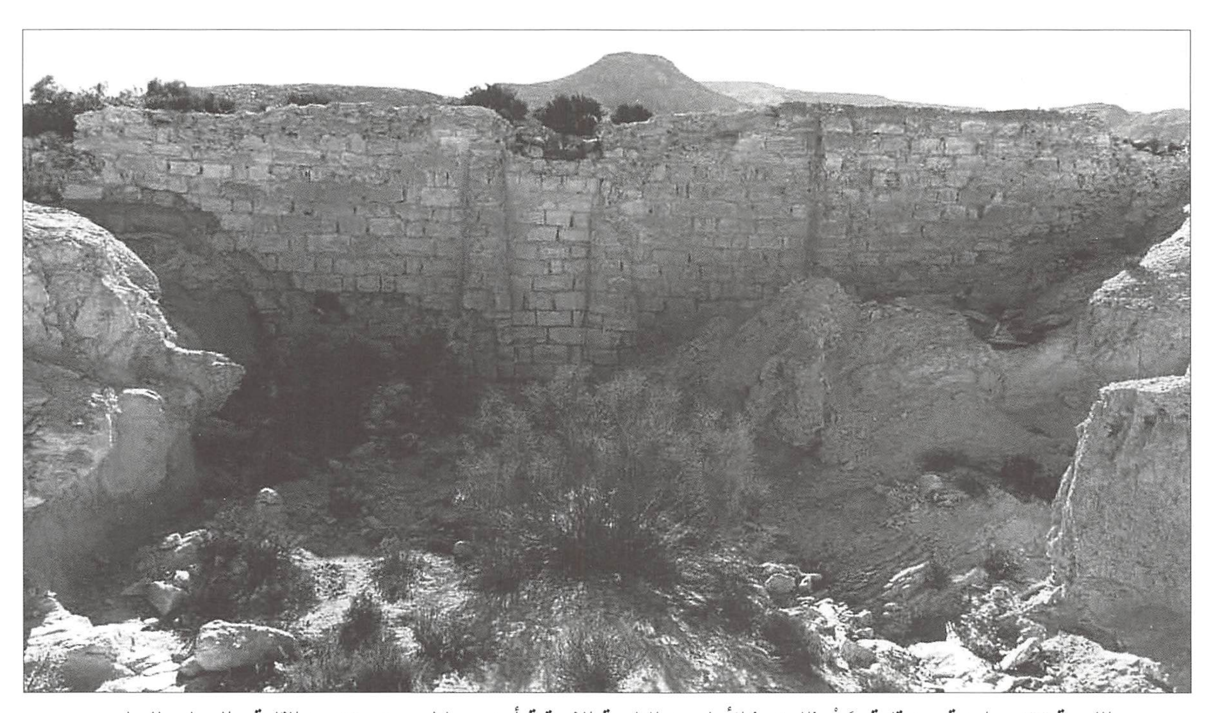
اللوحة ٣٠. الصهريج الصغير فى قلعة صَدْر ٬الجندىَ أحد مصادر إمداد حمام القلعة بالمياه.



اللوحة ٣١. الصهريج الكبير فى قلعة صَدْر 'الجندى' أحد مصادر إمداد حمام القلعة بالمياه.



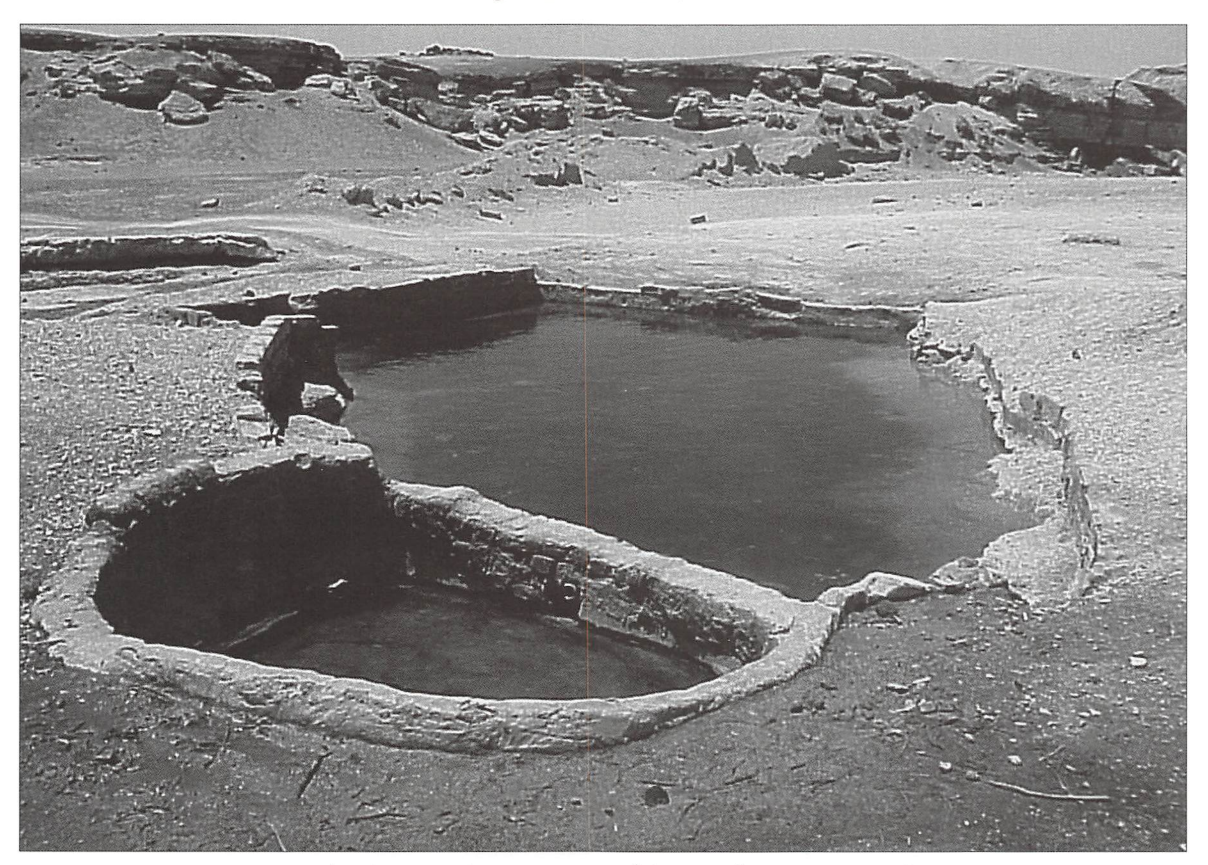
اللوحة ٣٢. السد الأول الغربى وقلعة صَدْر َالجندىَ وموقع كل منهما من الآخر، بعدسة المهندس المعمارى جابى توما.



اللوحة ٣٣. واجهة سد قلعة صَدْر َالجندىَ الأول من الناحية الشرقية أحد وسائل حجز وتزويد القلعة والحمام بالمياه.



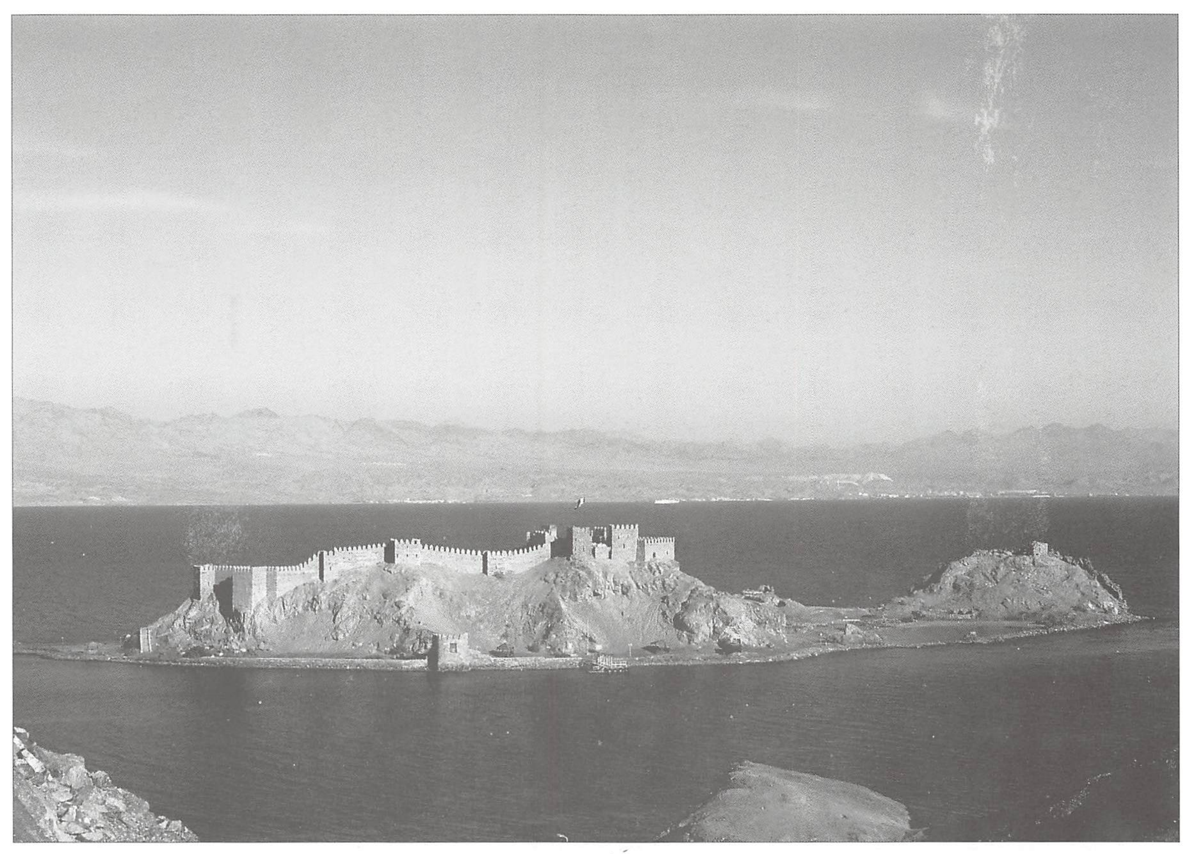
اللوحة ٣٤. السد الشرقى من سدود قلعة صَدْر أحد مصادر حجز وتزويد القلعة والحمام بالمياه، وقد تهدم قسم كبير منه بفعل السيول، بعدسة المهندس المعمارى جابى توما.



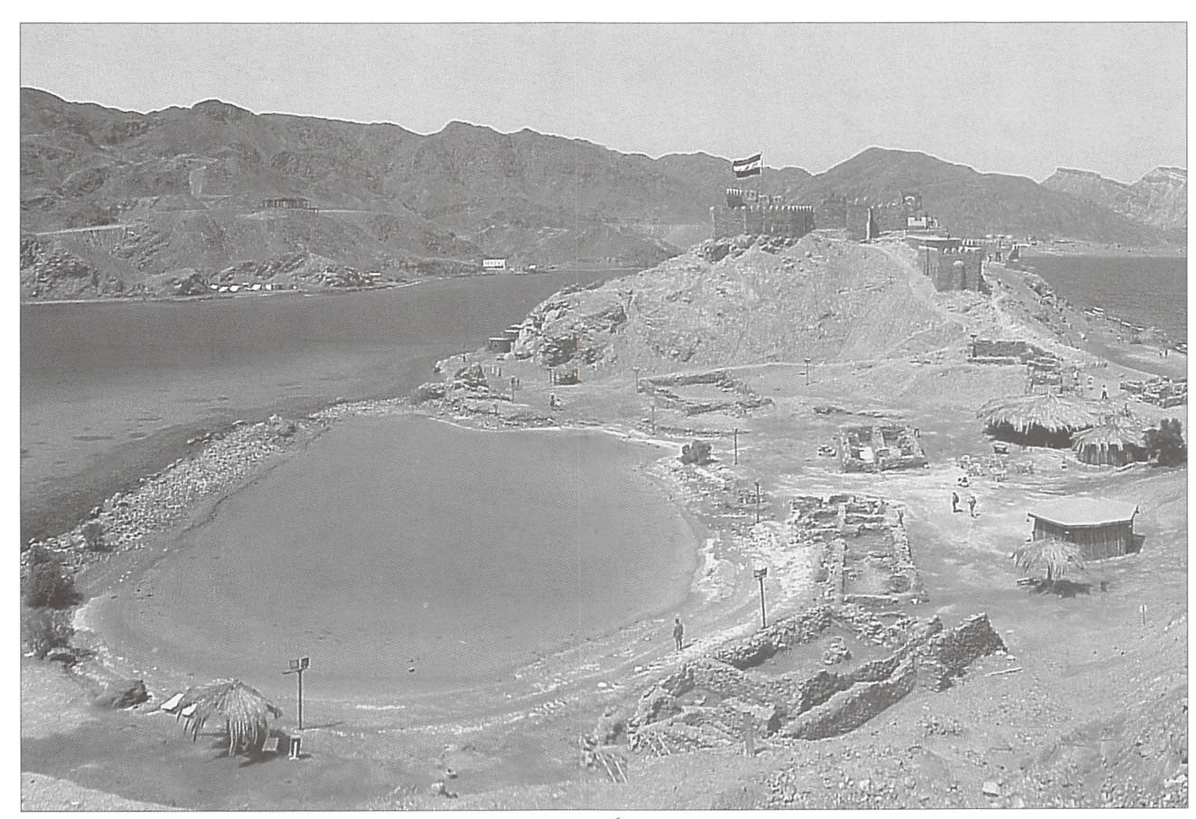
اللوحة ٣٥. عين مياه صَدْر الطبيعية أحد المصادر الدائمة لإمداد قلعة صَدْر 'الجندى' والحمام بالمياه طوال السنة، بعدسة المهندس المعمارى جابى توما.



اللوحة ٣٦. صورة جوية من الناحية الشمالية الشرقية لقلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين فى جزيرة فرعونَ والحمام فى الناحية الجنوبية الغربية من التحصين الشمالى.



اللوحة ٣٧. منظر عام لقلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين في جزيرة فرعونَ من البر حيث تظهر مجموعة الحمام بين البرجين اللذين فى جوار العلم.



اللوحة ٣٨. التحصين الشمالى الذى يوجد فيه حمام قلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين في جزيرة فرعونَ والمنطقة المنخفضة وما بها من منشآت والمرسى حيث ترسو السفن التى تجلب المياه للقلعة والحمام، بعدسة المهندس المعمارى جابى توما.



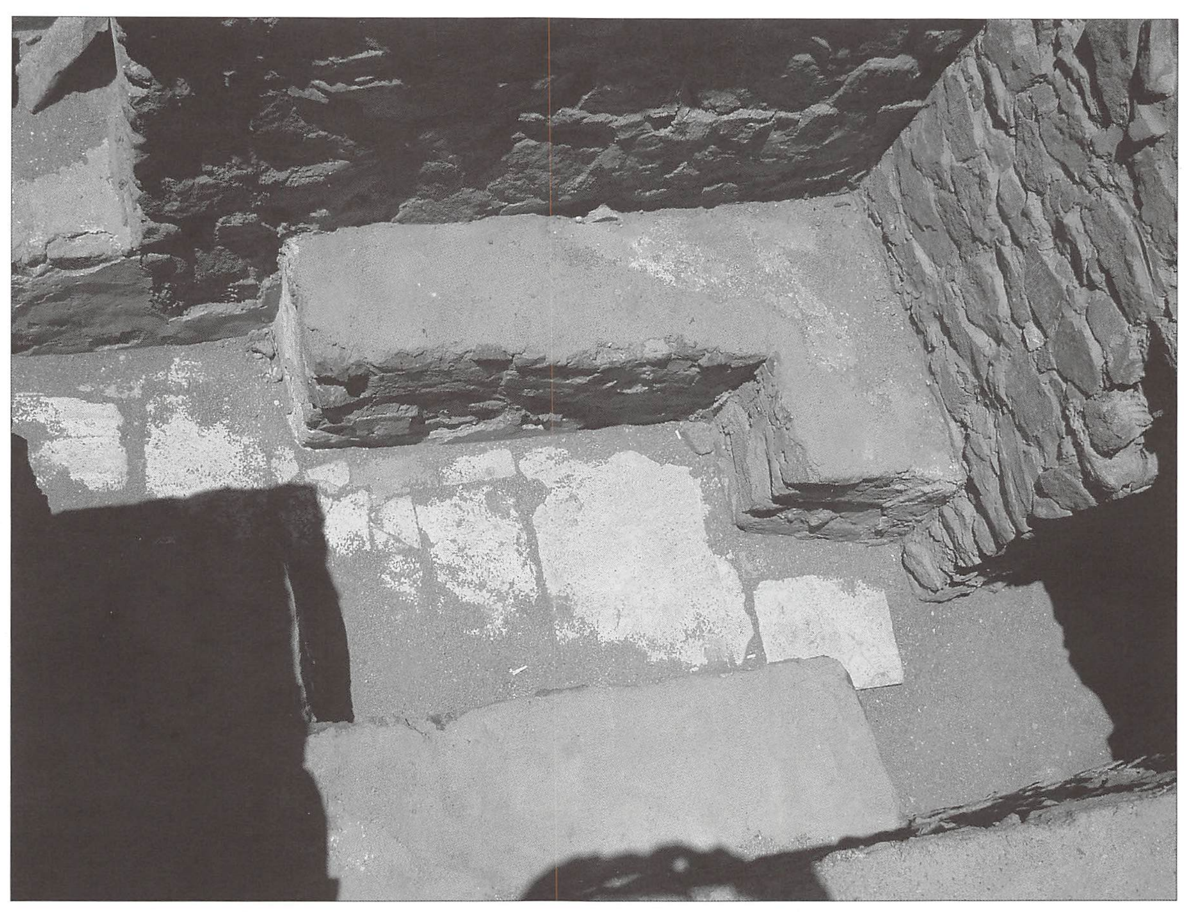
اللوحة ٣٩. القسم الجنوبى من التحصين الشمالى من قلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ حيث يوجد سكن والى القلعة والحمام.



اللوحة ٤٠. القسم الجنوبى الغربى من التحصين الشمالى من قلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين فى جزيرة فرعونَ حيث يوجد الحمام بين البرجين الكبيرين والباب الغربى الذى من خلاله يتم الوصول إلى مستوقد الحمام.



اللوحة ٤١. مجموعة حمام قلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين فى جزيرة فرعونَ بين برجين من أبراج السور الغربى من التحصين الشمالى حيث يظهر المستوقد وبابه.



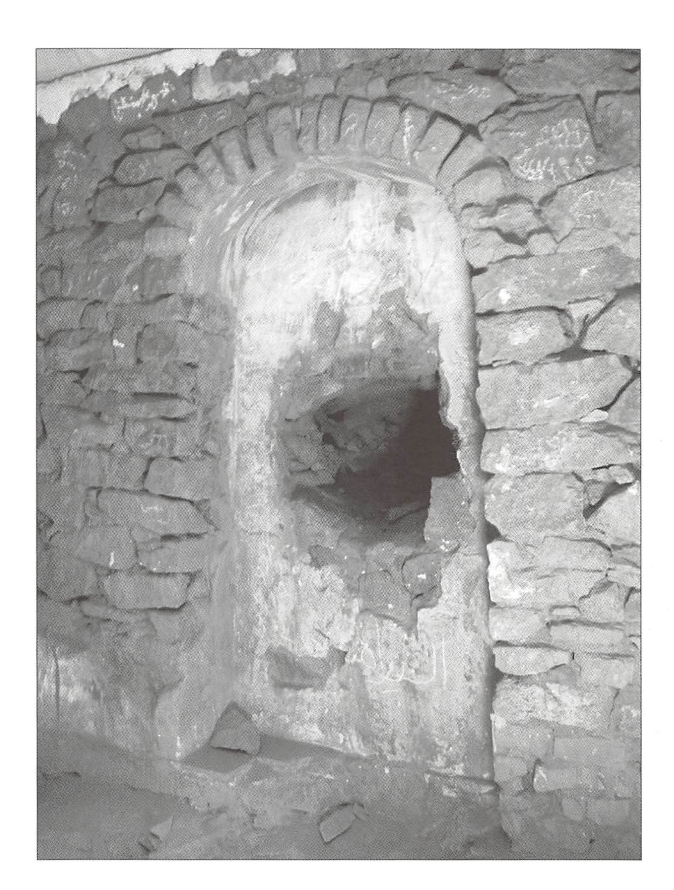
اللوحة ٤٢. حجرة الاستقبال ذات المصاطب الحجرية والأرضية الرُخامية من حمام قلعة جزيرة أيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'.



اللوحة ٤٣. الباب الواصل بين الدهليز والغرفة الدافئة من حمام قلعة جزيرة أيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'.



اللوحة ٤٤. بقايا أرضية الحجرة الدافئة أسفلها أقبية التدفئة من حمام قلعة جزيرة 'أيْلَه' صلاح الدين فى جزيرة فرعون'.



اللوحة ٤٥. دخلة معقودة فى الغرفة الدافئة من حمام قلعة جزيرة 'أيْلَه' صلاح الدين فى جزيرة فرعون'، ومن المؤكد أنها كانت تشتمل على حوض للمياه كما هو الحال فى حمام قلعة صدر 'الجندى'.



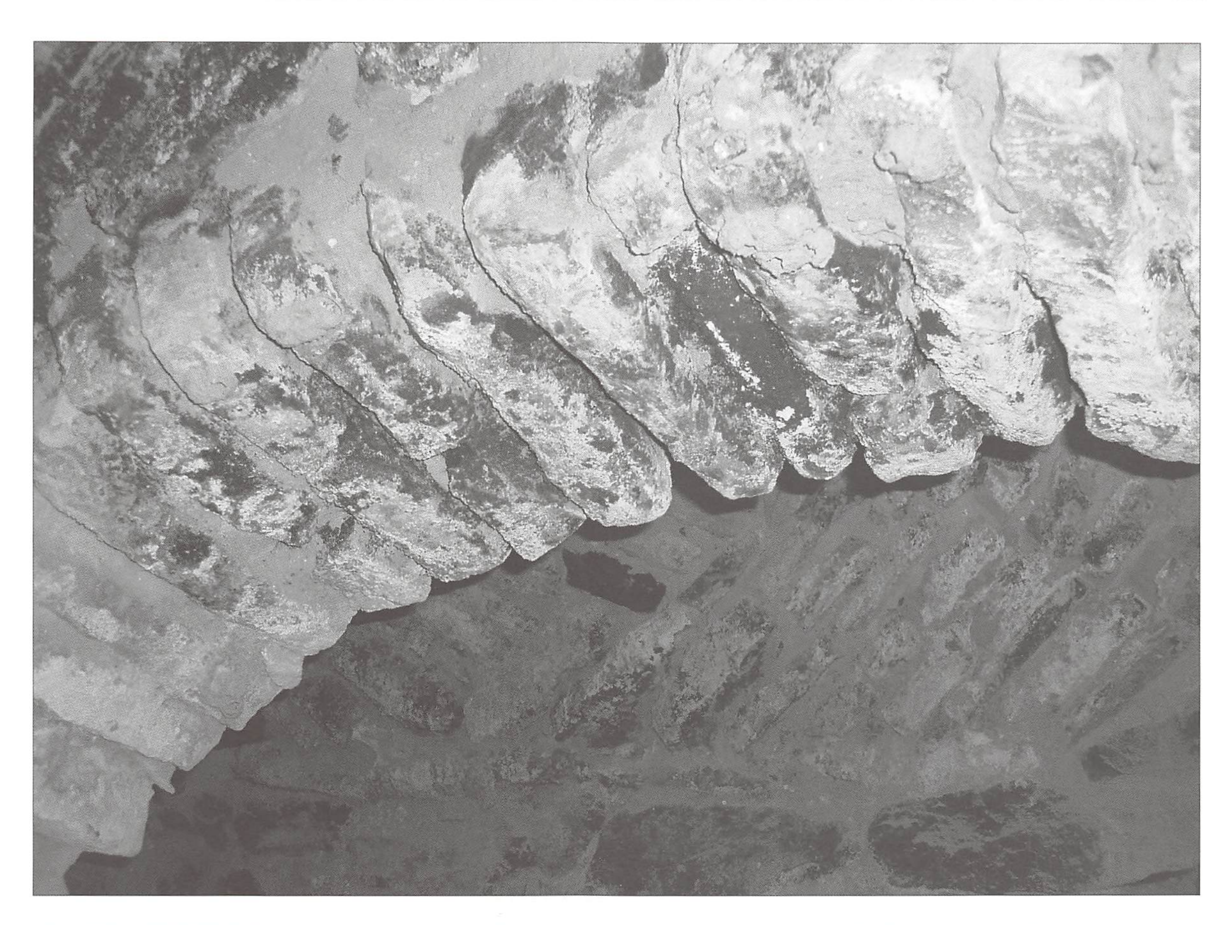


اللوحتان ٤٦، ٤٧. صورة نادرة لبقايا جدران وأرضية الغرفة الساخنة من حمام قلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون' الأولى قبل الترميم، والثانية بعده.



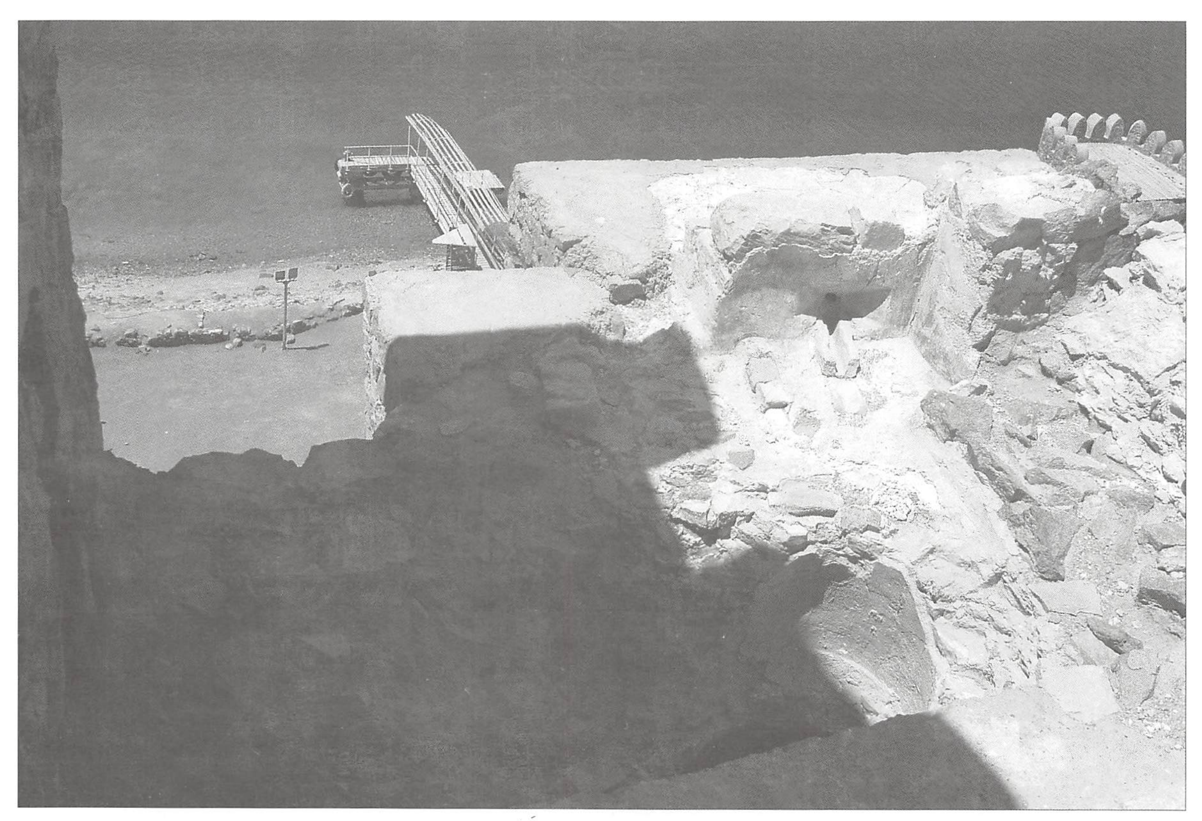


اللوحتان ٤٨، ٤٩. سقف مدخل المستوقد وعقود أقبيته بحالته الأصلية من حمام قلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين فى جزيرة فرعونُ.

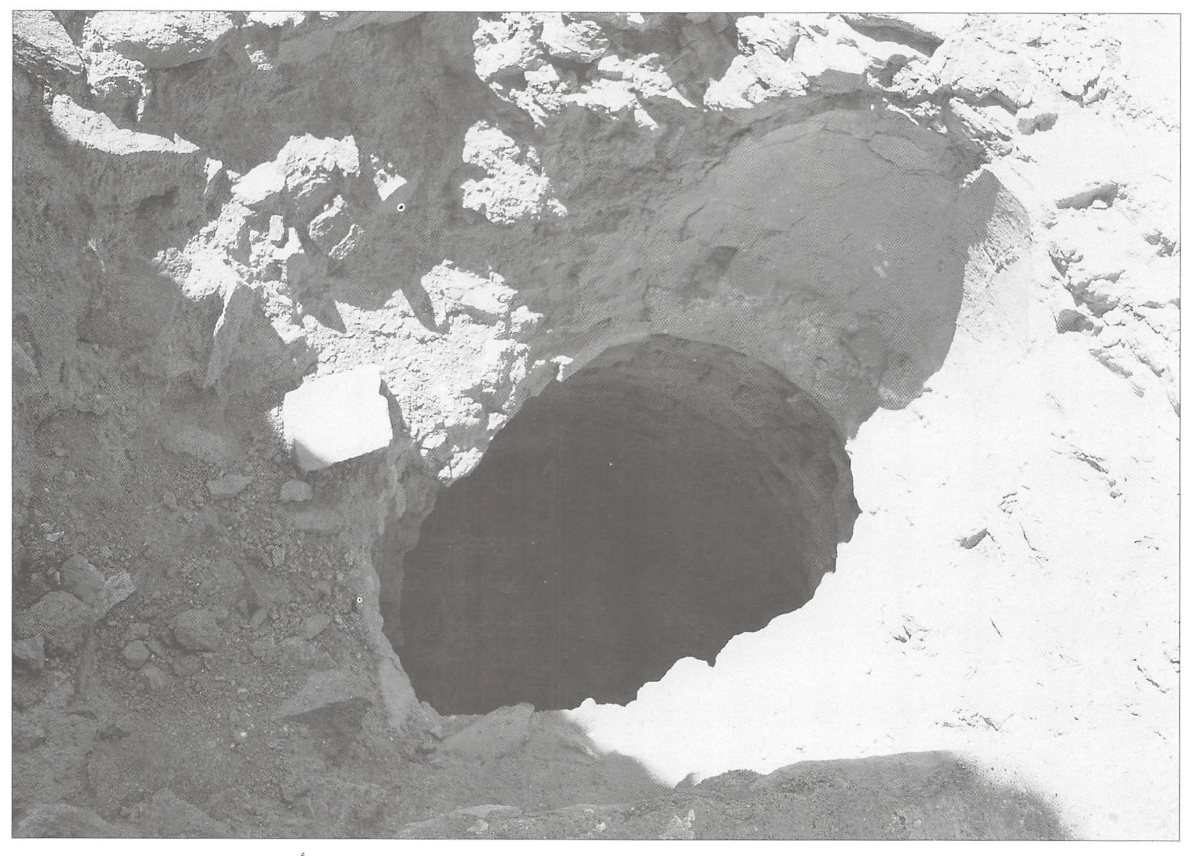




اللوحات ٥٠، ٥١. عقود وأقبية مستوقد حمام قلعة جزيرة أيله 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون' حيث يظهر عليها آثار الحريق.



اللوحة ٥٢. المستوى الثالث من حمام قلعة جزيرة أَيْلَه َصلاح الدين في جزيرة فرعونَ حيث أحواض وقدر تسخين المياه.



اللوحة ٥٣. بقايا القدر الفخارى الخاص، والذى كان يتم فيه تسخين مياه الحمام وأسفله الموقد.

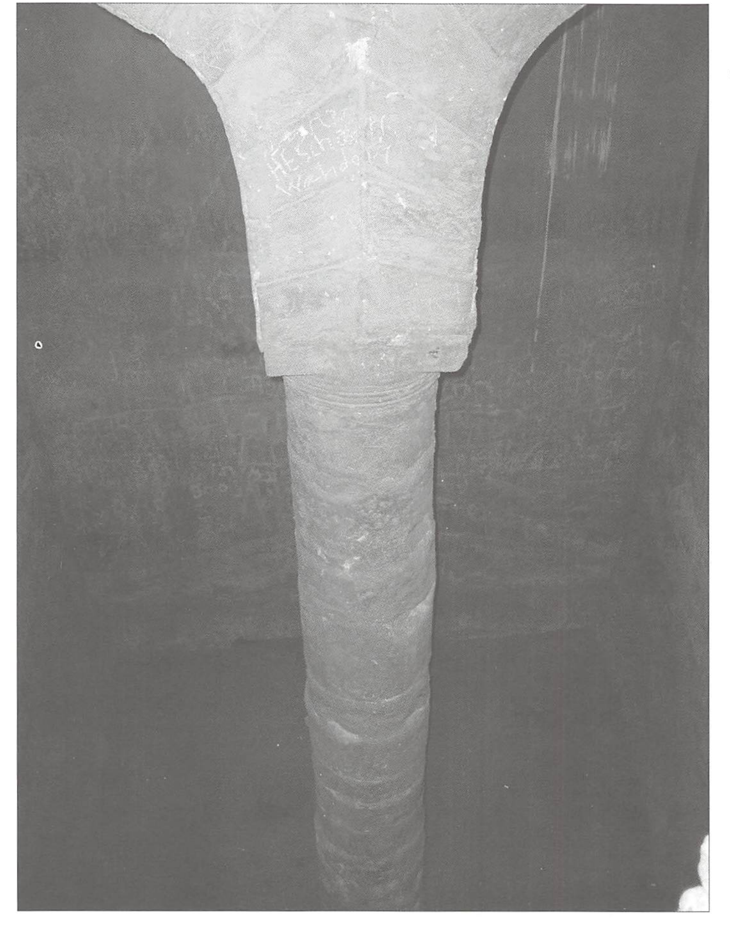






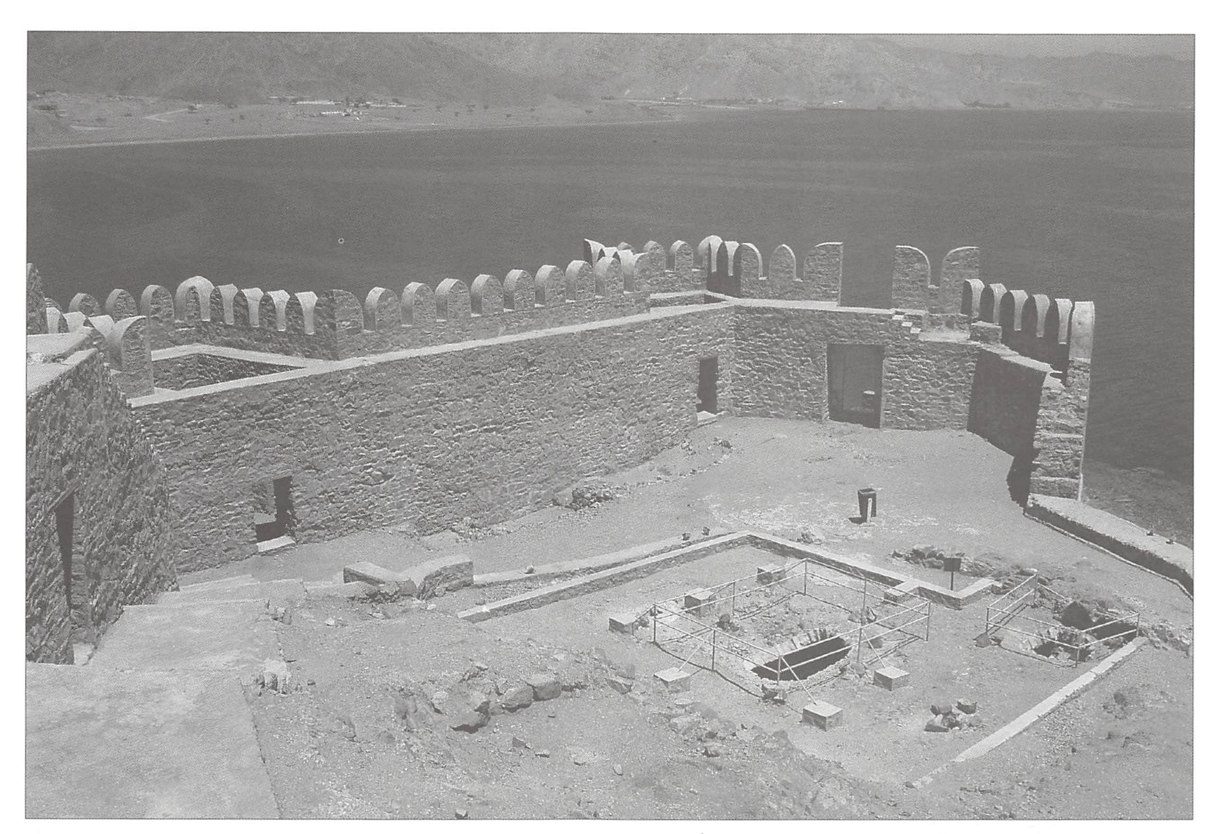
اللوحتان ٥٤ أ، ب. حوضان للمياه مزودان بأنبوب من الفخار وقناة حجرية أعلى حمَّام قلعة جزيرة أَيْلَه 'صلاح الدين فى جزيرة فرعون'، ومتصلان بقدر تسخين المياه.





اللوحة ٥٥. عمود وعقدى وسقف صهريج قلعة جزيرة أَيْلَه ُصلاح الدين في جزيرة فرعونَ الصغير، وكان يمثل أحد المصادر الرئيسة لإمداد حمام القلعة بالمياه.

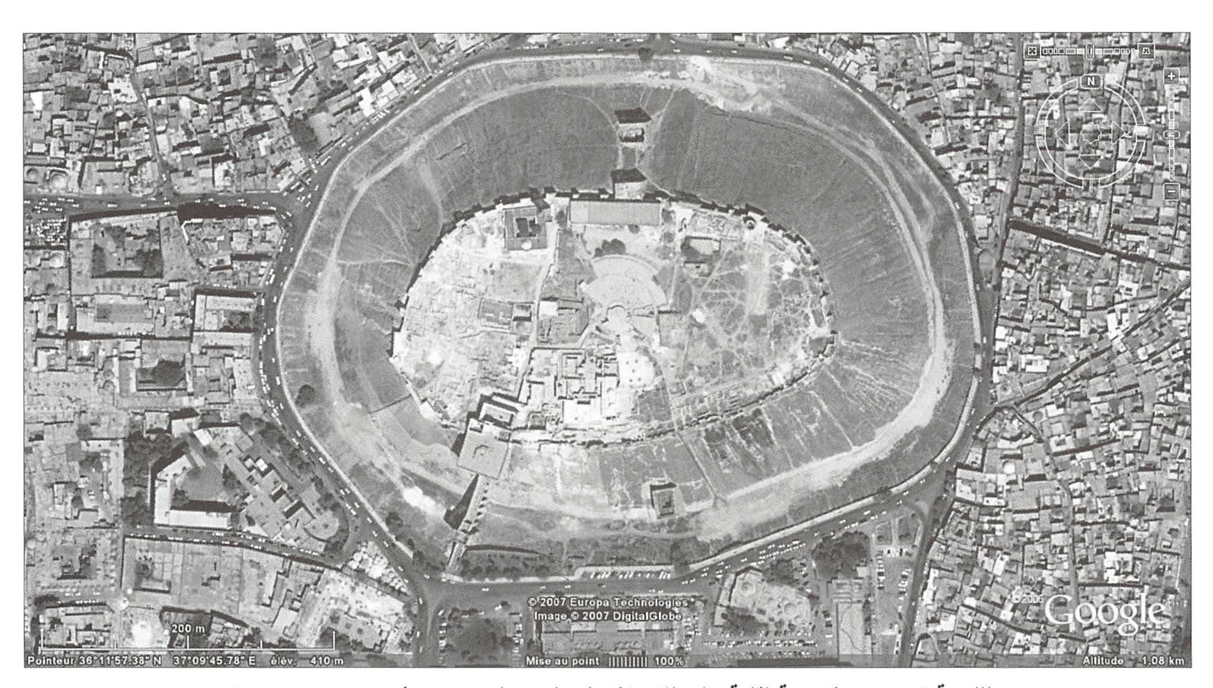
اللوحة ٥٦. عمود وقاع صهريج قلعة جزيرة أيله ُصلاح الدين فى جزيرة فرعونَ الصغير، وكان يمثل أحد المصادر الرئيسة لإمداد حمام القلعة بالمياه.



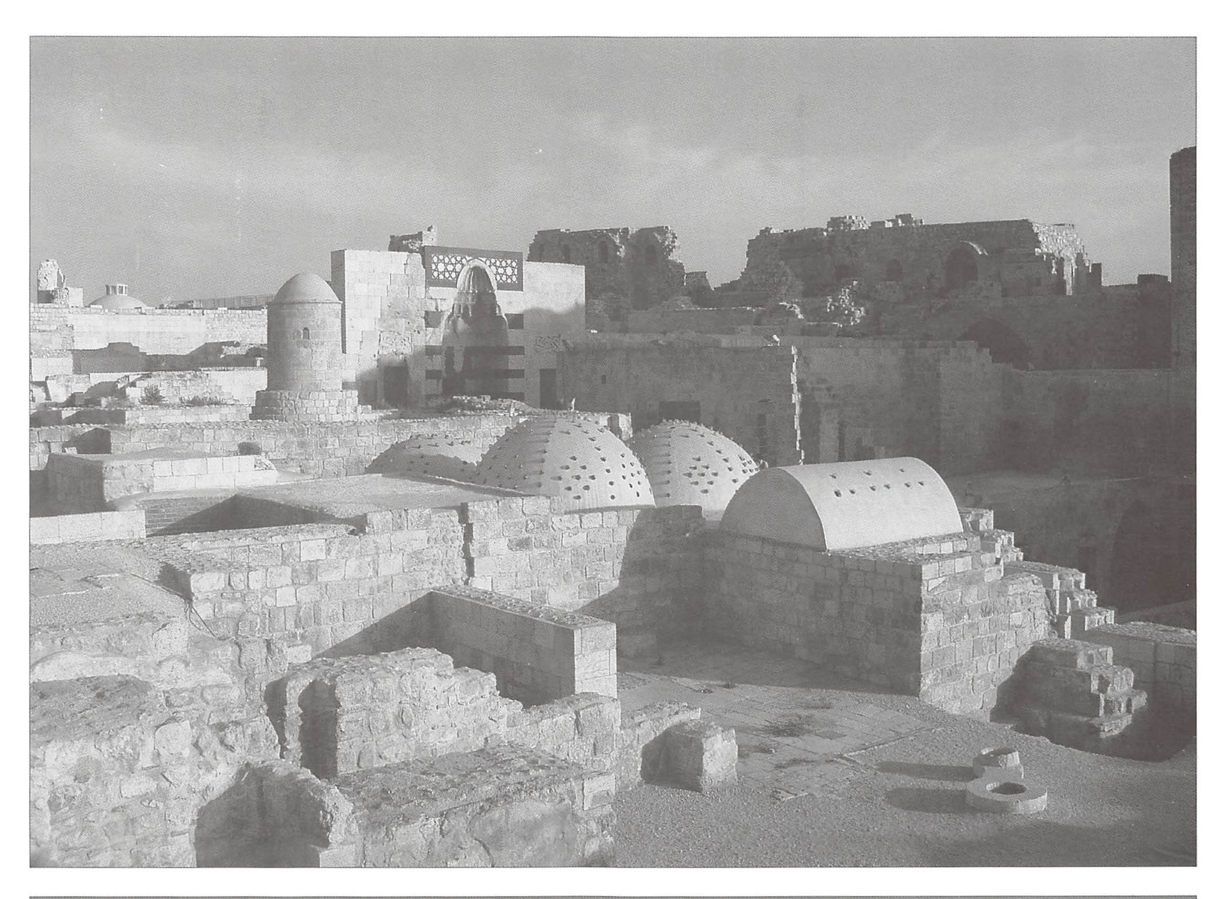
اللوحة ٥٧. صهريج قلعة جزيرة أيله 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ الكبير من الخارج، وكان يمثل أحد مصادر إمداد حمام القلعة بالمياه.



اللوحة ٥٨. صهريج قلعة جزيرة أيله 'صلاح الدين فى جزيرة فرعونَ الكبير من الداخل، وكان يمثل أحد مصادر إمداد حمام القلعة بالمياه.

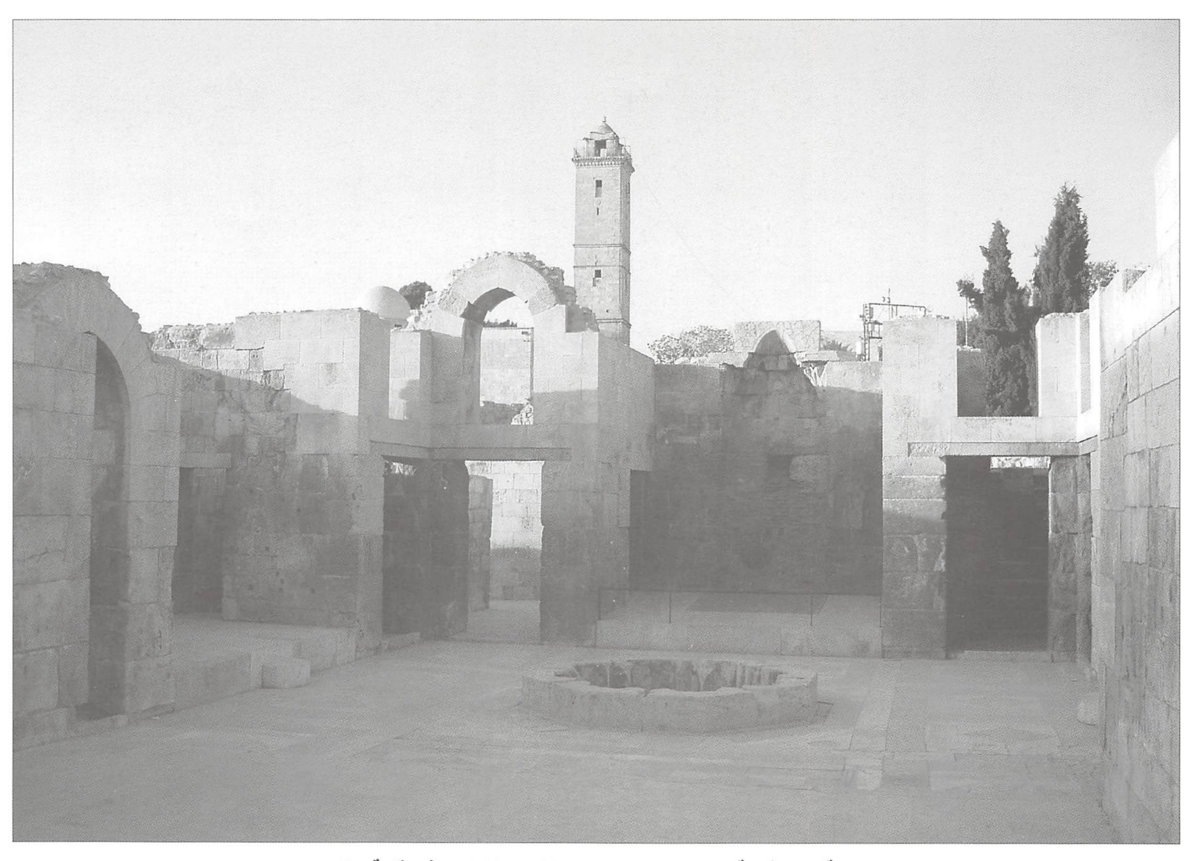


اللوحة ٥٩. صورة جوية لقلعة حلب التى تشتمل على حمامين، عن:'Google Earth 2008'.

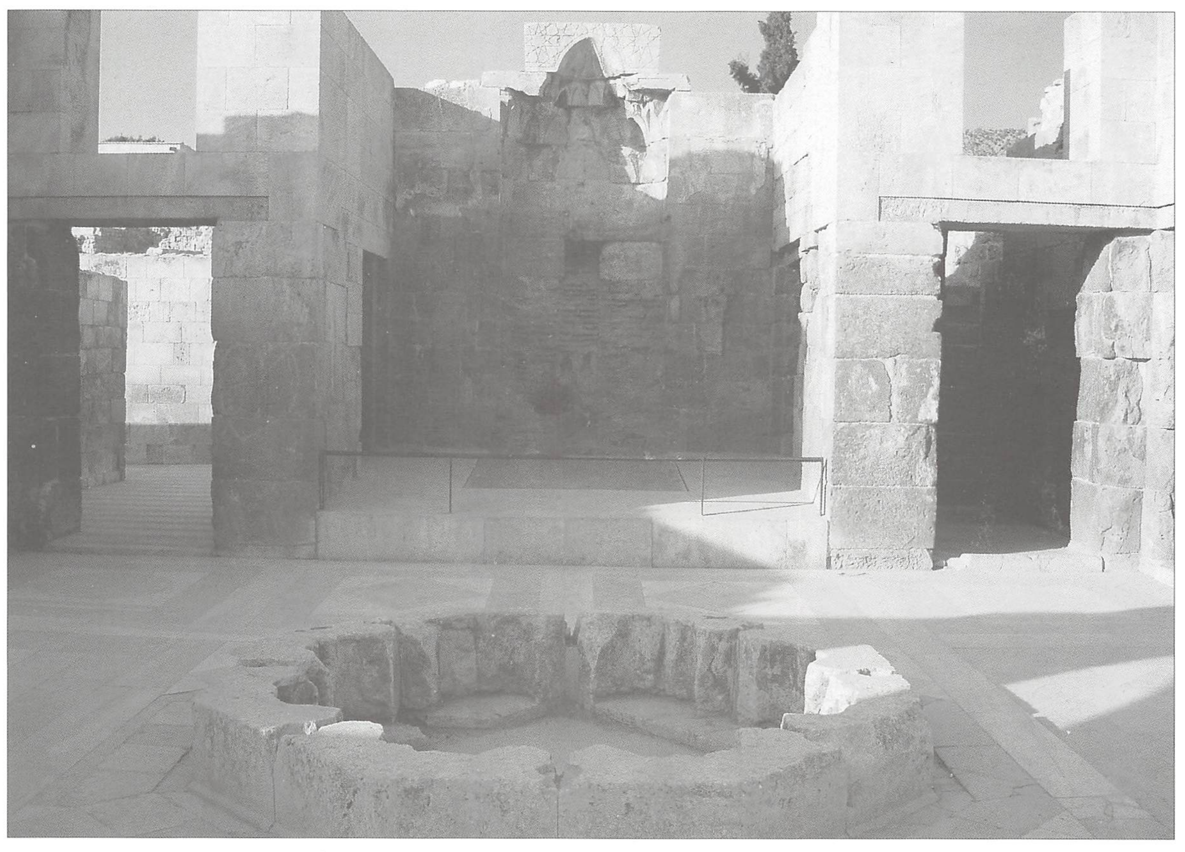




اللوحتان ٦٠، ٦١. حمامى قلعة حلب فى سورية.



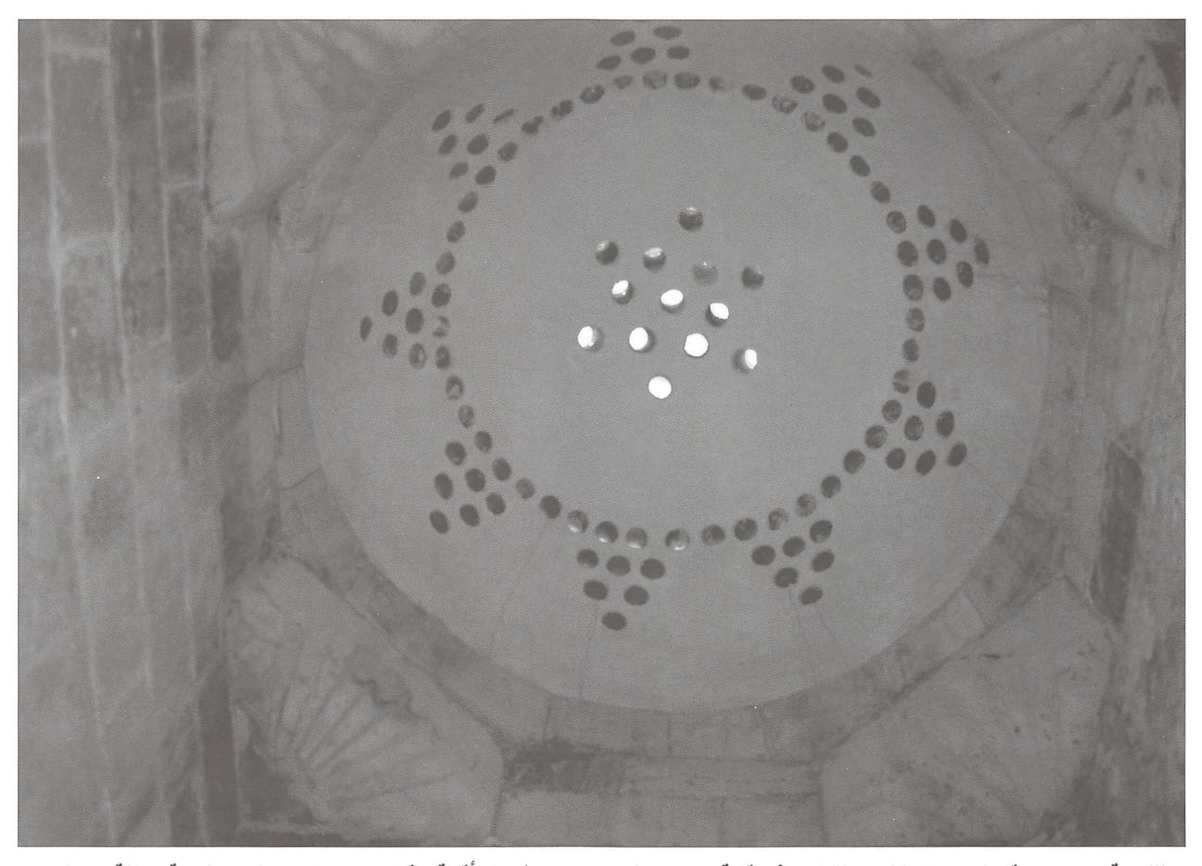
اللوحة ٦٢. قاعة الاستقبال من حمام القصر الملكى فى قلعة حلب.



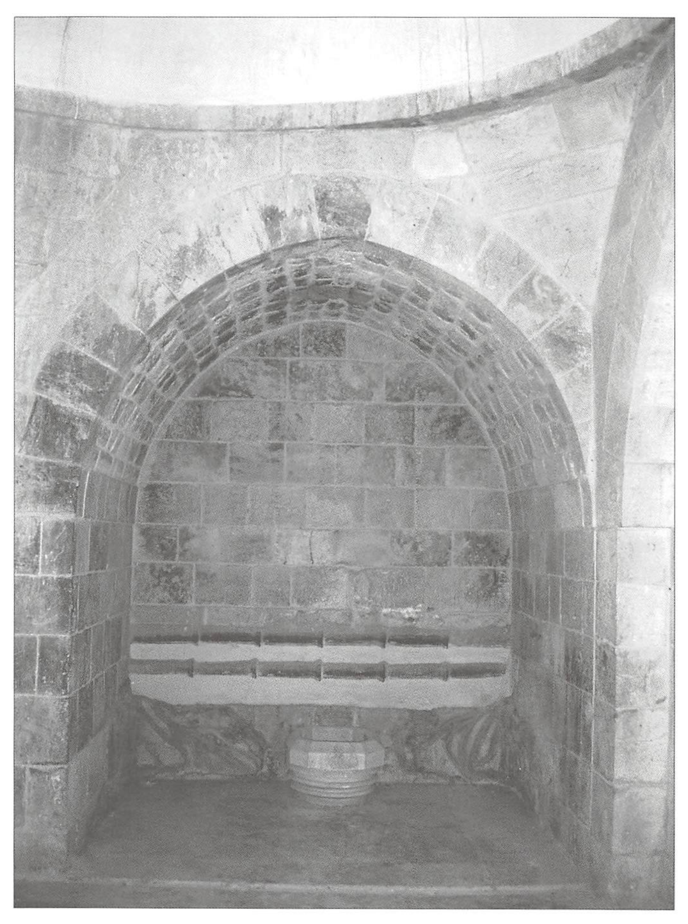
اللوحة ٦٣. الفوارة فى قاعة الاستقبال من حمام القصر الملكى فى قلعة حلب.

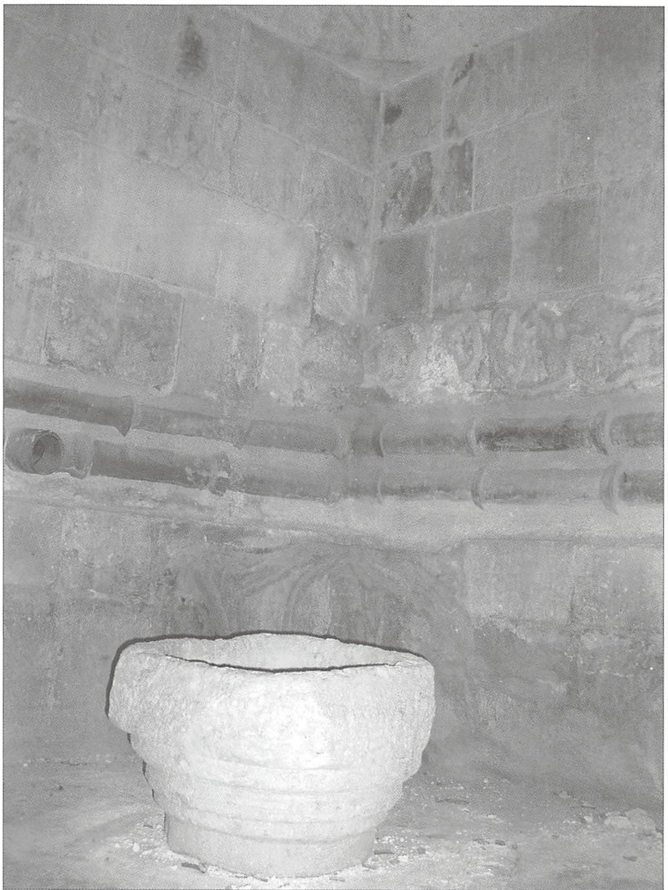






اللوحة ٦٤، ٦٥. قاعات حمام القصر الملكى فى قلعة حلب، والتى تمت تغطيتها بأقبية وقباب مزودة بمضاوى دائرية مغلفة بزجاج.

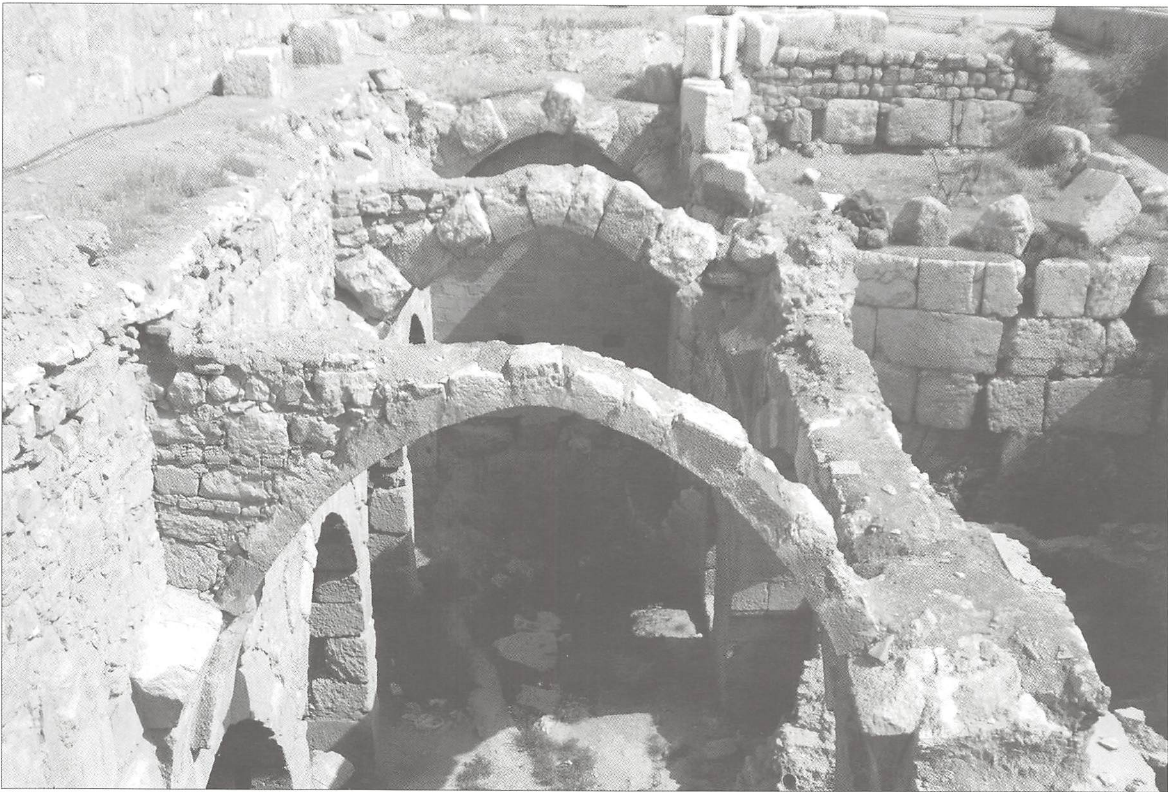




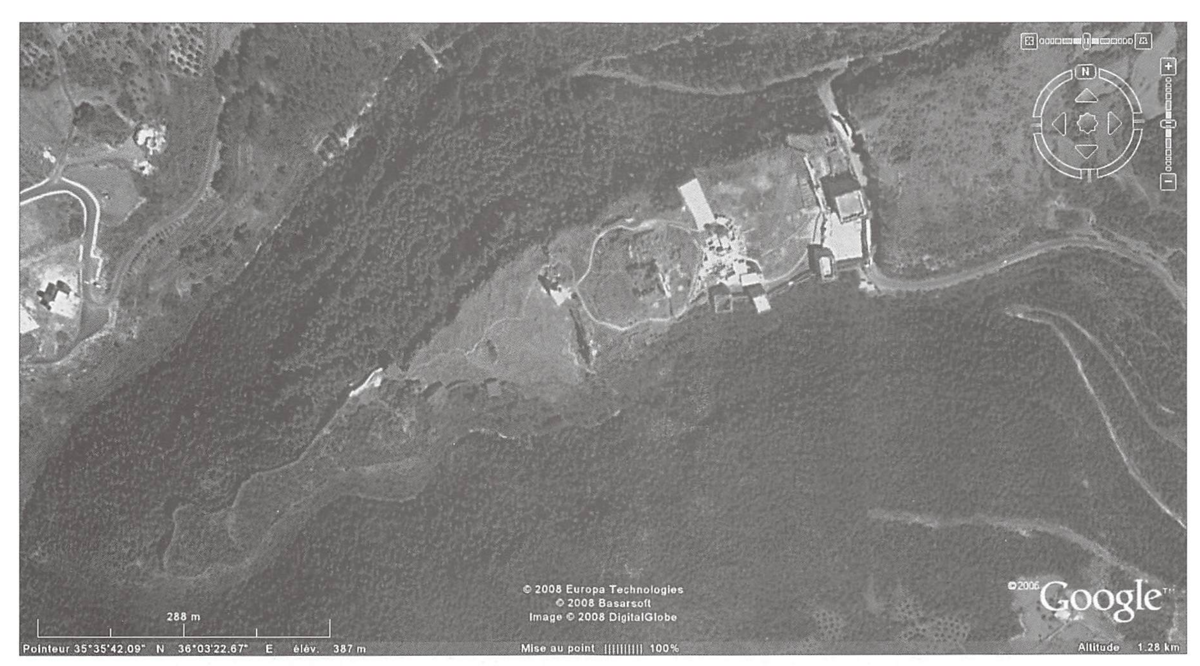
اللوحة ٦٦، ٦٧. قاعات حمام القصر الملكى فى قلعة حلب حيث الأجران الحجرية والأنابيب الفخارية التى تقوم بنقل المياه الساخنة من قدور التسخين إلى الأحواض والأجران الحجرية.



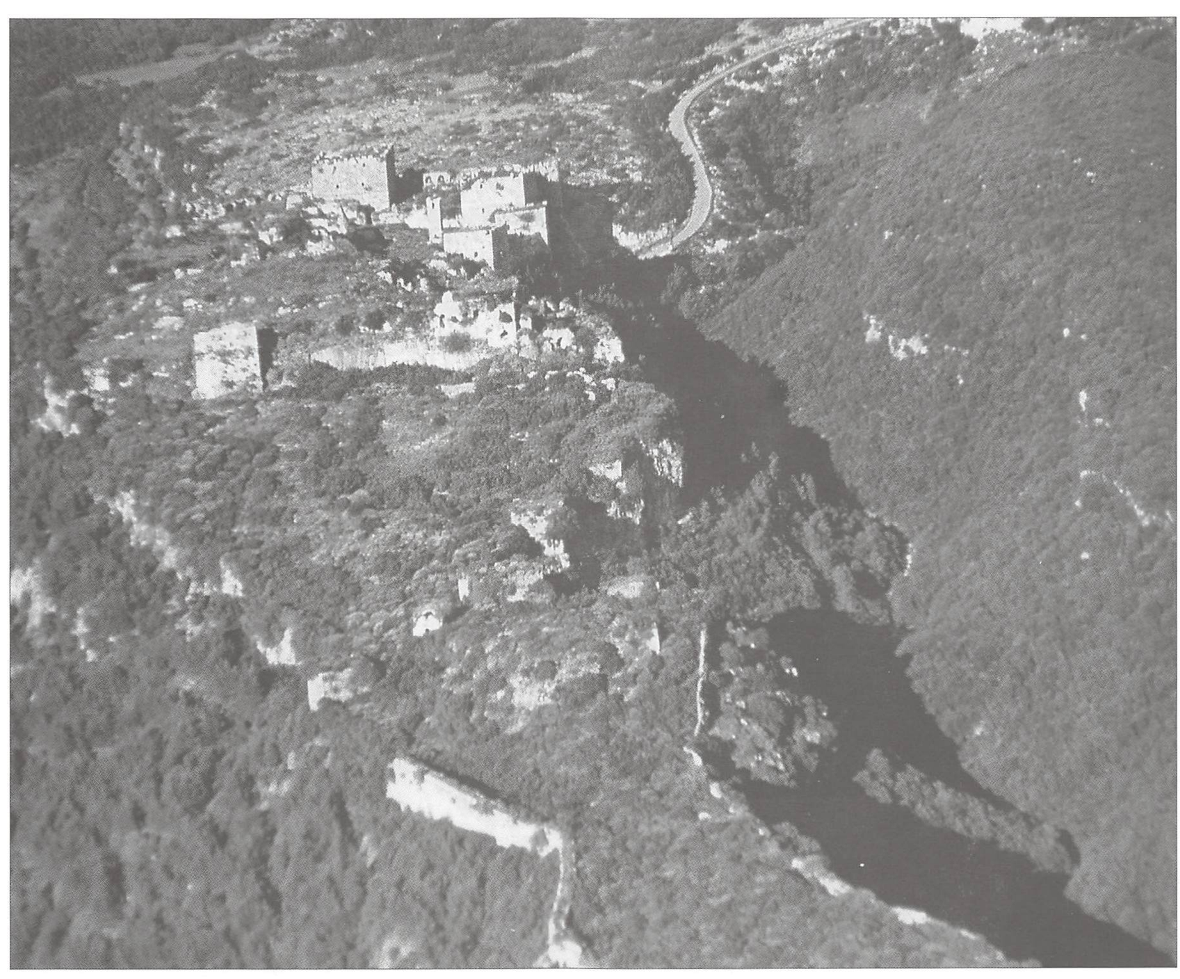
اللوحة ٦٨. المنطقة التى تم اكتشاف حمام قلعة دمشق فيها، وهى بجوار السور الغربى من القلعة.



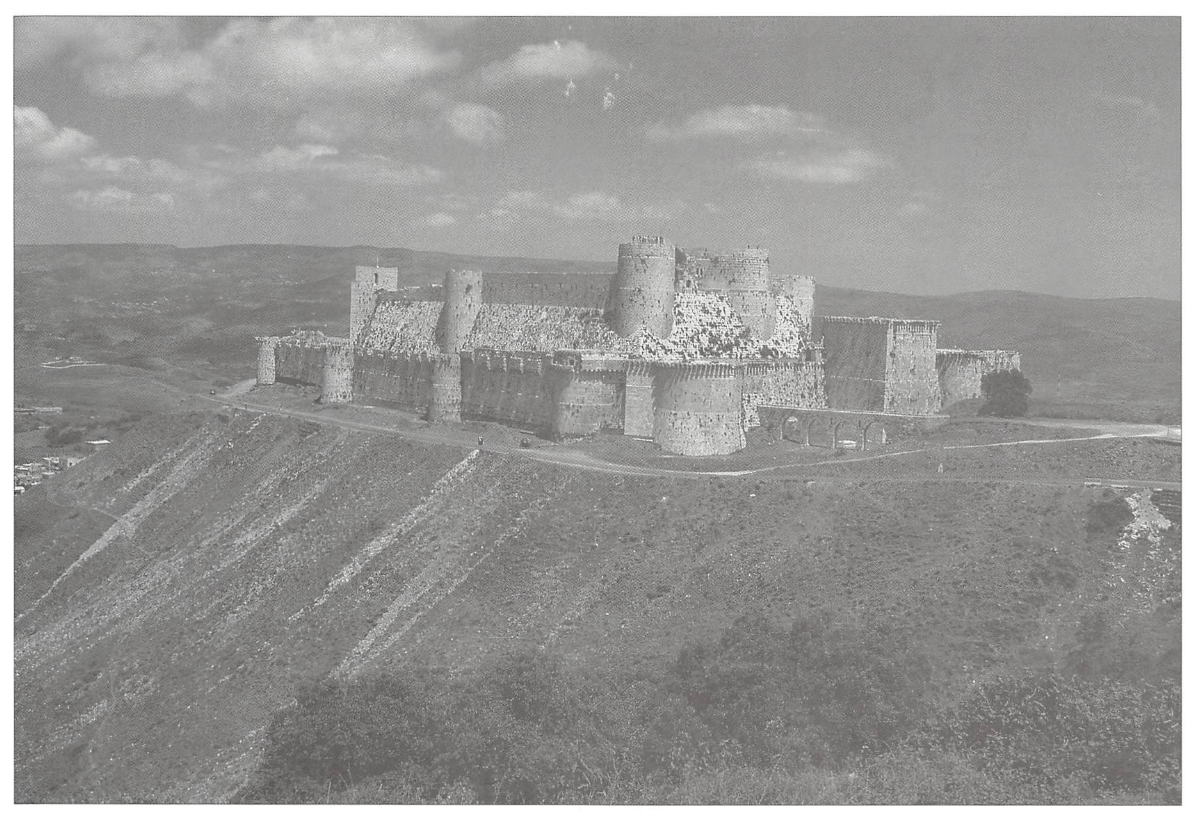
اللوحة ٦٩، ٧٠. حمام قلعة دمشق الذى تم اكتشافه عن طريق الحفائر الآثارية بجوار برج نصف دائرى.



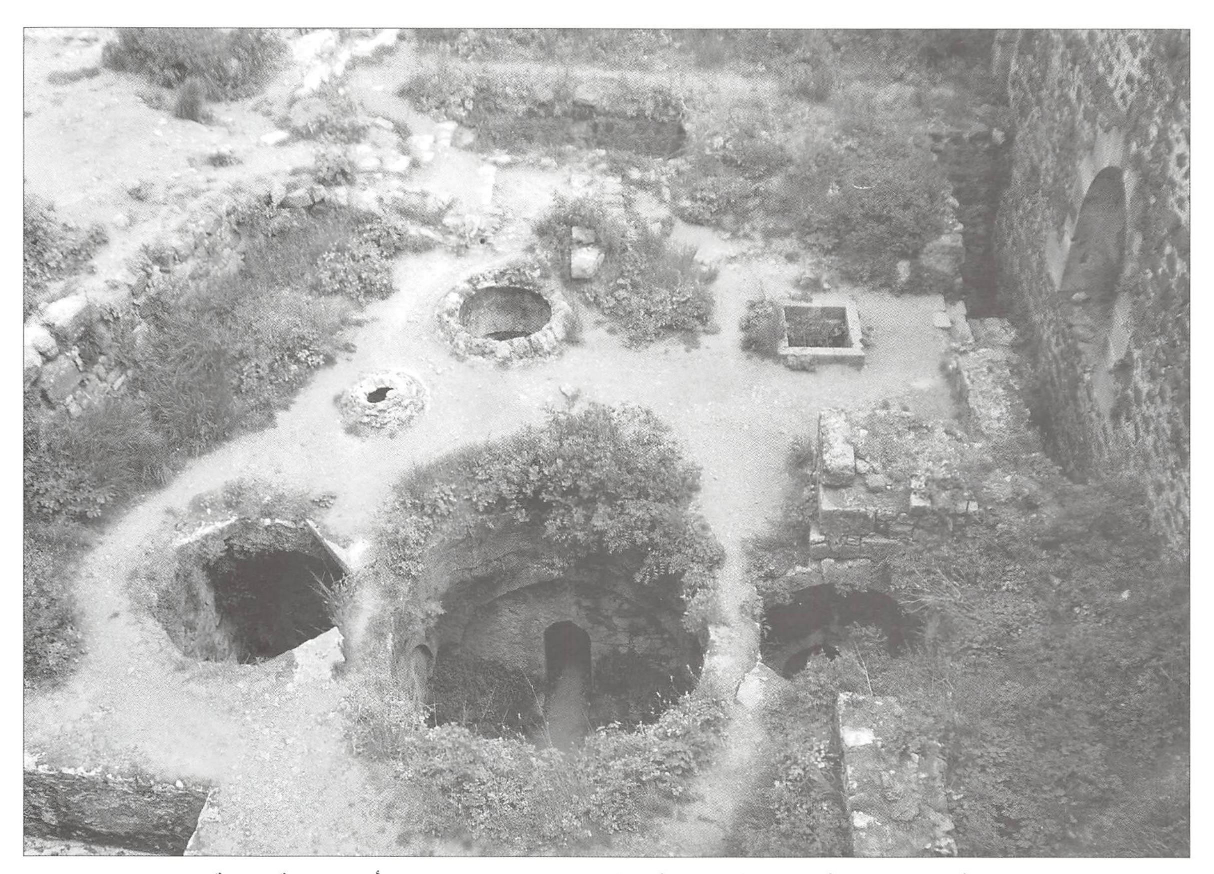
اللوحة ٧١. صورة جوية لقلعة صلاح الدين 'صهيون' في سورية، عن: 'Google Earth 2008'.



اللوحة ٧٢. القسم الشرقى من قلعة صلاح الدين 'صهيون'، والذى يوجد فيه حمام القلعة.



اللوحة ٧٣. قلعة الحصن فى سورية، والتى يوجد فيها حمام من العصر الإسلامى.



اللوحة ٧٤. حمام قلعة الحصن فى سورية، وقد تم تصميمه تحت مستوى أرض القلعة الحالية.

ملاحظات حول سكة نقود الفهريين والخوارج بإفريقية

(١٢٨ - ١٤٢ هـ /٧٤٥ - ٧٥٩ م)

فى ضوء مجموعة جديدة

سعيد عبد الفتاح عطا الله*

كانت علاقة إفريقية الإسلامية بالخلافتين الأموية والعباسية فى دمشق وبغداد تتأرجح بين الضعف والقوة، وبين النفوذ التام والفشل الذريع، نتيجة لسياسات الولاة وعلاقة الدويلات المستقلة وشبه المستقلة بهذا الشعب.[١]

وسوف أقوم فى هذا البحث - إن شاء الله - بنشر ثلاثة نقود، تُنشر وتُدرس فى هذا البحث لأول مرة.

كما أتناول سكة الفهريين والخوارج بإفريقية فى تلك الفترة بالدراسة والتحليل، مع إلقاء الضوء على الأحداث التى أحاطت بإصدار هذه النقود من النواحى السياسية والدينية والاقتصادية، وتحليل ودراسة طراز خط هذه النقود، والعناصر الزخرفية التى نُقشت على هذه العملات ونختم لبحث بما تم التوصل إليه من نتائج.

١ . نقود عبد الرحمن بن حبيب الفهرى

درهم من عصر عبد الرحمن بن حبيب الفهرى، ضرب إفريقية سنة ١٣٤ هـ.

اللوحة رقم ١

الوزن: ٢,٥٤ جم

القطر: ؟

الوجه

المركز:

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة اربع وثلثين ومية.

الظهر

المركز:

الله احد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفوا احد

الهامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

التحليل

سُجلت بمركز الوجه شهادة التوحيد فى ثلاثة أسطر متوازية، على حين نُقشت بهامش الوجه البسملة مختصرة، تليها نوعية وفئة النقد، ثم مكان الضرب والتاريخ. وتجدر الإشارة إلى أن مكان الضرب قد جاء على هذا الدرهم 'إفريقية'، حيث اصطلح مؤرخو العرب فى بداية العصر الإسلامى على إطلاق اسم إفريقية على القيروان، إذ كانت 'قيروان إفريقية'،[٢] فى حين سُجل تاريخ الضرب بصيغته 'اربع وثلثين ومية'. وينتمى هذا الدرهم إلى الفترة التى حكم فيها عبد الرحمن بن حبيب إفريقية (١٢٧ - ١٣٨هـ / ٧٤٤ - ٧٥٥م) حيث تولى حكم إفريقية زمن الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٤٩م)،[٣] واستمر حتى نهاية الدولة الأموية عام ١٣٢هـ / ٧٤٤م، فظهر له درهم مؤرخ بعام ١٢٨هـ / ٧٤٥م [٤] ضُرب على طراز الدراهم الأموية، كما ضرب درهمًا مؤرخًا بسنة ١٣٢هـ[٥] على نفس الطراز. واستمر عبد الرحمن بن حبيب يسك الدراهم بعد قيام الدولة العباسية، فظهر له درهم مؤرخ بعام ١٣٤هـ (يُنشر فى هذا البحث النموذج الثانى من هذا الدرهم بعد النقد الذى نشره هنرى لافواه (Lavoix).[٦]

كما ضرب عبد الرحمن بن حبيب درهمًا مؤرخًا بعام ١٣٦هـ[٧] ويحمل اسم مدينة الضرب 'إفريقية' على طراز الدراهم السابقة، وكل هذه الدراهم - سواء المضروبة زمن الخلافة الأموية أو فى بداية العصر العباسى - كانت على طراز الدراهم الأموية كما سبق ذكره، ليس لكونه مواليا للأمويين وخارجًا عن طاعة العباسيين، لكنه أراد أن يؤسس إمارة للفهريين فى شمال إفريقية ومُلْكًا يتوارثونه، لكنه فشل فى ذلك إذ واجهته مشكلة الخوارج،[٨] كما غدر بأخيه إلياس وعزله عن ولاية العهد، وأدى ذلك إلى مقتل عبد الرحمن بن حبيب عام ١٣٨هـ / ٧٥٥م وتولية أخيه، وإن كانت ولاية أخيه لم تدم طويلًا.[٩]

٢. نقد حبيب بن عبد الرحمن

فلس ينسب إلى عصر حبيب بن عبد الرحمن

الوزن: ؟

القطر: ؟

الوجه

المركز:

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الظهر

المركز:

محمد

رسول

الله

سو

التحليل

نُقشت كتابات مركز الوجه فى ثلاثة أسطر متوازية تحمل شهادة التوحيد، فيما سُطرت كتابات مركز الظهر فى ثلاثة أسطر متتالية عبارة عن الرسالة المحمدية، وجاء بالسطر الرابع حرف 'الواو'.

وقد نسب بعض العلماء هذا الفلس إلى حبيب بن عبد الرحمن دون ذكر أسباب هذه النسبة، اللهم إلا لأنه اكتُشف بتونس. ويمكن القول إنه لا يمكن نفى أو إثبات هذه النسبة، حيث لم يسجل على النقد مكان وتاريخ الضرب، أو اسم من أمر بضرب الفلس.[١٠]

٣. نقود الخوارج

١. نقود أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى

أ. درهم ينسب إلى عصر أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح، ضرب إفريقية عام ١٤١هـ

اللوحة رقم ٢

الوزن: ٢,٦٧جم

القطر: ١٢ملم

الوجه

المركز:

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة احدى واربعين ومية.

الظهر

المركز:

الله احد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفوا احد

التحليل

يعد هذا الدرهم فريدًا من نوعه فى العالم - حتى الآن - إذ لم يسبق نشر مثيل له من قبل.

وقد سُطرت كتابات مركز الوجه فى ثلاثة أسطر متوازية تحمل شهادة التوحيد، أما كتابات الهامش فتحتوى على البسملة مختصرة، وفئة ونوعية النقد، ثم اسـم مكان الضرب 'إفريقية'، وتاريخ النقد 'سنة احدى واربعين ومية'.

وكما سبق ذكره، فإن اسم إفريقية كاسم لدار السك كانت تعنى القيروان. وقد أثار هذا التاريخ جدلاً بين العلماء والباحثين حول الحاكم الذى أمر بضرب النقد، حيث سُجل هذا التاريخ على دينار نسبه أحد العلماء إلى زعيم الخوارج الإباضية[١١] أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح بمناسبة استيلائه على القيروان فى نفس العام (١٤١هـ)[١٢] من الخوارج الصفرية[١٣] بعد أن عاثوا فسادًا فى المدينة ودخلوا مسجدها الجامع بخيولهم إمعانًا فى إهانة أهل السُّنة.[١٤] واعترض على هذا الرأى أحد الباحثين بقوله إن المدة الزمنية قصيرة، ولا تكفى بأن يضرب زعيم الخوارج الإباضية هذا الدينار، كما ذكر أنه لم يسجل شعار الخوارج على النقد وهو 'لا حكم إلا لله'[١٥] والذى التزموا به منذ نشأتهم،[١٦] وجاء هذا التاريخ يسبقه مكان الضرب على هذا الدرهم ليساند الرأى الأول. وفى حقيقة الأمر إن قصر المدة الزمنية لا يعول عليه كثيرا فى ضرب النقود، فقد كانت دار السك موجودة بجوار المسجد الجامع بالقيروان وتمارس عملها فى ضرب النقود، وهو ما يؤسس لمن يستولى على المدينة أن يستطيع ضرب النقود، كما أن الخوارج الإباضية يعدون من أقرب الفرق إلى أهل السنة، بحيث إن بعض منظريهم يعدون أنفسهم من أهل السنة وليسوا خوارج، وإن ظهور شعار الخوارج على النقود الإسلامية المبكرة[١٨] لا يعد مانعًا لأبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح من أن يضرب النقود بمناسبة استيلائه على القيروان دون أن يضع عليها شعار الخوارج حتى لا يذكّر أهل القيروان بالإهانة والإذلال اللذيْن لحقا بهم من جراء استيلاء الخوارج الصفرية على المدينة. ومن هذا المنظور، يمكن تفسير الظروف السياسية والعسكرية فى الزمان والمكان، والتى أحاطت بعدم تسجيل شعار الخوارج على نقود أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح. ويأتى نشر هذا الدرهم ليساند نسبة النقد الذهبى الذى سيأتى البحث على دراسته إلى زعيم الخوارج الإباضية، ويوضح المناسبة التى ضرب فيها النقدين.

وسُجلت كتابات مركز الظهر فى أربعة أسطر متوازية تحمل سورة الإخلاص، فيما جاءت كتابات الهامش تحتوى على الاقتباس القرآنى من سورة التوبة. وتجدر الاشارة إلى أن الدرهم قد ضُرب على طراز الدراهم الأموية، وهو بحد ذاته يعتبر خروجاً على طراز الدراهم العباسية المعاصرة.

ب. دينار ينسب إلى عصر أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح، مؤرخ بعام ١٤١هـ

الوزن: ؟

القطر: ١١ملم

الوجه

المركز:

لا اله الا

الله وحده

لاشريك له

الهامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الظهر

المركز:

محمد

رسول

الله

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة احدى واربعين ومية.

التحليل

جاءت كتابات هذا الدينار كطراز الدينار العباسى المعاصر، حيث سُجلت كتابات مركز الوجه فى ثلاثة أسطر متوازية تحتوى على شهادة التوحيد، فيما نقشت كتابات الهامش حاملةً اقتباسًا قرآنيًا من سورة التوبة.

أما كتابات مركز الظهر فحُفرت فى ثلاثة أسطر متتالية تضم الرسالة المحمدية ودُونت كتابات هامش الظهر محتوية على البسملة مختصرة، وفئة ونوعية النقد، والتاريخ الذى جاء نصه 'ستة احدى واربعين ومية'. وقد ضُرب هذا الدينار حسب رأى أحد العلماء بمناسبة انتصار زعيم الخوارج الإباضية على الخوارج الصفرية وطردهم من القيروان،[١٩] وهو ما ناقشه الباحث فيما سبق وخلص إلى دعم هذا الرأى.

٢. نقد عبد الرحمن بن رستم

فلس، ضرب إفريقية، مؤرخ بعام ١٤٢هـ، ينسب إلى عبد الرحمن بن رستم.

اللوحة رقم ٣

الوزن: ٢,٤٨جم

القطر: ٩ملم

الوجه

المركز:

ضرب هذا

الفلس

بافريقية

الظهر

المركز:

سنة ثنين

واربعين

ومااية

التحليل[٢٠]

يعد هذا الفلس النموذج الثانى الذى تم نشره بعد النموذج الأول المحفوظ بتونس.

وقد نُقشت كتابات مركز الوجه فى ثلاثة أسطر متوازية، جاءت بالسطر الأول عبارة 'ضرب هذا'، وسجلت كلمة 'الفلس' بالسطر الثانى ودونت دار الضرب بالسطر الثالث.

وحُفرت كتابات مركز الظهر فى ثلاثة أسطر متتالية تحتوى على تاريخ الضرب، سُجلت بالسطر الأول عبارة 'سنة ثنين'، ونُقش بالسطر الثانى رقم العشرات من تاريخ الضرب، وجاء بصيغة 'واربعين' فيما سُجل بالسطر الثالث والأخير رقم المئات بصيغة 'ومية'.

وبمتابعة الأحداث التاريخية التى شهدتها تلك الفترة، نجد أن أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح بعد استيلائه على القيروان -- كما سبق ذكره -- لم يمكث فيها طويلاً، فقد اضطرته الأحداث السياسية والعسكرية إلى مغادرتها فى نفس العام الذى دخلها فيه (١٤١هـ) متقهقرًا إلى طرابلس، فعين قائده عبد الرحمن ابن رستم واليًا على القيروان،[٢١] حيث قام ابن رستم فى العام التالى بضرب هذا الفلس، بل واستمر بضرب الفلوس إلى سنة ١٤٥هـ، عندما أرسل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٣ - ٧٧٣ م) واليه على مصر محمد ابن الشعث الخزاعى على رأس جيش كبير هزم جموع أبى الخطاب عبد الأعلى فى طرابلس، وفر عبد الرحمن ابن رستم من القيروان بعد أن استولى عليها ابن الأشعث، واتجه ابن رستم للمغرب الأوسط، حيث أسس مدينة تاهرت[٢٢] واتخذها منذ عام ١٦١هـ / ٧٧٨م قاعدة للإمارة الرستمية.[٢٣]

الخط والزخارف

نُقشت النقود خلال تلك الفترة (١٢٨ - ١٤٢هـ / ٧٤٥ - ٧٥٩م) بالخط الكوفى البسيط،[٢٤] حيث نجد نهايات بعض الحروف وقد حُفرت بشكل وريقة نباتية كما هو فى

اسم دار الضرب 'بإفريقية' بهامش الوجه فى الدرهم المؤرخ بعام ١٣٤هـ، وظهرت بنهايات حروف أخرى على نفس النقد حليات نباتية بسيطة فى أطرافها، ويظهر ذلك فى حرف الدال من كلمة 'احد' بكتابات مركز الظهر بنفس النقد وغيرها من كلمات سورة الإخلاص، ويظهر هذا التطور فى الخط فى الدرهم المؤرخ بسنة ١٤١هـ، وكذلك أيضا فى كتابات الفلس المضروب عام ١٤٢هـ، وإن كان هذا التطور قد بدا فى حالة هذا الأخير بصورة أقل نظرا لطبيعة المعدن.

أما من حيث الزخارف، فمن الملاحظ أن الدرهم المؤرخ بعام ١٣٤هـ، يعود إلى نظام خمس الحلقات الصغيرة الموزعة على محيط الهامش بالوجه والظهر، تلى ذلك دائرتان منقطتان تحصران بداخلهما كتابات مركز الوجه، ويتكرر ذلك بمركز الظهر، وتجد تلك الزخارف أيضًا فى الدرهم المؤرخ بعام ١٤١هـ، ولكن بأربع حلقات موزعة على محيط الهامش بالوجه والظهر فيما تحصر كتابات الوجه ثلاث دوائر منقطة، ودائرتين تحصران كتابات الهامش بالظهر،[٢٥] فى حين لا تظهر زخارف على الفلس المؤرخ بعام ١٤٢هـ؛ وذلك نظرًا لتآكل حافته.

النتائج

قمت فى هذا البحث بنشر ثلاثة نقود نادرة لم يسبق نشرها ودراستها من قبل وتنشر فى هذا البحث لأول مرة منها درهم ضرب إفريقية مؤرخ بعام ١٤١هـ وهو درهم فريد لم يسبق نشر مثيل له من قبل في حدود علمي.

وقد استعرض البحث نقود الفهريين والخوارج التى سبق نشرها وتناول البحث بالدراسة والتحليل الدراهم التى ضربها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى مع التركيز على الدرهم المنشور له فى هذا البحث حيث أظهر البحث من خلال نقوده التى ضربها منذ عام ١٢٨هـ فى ظل الحكم الأموى وأبان قيام الدولة العباسية محاولاته فى تأسيس أمارة للفهريين فى شمال أفريقيا وبين البحث أسباب فشله في هذا الأمر سواء من ناحية المشاكل التى واجهته أو لعدم حكمته فى معالجة الأمور السياسية بين أفراد أسرته وخلص البحث إلي ضعف نسبة الفلس المنسوب إلى ولده حبيب بن عبد الرحمن مبيناً الأدلة التى تؤيد ضعف هذه النسبة، وخلص البحث إلى أن نقود الخوارج الإباضية التى ضربها زعيمهم عبد الأعلى بن السمح المعافرى منسوبه إليه بحيث اظهر البحث ما يكفى من الأدلة على أن الدرهم المؤرخ عام ١٤١هـ والمضروب بدار سك إفريقية تزامن ضربه مع الدينار المؤرخ بنفس العام والمنسوب إلى نفس الحاكم وقد ضربا بمناسبة استيلائه على القيروان فى نفس العام، وصحح البحث المزاعم التي قالها أحد الباحثين معترضًا على هذه النسبة وأوضح البحث بالدراسة والتحليل عدم تسجيل شعار الخوارج على هذين النقدين، كما ألقى البحث الضوء على الأحداث السياسية والعسكرية التى تزامنت مع ضرب عبد الرحمن بن رستم للفلس المؤرخ لعام ١٤٢هـ والمنسوب إليه واستمراره فى ضرب هذه الفلوس حتى هزيمة الخوارج على يد محمد بن الأشعث الخزاعى عام ١٤٥هـ وفرار بن رستم إلى المغرب الأوسط.

كما القى البحث الضوء على طراز خط هذه النقود والمميزات الفنية من النقوش والزخارف التى حفرت على تلك النقود. ■

الحواشى

١ محمد الشابى، دولة صاحب الحمار ونقوده، أبحاث المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية (تونس، ١٩٦٣) (طبعت الأبحاث بالقاهرة ١٩٦٥)، ٥٨٥.

٢ حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، ط ٢ (تونس، ١٩٧٢)، ٤١٠.

٣ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبى، ج ٢ (ليدن، ١٨٨٣)، ٤٢٨.

٤ محمد أبو الفرج العش، كنز أم حجرة الفضى (دمشق، ١٩٧٢)، اللوحة رقم ٣٩؛ حامد العجابى، جامع المسكوكات العربية بإفريقية (تونس، ١٩٨٨)، ٧٩، اللوحة رقم ٦٧ ؛ J. Walker, *A catalogue of Muhammadan Coins in the British Museum*, II, Arabe-Byzantine and post -Reform umayyad coins (London, 1956), 288.

٥ W. Tiesenhausen, *Monnaies des Khalifes Orientaux* (Russisch) (Saint Petersburg 1873) (Reprint in London, 1989) 654; a.

٦ H. Lavoix, *Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale* 1, *Khalifes Orientaux* (Paris, 1887), 572.

٧ نقل صالح بن قربة هذا الدرهم عن لافواه (Lavoix)، انظر: صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامى إلى سقوط دولة بنى حماد (الجزائر، ١٩٨٦)، ١٢٨.
Lavoix, *Catalogue des Monnaies Musulmanes*, 573.

٨ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الإسلامى (القاهرة، د.ت)، ٧٩-٨٠.

٩ ابن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ط ٢ (طرابلس، ١٩٦٧)، ١٩؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة، ٢٠٠٤)، ٧٨-٧٩.

١٠ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ١٢٩-١٣٠.

١١ الخوارج الإباضية: هم أصحاب عبد الله بن إباض، الذى خرج على الخلافة الأموية، وهم من أقرب الفرق إلى أهل السنة حتى إن بعض منظريهم يعدون أنفسهم من أهل السنة، ويقولون إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وميراثهم حلال، وغنيمة أموالهم عند الحرب حلال، وما سواه حرام، كما يحرمون قتل أو سب مخالفيهم فى المذاهب، انظر: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى (ت ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، ط ١(بيروت، ١٩٧٧)، ٧٠؛ أبو الفتح محمد بن عبد الله الشهرستانى (٤٧٩ - ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، ط ١، ج ١ (بيروت، ١٩٩٤)، ٩٨؛ عامر النجار، الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، ط١ (القاهرة، ١٩٩٣)، ٨٥.

١٢ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ١٣١.

١٣ الخوارج الصفرية: هناك خلاف حول من تنسب إليه الصفرية بين أهل العلم، والأرجح أنها تنسب إلى زياد بن الأصفر. ومن عقائدهم أنهم لم يكفروا القَعَدَة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد، وقالوا إن التقية جائزة فى القول دون العمل، وأجازوا تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية. لمزيد من المعلومات انظر: البغدادى، الفرق بين الفرق، ٦١؛ الشهرستانى، الملل والنحل، ج ١، ٩٩؛ أحمد محمد جلى، دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين ' الخوارج والشيعة، ط ٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (الرياض، ١٩٨٨)، ٧٢-٧٣.

١٤ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الإسلامى، ٨٢؛ حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج٢، ٤٢٥.

١٥ لا حكم إلا لله: هو شعار الخوارج الذى التزموا به بعد موقعة صفين لعدم قبولهم مبدأ التحكيم بين الإمام على (كرم الله وجهه) ومعاوية (رضي الله عنه)، وقد نُقش هذا الشعار لأول مرة على الدراهم العربية الساسانية التى ضربها قطرى بن الفجاءة (٦٨- ٧٧هـ / ٦٨٨- ٦٩٧). انظر: عاطف منصور محمد رمضان، الكتابات غير القرآنية على السكة فى شرق العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة (١٩٩٨)، ٣١٧.

١٦ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ١٣٢.

١٧ حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج٢، ٤١٠.

١٨ عاطف منصور محمد رمضان، الكتابات غير القرآنية على السكة فى شرق العالم الإسلامى، ٣١٧ - ٣٢٠؛ فرج الله أحمد يوسف، نقود الخارجين على الخلافة العباسية فى شرق العالم الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة (١٩٩١)، ١٥١ -١٥٢.

١٩ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ١٣١ - ١٣٢.

٢٠ نقل صالح بن قربة قراءة كتابات الفلس والقطر عن المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب، انظر:
صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ١٣٠ - ١٣١.

٢١ حسن عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج٢، ٤٢٥ - ٤٢٦.

٢٢ تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بالمغرب الأقصى، يقال لإحداهما تاهرت، القديمة، والأخرى تاهرت المحدثة، بينها وبين المسيلة ست مراحل، وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد، وصاحبها عبد الرحمن ابن رستم وفيها جميع الثمار، وهى شديدة البرد كثيرة الغيوم و الثلج، ومَلَكها بنو رستم مائة وثلاثين عاماً، انظر: الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، ٧ ج، ط١، ج٢ (بيروت، ١٩٩٠)، ٨-١٠.

٢٣ حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج٢، ٤٢٦.

٢٤ رأفت النبراوى، الخط العربى على النقود الإسلامية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن (١٩٩٧)، ١-٧٣ (القاهرة، ٢٠٠٠)، ٧.

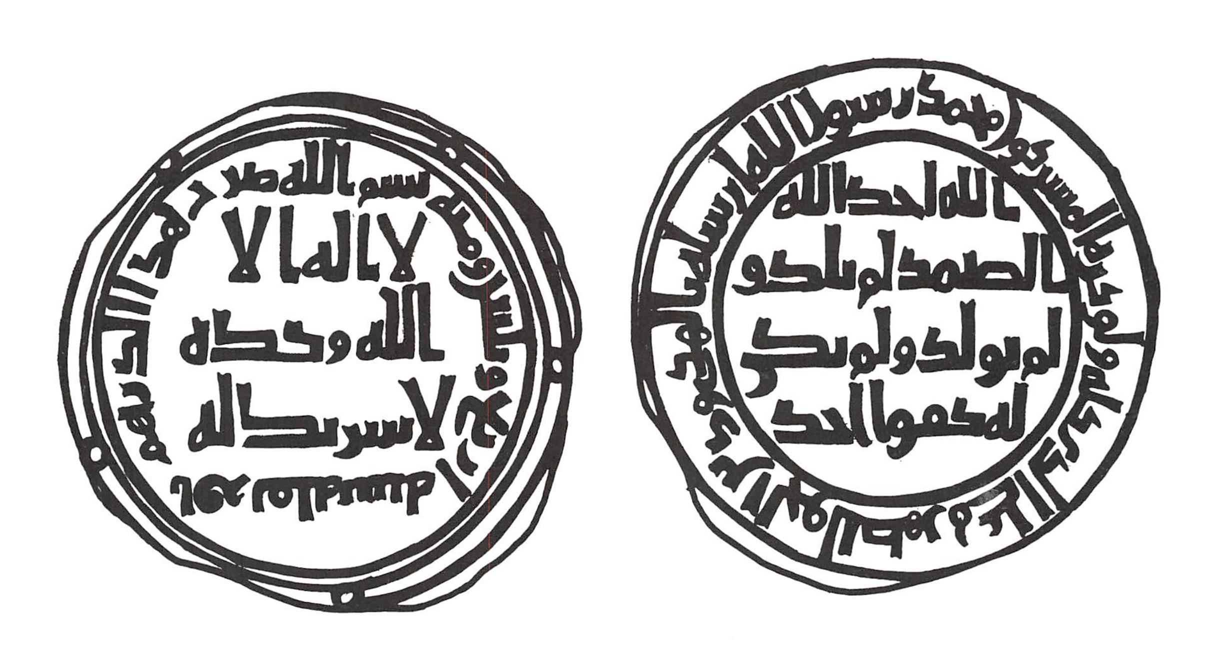
٢٥ حامد العجابى، جامع المسكوكات العربية بإفريقية التونسية، ١٦.







اللوحة ١. درهم من عصر عبد الرحمن بن حبيب الفهري ضرب بإفريقية سنة ١٣٤هـ.



تفريغ للنقد السابق.



اللوحة ٢. درهم ينسب إلى عصر أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح. ضرب بإفريقية سنة ١٤١هـ.





تفريغ للنقد السابق.



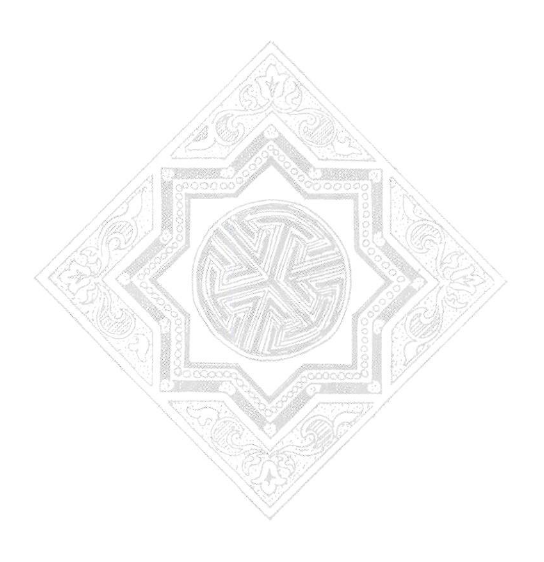


اللوحة ٣. فلس ينسب إلى عبد الرحمن بن مسلم ضرب بإفريقية سنة ١٤٢هـ.





تفريغ للنقد السابق.



جامع الإمام عبد الله بن حمزة
بظفار ذيبين (٦٠٢هـ /١٢٠٦م)
"دراسة أثرية معمارية"

علي سعيد سيف*

المقدمة

عندما وقع اختيار الإمام عبد الله بن حمزة على حصن ظفار ليكون معقلا له يحتمى به من هجمات القوات الأيوبية، كان لابد من أن يقوم بتحصينه، وكان غزوان بن أسعد السريحى من أشدهم عناية بأمره.

واجتمع الرأى على بناء الحصن، وأمر الإمام بإثبات ما يحتاج إليه من آلات العمارة، وجعل أمر العمارة المباركة فيه يوم الاثنين لعشرين ليلة خلت من شوال سنة ستمائة للهجرة، ثم أمر باستعمال الآلات من الحديد وغيره وحمل الطعام للعمال، واستمر البناء ثلاثة أشهر وستة عشر يوما، وابتدأ العمل فى موضعين، هما السور الذى قطعت له الصخور الكبار، والثانى حفر الخندق الواقع ما بين الطفة فى الجهة الغربية والحصن.

أما الجامع، فلقد أمر الإمام ببنائه لأيام خلت من جمادى الآخرة سنة ٦٠٢هـ، وربما أراد الإمام أن يكون تخطيطه مشابها لتخطيط المسجد النبوى اقتداءً به، وهذا الجامع لا يخرج فى تخطيطه عن المساجد الجامعة إلا من بعض الاختلافات، وهى أنه أُخذ أحد الأروقة لإقامة منطقة لبناء المشاهد وعمل القبور فيها. ويتضمن هذا البحث المسمى 'جامع الإمام عبد الله بن حمزة بظفار' دراسة تحليلية وصفية لعمارة الجامع من حيث تخطيطه المعمارى وعناصره الزخرفية، فهو يتكون من صحن أحيط بثلاثة أروقة: شمالية (القبلة) وشرقية وغربية، ويعد أعمقها وأوسعها رواق القبلة المكون من إحدى عشرة بلاطة، أوسعها أوسطها التى تعد بمثابة مجاز قاطع تسير موازية لجدار القبلة، وقد قسمت بواسطة ثلاثة صفوف من الأعمدة، بكل صف منها عشرة أعمدة تحمل السقف مباشرة.

ويتصدر جدارَ القبلة محراب عبارة عن حنية زينت بشتى ضروب الزخرفة الكتابية والنباتية والهندسية، وإلى يمين المحراب يوجد منبر عبارة عن دخلة فى جدار القبلة.

أما الرواقان الشرقى والغربى فكل منهما مكون من بلاطة واحدة تفتح على الصحن بواسطة بائكة من الأعمدة التى تحمل عقودا تسير عمودية على جدار القبلة، وقد سُدت فى فترات متأخرة، إضافة إلى المئذنة.

أما الجهة الجنوبية من كتلة الجامع فقد شغلت بمقابر تحمل شواهد قبور ومشهدى الإمام عبد الله بن حمزة وابنه عز الدين اللذان يتكون كل منهما من شكل مربع غطى بقبة، وزينت مناطق انتقال القباب فيهما بشتى أنواع الزخرفة كما تضمنت هذه المشاهد تراكيب خشبية زينت جوانبها بالكتابات التى تعد آية فى الجمال والروعة، إضافة إلا أن لكل منهما شاهد قبر.

وتكمن أهمية البحث فى أنه يلقى الضوء على أحد المساجد التى ما زالت تحتفظ بأرومتها منذ زمن البناء، أى منذ أمر الإمام عبد الله بن حمزة ببنائه، ولم يتعرض له أحد بالدراسة والوصف والتحليل إلا من باب الإشارة إلى وجود هذا الجامع فى مكانه. وتزداد أهميته بأن كتاباته التسجيلية تضمنت اسم الآمر بالبناء والصانع والفترة التى تم فيها البناء، إضافة إلى وجود أضرحة فى الجهة الجنوبية من الجامع احتلت الرواق الجنوبى منه.

وقد واجهت الباحث صعوبات، أهمها بُعْد الجامع وتربعه فى أعلى حصن ظفار، مما يتطلب السير على الأقدام وصعودا يصل إلى الساعتين أو أكثر للرجل النشيط، إلى جانب الصعوبات التى واجهت الباحث فى قراءة الكتابات التى تزين

سقف الجامع والأشرطة التى تدنو السقف الخشبى، وكذلك الكتابات التى تزين جدران الأضرحة وتوابيتها وشواهد القبور فيها، وقد استطاع الباحث التغلب عليها وفك نصوصها بتوفيق من الله تعالى.

هذا، وقد اعتمد الباحث على مصادر أساسية وثانوية، منها: 'السيرة المنصورية' التى كتبها أبو فراس ابن دعثم، وذلك اختصارا للسيرة المنصورية التى كتبها نشوان بن سعيد الحميرى، إلى جانب كتاب الأمير بدر الدين محمد ابن حاتم المسمى 'السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك الغر فى اليمن'، وهى كتب معاصرة لفترة البحث، وكتاب يحيى ابن الحسين المسمى 'غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى'، إلا أن الدراسة الميدانية كانت المعول الأساسى فى الدراسة؛ فقد أمدتنا بمعلومات مهمة من حيث اسم الإمام ونسبه وبيعته، وأمره بالبناء وتاريخ البناء والانتهاء منه، وأسماء الذين نفذوا البناء والزخرفة، سواء على جدران الجامع أو السقف أو الأضرحة.

كما أن الباحث قد اعتمد على المنهج الوصفى التحليلى مقسما الدراسة إلى عدة محاور، وهى:

- موقع حصن ظفار وتاريخه ومكوناته.
- نبذة عن حياة الإمام عبد الله بن حمزة.
- دراسة وصفية تحليلية للجامع.
- دراسة وصفية لمشهدى الإمام عبد الله بن حمزة وابنه عز الدين.

ثم أردف البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصل إليها البحث، مع أن الدراسة غير مسبوقة إلا من بعض الدراسات البسيطة التى لم تتعرض للجامع، مثل تقرير عن زيارة عمل فيه مسقط أفقى للجامع وأخذ صور له، ثم ألحق به الأشكال والصور التوضيحية، وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة فى البحث.

الموقع

يقع على جبل ظفار الذى كان يعرف بأكمة الفتح، ويتبع مديرية ذيبين محافظة عمران، وذلك على خط العرض ٤٠ ٥٩ ١٥ شمالا، وخط الطول ٢٥ ٩ ٤٤ شرقا.

سبب بناء الحصن

أعلن الإمام عبد الله بن حمزة دعوته للخاصة من الجوف سنة ٥٨٣هـ، ثم دعوته الثانية للعامة سنة ٥٩٣هـ،[١] وهذه الدعوة كان لها الأثر الكبير فى دخول الإمام حروبًا مع الأيوبيين، فقد تلقى السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب خبر الدعوة بالاستعداد لحربه، فالتقيا فى أكثر من موضع، وبعد وفاته وتولى المعز، خرج عنه الأمير حكو الذى التقى الإمام عبد الله بن حمزة فى ذى القعدة سنة ٥٩٤هـ، وبايع الإمام وأَمَّرَهُ الإمام على الجند، وعندما وصل المعز إلى صنعاء أراد الخروج إلى شبام كوكبان مستقر الإمام حينها، مما دعا إلى تحصينها. وفى هذه الأثناء خرج الأمير شمس الخواص ومعه عسكره على الملك المعز الذى أراد قتله، وعندما رأى الأمير شمس أن الناس مقبلون على الإمام، خاف على نفسه وأراد أن يقبض على الإمام، وفى أثناء ذلك خرج الإمام متخفيا،[٢] وبعد أن اجتمع للإمام خلق كثير، التقى بشمس الخواص وأخذ منه البيعة، بعدها توجه شمس الخواص إلى تهامة، فقابله الملك المعز ونفاه إلى جزيرة دهلك[٣] وتوجه إلى صنعاء، وأصبحت الحرب سجالا بين الإمام والملك المعز، وعندما تولى الأمير وردسار الأمر للمعز فى صنعاء، خرج بعسكره إلى شبام فأخربها وقتل من أمكن فيها وأخرب الزرع، ثم توجه الإمام إلى مدينة حوث، وبعد أن عاد وردسار من حرب شبام إلى صنعاء بقى فيها عشرين يوما، بعدها جهز جيشا يريد الظاهر واستولى على الكثير، وقتل أخا الإمام عبد الله بن حمزة، وبينما كان على ذلك فزع الناس فى حوث، فنهض الإمام حتى وصل إلى قرية دنان وهى خالية من أهلها خوفا من وردسار فأتته قبائل بنى حيان فسألوه القدوم إلى بلادهم، فأسعف سؤالهم، وبلغ العلم إلى الإمام بعودة وردسار، إلى صنعاء، ففرح الناس بذلك،[٤] فنظر الإمام فى أحوالهم وما قد اعتراهم من الخوف والذلة وتفرق الأهواء وتشتت الآراء، وبينما كانوا مجتمعين لتدارس الأمور، كان ممن حضر المجلس الأمير صفى الدين محمد بن إبراهيم والشيخ غزوان بن أسعد السر يحيى مع جماعة من الأشراف والحاشية، وجرى الحديث فى أن الناس لا يجدون موضعا يمنعهم ويلجئون إليه للاحتماء به إذا ما هاجمهم أحد، فذكروا قلعة الإمام أبى الفتح الديلمى، وكان الإمام قد هم بعمارتها ونظر إليها،



وأتاها فى المساء ولم يصعد أعلاها ولا تأملها، ونظر إلى الأكمة التى فى المغربة فى عدنها متصلة بأعلاها، فأضرب عن عمارتها،[٥] وعندما جرى خبرها فى تلك اللحظة، أحب جماعة طيافها ورأى الإمام إعادة النظر فيها، وكان غزوان ابن أسعد السريحى من أشدهم عناية بأمرها، وكان قد طلعها وعرفها، فعرضت على الإمام وأجمع الرأى على القدوم إليها، فنهضوا إليها، وترجل الإمام وصعد أعلاها وطاف أقطارها، وأمعن النظر فى أمرها، فشاهد من المنعة والحصانة عكس ما اعتقده فى السابق، فعاد وقد عزم على عمارتها، وأمر بإثبات ما تحتاج إليه من آلات العمارة، وجعل أمر العمارة المباركة فيه يوم الاثنين لعشرين ليلة خلت من شوال سنة ستمائة للهجرة، وعاد إلى حوث فأمر باستعمال الآلات من الحديد وغيره وحمل الطعام للعمال، فلبث ثمانية أيام حتى جمع ما يحتاج إليه، ثم نهض إلى الحصن مع الأمير عماد الدين وصفى الدين وجماعة من الأشراف وممن لم يكن حاضرا فى السابق، فاستشارهم فى البناء، فصوبوا أمره.. حينئذ سماه ظفارا، واستمر البناء ثلاثة أشهر وستة عشر يوما.[٦] (اللوحة ١)

وابتدأ العمل فى موضعين هما: السور الذى قطعت لها الصخور الكبار، والثانى حفر الخندق، والواقع ما بين الطفة فى الجهة الغربية والحصن، وكان الإمام يشارك فى العمل فيحفر بيده ويعين على تقليب الحجارة بنفسه، وكان العمل على دوريتين، إحداهما نهارا والأخرى ليلا، وفى أثناء العمل كان يرتجز العمال بشعر، منه:

تمسيه لنا مع الغروب   تذهب بالأحزان والكروب

وتؤذن الفساق بالهروب   رموا بداء غير ذى طبيب

ينصرنا مقلب القلوب   على ولاة الظلم والعيوب[٧]

وبينما كان العمل قائما، إذ وصل الخبر إلى علم الدين وردسار، فشق له ذلك وعمل على منعه، فخرج بجيش كبير حتى حط فى حدقان، فأتاه أهل تلك المناطق مسالمين، ثم خرج منها إلى ناعط لحربها، فخرج أهلها ليلا، وعند وصوله إليها لم يجد أحدًا، فأخرب البيوت ونهب العسكر ما بقى منها، ثم أراد القدوم إلى بلاد بنى زهير ليفعل بها كما فعل بناعط، حينها جهز الإمام رجالا من الديوان ومعهم صفى الدين محمد بن إبراهيم لحفظ جبل بنى زهير وحفظ كلمتهم، وراسل الإمام جميع الجهات يستنفر الناس للجهاد فى سبيل الله.. ولما علم وردسار بتجمع الناس لحربه، عاد إلى صنعاء وقد فشل مخططه فى منع الإمام من بناء الحصن.

وعندما تولى الأمر الأمير سنقر ووصل إلى صنعاء فى يوم الأربعاء لست عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة إحدى وستمائة، اضطربت أحوال البلاد وأهلها، وكانت ولاية حصن ظفار إلى الشريف يحيى بن حمزة، فتساهل فى عمارة الحصن والإمام غائب فى ذى مرمر، ووقع تفريط فى أمره لغياب الإمام، ولهدنة بين الإمام ووردسار، عندها طلب الإمام من يقوم بأمر الحصن ويقف عليه، فلم يقبل أحد، وخاف كل منهم على نفسه لقلة العتاد الذى فيه وضعف العمارة، فعزل الشريف يحيى عن الولاية لما وقع منه من تفريط، وولى أمر الحصن خادمه الشيخ الأمين 'دحروج بن مقبل'، فطاف به فلم يجد فيه إلا الشىء اليسير من الحب والماء، فعمل جاهدا على توفير مستلزمات الحصن من ماء وحب وملح وزبيب وسلاح، وما هى إلا مدة يسيرة حتى صار فيه ما يكفيهم مدة أشهر، من الماء والحب، وأمده الإمام بمال وصله فى وقت حاجته، حينها نهض الأمير سنقر إلى ريدة، واجتمع العرب والعجم على حرب الإمام، فتأخر ثلاثة أيام وهم يتوقعون وصوله إلى الحصن، وفى تأخره عمروا ما يحتاجون إليه وما يخشون منه، ونفرت البناة والعمال منهم، فتولوا أمر العمارة بأيديهم فى الليل والنهار حتى أصلحوا ما يحتاجون إليه.[٨]

وحكى الفقيه على بن أحمد الأكوع أنه 'لما كان يوم الجمعة وقد استقر سنقر بجرن المنقل، أقبل منهم بشر كثير وخيل جمة حتى بدوا من أعلى الجبل فى غربى الحصن، وانتشروا يمينا ويسارا، فرموا بقسى النشاب والشرخ، فبلغ الشرخ إلى طرف الحصن، أما النشاب فسار يقطع فى الهواء دون الحصن ولم يصل منه شىء. ولما علم الشيخ دحروج بإقبالهم، أمر بإخراج البيض والغوامر والعدة وآلة السلاح، واصطف أصحابه على أطراف الحصن، فرأى سنقر وأصحابه قلة عدد أصحاب الإمام، والحصن أسفلهم والأكمة المتصلة بالخندق تراءى لهم أنها متصلة بالحصن، فعادوا إلى محطتهم بحدقان مستبشرين بأخذه قاطعين على غلبته.

وجهز العسكر آخر النهار وفرق فيهم النشاب، وأعد السلاح من الغوارم والخطابى والطوارق والشروخ والقياس العربية والآلات القوية، وخربوا قرية الصولان

بالغرب من الحصن. وفيما هم على ذلك من التخريب، كتب من شاهدهم كتابا إلى الشيخ دحروج لينجو بنفسه وأصحابه ليلا، فإن القوم آخذين الحصن لا محالة، ولم يطلع الصباح إلا وقد طوقوا الحصن بالخيل والرجال، فكان أولهم فى المغربة وآخرهم فى موضع يسمى الطوامر، وعندما تكامل العسكر نصبوا الشروخ للرمى بها وتدرعوا ودنوا للحرب وأتى بأحمال النشاب على الخيل وأكتاف الرجال.[٩]

وتحكم أهل الحصن حول سوره ولم يبدُ منهم أحد، وكان الإمام قد وصاهم بذلك وبالغ فى الوصية، وأمرهم بترك السب والكف عن الأذية، وأن يجعلوا شعارهم ذكر الله تعالى فى حال الحرب، وما زال القتال عليهم مستمرا إلى قبيل صلاة الظهر، وكان للعرادتين نفع عظيم.

وكان معظم قتالهم الرمى بالنشاب والشروخ حتى أفنوا ما معهم، وكان الرماة على ما حكى الشيخ محمد بن الحسن الرصاص - وهو ممن شهد القتال - بالتقدير يزيد على أربعمائة رام، وحكى ذلك غيره، ووقعت جراحات كثيرة، كما كانوا يخفون موتاهم. ولما تولوا من القتال، طلب جماعة من الديوان لحاقهم بعد انحدارهم من رأس الشعب، فمنعهم الشيخ دحروج، وأمر بإغلاق الباب خوفا من فساد بعضهم.[١٠]

وهذا الحصن يتكون من عدة مرتفعات (تبب) حصنت جميعها بأسوار منفردة وسور يربط بعضها ببعض، إضافة إلى تحصينها الطبيعى، أو هى عبارة عن عدة قلاع مسورة، وهى:

القاهرة، والمدينة، والحصن، والحجر، وتعز، والقفل، والطفة.

القاهرة (اللوحة ٢)

تقع إلى الشمال من حصن ظفار قلعة سميت بالقاهرة، وهى تعد حصنا متميزا بما يحمله سورها من خصائص دفاعية، لاتزال تحتفظ بجميع مقوماتها الدفاعية، ويؤدى إليها عبر سلم صاعد من الجهة الشمالية للمدينة الذى يصل إليها عبر بوابة لا تزال عتبتها قائمة مع جدارها الداخلى، وهذه البوابة تفضى إلى ردهة، ومنها إلى سلم صاعد صعب الارتقاء إذ إن جوانبه التى كانت تحفه قد تساقطت ولم يبق إلا بعض درجاته، ومنه يتم الوصول إلى قلعة القاهرة التى لا تزال تحتفظ بمعظم معالمها العمرانية، ومنها مسجدها الذى يتشابه إلى حد كبير مع جامع الإمام عبد الله بن حمزة - موضوع البحث - من حيث تكوينه المعمارى المكون من صحن محاط بأروقة ثلاثة أعمقها رواق القبلة، والذى ما زال يحتفظ ببعض مكوناته المعمارية، ومنها بعض الأعمدة وأجزاء من المحراب، والتى تنم عن أن صانعها هو نفسه الذى قام بتنفيذ الأعمال فى جامع الإمام، ومن ذلك تلك الكتابات التى تزين إطار المحراب التى تكاد تطابق مع محراب جامع الإمام، كما أن العقود القنديلية التى تطل على الصحن هى أيضا نسخة مكررة من تلك العقود المطلة على صحن جامع الإمام، إضافة إلى وجود عدد من البرك ومدافن الحبوب وبعض المنازل المنتشرة فى أرجاء القلعة. كما إنه يمكن القول إن دار السك التى بناها الإمام عبد الله بن حمزة تقع فى هذا الجزء من الحصن.

المدينة

تقع إلى الجنوب من قلعة القاهرة، وتنحصر بين الحجر من الجهة الجنوبية والقاهرة من الجهة الشمالية فى منخفض بينهما، وتتوزع منشآتها على المنحدرات الشمالية والجنوبية، إضافة إلى عدد من البرك الكبيرة التى تتمركز فى منخفض المدينة (اللوحة ٣). وفى هذا يمكن القول إن المعمار قد أبدع فى تنفيذها واستغلال مياه الأمطار النازلة على جميع أجزاء الحصن، وفيها عمد إلى عمل سَوَاقٍ تحيط بالحصن من الجهة الغربية، والتى بدورها تحتضن الجبلَ جميعه، وتصب جميعها فى تلك البرك. أما عن تقنية تلك البرك، فنجد أنه عند امتلاء الأولى بالماء، تفضى إلى الثانية بواسطة مصرف إما تحت الأرض أو عبارة عن قنوات كبيرة مسقوفة، وهى بدورها تؤدى إلى برك صغيرة تعتبر كمناطق ترشيح للمياه مما تحمله من عوالق من الأتربة والأشجار وغيرها. وإلى جانب ذلك، يوجد عدد من المساجد، منها صغيرة وأخرى كبيرة تتشابه فى تخطيطها مع جامع الإمام عبد الله بن حمزة موضوع البحث، وقد تهدمت هذه المبانى إلا من أجزاء منها. ويحيط بالمدينة أسوار تدور حولها وتربطها مع الأجزاء الأخرى مثل القاهرة والحجر، وقد تم فتح مدخلين للمدينة، أحدهما يتجه غربا نحو الطفة، والأخر يتجه شرقا نحو وادى ورور، والذى يتم الصعود منه إلى الحصن، وقد زودت هذه المداخل بتحصينات دفاعية مثل الأبراج.



الحجر

ويطلق عليه دار الحجر، وهو يقع فى الجهة الجنوبية من المدينة ومن القاهرة. ويتكون من عدد من أساسات المبانى وعدد من البرك والمدافن، وتربط بينه وبين المدينة والحصن أسوار وهو يعلو الحصن بمرتفع بسيط. وما يلاحظ عليه هو وجود بقايا الأسوار التى تحيط به.

الحصن

يقع الحصن فى الجهة الجنوبية من دار الحجر ومن إلى المدينة، ويتم الوصول إليه عبر منفذين، أحدهما من المدينة فى الجهة الشمالية، والذى يمر عبر طريق يكتنفها عدد من المقابر، وهو سلم صاعد من الحجر، والآخر من الجهة الجنوبية ومن منطقة تعز، وذلك عبر سلم حجرى صاعد، ويتميز الحصن بوجود الجامع ـ موضوع البحث ـ إضافة إلى عدد من المبانى والمدافن والبرك، وكذلك بعدد من شواهد القبور.

تعز

تقع إلى الجنوب من الحصن وإلى الشمال من القفل، وهى عبارة عن منخفض صخرى ما بين الحصن والقفل، وتنتشر فيها المقابر وبعض المبانى.

القفل

يقع إلى الجنوب من الحصن، ويشرف على شعاب ذيبين وشوابه، والذى كانت دائما القوات الغازية تصل منه. وهو عبارة عن حصن متقدم يحيطه سور من جميع الجهات، ويعتبر نقطة متقدمة للمراقبة، ومساحته صغيرة قياسا بالمناطق المذكورة آنفا، إلا أنه صعب الارتقاء، ويربطه مع تعز سور تهدم معظمه، هذا ولا يزال القفل يحتفظ بمعظم تحصيناته، والتى يغلب عليها الأبراج الدفاعية والثكنات للجند.

الطفة

تقع إلى الغرب من حصن ظفار، وهى نقطة متقدمة من الجهة الغربية للحصن، ولم يعد متبقيا فيها أى من المبانى، وذلك بسبب أنها أكثر المناطق عرضة لهجوم القوات الغازية التى تأتى من جهة الغرب ومن صنعاء لأنها أسهل منطقة يمكن الوصول إليها. هذه هى أهم مكونات الحصن، والذى لا يزال ينتظر الدراسة.

حياة الإمام عبد الله بن حمزة

نسبه

هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الجواد، بن سليمان البر التقى، بن حمزة النجيب، بن على المجاهد، بن حمزة الأمير القائم بأمر الله، بن الإمام النفس الزكية، بن أبى هاشم الحسن، بن الشريف الفاضل عبد الرحمن بن يحيى نجم آل الرسول، بن أبى محمد عبد الله العالم، بن الحسين الحافظ، بن الإمام بن جمال الدين القاسم، بن إبراهيم الغمر طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الشبه، بن الحسن الرضا، بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب[١١]

مولده ونشأته

ولد بعيشان لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ، وكان والده من أعيان عصره وعلمائه، وقد طُلب منه أن يقوم بالإمامة، إلا أنه رفض ذلك. وكانت أمه الشريفة الفاضلة زينب ابنة إبراهيم ابن سليمان. وقد نشأ فى بيت علم وزهد، وتتلمذ على يد والده والشيخ المحقق الحسن بن محمد الرصاص، والشيخ عمر بن الحسن الشتوى، والشيخ على بن أحمد الأكوع، وغيرهم.[١٢] وكان نادر عصره فى الذكاء والحفظ والشجاعة، كما كان زاهدا تقيا، حتى إنه لَيُرْوَى إنه صام أربعة عشر عاما حتى ضعف عن حمل السلاح، فترك الصيام رغبة فى الجهاد، وكان طويل القامة تام الخلق حديد البصر أبلج، كث اللحية، وبعد أن حفظ القرآن فى صغره، بدأ يحفظ علوم الآداب، فبرز فيها حتى قيل إنه أشعر الطالبيين باليمن[١٣]

دعوته

كان للإمام عبد الله بن حمزة دعوتان: خاصة وعامة، الخاصة وهى التى أعلنها سنة ٥٨٣هـ بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان، فى وقت سادت فيه خلال المنطقة الشمالية الفرقة والتمزق وعدم اجتماع الكلمة على إمام



واحد، وكان الكثير من العلماء يتمنون أن يقوم بالدعوة رغم صغر سنه لأنه حاز على رتبة الاجتهاد وتوفرت فيه الشروط الهادوية لتولى الإمامة وهو فى سن العشرين.[14] وفى أثناء دعوته كتب إلى علماء صعدة من الهادوية يخبرهم بقيامه بالأمر.[15]

أما دعوته للعامة – وهى الثانية – فقد كانت بعد عشر سنين من دعوته الأولى، أى فى سنة ٥٩٣هـ، فى شهر ذى القعدة من الجوف، وقد صادفت هذه الدعوة بعد وفاة السلطان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وقد أجابه الكثير من العلماء إلى دعوته، ومن هؤلاء بنو حاتم الذين عادوه فى بداية الأمر.

وبعد أن تمت له البيعة، بدأ فى الحروب مع الأيوبيين الذين كانوا مسيطرين على معظم مناطق اليمن، وفيها كانت الحرب سجالا بينهم فى الاستيلاء على المناطق وعقد المهادنات فيما بينهم.[16]

وللإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أعمال أدبية ومعمارية كثيرة، وسنقف على أعماله المعمارية على اعتبار أنها تهم دراستنا الأثرية، أما أعماله الأدبية فقد جمعها الكثير من المؤرخين وكتاب السير.[17]

أعماله المعمارية

للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة مآثر كثيرة وخالدة وخاصة فى المناطق الشمالية من اليمن حيث مقر السلطة الزيدية، فقد أمر بتأسيس مدينة الزهراء، وهى تقع فى منطقة الجوف على شاطئ النهر النازل من جبالها الغربية والمسمى بنهر الخارد، كما أنشأ مدينة الغيل، وهو المعروف بغيل مراد بالجوف، وشيد من الحصون حصن ظفار، والذى سماه بهذا الاسم، والمسمى حاليا ظفار ذيبين (الذى نحن بصدده) إذ ليس له نظير فى اليمن. كما شيد حصن كحلان عفار، وحصن تلمص، وحصن الطويلة، أما المساجد فيعتبر مسجده فى ظفار ذيبين من أهم المساجد الأثرية فى اليمن، إذ إنه ما زال يحتفظ بأرومته، ويحمل من الزخارف المنقوشة على الخشب الشىء الكثير، وهو ما سنعرضه فى هذا البحث، إلى جانب مسجد الصومعة بمدينة حوث، وكذلك المسجد الجامع بمدينة الزهراء. إضافة إلى أنه قام بتحصين مدينة شبام وأدار عليها سورا.[18]

وفاته

كانت وفاة الإمام عبد الله بن حمزة فى يوم الخميس لاثنى عشر يوما من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة هـ/ ١٢١٧م، حيث مات بحصن كوكبان، ثم نُقل إلى حصن بكر بعد يوم واحد من وفاته بكوكبان، فدفن فيه، ثم نُقل إلى حصنه ظفار، وذلك لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، وهو الموضع الذى صار منسوبا إليه ليدفن فيه.[19] ومما سبق يتبين لنا أن الإمام بقى مدفونا بقبره بحصن بكر سنتين وخمسة أشهر.

ولذلك يمكن أن نرجح أن بناء الضريح واقع فى الفترة ما بين بناء المسجد وملحقاته، والتى بدأ العمل بها فى سنة (٦٠٢هـ /١٢٠٦م)، وانتهى منها فى سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، بحيث تم بناء الضريح وأصبح معدًا لدفن جثمان الإمام فيه، حيث نقل جثمانه بعد سنتين وخمسة أشهر من وفاته، وذلك بتاريخ ٧ جمادى الآخرة من سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، ليدفن فى ضريحه الذى أعد له بعد أن نقل جثمانه من حصن كوكبان إلى حصن بكر، ثم إلى حصن ظفار الذى استقر فيه.

أو قد تكون فترة بناء الضريح واقعة فى الفترة ما بين وفاة الإمام المنصور بالله سنة ٦١٤هـ، ونقله إلى ضريحه بظفار حسب وصيته فى سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، وهذا هو الأقرب إلى الصواب.

وصف الجامع (اللوحة ٤ـ الشكل ١)

ابتدأ العمل فى الجامع بأمر من الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، فى أيام خلت من شهر جمادى الآخرة سنة ستمائة واثنتين من الهجرة النبوية،[20] وقد ظل هذا الجامع محتفظا بأرومته حتى أصيب بالقنابل التى سقطت عليه عام ١٩٦٢م والتى أضرته كثيرا، والجامع بوضعه الحالى يتخذ الشكل المستطيل بطول ضلع من الشمال إلى الجنوب ٣١,٥م، وبعرض من الشرق إلى الغرب ٢٦,٥م، ويتوسطه صحن مستطيل الشكل، طوله من الشرق إلى الغرب ١٩م، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٣,٤٠م، تحيط به ثلاثة أروقة من الشمال والشرق والغرب، وتطل على الصحن بفتحات معقودة بعقود قنديلية، كما زينت هذه الواجهات بزخارف نباتية وكتابية نفذت على الجص، بالإضافة إلى البلاطات الخزفية التى تزين الواجهة. أما

الجهة الجنوبية فقد اتخذت كمنطقة للقبور وبناء مشهدى الإمام عبد الله بن حمزة الذى يتوسط صحن الجامع، وابنه عز الدين الذى يحتل الركن الجنوبى الشرقى من الجامع.

هذا، وقد اعُتمد فى بناء الجامع الحجر، والذى نُفذت به المداميك السفلية منه بواقع ثلاثة مداميك حجرية منتظمة الشكل ومصقولة فى بعض الأحيان، وأُكمل البناء بالآجر (اللوحة ٤)، إضافة إلى فتح مداخل ونوافذ فى الجدران. وقد تعرض هذا الجامع للخراب، سواء بفعل العوامل الطبيعية كالأمطار والرياح، أو العوامل البشرية.. ولكن العوامل البشرية كانت أكثر تدميرا فقد تعرض هذا الجامع لقذائف طيران سقطت عليه سنة ١٩٦٢م، مما تسبب فى أضرار كثيرة لحقت بالسقف والبناء، الأمر الذى دعا منظمة اليونسكو بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار إلى تغطية سقف رواق القبلة والأضرحة بصفائح الزنك التى نُقلت بطائرة عمودية إلى الموقع نتيجة لصعوبة ووعورة الوصول إليه، وقد جرى ذلك فى شهر يناير سنة ١٩٨٣م تحت إشراف الباحثة الفرنسية كريستين دنشوت.[٢١]

وصفة هذا الجامع على النحو التالى:

أولا: الجدار الجنوبى

يعد هذا الجدار الرئيسى للجامع، وذلك بسبب فتح المدخل الرئيس فيه، والذى يتوسط الجدار بعرض ١,٦٠م. ومن المرجح أنه كان يعقد عليه عقد مدبب مؤطر بطبقة جصية كما هو الحال فى المدخل الغربى، كما يرجح أنه كان يغلق عليه باب خشبى ذو مصراعين، وقد تساقطت معظم أجزاء المدخل وأعيد ترتيبها بما يسمح بالدخول منه، حيث يفضى إلى ما يعرف بمنطقة القبور والمشاهد التى شغلت الرواق الجنوبى.

هذا، ويفتح إلى الغرب والشرق منه مدخلان لهما نفس صفة المدخل السابق إلا أنهما أقل منه سعة، إذ تبلغ سعة فتحتهما ١,٢٠م، وقد سدا فى فترة متأخرة، كما يلاحظ أن سطح هذا الجدار كان مغطى بطبقة من القضاض.

ثانيا: الجدار الشمالى

عبارة عن جدار مسطح تبرز فيه كتلة المحراب، وهى مستطيلة الشكل، طولها ٢,٤٠م وعرضها ١,٤٠م، كما تتخلل الجدار ميازيب لتصريف مياه الأمطار.

ثالثا: الجدار الشرقى

يتميز هذا الجدار بأنه تُفتح فيه ثلاثة مداخل، الأول من الجهة الشمالية ويفضى إلى مقدم الجامع، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة سعة فتحتها ١م، يعقد عليها عقد مدبب سُد فى فترة متأخرة، كما يفتح فى مقدم الجامع، نافذتان مستطيلتا الشكل بعرض ٥٠سم وارتفاع ٧٠سم.

أما المدخل الثانى فهو عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل عرضها ١,٢٠م معقودة بعقد مدبب زينت واجهته بإطار من القضاض، وهذا المدخل يؤدى إلى الجناح الشرقى، وهو مسدود حاليا.

أما المدخل الثالث فهو عبارة عن فتحة مستطيلة، سعة فتحتها ١م. ويقع هذا المدخل عند الركن الشمالى الشرقى لضريح الأمير عز الدين، وهو يؤدى إلى سطح البركة الملحقة بالجامع فى الجهة الشرقية منه، كما يؤدى إلى البركة التى تقع خارج الجامع، والتى يتم الوصول إليها عبر سلم من سطح البركة الملحقة بالجامع، إضافة إلى وجود المئذنة ملتصقة بالجدار الشرقى. كما يوجد عدد من البرك وسبيل.

رابعا: الجدار الغربى

عبارة عن جدار مسطح يفتح فيه مدخلان، أحدهما يفضى إلى مقدم الجامع، وهو مسدود حاليا، وقد اتخذ الشكل المستطيل بسعة فتحة تصل إلى ١م. يعقد عليه عقد مدبب، وربما كان يغلق عليه باب خشبى مكون من مصراعين، أما المدخل الثانى فيفضى إلى الجناح الغربى، وهو يتشابه مع المدخل السالف ذكره، ومسدود حاليا، وسعة فتحته ١م.

هذا، ويزين جدران الجامع من الأعلى شريط من طبقة قضاض؛ وذلك كى تمنع تسرب المياه إلى الجدران. كما تغطى السقف من أعلى طبقة قضاض تعمل على عدم تسرب المياه إلى الداخل وتحمى المصندقات الخشبية، وإلى جانب ذلك تتخلل جدران الجامع ميازيب لتصريف المياه النازلة من سطح الجامع.

الوصف من الداخل

اتخذ الجامع من الداخل الشكل المستطيل بطول ضلع من الشمال إلى الجنوب ٢٧,٦٠م، وعرض من الشرق إلى

الغرب ٢٣م. ويتم الولوج إليه حاليا عبر المدخل الأوسط فى الجدار الجنوبى الذى يوصل إلى ما يعرف بمنطقة القبور والمشاهد، وهذا الجامع من المساجد التى اعتُمد فى تخطيطها على الصحن المحاط بالأروقة، والذى يتكون من صحن مستطيل الشكل، طوله من الشرق إلى الغرب ١٩م، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٣,٤٠م، تطل عليه البوائك بعقود ثلاثية (قنديلية) من جهات ثلاث، الجهة الشمالية (رواق القبلة) والشرقية (الرواق الشرقى) والغربية (الرواق الغربى)، وقد أقيمت هذه البوائك على أعمدة مستديرة بأكتاف ذات قواعد وتيجان مربعة الشكل، زينت تيجانها بكتابات نفذت بالخط الكوفى المورق على مهاد من الزخرفة النباتية، أما الجهة الجنوبية فقد اتخذت كمنطقة للقبور وبنى فيها مشهدان. وهى على النحو التالى:

أولا: رواق القبلة (مقدم الجامع) (اللوحة ٥)

يطل رواق القبلة على الصحن ببائكة مكونة من عقود قنديلية، أقيمت على أعمدة تسير موازية لجدار القبلة، كونت واجهة تتكون من تسع فتحات، منها ثلاث يغلق عليها أبواب خشبية، كل منها يتكون من مصراعين وعوارض خشبية رُبط بينها بمفصلات حديدية ثبتت بالمسامير المكوبجة، وتعد الفتحة الوسطى أوسع الفتحات، والتى تشبه المجاز القاطع إذ إنها تتعامد على المحراب، وتصل سعة فتحتها إلى ٢,٢٠م، على حين تصل سعة بقية الفتحات إلى ١,٧٠م، وقد تم تزيين هذه الواجهة المطلة على الصحن بزخارف كتابية نفذت بالخط الكوفى المورق إلى جانب الزخارف النباتية والهندسية، إلى وكذلك البلاطات الخزفية. ويعزى غلق الأروقة المطلة على الصحن إلى البرودة التى تصل فى الشتاء إلى ما دون الصفر، وكذلك الرياح بسبب الارتفاع الذى يقع عليه الحصن.

ويتم الوصول إلى مقدم الجامع عبر تلك الفتحات التى تفضى إلى مساحة مستطيلة الشكل، طولها من الشرق إلى الغرب ٢٣م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٩م، وتتكون من إحدى عشرة بلاطة تسير عمودية على جدار القبلة أوسعها أوسطها، وهى بلاطة المحراب التى يصل عرضها إلى ٢,٣٥م، وذلك بواسطة ثلاثة صفوف من الأعمدة - كونت إسكوبين بعرض متساو يصل إلى ٢,٥٥م - أحداها يطل على الصحن، وبكل صف من هذه الصفوف عشرة أعمدة تفصل بينها مساحات متساوية تصل إلى ١,٧٠م، وكل من هذه الأعمدة يتكون من قاعدة مربعة الشكل وبدن مستدير محيطه ١٣٠سم، تقوم عليه تيجان يتكون كل منها من شكل مستدير بارز، يعلوه شكل ناقوسى ثم مكعب، وقد ازدان التاج بشتى ضروب الزخرفة النباتية، منها الفروع التى تدور وتلتقى لتحصر بداخلها أوراقا ثلاثية، أو زهرة اللوتس أو الأكانتس، إضافة إلى سعف النخل، ويتصدر جدارَ القبلة المحراب.

المحراب (اللوحة ٦)

المحراب عبارة عن كتلة مستطيلة الشكل تتوسطها حنية عمقها ١م، وعرضها ٧٥سم، وارتفاعها ٢,١٤م تغطيها طاقية محارية الشكل، يتوجها عقد مدبب من ذوى المراكز الأربعة، وشغلت باطنها بعقد مدائنى زُين واجهته بشريط من الزخرفة المجدولة، أما جانبا الحنية فقد شُغلا بواسطة زخرفة مربعة الشكل اتخذ جوانبه شكل نصف دائرة زينت واجهته بزخارف مجدولة، وقد أحيط كل من العقد والمربعين بأشرطة من الزخرفة المجدولة، ويفصل ما بين الحنية وطاقيتها شريطان، الأسفل منهما كتابى نفذ بالخط الكوفى المورق، وينص على قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أما الشريط الأعلى فزخرفى، وهو عبارة عن فرعين نباتيين يدوران ويلتقيان مكوّنيْن أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها أوراقا ثلاثية وخماسية، وهذا الشريط يشترك مع الشريط الذى يزين واجهة عقد الحنية، ويكتنف الحنية عمودان مندمجان، يتكون كل منهما من قاعدة اتخذت الشكل الناقوسى المقلوب، وبدن أسطوانى وتاج ناقوسى، وغشى العمود بزخرفة نباتية تتشابه مع زخرفة شريط الحنية السالف ذكره، ويرتكز على الأعمدة عقد يتوج حنية المحراب، يعلوه شريط كتابى قوامه 'لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله'، وقد نفذ هذا النص بالخط الكوفى المورق، وقد حصر الشريط الكتابى وعقد الحنية كوشتى العقد اللتيْن برزتا عن سمت الجدار وزينتا بزخارف نباتية مفرغة، يعلوه صدر الحنية التى اتخذت الشكل المقعر، وفيها عمد الفنان



إلى تزيينها بالزخارف النباتية التى قوامها سيقان نباتية متعرجة تكون فى تعرجها أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها أوراقا نباتية ثلاثية وخماسية مدببة ومثقوبة الوسط، تخرج من تدببها أيضا ساقان مزدوجتان تلتقيان مرة أخرى لتكوّنا أشكالا هندسية أخرى، وهو بهذه الطريقة فى توزيع الزخرفة يتشابه إلى حد كبير مع زخارف جامع السيدة بنت أحمد بمدينة جبلة،[٢٢] ويتوج هذا الصدر عقد مدبب يبرز عن سمت الجدار بشكل أسطوانى مجوف، زين بزخارف نباتية مفرغة قوامها فروع نباتية متعرجة تحصر بداخلها أوراقا خماسية، وتنتهى من أعلاها بورقة نباتية كبيرة ثلاثية.. وقد شكل هذا مع العقد كوشات زينت بزخارف نباتية، تقوم وسطها أشكال دروع كبيرة زينت بزخارف نباتية مفرغة، ويقوم عقد صدر الحنية على عمودين مندمجين يشبهان العمودين اللذين يكتنفان حنية المحراب، كما يكتنف الحنية وصدرها شريط زخرفى ضيق قوامه فرع نباتى، كما يحيط بكتلة المحراب شريط من الكتابة بالخط الكوفى المورق والمزهر، نصه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، وصلى الله على محمد وآله.[٢٣] هذا، ونجد أن المعمار قد عمد إلى فتح نوافذ فى كل من الجدار الشرقى والغربى بواقع نافذتين فى كل جدار، وذلك للإضاءة والتهوية.

المنبر (اللوحة ٧)

تعد المنابر من العلامات الدالة على الجوامع. وفى جامعنا هذا نجد أن المنبر يقع إلى يسار المحراب، وهو عبارة عن كتلة بنائية تبرز عن سمت جدار القبلة بنحو ١,٥٠م، نفذ بناؤه من الآجر والجص، ويتكون من سلم صاعد مكون من خمس درجات، ارتفاع الأولى منها ٢٠سم، أما الثانية فترتفع ٣٥سم، وبقية الدرجات يصل ارتفاعها إلى نحو ٢٥سم، ويحيط بالسلم درابزين من نفس مادة البناء.

السقف

يتألف سقف هذا الجامع من سقفين بينهما فراغ، العلوى يتكون من جذوع أشجار تمتد بين الأعمدة والجدران، تصل بينها فروع أشجار تسمى 'القصع'، يغطيها ملاط من القضاض (وهى مادة تجمع بين النورة والجص) يمنع تسرب المياه إلى أسفل ليحافظ على السقف السفلى، والذى يتكون من عوارض خشبية تحصر ما بين الأعمدة والجدران لتشكل بذلك مربعات غطيت بالأخشاب المزينة، وقد عمل السقف الخشبى من خشب الساج،[٢٤] وزين بشتى ضروب الزخرفة من نباتية وكتابية وهندسية، وقد قسم الفنان السقف إلى ثلاثة أقسام (صدر وجناحين)، الصدر ويغطى بلاطة المحراب، والجناحان هما على يمين بلاطة المحراب، وتعد زخرفة الصدر أجمل ما فى الجامع بما تحمله من دلايات، وفيه عمد الفنان إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، الأوسط زين بمصندقة اتخذت فى الوسط شكل دائرة، يليها مثمن، فمثمن آخر، ثم مربع، أما القسمان الآخران فيتشابهان بحيث نجد أن كل قسم قد تم تقسيمه إلى أربعة صفوف من الدوائر بواقع سبع دوائر فى كل صف، وتتدلى من حول كل دائرة أربع دلايات، زُينت بواطنها وجوانبها بالزخارف النباتية، وقد تأثر هذا الوسط بشكل كبير بالقذائف التى سقطت عليه فى سنة ١٩٦٢م. (اللوحة ٨).

أما الجناحان، فنجد أن الفنان قد قسم كل جناح إلى خمسة عشرة مصندقة، وذلك بواسطة البراطيم الخشبية العمودية والأفقية، وقد شكلت أشكالا هندسية، منها المربع والمسدس والمثمن، والأشكال المثلثة والمعينات والدوائر، إضافة إلى أشكال الميمات. وزينت هذه المصندقات زخارف متنوعة من نباتية وهندسية وكتابية (اللوحة ٩) وقد تركزت الكتابات التى تزين المصندقات على الصدر وبعض المصندقات المجاورة له، فيما نجد أن بعضها قد تم تجديده فى فترة متأخرة، كما نجد أن هناك أكثر من نوع من الكتابات، منها الخط الكوفى المورق والخط الكوفى المزهر.

هذا، ويدنو السقف الخشبى شريطان كتابيان يدوران حول جدران الجامع، عدا جدار القبلة الذى سقطت جميع كتاباته، وقد نفذا بالخط الكوفى المورق والمزهر على أرضية نباتية. وقد تضررت معظم هذه الكتابات، سواء بفعل العوامل الطبيعية، أو البشرية جراء الحروب. وقد سقطت القذائف عليه سنة ١٩٦٢م.

الكتابات التى تزين سقف الجامع وجدرانه:

تضمنت هذه الكتابات نصوصا قرآنية وتسجيلية، منها اسم الإمام عبد الله بن حمزة، كناه وألقابه ونسبه، وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب، وكذلك أسماء من قاموا بتنفيذ الأعمال فى الجامع، سواء المعمارية أو الزخرفية أو أعمال النجارة، كما تضمنت هذه الكتابات تاريخ الانتهاء من العمل، وهذه الكتابات هى:

أولا: النصوص القرآنية التى تزين جدران الجامع

تعد النصوص القرآنية التى تزين جدران الجامع هى الأجمل من بين هذه الكتابات؛ إذ إنها نفذت بالخط الكوفى المورق والمزهر على أرضية نباتية، ومن المرجح أن بداية هذه النصوص كانت من الركن الشمال الشرقى فى جدار القبلة، والتى طمست ولم يبق منها شىء، ومما يقرأ فى الجدار الغربى فى الشريط العلوى ما نصه من قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ...﴾[٢٥] وصلى الله على محمد وآله.

وأما كتابات الجدار الجنوبى فنصها قوله تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ...﴾ (اللوحة ١٠).

أما نصوص الجدار الشرقى فتنص على قوله تعالى ﴿مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، ثم تنقطع الكتابات لتصبح شريطا واحدا، نصه قول الحق سبحانه ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.[٢٦]

أما الشريط السفلى فنجد أن كتابات جدار القبلة قد طُمست، وكذلك جزء من كتابات الجدار الغربى، وما تبقى منه فينص على قوله تعالى ﴿... فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.[٢٧] وأما نصوص الجدار الجنوبى فيمثلها قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾، ثم يكتمل النص فى الجدار الشرقى بما نصه: ﴿وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٨]

ثانيا: النصوص القرآنية التى تزين بعض العوارض الخشبية

زينت بعض العوارض الخشبية بنصوص قرآنية نفذت بالخط الكوفى المورق. ومما نصت عليه هذه الكتابات، قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾،[٢٩] وكذلك قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللهُ وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾،[٣٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[٣١]

ثالثا: النصوص التسجيلية

سُجلت النصوص التسجيلية جميعها على عوارض خشبية بالخط الكوفى المورق، حيث نقرأ منها اسم الإمام المنصور بالله رب العالمين بكناه وألقابه وأسماء آبائه، وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب. ومما تبقى من تلك النصوص: '... سيد المسلمين المفاخر.. المنصور بالله رب العالمين، أمير المؤمنين أبى محمد عبد الله بن حمزة الجواد، بن سليمان البر التقى، بن حمزة الحبيب، بن على المجاهد،



بن حمزة، بن على، القائم بأمر الله، بن الإمام النفس الزكية، بن أبى هاشم الحسن، بن الشريف الفاضل عبد الرحمن، بن يحيى، بن أبى محمد عبد الله العالم، بن الحسين الحافظ، بن القاسم جمال الدين، بن إبراهيم الغمر، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الشبيه، بن الحسن الرضى، بن الحسين السبط، بن أمير المؤمنين الوصى على بن أبى طالب صلوات الله عليه وعليهم أجمعين' (اللوحة ١١)، كما سجلت النصوص على عارضة خشبية تاريخ الانتهاء من زخرفة السقف وأسماء الذين نفذوا تلك الزخرفة، ويقرأ مما تبقى منها'... منصور بن على.. وولد مسعود بن على فى شهر صفر سنة ثلثين وستمائة'. هذا فضلا عن نص على عارضة خشبية ينص على:

'.. والذى رفعت عمارته بأمر الحائز لثوابه وفخره ولده الأمير المعظم...'

وعلى عارضة خشبية أخرى سُجل هذا النص '(صاع ؟) بن أمير المؤمنين مولا عماد الدين عمدة المسلمين'.

رابعا: الكتابات التى تزين تيجان الأعمدة المطلة على الصحن

لقد تم تزيين تيجان أعمدة البائكة المطلة على الصحن بكتابات نُفذت بالخط الكوفى المورق على الجص بكلمات تدور حول تلك التيجان، وعند جمع هذه الكلمات اتضح أنها تنص على آية قرآنية والصلاة على النبى، واسم بانى هذا الجامع والمشرف على البناء: 'ادخلوها بسلام آمنين 'وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم'. أما اسم بانى هذا الجامع فقد وَقَّعَ البانى بما نصه: 'صنعه الفقير إلى رحمة الله عبد الله بن عواض بن يحيى عجيبة' (اللوحة ١٢) أما المشرف على هذا البناء فلم يعد باقيا إلا هذه الكلمة 'بعناية الشيخ الأجل'. ومما يرجح أن المشرف هو الشيخ 'دحروج بن مقبل' الذى أشرف على بناء الحصن كما ورد ذلك فى سيرة الإمام المنصور بالله، وروده أيضا فى كتابات ضريح المنصور كما سيأتى لاحقًا.

كما تزين الواجهة المطلة على الصحن بكتابات كوفية نفذت على الجص، ولكن نتيجة لطمس معالمها فمن الصعوبة قراءتها.

الأروقة الجانبية

لهذا الجامع رواقان (جناحان) شرقى وغربى فقط كما مر معنا. وتتشابه هذه الأروقة مع رواق القبلة من حيث الشكل وتزيين الواجهة وتختلف من حيث التخطيط، إذ إن كلا منها يتكون من بلاطة واحدة ببائكة واحدة مكونة من سبعة أعمدة تحمل عقودا تسير عمودية على جدار القبلة، وتطل على الصحن بسبع فتحات سدت مؤخرا بجدران شوهت تناسق الأروقة، عدا بعض الفتحات التى تفتح على الصحن. وإلى جانب، ذلك فقد تم إضافة أعمدة ساندة للجدار فى الرواق الشرقى من الداخل. هذا، ويفضى كل منها إلى رواق القبلة بواسطة فتحة فى نهاية كل منها تربط بينها وبين رواق القبلة.

المشاهد

يتمركز فى هذا الجامع مشهدان، إحداهما فى وسط الصحن ويخص الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، والثانى يحتل الركن الشمالى الشرقى ويخص الأمير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة. وصفة هذين المشاهدين على النحو التالى:

أولا: مشهد الإمام عبد الله بن حمزة

لقد كانت وفاة الإمام عبد الله بن حمزة فى يوم الخميس لاثنى عشر يوما من شهر المحرم سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م، حيث وافته المنية وهو بحصن كوكبان، فنقل منه إلى حصن بكر بعد يوم واحد من وفاته بكوكبان، فدفن فيه، ثم نقل إلى ضريحه بحصن ظفار، وذلك لسبع خلون من جمادى الآخر سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)[٣٢] وهو الموضع الذى صار منسوبا إليه ليدفن فيه، والذى أوصى أن يدفن فيه.[٣٣]

وصف الضريح: (اللوحة ١٣، الشكل ٢)

يقع الضريح فى وسط حرم الجامع (صحن الجامع)، وهو عبارة عن مبنى مربع الشكل، طوله من الخارج ٥,٨٥م، وتعلوه قبة، وقد اتخذ الشكل المكعب بارتفاع يصل إلى ٥,٧٥م، وترتفع القبة فوقه بنحو ١,٤٠م، وبذلك يبدو الضريح متناسق الأبعاد بين الطول والعرض والارتفاع (الشكل ٣) فقد أجاد المعمار ذلك التناسق

بشكل بديع، مما يوحى بأن المعمار كان على جانب كبير من العلم بفن البناء والهندسة.

المدخل

تُفتح فى الضريح ثلاثة مداخل ذات قطاع مستطيل الشكل، الأول يفتح فى الجدار الجنوبى، وهو بعرض ٩٥سم وارتفاع ٢,١٠م، يغلق عليه باب ذو مصراعين من الخشب، على حين يفتح المدخل الثانى فى طرف الجدار الشرقى إلى الشمال منه بعرض ١م وبارتفاع ٢,٠٧م، ويغلق عليه باب ذو مصراعين من الخشب، أما المدخل الثالث فيفتح فى الطرف الشمالى للجدار الغربى مقابل الباب الشرقى، ولقد سُدَّ هذا الباب فى فترة متأخرة، وهذه المداخل يعقد عليها أعتاب حجرية، وهذه المداخل بسيطة فى تكوينها المعمارى.

ولقد عمد المعمار إلى تزيين واجهات الضريح بدخلات (حنايا) معقودة بعقود مدببة على هيئة محاريب، وعددها فى كل واجهة ثلاث دخلات، وهى بارتفاع واحد بشكل متشابه. وهذه العقود ترتكز على أعمدة مندمجة تتكون من قاعدة وبدن وتاج (اللوحة ١٣) وتتشابه بذلك مع دخلات ضريح السيدة بنت أحمد بجبلة.[٣٤] ولقد اتخذت المداخل فتحاتها من هذه الدخلات دون أن تغير فى شكلها، كما زينت عقود الدخلات وطاقياتها بالزخارف الهندسية التى غلب عليها الشكل السداسى أحيانا والمربع، وربما كانت بعض هذه الأشكال مزينة بقطع من بلاطات القاشانى التى ما زالت تزين بعضُها واجهةَ الجامع المطلة على الصحن.

هذا، وتنتهى جدران الضريح من الأعلى بإفريز يبرز قليلا عن سمت الجدار على شكل مقرنصات من صف واحد تشكلت من الآجر بحيث وُضعت قطعة الآجر على زاويتها وبرزت تلك الزاوية إلى الخارج، مما شكل مثلثا كون مقرنصا بسيطا.

وتتوج الضريح من الأعلى قبة نصف كروية بشكل منتظم تظهر للشاهد وكأنها كرة قسمت نصفين، وهى تدل على مدى مهارة المعمار الذى شيد هذا الضريح، كما عمد المعمار إلى عمل فتحات فى القبة ليتم إدخال الضوء إلى الداخل، وغطيت تلك الفتحات بالقمريات حتى تكسر حدة الضوء وتضفى على الضريح ضوءًا خافتا يضفى بعض الرهبة والإجلال فى داخله، وبلغ عدد الفتحات ثمان، جميعها اتخذ الشكل المستطيل.

ويتم الدخول إلى قاعة الضريح عن طريق أحد مدخليه المفتوحين، حيث يفضيان إلى قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ٤,٧٠م، ويتصدر جدارها الشمالى حنية بسيطة اتخذت شكل محراب، عرضها ٧٥سم وارتفاعها ١,٧٠م وعمقها ١٠م، وترتفع عن الأرض بحوالى ٠,٤٠م تتوجها طاقية محارية الشكل بعقد مدبب، وقد وضع بداخلها شاهد قبر الإمام المنصور.

وكما سبق بيانه، يفتح فى الضريح مدخلان، وتغطيه قبة أقيمت على حنايا ركنية مضلعة (مفصصة) بعدد سبع تضليعات، وتتوج هذه الحنايا عقود مدببة، وتتكون هذه الطريقة من وضع حنية فى كل ركن على هيئة قبو نصف دائرى بيضى يتضاءل قطره كلما قرب من ركن المربع، أو هو بمعنى آخر أشبه بنصف مخروط وضع محوره أفقيا بحيث ينصف هذا المحور زاوية الركن القائمة، أى أن قاعدته نصف البيضيه أو نصف الدائرية قد وضعت فى مستوى رأسى، ووضع ضلعا نصف المخروط فى مستوى أفقى بحيث ينطبقان على ضلعى زاوية ركن المربع، وهذه الطريقة كانت تحول المربع إلى الدائرة، وكانت حنية أركان الضريح تحتل أركان المبنى متوجة بعقود مدببة ترتكز على سطحى الجدارين الملتقيين والمكونين زاوية الضريح الرابطة بين الجدارين بحيث تكون خلفه شكل مثلث بضلع - مقوس وهو ما يطلق عليه الحنية - وحشى ذلك الفراغ ببناء من الآجر، وفيه عمد البناء إلى تزيينه بالفصوص أو التضليع 'محارى الشكل'، وهى طريقة جمالية لكسر رتابة المنظر وإعطائه شكلا جماليا، وتشع هذه الفصوص من نقطة التقاء الجدارين 'الزاوية' كما تشكل هذه الحنية ربع قبة مضلعة، زينت هذه الحنايا بثلاثة أشرطة زخرفية اتخذت أشكال العقود، وفضلا عن ذلك فقد عمد المعمار إلى عمل حنايا صماء تنصف جدران الضريح الأربعة، وتوجت بعقود مدببة تتشابه مع عقود الحنايا الركنية شكلت من الجص بعدد ثلاثة أشرطة (اللوحة ١٤) ويعلو هذه الحنايا مثمن نتج عن تحويل الحنايا الركنية إليه، وقد زين هذا المثمن بشريطين، أحدهما كتابى والآخر زخرفى، وأقيمت فوق المثمن قبة نصف كروية يبدو عليها آثار تهدم فتح فيها ثمان نوافذ، وتعتبر القبة علامة مميزة



للضريح، وقد تسمى أحيانا الأضرحة بالقباب. وهذا ما يحدث فى بعض المناطق من العالم الإسلامى، ومنها اليمن، إذ يطلقون على الأضرحة اسم (القبب).

هذا، وقد بنيت جدران الضريح من الحجر، أما منطقة الانتقال والقبة فبنيت من الآجر والجص، وغطيت من الأعلى بمادة القضاض، وكما أشارت إلى ذلك وقفية مدرسة سلامة بتعز على أن قبابها قد بنيت من الآجر معقودة بأحرف من طين.[٣٥]

وبعد هذا الوصف العام للضريح، يجدر بنا القول إن ضريح الإمام عبد الله بن حمزة يعد أول ضريح مستقل باق فى اليمن مستقل بالرغم من وقوعه داخل صحن الجامع؛ إذ لا يزال قائما منذ تاريخ تشييده.

وتزين هذا الضريح زخارف متنوعة تركزت فى منطقة الانتقال، وغلب عليها النصوص الكتابية، إلى جانب الزخرفة العربية المورقة والزخرفة الهندسية، وهى كالتالى:

الزخارف الكتابية

نفذت الكتابات على ضريح المنصور بالله عبد الله ابن حمزة بشكل أشرطة تسير مع جدران الضريح وعقود الحنايا، وقد نقشت بالخط الكوفى المورق والمنفذ على الجص بالحفر البارز، وغلبت عليها الآيات القرآنية والنصوص التسجيلية، وذلك بواقع ثلاثة أشرطة، شريطين أسفل منطقة الانتقال، وشريط يعلوها، إضافة إلى الأشرطة التى تزين واجهة عقود الحنايا الركنية والصماء بواقع شريط واحد يدور حول تلك العقود. وإلى جانب ذلك، يوجد شريط يزين عقود الحنايا الصماء، ونصوص تلك الأشرطة على النحو التالى:

أولا: الشريط العلوى

ونصه قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

ثانيا: الشريطان السفليان

أـ الشريط العلوى

ينص هذا الشريط على قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٣٦] (اللوحة ١٥)

ب ـ الشريط السفلى

هذا الشريط تسجيلى، سجل فيه الفنان اسم الآمر بالبناء، وينص على: 'مما عمر فى الدولة النبوية الشريفة المعظمية الهاشمية المطهرة الناصرية دولة مولانا.... الأجل الفاضل الكامل العادل... أبى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وأعلى دولته'.

ثالثا: الأشرطة التى تزين واجهة العقود

أـ الشريط الذى يزين واجهة العقود

يوجد شريط كتابى نفذ بالخط الكوفى المورق يزين واجهة عقود الحنايا الركنية والصماء وهو نص تسجيلى سُجل فيه اسم الآمر بالبناء والمشرف عليه، وينص على: 'أمر بعمارة هذا المشهد المقدس الشيخ الأجل مخلص الدين سيف أمير المؤمنين جلب بن مقبل، بأمر مولانا أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة، الجواد بن سليمان، البر التقى بن حمزة بن على القائم بن النفس الزكية بن أبى هاشم الحسن ابن الإمام عبد الرحمن الفاضل بن يحيى بن محمد بن عبد الله العالم بن الحسين الحافظ بن القاسم جمال الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن على الوصى صلوات الله عليهم أجمعين'.

ب ـ الأشرطة التى تزين واجهة عقود الحنايا الصماء

عمد الفنان إلى تزيين واجهة عقود الحنايا الصماء الأربع بأشرطة كتابية بواقع شريط على كل عقد، أحدها يحمل توقيع الصانع، ونصوصها على النحو التالى:

الأولى: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله'.

الثانية: 'صنعة عواض وأبى السعود وعبد الله أبناء عوض أولاد يحيى بن عجيبة' (اللوحة ١٦).

الثالثة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

الرابعة: لم أتمكن من قراءتها.

ويمكن أن نخلص من الكتابات التى تزين جدران الضريح إلى الملاحظات التالية:

– نصت هذه الكتابات على اسم الآمر بالبناء، وهو جلب بن مقبل، حيث نص على 'أمر بعمارة هذا المشهد المقدس الشيخ الأجل مخلص الدين سيف أمير المؤمنين جلب بن مقبل'، وكان ذلك بتوجيه من أمير المؤمنين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، فقد نص على 'بأمر مولانا أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة'.

– نصت الكتابات على أن هذا المشهد نُفذ بناؤه فى عهد الأمير عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة، حيث نص على: 'مما عمر فى عهد الدولة النبوية الشريفة... أبى عبد الله محمد'.

– تضمنت النصوص اسم منفذ الكتابات والزخرفة، وهو: 'صنعة عواض وأبى السعود وعبد الله أبناء عوض أولاد يحيى بن عجيبة'، وفى هذا دليل على أن الصناع الذين نفذوا الكتابات التى تزين الجامع والضريح هم أنفسهم، ولذا جاءت هذه الأعمال متشابهة مع بعضها. فضلا عن ذلك، فقد تضمنت النصوص فى طياتها عددًا من الألقاب هى:

النبوية، الشريفة، المعظمية، الهاشمية، المطهرة، الناصرية، مولانا، الأجل، الفاضل، الكامل، العادل.[37]

الزخارف النباتية

نفذت الزخارف على شكل أشرطة تدور مع عقود الحنايا، وآخر يعلوها، كما زينت طاقيات الحنايا الصماء بالزخرفة العربية المورقة، وجميعها عبارة عن فروع نباتية وأوراق ثلاثية وخماسية الفصوص، إلى جانب الأوراق الرمحية (اللوحة ١٥).

الزخارف الهندسية

وُجدت هذه الزخارف تزين كوشات العقود التى غلب عليها الشكل المعين، ونفذت بشكل تفريغ إلى جانب خطوط متقاطعة، وتعد الزخرفة الهندسية من أقدم الزخارف التى رسمها الإنسان فى الحضارات القديمة، إلا أنها نالت حظا وافرًا فى الفن الإسلامى؛ فقد تطورت وتنوعت من الخطوط الهندسية المستقيمة والمقوسة والمتداخلة والمتقاطعة لتشكل أنواعا شتى من الأشكال الهندسية،[38] ومن تلك الخطوط الزخرفية الهندسية على ضريح المنصور – والتى نجد لها أمثلة فى الآثار اليمنية القديمة التى ترجع إلى ما قبل الميلاد – ما يزين واجهة معبد بنات عاد بالجوف.

التابوت

يحتل التابوت معظم قاعة الضريح، وهو عبارة عن صندوق خشبى مستطيل الشكل، يبلغ طول ٢,٦٥م، وعرضه ١,٦٢، وارتفاعه ١,١٥م، ويتكون من قسمين يفصل بينهما إطار يبرز قليلا عن مستوى سطح التابوت، كما تدعمه فى الأركان قوائم أربعة مربعة الشكل بارزة عنه، وربط بين أجزائه بالمفصلات الحديدية التى تنتهى أشكالها بما يشبه الورقة ثلاثية الفصوص، وثبتت بالمسامير المكوبجة. هذا، ويزدان التابوت من جوانبه الأربعة بأشرطة كتابية بالخط الكوفى المورق والمنفذة بالحفر البارز، مما يدل على مهارة رائعة وإتقان جيد، ويدل على أن الخطاط كان يعرف أسرار الخط العربى وتكويناته (اللوحة ١٧). وتنص تلك الكتابات على آيات قرآنية نوردها كما يلى:

الواجهة الجنوبية

وتتكون من قسمين: الأعلى، ويتكون من أربعة أسطر جاءت نصوصه كالتالى:

١. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ

٢. ذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ

٣. إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[39]

٤. يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[40] (الشكل ٦).

وتشير الباحثة 'فنستر' إلى أن الآيات التى نقشت على هذا القسم من واجهة التابوت تشمل الآيات من ٥١ إلى نهاية السورة، لكنها تتوقف عند نهاية الآية ٥٧ ﴿ذلك هو

الفوز العظيم﴾، مع العلم أن عدد آيات السورة ٥٩.[٤١]
أما القسم السفلى من هذه الواجهة فيشمل على شاهد قبر للإمام المنصور بالله، وهو من حجر البلق مستطيل الشكل، نقشت عليه بالخط الكوفى المورق وبالحفر البارز كتابات تتكون من سطور أربعة (اللوحة ١٨)، ويلاحظ عليه أن الخطاط قد وقع فوق كلمة المنصور بالله من السطر الثانى 'كتبه أسعد بن حميد'، وينص الشاهد على:

١- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذا قبر الإمام الصوام
٢- القوام أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله ابن حمزة بن سليمان بن حمزة بن إبراهيم بن لحسين بن عبد الرحمن
٣- ابن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب
٤- توفى سلام الله عليه يوم الخميس الحادى عشر من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية، صلوات الله على صاحبها وآله.

كما يوجد على جانبى الشاهد توقيع صانع التابوت وقد نفذ على حشوتين من الخشب، تتكون كل منهما من سطرين، وينص فى الجانب الأيمن على: 'صنعة عواض وأبى السعود وعبد الله' (اللوحة ١٩) (الشكل ٤)

أما الجانب الأيسر فنصه 'ابنا عوض الله أولاد يحيى على عجيبة' (اللوحة ٢٠) (الشكل ٥)

وأما الجهة الشرقية

فتتكون من قسمين: الأعلى تزينه أربعة أسطر كتابية تنص على:

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
٢- الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
٣- وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ
٤- عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ[٤٢] حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وأما القسم السفلى فتزينه ثلاثة أسطر، نصها:

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
٢- أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا.
٣- عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى[٤٣]

وأما الجهة الغربية

فتتكون من قسمين، يزين كل قسم سطران من الكتابة الكوفية، وينص القسم العلوى على:

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
٢- فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ[٤٤]

أما القسم السفلى فينص على:

إ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ
٢- يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ[٤٥]

والجهة الشمالية

تتشابه مع الجهات الأخرى من حيث تقسيمها إلى قسمين يتكون كل منهما من ثلاثة أسطر، ينص الأعلى منهما على:

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يَا عِبَادِ(ي) لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ
٢- آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِى(ه) الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ خالدون[٤٦]

وأما القسم السفلى فينص على:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ (ال)نَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٧] صدق الله العظيم.

ويمكن أن نورد بعض الملاحظات على هذه الكتابات، حيث لا نستطيع الجزم بمعرفة الخطاط بالقرآن الكريم والإملاء، فقد أضاف فى كلمة ﴿يا عباد﴾ الياء، ومن المعروف أنها كسر لأنها بعد حرف جر، إلى جانب ذلك فقد نقص حرف الهاء من كلمة ما تشتهيه وكتبها 'ما تشهى' إضافة إلى أنه لم يكتب (ال) فى نعيم فحذف ال الشمسية، مع أن صحة القراءة والكتابة جنات النعيم.

ومن خلال وصف التابوت، يمكن أن نخلص إلى مميزاته، هى:

ـ يعد هذا التابوت أقدم تابوت يمنى وصلنا خبره، إذ لم يشر المؤرخون إلى وجود تابوت وضع على قبر، إلى جانب أنهم لم يشيروا إلى هذا التابوت، ولذا فهو أقدم تابوت خشبى وضع على قبر فى اليمن. وهو يتكون من مستوى واحد، زينت جوانبه بكتابات بالخط الكوفى المورق، وربطت بالمفصلات الحديدية المثبتة بالمسامير المكوبجة، عدا القسم السفلى من الواجهة الجنوبية، والتى ثبت بها شاهد قبر من حجر البلق 'المرمر'. وقد شملت واجهات التابوت آيات قرآنية فقط؛ إذ لم تسجل على التابوت أى عبارات تسجيلية ودعائية، واكتفى صناع التابوت بالعبارات الواردة فى الشاهد المثبت فى الجهة الجنوبية حتى يبتعدوا عن التكرار، وقد ورد فيه – الشاهد – اسم الإمام المنصور ونسبه وتوقيع كاتبه، وهو: 'كتبه أسعد بن حميد'.

ـ تميز التابوت بتنفيذ كتاباته بالحفر البارز، وفيها صعوبة، إذ تستلزم حفر جوانب الحرف وإبقاء الحرف حتى يبرز، وهى عملية تطلب مهارة وإتقانًا عاليين لتنفيذ مثل هذا العمل، والذى حدا بالصناع إلى توقيع أسمائهم على جانبى الشاهد، والذى يستخلص منه أنه اشترك فى عمله أكثر من صانع. ومن خلال اللقب يتضح أنهم ينتمون إلى أسرة واحدة امتهنت أعمال النجارة، وهم عواض وأبو السعود وعبد الله أبناء عوض الله من أولاد يحيى بن على عجيبه.

– لم يحَدد تاريخ صنع التابوت، مثلما وجد على التوابيت الأخرى فى العالم الإسلامى، ومنها تابوت الإمام الشافعى، حيث وقع النجار على عمله بقوله: 'صنعت عبيد النجار المعروف بابن معالى، عمله فى شهور سنة أربع وسبعين وخمسمائة'[٤٨] فيما نرجح تاريخ عمل تابوت الإمام المنصور بالفترة الواقعة بين وفاته سنة ٦١٤هـ ونقله إلى ظفار فى سنة (٦١٧هـ/ ١٢١٧م). هذا الترجيح ناتج عن أنه لو كان هناك ضريح أو تابوت فى ظفار، لتم نقل رفات الإمام أثناء وفاته، وإلا لما كان انتظر فترة ثلاث سنوات تقريبًا، حيث تم نقل جثمانه أولا من كوكبان إلى حصن بكر، ثم إلى ظفار، وهو الذى أوصى بأن يدفن فى ظفار، وكان قد أمر ببناء ضريح له وعمل تابوت، واستمر بناء الضريح تلك الفترة، وفيها عمل التابوت.

– تشابهت الكتابة المنفذة على شاهد القبر المثبت فى الجهة الجنوبية مع الكتابات التى تزين واجهات التابوت، وهو دليل على أن كاتب الشاهد وكاتب التابوت كانا يعملان فى فترة واحدة كل حسب اختصاصه، سواء كان نجارًا أو نقاشا على الحجر. وتلك الكتابات المحفورة على جوانب الخشب تعكس أنها ترجع إلى فترة زمنية واحدة، إضافة إلى أن النجارين استبعدوا تكرار اسم المنصور ونسبه وألقابه وتاريخ وفاته واكتفوا بوجودها على الشاهد.

شواهد القبور

تعد شواهد القبور الإسلامية من الوثائق التاريخية الهامة التى لا يرقى إليها الشك، والتى تمدنا بمعلومات وحقائق تلقى الضوء على جوانب مختلفة فى تاريخ بلدٍ ما وجدت بها شواهد، كما تزودنا بأسماء مشاهير الرجال، مما قد يفيد ورودها فى تحقيق صحتها وسلسلة أنسابها،[٤٩] وباعتبارها محايدة ومعاصرة للأحداث التى تسجلها، إذ لم تتغير من ناقل إلى آخر، فقد وصل منها الآلاف، والتى من خلالها استطاع الباحثون عن طريق كتاباتها التتبع لمرحلة تعريب مصر الإسلامية وتمصيرها.[٥٠]

ومن المرجح أن يكون المسلمون قد ورثوا من أسلافهم العرب القدماء، حيث يعد أقدم شاهد قبر عربى هو شاهد امرئى القيس بن عمرو المعروف بنقش النمارة، كما يرجح أن يكون شيوع استعمال الشواهد على أثر حركة الفتوح.[٥١]

إضافة إلى ذلك، فقد تكون العلامة التى وضعها الرسول ﷺ على قبر عثمان بن مظعون بداية لشواهد القبور الإسلامية واقتداءً بما عمله الرسول ﷺ.

شاهد قبر المنصور (اللوحة ٢١)

إضافة إلى الشاهد المثبت فى الجانب الجنوبى من التابوت، فقد عمد الفنان زيادة فى التأكيد إلى وضع شاهد قبر داخل حنية المحراب، وصفته على النحو التالى:

الشاهد مستطيل الشكل، طوله ٩٧سم، وعرضه ٦٥سم، عمل من الحجر الجيرى، ويتكون من تسعة عشر سطرًا نفذت كتاباتها بالخط النسخى، إلى جانب أن هناك شريطًا يدور حول الشاهد من جهاته الثلاث: اليمنى والسفلى واليسرى، كما يوجد شريط زخرفى بعد



السطر الثالث يدور حول تلك الجهات، يشكل عقدًا مدببا زين بفرع نباتي يدور مع السطر، تنبثق منه ورقة ثلاثية الفصوص قريبة من الطبيعة، فيما زينت طاقية العقد بزخرفة عربية مورقة، ونصوص الشاهد هي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ﴾

٢- عَظِيمٌ لا إله إلا الله محمد رسول الله لا إله إلا الله عدة للقا الله سبحانه من تعزز

٣- بالقدرة والبقاء، وقهر العباد بالموت والفناء، سبحانه وتعالى، لا اله إلا هو الرحمن الرحيم

٤- يا زائرا قبر إمام الأمة الماجد العالم العلم الأشم الزاهد الأرفع النسب الحسام

٥- أبى محمد الفضل الورع.. المنصور بالله لرمع

٦- .. مولانا الإمام الطاهر

٧- علم الأعلام، منان الإسلام، سليل العزة الكرام،

٨- ويعشق أهل الإيمان .. البغى والعدوان الشرف

٩- المنصور بالله أمير المؤمنين أبى محمد.

١٠- عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة القائم بأمر الله بن الإمام النفس الزكية

١١- بن إبراهيم بن الحسين الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام. وكان مولده عليه السلام

١٢- بعيشان ظاهر همدان فى شهر ربيع الآخر إحدى عشرين ليلة خلت من سنة إحدى وخمسين

١٣- وخمسمائة. وكانت وفاته قدس الله روحه ونور ضريحه فجر يوم الخميس لاثنى عشر يوما من شهر محرم

١٤- غرة سنة أربع عشر وستمائة بكوكبان ثم نقل إلى بُكُر وقبر فيه، ثم اخرج (عليلم) بعد ذلك

١٥-ونقل إلى حصن ظفار لأنه أوصى أن يقبر فى ظفار، وهذا قبره (عليلم) وقد عمر اثنتين وخمسين سنة وثمان

١٦- أشهر وعشرون ليلة، ومدة خلافته (عليلم) سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما رحمه

١٧- الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجرى من تحتها الأنهار

١٨- ....

١٩- ....

وأما الشريط الذى يكتنف الشاهد فيبدأ من الجهة اليمنى وينص على:

الحمد لله الذى لا يبقى إلا وجهه، ولا يدوم إلا ملكه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحدا، فردا صمدا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يلد ولم يولد.

- أما الجهة السفلية من الشاهد فنصها: ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله، وجزى الله محمدًا عنا خيرا بما هو أهله.

أما الجهة اليسرى فنصت كتاباتها على: وصلى الله عليه وعلى آله الأطهار، المنتخبين الأخيار، المصطفين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت طهر تطهيرا. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام.

وتتوسط الأشرطة جامات ذات وريدات ثمانية البتلات.

ولقد وجد لضريح الإمام عبد الله بن حمزة شاهدا قبر، الأول مثبت فى القسم السفلى من الجهة الجنوبية للتابوت وكتب بالخط الكوفى، وقد سبقت دراسته. والثانى - والذى نحن بصدده - تم تثبيته فى المحراب، وقد نقشت كتاباته بخط الثلث، ويتكون من ١٨ سطرا فصل بينها بخطوط تحددها، ونفذت بالحفر البارز.

ولقد تميز الشاهد باشتماله على معلومات تاريخية مهمة فى حياة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وهى مكان ولادته - وحددها بقرية عيشان بظاهر همدان - وكذلك الليلة التى ولد فيها؛ فقد حدد الشاهد الليلة والشهر والسنة ولم يقل اليوم لأنه ولد فى الليل، مما يدل على الدقة فى كتابة المعلومات، وتاريخ وفاته باليوم؛ لأنه توفى فى النهار.. والشهر والسنة، والمكان الذى توفى فيه.. كما أن هذا موافق لما جاء فى سيرة الإمام المنصور بالله.

ولقد مر دفنه بمراحل، حيث توفى فى كوكبان منطقة الوفاة، ثم نقل إلى حصن بكر ودفن فيه، وبعد ذلك نقل إلى حصنه ظفار فدفن فيه.

وقد أمدنا الشاهد بسنى عمر الإمام، حيث حدد المدة التى عمر فيها بعدد السنين والأشهر والأيام، وكذلك مدة خلافته بالسنة والشهر واليوم.

ومما سبق يمكن القول إن المعلومات التاريخية التى أوردها الشاهد تعد تعبيرا صادقا عن دقة هذه المعلومات؛

لأنها كتابة معاصرة لفترة الوفاة أو بعدها بقليل بحيث لم يَطْغَ النسيان على تلك المعلومات.

أما عن الخط، فلقد كتب بخط سليم وواضح، وقد دمج الخطاط كلمتى 'عليه السلام' بكلمة 'عليلم' وذلك فى جميع الكلمات الواردة فى الشاهد.

كما تضمن الشاهد تسلسل نسب الإمام وصولا حتى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، كما عمد الخطاط إلى الفصل بين نصوص الشاهد ونصوص المقدمة بشريط زخرفى يتوسطه عقد زخرفى أيضا زين بزخرفة ورقة العنب الثلاثية، إضافة إلى الورقة الرمحية، ورسم الخطاط الوريدة الثمانية البتلات لتنصف إطار الشاهد، كما زينت الورقة الثلاثية أركان الشاهد العلوى.

وتضمنت نصوص الشواهد ألقابا، هى:

الإمـــام

وتعنى القدوة. ويقال: أم القوم فى الصلاة فهو إمام. وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿قال إنى جاعلك للناس إماما﴾،[٥٢] وقد استعمل كلقب لمن يتولى أمور المسلمين منذ عصر النبى ﷺ، وكان أول من تلقب به إبراهيم بن محمد أول خليفة بنى عباسى،[٥٣] كما أن أول نقش وردت فيه كلمة إمام هو نص إنشاء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن اللقب فيه أطلق على المأمون.[٥٤] وفى اليمن أطلق هذا اللقب على الأئمة الزيديين، وأول من تلقب به هو الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ) وظل مستخدما حتى سنة (١٣٨٢هـ ١٩٦٢م)، فكان آخر من تلقب به هو الإمام أحمد بن يحى حميد الدين، وقد ورد على تابوت الهادى وابنه الناصر بصعدة.

الصــوام

لقب يطلق على الرجل الكثير الصيام، وأطلق هنا على الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة.

القــوام

القوام – بالفتح – فى اللغة: العدل. وقد استعملت الكلمة كلقب فى مصر فى عصر المماليك،[٥٥] أما هنا فقد وردت على شاهد قبر الإمام المنصور بالله (ت ٦١٤هـ)، وبذلك يسبق هذا اللقب عصر المماليك.

أمير المؤمنين

من الألقاب المركبة على لقب أمير، وهو ثانى لقب ظهر فى الإسلام بعد الخليفة، وأول من تلقب به هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعطى هذا اللقب الصفة الدينية والسياسية. ومنذ عهد عمر، أصبح هذا اللقب من ألقاب الخلفاء. فصار يطلق على الخلفاء ومدعى الخلافة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.[٥٦] وفى اليمن كان أول من تلقب به هو الهادى إلى الحق، ثم سار من بعده على أئمة الزيدية.

المنصور بالله

من الألقاب المركبة. والمنصور نعت خاص بالخليفة أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس، وقد ورد ضمن ألقابه فى نص تشييد أذربيجان، ثم لقب به كثيرون.[٥٧] وورد هنا لقبا للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، مضافا إليه 'بالله'.

إمــــام

أطلق هذا اللقب على المهدى فى سكة من عهد بنى عبد المؤمن، خاصة محمد الناصر لدين الله (٥٩٥هـ/ ٦١٠هـ)[٥٨] وأطلق على الإمام الهادى إلى الحق، وورد على تابوته.

الماجــد

من ألقاب رجال الدولة من المدنيين فى عصر المماليك.[٥٩] وقد ورد على هذا الشاهد، سابقًا عصر المماليك، حيث أطلق على الإمام عبد الله بن حمزة ت ٦١٤هـ.

العالــم

من ألقاب العلماء، ومن الألقاب التى يعتز بها الملوك، وقد أطلق على الكثير من السلاطين ونحوهم.[٦٠] وقد ورد على تابوت الناصر أحمد بصعدة، وعلى هذا الشاهد كلقب للإمام المنصور بالله.

العلـم

الراية، وقد أضيف إلى كلمات أخرى لتكون ألقابًا مركبة مثل علم الدولة.[٦١] وقد ورد ضمن ألقاب المنصور بالله.



الزاهــــد

الزاهد فى اللغة خلاف الراغب، والمراد به من أعرض عن الدنيا فلم يلتفت إليها، وهو من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح،[٦٢] وقد ورد ضمن ألقاب المنصور.

الــــورع

المراد به من يتنزه عن الوقوع فى الشبهات، ومعناه فى اللغة: التقى[٦٣] وقد ورد ضمن ألقاب المنصور بالله.

الطاهــر

الطاهر فى اللغة: المتنزه عن الأدناس، وهو لقب يغلب إطلاقه على آل النبى ﷺ.[٦٤] وقد ورد ضمن ألقاب المنصور بالله.

علم الأعلام

العلم سبق شرحه، وأضيف هنا إلى كلمة الأعلام لتقوى بذلك المعنى بأن صاحب اللقب هو علم لجميع الأعلام، وقد ورد ضمن ألقاب المنصور.

سليل العزة الكرام

السليل فى اللغة: الولد، وقد دخل ضمن الألقاب المركبة مثل سليل الأطهار، وهو من ألقاب الشرفاء.[٦٥] وقد ورد ضمن ألقاب المنصور مضافا إليه الكرام.

ضريح الأمير عز الدين بظفار

الموقــع

يقع هذا الضريح ضمن المجموعة البنائية الدينية فى حصن ظفار، ويحتل الركن الجنوبى الشرقى لصحن جامع المنصور بالله.

وينسب إلى الأمير عز الدين محمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، ويتصل نسب مع نسبه أبيه المتصل بالإمام على بن أبى طالب.[٦٦]

وقد ولد فى مدينة براقش بالجوف، وذلك لتسع خلون من ذى القعدة لسنة اثنتين وتسعين وخمسمائة للهجرة النبوية ١١٩٢،[٦٧] ودعا لنفسه من محطة 'كنن' فى خولان الطيال بعد وفاة أبيه المنصور، وبايعه فريق من العلماء، كما جرت بينه وبين بنى رسول - بقياد الأمير بدر الدين الحسن بن على بن رسول - معركة فى منطقة عصر[٦٨] انهزم فى إثرها إلى منطقة حوث حيث ابتدأه المرض هنالك، فتوفى بها ليلة الاثنين التاسع والعشرين من ذى الحجة لسنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة النبوية (١٢٢٧م)، ونقل جثمانه إلى ظفار، ودفن فى المشهد الذى بجنب مشهد أبيه 'رحمه الله تعالى'.[٦٩] وهذه الإشارة تدل على أن الضريح كان موجودًا أو بنى أثناء حياة الأمير.

وصف الضريح (اللوحة ٢٢)

الضريح عبارة عن بناء مربع الشكل، طول ضلعه من الخارج ٦,١٠م، وبارتفاع يقارب الطول، وقد زين من الخارج بدخلات على هيئة محاريب توجت بعقود نصف دائرية (الشكل ٧) أقيمت على أعمدة مندمجة، وذلك بواقع حنيتين بكل جدار،[٧٠] إلى جانب طاقيات صغيرة مضلعة بجانب كل حنية،[٧١] هذا وينتهى الضريح من الأعلى بصف من المقرنصات المعمولة من الآجر، وذلك بإبراز زاوية الآجر إلى الخارج بحيث شكلت بذلك مقرنصا مثلثا، يعلوها إفريز يبرز قليل عن سمت الجدار بشكل طنف، فيما تغطى الضريح من الأعلى قبة نصف كروية أقيمت على مثمن من الخارج 'ناصية'، فتح فى كل ضلع منها نافذة على شكل مستطيل، مهمتها إدخال الضوء إلى داخل الضريح.

المداخــل

يتميز هذا الضريح بأنه كان تُفتح فيه أربعة مداخل فى ثلاثة جدران، منها اثنان فى الجدار الغربى، وواحد فى الجدار الجنوبى، والآخر فى الجدار الشرقى، وقد سدت تلك المداخل فى فترات مختلفة، عدا الواقع فى الطرف الشمالى من الجدار الغربى والذى يبلغ عرضه ١م وارتفاعه ٢,١٠م، إذ يغلق عليه باب يتكون من مصراعين من الخشب، وجميع هذه المداخل شغلت الدخلات التى تزين جدران الضريح من الخارج، وهى بسيطة فى تكوينها المعمارى،[٧٢] واتخذت جميعها شكلا مستطيلا عقد عليها بأعتاب حجرية. وقد بنيت جدران الضريح من الحجر، على حين بنيت منطقة الانتقال والقبة من الآجر، وغطى جميع الضريح بطبقة من الجص. ويتم الوصول إلى داخل الضريح عن طريق المدخل المفتوح، والذى يفضى إلى قاعة

مربعة الشكل، طول ضعلها ٥م، ويتوسط جدارها الشمالى 'محراب'.

المحـــراب

وهو عبارة عن حنية (دخلة) فى الجدار بعمق قليل، تتوجها طاقية مضلعة ذات عقد مدبب أقيمت على أعمدة مندمجة، ولقد كان من الصعوبة بمكان قياس أبعاده؛ وذلك لأن المصاحف وقصاصات أوراقها تملأ المنطقة المحصورة بين المحراب والتابوت، والتى بلغت حتى نهاية حنية المحراب.

وتعلو جدران الضريح من الداخل منطقة الانتقال، وهى تتكون من حنايا ركنية محارية الشكل متوجة بعقود مدببة، وقد عملت هذه الحنايا على تحويل المربع إلى المثمن الذى يعلوها، والذى حول دائرة أقيمت فوقها قبة نصف كروية ملساء، تحصر بينها حنايا صماء ذات عقود نصف دائرية زينت بزخارف نباتية (الشكل ٤).

وبعد هذا الوصف المعمارى للضريح، نجد أن ضريح الأمير عز الدين يتشابه إلى حد كبير مع ضريح أبيه، وذلك من عدة أوجه:

- أنه اتبع التطور التخطيطى للأضرحة، وهى المفتوحة من ثلاثة جوانب عدا جانب المحراب.
- طريقة بناء الضريحين متشابة؛ فقد عمد المعمار فى بنائهما إلى استخدام الحجارة فى الجدران، على حين استخدام الآجر فى بناء منطقة الانتقال والقبة والمقرنصات
- زُين الضريحان بصف من المقرنصات
- أجاد المعمار فى عملية تكعيب البناء، حيث تساوت أبعاده الثلاثة: الطول والعرض والارتفاع.
- عمد المعمار إلى عمل حنايا ركنية مفصصة تشبه حنايا ضريح المنصور، وتختلف عنها فى أنها تحتل الركن الجنوبى الشرقى بصحن الجامع. كما أبرز فيه المعمار وفيه القبة المثمنة لا الشكل.

الزخـــارف

لقد تركزت الزخارف فى منطقة الانتقال، وقد نفذت تلك الزخارف على الجص، سواء الكتابية منها أو الزخرفية، وهى على النحو الآتى:

الزخارف الكتابية

تضمنت الكتابات أشرطة تدور حول الجدران أسفل الحنايا الركنية بواقع شريطين نفذا بالخط النسخى، إلى جانب أشرطة كتابية بالخط الكوفى تزين واجهات عقود الحنايا، وشريط آخر يزين المنطقة المثمنة، وجميعها نفذ بالحفر البارز، ونصوصها كالتالى: الأسفل منها:

'بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، أمر بعمارة هذا المشهد المقدس الأمير الأجل الأوحد المعظم الفاضل الأسد الباسل والحسام الفاصل والمناضل الهزبر القاسم الباتر سيف الدولة القاسمية ونظام الملة النبوية وفخر العصابة الحمزية وبحر العطا العابر وسما الكرام الطاهر وفخر الأوائل والأواخر حامى حمى الدين كافى كفاية المسلمين '.. والمجدين جمال الدنيا والدين سليل أمير المؤمنين أبى حمزة سليمان بن إبراهيم بن سليمن طول الله مدته وكمن بسطته وأعلى درجته' (اللوحة ٢٣).

أما الشريط العلوى فينص على:

'بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مما عمر فى الدولة النبوية العلوية الفاطمية الحسنية الحمزية الإمامية المنصورية المتوكلية الشمسية والخلافة والزعامة شرف الأوائل والأواخر حليف الدفاتر (والمباين).. 'شمس الدنيا والدين منبر الإسلام والمسلمين أبى محمد أحمد بن أمير المؤمنين خلد الله سلطانه'.

كما يوجد شريط كتابى آخر يدور حول الحنايا الركنية مزينا عقودها، كتب بالخط الكوفى المورق على الجص وبالحفر البارز، وينص على: 'بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ هذا مشهد الأمير أبى عبد الله محمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقى ين حمزة بن على القائم بن النفس الزكية بن أبى هاشم الحسن بن الإمام عبد الرحمن الفاضل بن يحيى بن محمد بن عبد الله العالم بن الحسين الحافظ بن القاسم جمال الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن على الوصى صلوات الله عليهم أجمعين'.

كما تم تزيين عقود الحنايا الصماء بأشرطة كتابية تزين واجهاتها، ونصوصها على النحو التالى:

الأولى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[٧٣]



الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾.[٧٤]

الثالثة: 'صنعه الفقير إلى الله عبد الله بن عواض وعلى بن على عجيبة غفر الله لهم!

الرابعة: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين صفوة الله'.

ويمكن أن نخلص من هذه الكتابات إلى أن الضريح قد بنى فى حياة الأمير أحمد، ابن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، أخى الأمير عز الدين صاحب الضريح؛ إذ كان الأمير هو القائم على أمور ظفار أثناء حياة أخيه الذى كان مشغولا بالحروب وإخضاع الناس لسلطته.

- أيدت النصوص نقل جثمان الأمير من حوث إلى المشهد الذى بجنب مشهد أبيه.
- أمر بعمارة المشهد 'الضريح' الأمير سليمان بن إبراهيم بن حمزة، ابن عم الأمير عز الدين.. وذلك لأن الأمير عز الدين كان مشغولا فى الحروب.

تضمنت الكتابات آيات قرآنية تبشر بالجنة ونعيمها، وتحث على العبادة وعدم القنوط من رحمة الله، إلى جانب أدعية للأمير عز الدين وكتابات تسجيليه، منها اسمه ونسبه وتاريخ وفاته.

تضمنت النصوص الكتابية بعض الألقاب للأمير الذى أمر ببنائه والقائم عليه ولصاحب الضريح، وهو على النحو الآتى:

الأمـير

وهو فى اللغة ذو الأمر والنهى. وهو من ألقاب الوظائف، ويرجع استعماله إلى عصر الرسول ﷺ. وقد ورد بهذا المعنى فى أحاديث نبوية،[٧٥] كما استعمل كلقب دال على الوظيفة لولاة الأمصار التابعة للخلافة الإسلامية. وأقدم نص ذكر فيه لفظ أمير يرجع إلى سنة ٦٩هـ على إحدى القناطر بالفسطاط، حيث أطلق على عبد العزيز بن مروان.[٧٦] وفى اليمن أطلق على ولاة الرسول ﷺ بدءًا من 'باذان' الفارسى ووبر بن يحنس الأنصارى ومعاذ بن جبل ومن يعد ولاة للخلفاء الراشدين وولاة بنى أمية وبنى العباس. وقد ورد هنا لقبا أطلق على الأمير سليمان بن إبراهيم بن حمزة، ابن عم الأمير عز الدين صاحب الضريح، والآمر بعمل الضريح.

الأجَـلّ

أفعل التفضيل من الجليل. وهو لقب شاع استعماله فى العالم الإسلامى، ويرجح تطوره من لقب 'الجليل'؛ إذ إن الأجل كان لاحقا فى الترتيب الزمنى فى تلقيب فرد بعينه، ومن أمثلة ذلك: أن عضد الدولة فناخسرو كان يلقب بالجليل كما يظهر ذلك من نص تذكارى سنة ٣٤٤هـ.[٧٧] وقد ورد هنا كلقب للأمير سليمان بن حمزة.

الأوحـد

لقب أطلق على الوزير الأجل أبى القاسم على بن أحمد فى نقش على نسيج بتاريخ ٤٢٧هـ من مصر.[٧٨] وهنا ظهر لقبا للأمير سليمان، الآمر ببناء ضريح عز الدين (ت ٦٢٣هـ).

المعظـم

من ألقاب الملوك والسلاطين، وقد أطلق على السلطان ألب أرسلان فى نقش بتاريخ ٤٥٩هـ على صينية من الفضة من إيران، وكان أيضا من ألقاب ملوك العرب.[٧٩] وقد ورد كلقب للأمير السالف ذكره.

الأسـد

لقب أطلق على الأمير سليمان بن إبراهيم ابن عم الأمير عز الدين كصفة للقوة التى يتمتع بها؛ إذ إن أغلب من تلقب بالأسد كان مضافا إليه الدين أو الدولة.

الباسـل

لقب أطلق أيضا على الأمير سليمان، وتعنى الذى لا يخاف الموت أثناء الجهاد.

الحسام الفاصل

الحسام فى اللغة: السيف، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلقب حسان بن ثابت بالحسام.[٨٠] وقد ورد هنا لقبًا للأمير سليمان، مضافا إليه 'الفاصل' لشدة القطع.

الهـزبر القاسم

الهزبر اسم من أسماء الأسد، وورد هنا لقبا مضافا إليه القاسم للقوة وشدة القطع.



وبعد دراسة زخارف ضريح الأمير يتضح الآتى:

نظام الملة النبوية

النظام صورة الاجتماع والالتئام،[٨١] وقد استعمل هنا مضافا إليه الملة النبوية وقد أطلق على النعوت الشيعية.

سلالة أمير المؤمنين

من اللقب سليل، والتى تعنى فى اللغة الولد. وقد دخل ضمن الألقاب المركبة؛[٨٢] إذ أضيف إليه أمير المؤمنين، والمقصود به عبد الله بن حمزة، أو الإمام على بن أبى طالب.

الدولــة

الدولة فى اللغة: السيادة. ويقال فى الحرب: 'كانت لنا عليهم الدولة'، وربما استعمل كلقب على نمط ألقاب الكناية المكانية 'كالديوان'.[٨٣]

الزخارف النباتية

عمد الفنان إلى تزيين منطقة الانتقال بأشرطة زخرفية، إلى جانب أنه عمل حنايا صماء تنصف جدران الضريح الأربعة وزينها بالزخارف (اللوحة ٢٣ - الشكل ٨)، وكذلك كوشتى العقود، وقوام تلك الزخارف عبارة عن أوراق ثلاثية الفصوص وخماسية وفروع، إلى جانب زخرفة الدروع المزينة لتوشيحتى العقود (الشكل ٩)، وغلب على تلك الزخارف الزخرفة العربية المورقة، وقد نفذت هذه الزخارف على الجص بالحفر البارز، فيما نفذت زخارف توشيحتى العقد بالتفريغ.

وبعد دراسة زخارف ضريح الأمير عز الدين يتضح الآتى:

تتشابه زخارفه مع زخارف ضريح المنصور، وذلك من حيث استخدام الخط الكوفى المورق لتزيين منطقة الانتقال، إضافة إلى الزخرفة العربية التى تزين توشيحتى العقود و الحنايا الصماء. واختلف مع ضريح المنصور فى أنه استخدم الخط النسخى فى بعض الأشرطة الكتابية، ولقد نتج عن هذا الاختلاف بعض التمييز بين ضريح الوالد عن ولده، وإبراز مكانة ضريح الوالد لأنه استُخدم فيه الخط الكوفى فقط على اعتبار الصفة الرسمية لهذا الخط، ولذا يمكن أن نرجح أن فترة بناء الضريحين متقاربة جدا، إذ إن البنائين الذين نفذوا بناء ضريح الأمير قد اتخذوا من ضريح المنصور مثالا لهم، وإن الذين بنوا هذا الضريح هم عبد الله بن عواض وعلى بن على عجيبة، وهما بانيا ضريح الإمام عبد الله بن حمزة، ومن المحتمل أن يكون البناء قد تم فى حياة الأمير كما مر معنا، وما أشارت إليه كتب التاريخ بأنه عند وفاته بحوث نقل إلى مشهده الذى بجنب مشهد أبيه.[٨٤]

التابــوت

يتوسط ضريح الأمير عز الدين تابوت خشبى يميل إلى الجنوب قليلا، مما يترك فسحة أكبر فى الجهة الشمالية التى ملئت بأوراق المصاحف.

والتابوت اتخذ شكل مستطيل طوله ٢,٦٥م، وعرضه ١,٩٠م، وارتفاعه ١,٢٠م، وهو بذلك يشغل أكبر قدر من مساحة الضريح.

ويتكون من مستوى واحد قسم إلى قسمين، يفصل بينهما بواسطة إفريز بارز من الخشب، وله قوائم أربع فى الأركان لتثبيته وتقويته، كما زينت جوانبه بزخارف كتابية بالخط الكوفى المورق والمنفذ بالحفر البارز (اللوحة ٢٢).

ولقد عمد النجار إلى تزيين كل قسم بثلاثة أشرطة كتابية، تضمنت كتاباتها آيات قرآنية تبشر بما يلاقيه المؤمنون فى الجنة من النعيم الدائم، وتحث على العمل الصالح. وتنص تلك الكتابات على:

الجهة الشمالية: وتتكون من قسمين، وهى تواجه المحراب، ونصها فى القسم الأول:

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ

٢- فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ (الشكل ١٠)

٣- لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ لَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ[٨٥]

أما واجهة التابوت الجنوبية، فالقسم العلوى منها ينص على:

١- بِسْم اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم أَلا إِنَّ أَوْ

٢- لِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُو

٣- نَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ

والقسم السفلى منها ينص على:

١- الْبُشْرَى فِى الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ



٢- لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ
٣- هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [٨٦]

هذا، وقد عمد صانع التابوت إلى إكماله من الجهة الغربية بتركيبة مبنية من الحجر والجص بطول ٨٥سم، وبنفس ارتفاع التابوت.

أما بالنسبة للجهة الشرقية والجزء السفلى من الجهة الشمالية، فقد تعذرت قراءتها؛ وذلك لتراكم قصاصات أوراق المصاحف التى بلغت مستوى سطح التابوت.

وكما حدث التشابه الكبير فى الأضرحة، فقد تشابهت أيضا التوابيت، وذلك من حيث الشكل العام المكون من مستوى واحد قسم إلى قسمين وربط بين أجزائه بالمفصلات الحديدية، وزينت جوانبه بالخط الكوفى المورق، وهى وإن اختلفت فى مضامينها مع تابوت المنصور، إلا أنها اتفقت فى تنفيذ حروفها.

ولقد اعتُمد الحفر البارز فى تنفيذ النصوص الكتابية، وكانت الدقة والإتقان فى تنفيذ الحروف.

وتخلو التوابيت تماما من الزخارف، سواء النباتية منها أو الهندسية، إلا ما جاء فى نهاية الحروف من شكل الورقة.

ولم أتمكن من الاطلاع على الواجهتين الشرقية والجزء السفلى من الجهة الشمالية، وذلك لامتلاء الفراغ الحاصل بين الضريح والجدار بأوراق المصاحف، فقد تراكمت فيه الأوراق حتى بلغت مستوى أعلى من مستوى التابوت، وأما الواجهة الجنوبية فهى عبارة عن بناء بالآجر والجص، وربما كان مثبتًا فيها شاهد قبر كما فى تابوت والده فى الجهة الجنوبية منه.

ومن التشابه الحاصل بينهما فى الصناعة وتنفيذ الكتابة، فيرجح أن يكون قد قام بعمله ونقش كتاباته صناع تابوت عبد الله بن حمزة وهم عواض وأبى السعود وعبد الله؛ إذ كما أسلفنا فى ترجيح بناء الضريح، فإن الترجيح قائم بعمل التابوت، وفى الأخير يمكن القول إن الفنان فى كلا التابوتين قد كلل بالنجاح فى ذلك، وقد أثبت أنه قادر على تنفيذ الزخارف الكتابية على أكمل وجه.

الشاهــد (اللوحة ٢٥)

يعلو التابوت شاهد قبر، وهو بشكل مستطيل، عمل من حجر البلق، ونقش عليه بالخط النسخى وبالحفر البارز، ويتكون من أربعة عشر سطرا، نصه (اللوحة ٢٣)

١- بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلدَ ولم يولد ولَم يكن لَه كفوا أحد. هذا قبر مولانا.
٢- الأمير الناصر لدين الله محمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن على بن حمزة..
٣- بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل..
٤- بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن على بن أبى طالب، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.
٥- وكان مولده ببراقش لتسعة أيام داخلة فى ذى القعدة من سنة أثنتين وتسعين وخمسمائة، ومدة دولته عشر سنين وشهر.
٦- وكانت وفاته بحوث فى الليلة التى يسفر عنها نهار الاثنين لتسعة أيام فى شهر الحجة سنة ثلث وعشرين وستمائة للهجرة..
٧- وقال عليه السلام بالقرب من وفاته: لعمرى لئن ضاقت بدينى فرائض لعفو الذى سوا السماوات أوسع جزعت
٨- وتلك ذنوبى لمثلها يراعوا أخو الحلم اللبيب فيجزع، أفزعنى أنى إلى الله صائر، وكل أمر ... إلى الله يرجع، فكيف.
٩- أعتذر لربى يوم ألقا صحيفتى، مضمنة ما كنت بالأمس أصنع فلا أبا...... ولا أبا محمد يرجى ما يسع.
١٠- ...الناس من أن تصغى بدينى وهلا لا إلى الله مفزع. وقال عليه السلام فى وصيته: وأنا أسأل جميع..
١١- الأصحاب أن يدعو لى ويستغفروا لي.... أن الاها... من صلا عنى أو فعل فعلا من أفعال الصالحات..... ليحصل..
١٢- فعله ...ثوابه..... من أصحاب بنوع من أنواع البر.... يفعله عنى. وصل الله على سيدنا..
١٣- ....
١٤- ....

ويمكن أن نخرج بالملاحظات التالية على هذا الشاهد: بدأ الخطاط بالبسملة وسورة الإخلاص، ثم أعقبها باسم

الأمير عز الدين وألقابه ونسبه، وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

كما أمدنا الشاهد بمعلومات تاريخية تتعلق بحياة الأمير عز الدين؛ فقد تضمن مكان ولادته وهى مدينة براقش،[87] إلى جانب أنه ذكر يوم مولد الأمير وحدده باليوم التاسع من ذى القعدة، كما حدد السنة وهى اثنتان وتسعون وخمسمائة، كما ذكر مكان وفاته وهى منطقة حوث، وذكر الليلة التى توفى فيها الأمير وهى التى يسفر عنها نهار الاثنين؛ أى فى ليلة الأحد لصباح الاثنين، وحدد اليوم وهو التاسع من شهر ذى الحجة لسنة ثلاث وعشرين وستمائة، كما أفادنا بتحديد فترة توليه، والتى بلغت عشر سنين وشهرا.

ومن تلك المعلومات نقول: إنه نَقَلَ إلينا معلومات دقيقة وصحيحة؛ فقد أيدته الكتب التاريخية حسبما مر قبلُ، وإن كان الشاهد يعتبر أصدق دليل على تلك المعلومات.

تضمن الشاهد أيضًا أبياتًا شعرية من أقوال الأمير عز الدين، ومضمونها أنها تتحدث عن الجزع والخوف من عملية حساب يوم القيامة، وفيها يدعو أصحابه بأن يستغفروا له ويدعوا له بعد موته بالرحمة والغفران، وقد عمد الفنان إلى الفصل بين كل بيت وآخر بزخرفة وردة ثمانية البتلات.

وتوجد منطقة مستطيلة الشكل تقع فى نهاية السطرين التاسع والعاشر، ولكنها كشطت، ومن ثم لانعرف ماذا كانت تحويه من كتابات، وربما كانت مكان توقيع الصانع، إلا أنه لا يستدل على وجود ما يثبت كتابات فيها.

ويخلو الشاهد من إطار يدور حوله كما هو الحال فى بقية الشواهد. وقد تضمن الشاهد بعض الألقاب، وهى:

الأمـــير

سبقت الإشارة إليه.[88]

الناصر لدين الله

استُعمل الناصر لقبا، وكان يقصد به: الناصر لدين الله. وقد اتخذ بعض الولاة لقب الناصر نعتا خاصا؛ فقد تلقب به الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الذى استولى على طبرستان سنة ٣٠١هـ، كما نعت به عبد الرحمن الأموى، ولقب به صلاح الدين،[89] أما فى اليمن فقد تلقب به الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٣٢٥هـ) وورد على تابوته، كما ورد لقبا للأمير عز الدين على شاهد قبره.

المئذنة (اللوحة ٢٦)

تقع المئذنة فى منتصف الجدار الشرقى من الخارج، وهى تتكون من قاعدة مربعة الشكل بطول ضلع ١,٥م، وتقوم على قنطرة من العقود، إذ توجد أسفلها بركة مياه، ويتم الوصول إليها من على سطح البركة، إذ يفتح فى جدارها الشمالى مدخل فتح فى الحنية التى تتوسط الجدار الشمالى، ويفضى هذا المدخل إلى ساحة صغيرة يتقدمها سلم صاعد يدور حول قطب المئذنة. هذا، وتزين جدار قاعدة المئذنة من الخارج حنايا صماء ذات عقود نصف دائرية بواقع ثلاث حنايا فى كل جدار، أوسعها أوسطها، وينتهى جدار قاعدة المئذنة بصف من زخرفة التسنين، يليها بدن أسطوانى زين بأشكال حيات فاغرة فاها (ربما صنعت كتمائم). هذا، وينتهى البدن بإفريز مسنن، يعلوه صف من الأشكال الهندسية المطعمة ببلاطات خزفية، وتقوم فوق البدن شرفة بارزة عن سمت جدار البدن، خرجت بواسطة صفوف من المقرنصات المثلثة بعد ثمانى حطات منها، وقد شكلت الشرفة حوضًا يقوم فوقه بدن ثان مستدير الشكل، فتح فيه باب المؤذن، وينتهى هذا البدن من الأعلى بنوافذ ذات عقود نصف دائرية. هذا، وتغطى المئذنة خوذة اتخذت شكلاً مخروطيًّا مسدسًا.

الدراسة التحليلية

من خلال الدراسة الوصفية للجامع وملحقاته من الأضرحة والمئذنة، يتضح أن الجامع يتكون من عناصر معمارية جاءت مميزة له، وهى تخطيط الجامع المكون من صحن وأروقة ومحراب ومنبر وسقف وأعمدة وعقود ومشاهد، وما تحمل هذه المشاهد من عناصر معمارية أخرى مثل القبة وحناياها الركنية، وما تحتويه من توابيت وشواهد قبور، إضافة إلى العناصر الفنية من زخرفية وكتابية.



العناصر المعمارية

أولاً: عناصر الجامع

للجامع عناصر معمارية متعددة، منها تخطيط الجامع، والصحن، والأروقة، والمحراب، والمنبر، والسقف، والأعمدة، والعقود.

تخطيط الجامع

اتخذ الجامع الشكل المستطيل المكون من صحن محاط بالأروقة من ثلاث جهات، عدا الجهة الجنوبية التى خصصت كمنطقة لبناء المشاهد فيها ودفن أقارب الإمام المنصور. وقد جاء هذا التخطيط بناء على توجيهات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حينما اختار أن تكون هذه البقعة برسم دفنه بعد وفاته، كما يمكن القول إن الإمام المنصور بالله قد بنى عدة مساجد فى هذا الحصن وبنفس التخطيط، إلا أنه ميز هذا الجامع بعمل منبر له، وليكون نواة جديدة لتأسيس مدينة، إذ نجد أن الجامع بنى بعد تأسيس الحصن، وذلك بعد أن اطمأن الإمام أن هذا الموقع يصلح لأن يكون حصنا ومدينة، لذا جاء تخطيطه متأسيا بمسجد الرسول ﷺ المكون من صحن محاط بأروقة وجعل ضريحه فيه، وهذا التخطيط كان له الأثر الكبير على مساجد العالم الإسلامى التى بنيت فى صدر الإسلام كمسجد البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وواسط ومسجد صنعاء الكبير ومسجد الجند ومسجد الأشاعر بزبيد وغيرها.

وإضافة إلى ذلك، نجد أن الإمام قد بنى بجوار هذا الجامع داره، وذلك كما هو الحاصل عندما أسست المدن الإسلامية أو تلك التى فتحت، والتى أطلق عليها دار الإمارة، وبالتالى أصبح هذا الجامع هو جامع المدينة الرئيس الذى أراد الإمام له وللحصن أن يكون مقر إقامته، لذا نجد أن هذا الحصن أضحى إحدى هجر العلم فى اليمن، واستمر حتى هجر تماما فى سنة ١٩٦٢م.

هذا، وعند النظر إلى تخطيط المساجد الجامعة فى عالمنا الإسلامى، نجد أن تخطيطها عبارة عن صحن محاط بأربعة أروقة، أعمقها رواق القبلة.. وجامعنا لا يخرج عن هذا التخطيط إلا فى الرواق الجنوبى. أما رواق القبلة فيعد أعمق هذه الأروقة؛ إذ إنه يتكون من ثلاثة أساكيب بواسطة ثلاثة صفوف من الأعمدة، منها صفان يحملان السقف مباشرة، أما الثالث المطل على الصحن فإنه يحمل عقودا تسير موازية لجدار القبلة، أحداها يطل على الصحن، أما الرواقان الجانبيان الشرقى والغربى فنجد أن كلا منهما يتكون من بلاطة واحدة ببائكة واحدة مكونة من سبعة أعمدة تحمل عقودا تسير عمودية على جدار القبلة، وتطل على الصحن بسبع فتحات سدت مؤخرا بجدران شوهت تناسق الأروقة.

الصحن

يعد الصحن العنصر المميز لعمارة المسجد النبوى ومنه استقى معمار المساجد فى العالم الإسلامى تخطيطه للمساجد، وخاصة فى القرون الأولى للإسلام. ومن هذه المساجد جامع الإمام المنصور بالله، وقد اتخذ شكلا مستطيلا، طوله من الشرق إلى الغرب ١٩م، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ١٣,٤٠م، تطل عليه البوائك بعقود ثلاثية (قنديلية) من جهات ثلاث، الجهة الشمالية (رواق القبلة) والشرقية (الرواق الشرقى) والغربية (الرواق الغربى)، وقد أقيمت هذه البوائك على أعمدة مستديرة وأكتاف ذات قواعد وتيجان مربعة الشكل، زينت تيجانها بكتابات نفذت بالخط الكوفى المورق على مهاد من أرضية من الزخرفة النباتية، أما الجهة الجنوبية فقد اتخذت كمنطقة للقبور وبناء المشاهد فيها.

وفى هذا الصدد نجد أن الصحن قد مر بمراحل وظيفية متعددة؛ فقد كان يستعمل أثناء إقامة الصلوات الجامعة، ولا يعتبر ما عدا ذلك جزءًا من المصلى نفسه الذى كانوا يعدونه عبارة عن ممرات للوصول إلى الأروقة، وربما جلسوا فيه للتسامر أو البيع والشراء، ولا يراعون نظافته، لذا أخذ الفقهاء يحددون استعمالاته ويحرمون القيام بأى عمل فيه لا يتصل بالصلاة، ثم اعتبر من الأجزاء الأساسية،[٩٠] وقد يكون الصحن مبلطا أو به فسقية أو حوض ماء أو تُزرع فيه أشجار، إلا أن أهميته تكمن فى الدور الذى يقوم به الصحن المكشوف فى المسجد كمصدر أساسى للتهوية وإضاءة الأروقة التى تحيط به.[٩١] وفى هذا الصدد يمكن القول إن صحن جامعنا لا يخرج عن هذه الوظائف، فقد اتخذ كمصدر أساسى للتهوية وممر يؤدى إلى الأروقة ومنطقة القبور لتقديم الزيارات. وهو مبلط بطبقة من القضاض.

الأروقة

جاء نظام الأروقة عندما قام بتوسعة المسجد النبوى الخليفة الراشد عثمان بن عفان الذى وسع المسجد النبوى والحرم المكى، أما اتخاذ هذا النظام فقد كان من ابتكار الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك الذى تجرأ وأدخل بيوت النبى عليه الصلاة والسلام ضمن توسعته فى المسجد النبوى، وأشرف على ذلك عمر بن عبد العزيز عندما كان واليا له على المدينة المنورة، وبذلك خطت عمارة المسجد خطوة جبارة فى التخطيط المعمارى الذى أصبح تخطيطا مقتديا به فى جميع أنحاء العالم الإسلامى دون استثناء، وفى هذا التخطيط أصبح رواق القبلة من أوسع هذه الأروقة لما للقبلة من مكانة عالية فى بناء المساجد، إذ تعتبر هى المسجد الذى تقام فيه الصلوات، وخاصة الفروض.. أما الجمع فإنها تصلى فى جميع الأروقة، ومن ذلك جامعنا الذى ربما كانت تصلَّى فيه الفروض لمن يسكن بجواره على اعتبار أن كل منطقة من الحصن بها مسجدها الخاص، ويجتمع الناس يوم الجمعة للصلاة فى هذا الجامع ليستمعوا إلى الخطبة من قِبَل الإمام عبد الله بن حمزة.

المحراب

عنصر معمارى ابتكره المسلمون لضرورات معمارية مهمة، منها تحديد اتجاه القبلة فى المسجد، ودخول الإمام فى الحَنْيَة ليوفر صفا للمصلين، كما أنه يعمل على تفخيم الصوت وتكبيره. وجاءت كلمة محراب من الفعل حرب، وقال الفراء: المحاريب صدور المجالس ومنه سمى محراب المسجد.[٩٢] وقد دارت حول نشأته آراء كثيرة. وأسهب المستشرقون بدراسة هذا العنصر المعمارى بالتحليل بما يتوافق وأهوائهم الشخصية، وهل أخذوه عن حنية الكنيسة أم لا، ولذا يمكن القول إن حنية الكنيسة ليست جزءًا أساسيا منها؛ لأن هناك كنائس كثيرة خالية من الحنية، فالمهم فى الكنيسة المائدة التى توضع عليها أدوات الصلوات، وخلفها يقف القس فى مواجهة المصلين، ولذلك فالقس هو المصلى، ومن أمامه يتابعونه فى حركاته دون أن يصلوا، أما المسلمون فكل منهم يصلى وحده حتى لو كانت الصلاة جماعة، ومن ثم فهم محتاجون إلى إمام ليوحد حركات القيام والركوع والسجود؛ ولذلك احتاجت صلاة الجماعة لإمام يوحد تلك الحركات، ولذلك فليس من الضرورى أن يكون المحراب حنية، بل لا بد من أن يكون متجها إلى القبلة، ولذلك لم تظهر المحاريب إلا فى عهد الوليد بن عبد الملك.[٩٣]

والفرق بين الحنية فى الكنيسة والمحراب فى المسجد فرق جسيم؛ حيث نجد أن محراب الكنيسة عبارة عن دخلة نحو ١٠سم فى جدار الكنيسة - أى بطول الجدار - ليستوعب وضع المائدة، أما فى المسجد فهو عبارة عن دخلة فى الجدار يستوعب شخصًا واحدًا، للأسباب المذكورة آنفًا.. لذلك فهو عربى إسلامى صرف، أملت الحاجة إلى ضرورة إيجاده فى المسجد.[٩٤] إضافة إلى ذلك نجد أنه انتشر بسرعة كبيرة فى جميع أرجاء العالم الإسلامى[٩٥] فى مصر والعراق وإيران والجزيرة العربية وغيرها، وفضلا عن ذلك فقد عمد الفنان إلى أن يوقع باسمه على أنه صانع ذلك المحراب، ومن أمثلة ذلك: محراب الجامع الكبير بصنعاء.[٩٦]

هذا، وقد جاء محراب الجامع الذى نحن بصدده بسيطًا فى تكوينه المعمارى والهندسى؛ إذ هو عبارة عن حنية فى جدار القبلة عمقها ١م وعرضها ٧٥سم وارتفاعها ٢,١٤م، تغطيها طاقية محارية الشكل يتوجها عقد مدبب من ذوى المراكز الأربعة، وشُغل باطنها بعقد مدائنى زُينت واجهته بشريط من الزخرفة المجدولة، أما جانبا الحنية فقد شُغلا بواسطة زخرفة مربعة الشكل، واتخذت جوانبها شكل نصف دائرة وزينت واجهتها بزخارف مجدولة، وقد شغلت جوانب الحنية بزخارف كتابية وزخرفية وهندسية، كما يتوج الحنية صدر غشى بزخارف نباتية.

ولذا كان من الضرورى أن يكون المحراب عبارة عن دخلة فى الجدار متجهة إلى القبلة 'الكعبة' وتتسع لشخص واحد فقط، وذلك لكى يفسح المجال لصف من المصلين المصطفين خلفه، وهو ما يؤدى بدوره إلى زيادة صف بكامله فى المسجد، كما أن الحنية أو الدخلة فى الجدار تعمل على تفخيم الصوت وتكبيره، الأمر الذى دعا بالمسلمين إلى أن يجتهدوا فى إيجاده.

لذلك فهو عربى إسلامى صرف، أملت الحاجة إلى ضرورة إيجاده فى المسجد[٩٧] إضافة إلى ذلك نجد أنه انتشر بسرعة كبيرة فى جميع أرجاء العالم الإسلامي[٩٨] فى مصر والعراق وإيران والجزيرة العربية وغيرها، فضلا عن ذلك فقد عمد الفنان إلى أن يوقع باسمه على أنه صانع

ذلك المحراب ومن أمثلة ذلك ما جاء على محراب الجامع الكبير بصنعاء.[٩٩]

وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وبدأت تتحسن مواردها الاقتصادية، بدأ تزيين المحاريب بما يتوافق والروح الإسلامية؛ فقد جاءت زخرفتها عبارة عن كتابات قوامها آيات قرآنية تحث على الصلاة وذكر لمقام المحراب وعبارة التوحيد، كما وجدت عبارات شيعية كما هو الحال فى المحراب موضوع الدراسة، قوامها: لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله فاطمة أمة الله الحسنين سبطى رسول الله، إضافة إلى الزخرفة النباتية والهندسية.

المنبر

يعرف ابن منظور المنبر بأنه مرقاة الخطيب، وسمى منبرًا لارتفاعه وعلوه، وقد وجد عند ما بنى الرسول ﷺ مسجده حيث كان منبره فى بداية الأمر مجرد مرتفع من الأرض إلى جوار جذع النخل حيث كان الرسول ﷺ يقف متكئا على الجذع، حتى قال له تميم الدارى: ألا أتخذ لك منبرًا - يجمع أو يحمل - عظامك؟ قال: نعم، فاتخذ له منبرًا مكونًا من مرقاتين ومجلس 'أى درجتين وجلسة الخطيب'.[١٠٠]

وظل المنبر مكونًا من تلك الدرجات، حيث نجد أنه بعد وفاته ﷺ وتولى سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، فقد كان أثناء خطبته يقف على الدرجة الأولى ويجلس على الثانية حتى لا يقف موقف الرسول ﷺ. وعندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقف على الأرض وجلس على الدرجة الأولى.

وظلت المنابر بهذه الصورة حتى مجيء معاوية، فصنع له منبراً خشبياً متنقلاً مكونًا من ست درجات ومقعد، وعندما ذهب إلى مكة حمله معه إليها ووضعه فى الحرم المكى. وهكذا تطور المنبر، وخاصة أنه كان يفضل المتنقل منه، حيث انتشر بعد ذلك فى جميع الأقطار الإسلامية. وهنا نجد أن منبر جامعنا قد جاء مغايرًا لما كانت عليه صناعة المنابر المصنوعة من الخشب، فقد وجد منبر جامع العين عبارة عن دخلة فى الجدار معقودة بعقد نصف دائرى متراجع، ويرقى إليه بواسطة ثلاث درجات، وهنا يمكن الإشارة إلى أن هذا المنبر قد جاء مقتديا بمنبر مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، إلا أننا نرى أن هذا النوع من المنابر الواقعة فى دخلة فى الجدار قد وُجد فى اليمن فى أكثر من منطقة، مثل منبر جامع ذى أشرق الذى يرجع إلى فترة ٤٢١هـ، ومنبر جامع الأشاعر الذى يعود إلى سنة ٩٢٧هـ، فيما نجد أن هذا المنبر يتشابه بشكل كبير مع منبر جامع الروضة الذى يعود إلى الفترة ما بين سنتىْ ١٠٤٤-١٠٤٩هـ.

السقف

لقد اعتُمد فى تغطية السقف على نوعين من التغطية: سقف الجامع مسطح، والأضرحة اعتمد فيها على القباب؛ ففى الجامع - سواء رواق القبلة أو الأروقة الجانبية - قد اعتمد على السقف المسطح المقام على الأعمدة مباشرة والمنفذ بالخشب بواسطة المصندقات الخشبية بحيث قسم الفنان رواق القبلة إلى ثلاثة أقسام (صدر وجناحين): الصدر ويغطى بلاطة المحراب، أما الجناحان فهما على يمين بلاطة المحراب ويساره، وقد زين الفنان الصدر بأجمل الزخارف سواء النباتية أو الكتابية ودلايات، كما عمد الفنان إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: الأوسط زين بمصندقة اتخذت فى الوسط شكل دائرة، أما القسمان الآخران فيتشابهان بحيث قسم كل منهما إلى أربعة صفوف من الدوائر بواقع سبع دوائر فى كل صف، ويتدلى من حول كل دائرة أربع دلايات، وقد زينت بواطن هذه الدوائر وجوانبها بالزخارف النباتية.

أما الجناحان، فنجد أن الفنان قد قسم كل جناح إلى خمس عشرة مصندقة، وذلك بواسطة البراطيم الخشبية العمودية والأفقية التى شكلت أشكالا هندسية متنوعة، إضافة إلى أشكال الميمات.. كما غشيت هذه المصندقات بالزخارف المتنوعة من نباتية وهندسية وكتابية، وقد تركزت الكتابات التى تزين المصندقات على الصدر وبعض المصندقات المجاورة له. ومن خلال تنوع الكتابات يتضح أنها نفذت على فترات، وذلك من خلال التنوع فى نوع الخط، مثل الخط الكوفى المورق والكوفى المزهر والنسخ؛ وذلك لكى يوحى الخطاط بمدى مقدرته على التنويع فى الخطوط الكتابية. وإلى جانب ذلك فلقد عمد الفنان إلى جعل إطارين خشبيين يدنوان السقف وسجل عليهما آيات قرآنية.

الأعمدة

استخدم المعماريون المسلمون فى بادئ الأمر الأعمدة التى كانوا يجلبونها من العمائر القديمة؛[101] وذلك لما كان عليه المسلمون من فتوحات وجهاد جعلهم لا يفكرون فى البناء، كما أنهم وجدوا هذه المبانى خالية، فاستغلوا أحجارها لبناء مساجدهم، إلا أن هذا ليس طبعهم الأخذ من القديم فحسب، بل هم فى طبعهم التجديد والتحديث والابتكار، ولذلك فإننا نجد أنه بعد أن استقروا فى الأمصار التى فتحت أو مصرت، بدءوا يفكرون فى عدم الأخذ من المبانى القديمة، فقد ابتكر المعمار المسلم أنواعًا من الأعمدة، ويعد أقدم الأمثلة على ابتكار المسلمين للأعمدة، تلك التى وجدت فى قصر المعتصم المسمى بالجوسق الخاقانى بمدينة سامراء، ثم تلا ذلك المثل ما وجد فى مقياس النيل بالروضة [102] ثم انتشرت الأعمدة التى أنتجها المعمار المسلم فى جميع الأقطار الإسلامية، وذلك امتثالا لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية فى الإتقان والجودة فى العمل والحث على ابتكار الجديد فيها. وفى اليمن حذا المعمار حذو أخيه فى الأقطار الإسلامية الأخرى؛ فقد استغل الأحجار والأعمدة القديمة من المبانى كالقصور والمعابد، ومن ذلك ما وجد على سبيل المثال فى الجامع الكبير بصنعاء وجامع شبام كوكبان اللذيْن يعودان القرن إلى الثالث الهجرى، وهنا فى هذا المسجد موضوع البحث قد استخدم المعمار أعمدة تتكون من قاعدة مربعة الشكل وبدن مستدير، تقوم عليها تيجان يتكون كل منها من أكثر من جزء، يدنوها شكل مستدير بارز يشبه حلقة تربط بين العمود وتاجه، ويعلوه شكل ناقوسى - وهذا النوع من ابتكار المسلمين - ثم مكعب إلا أن الفنان لم يدع هذه التيجان غفلاً من الزخرفة، بل عمد إلى تزيينها بشتى ضروب الزخرفة النباتية، كما أن المعمار قد أبدع فى التنسيق بين سمك هذه العمدة بحيث نجدها واحدة بمحيط يصل إلى ١٣٠سم، وبعدد يصل مع البائكة التى تطل على الصحن إلى ثلاثين عمودا فى رواق القبلة، وفى كل من الرواقين سبعة أعمدة أغلبها قد أدمجت مع البناء.

العقود

أدت العقود دورا هاما فى تاريخ العمارة العربية الإسلامية منذ عصورها المبكرة، وقد وجد منها نوعان شاعا فى العمارة الإسلامية، هما: العقد نصف الدائرى والمدبب.[103]

العقد المدبب

وهو الذى يتشكل نصفاه من مركزين مختلفين، وكلما قل انفصال هذين المركزين كلما قلت سعة العقد. كما أن هذا العقد يعد مرحلة متطورة للعقد نصف الدائرى، إلا أنه يمتاز عنه بقوة تحمله، إذ نجد أن الثقل يتوزع فيه على نقطتين وليس على واحدة كما هو الحال فى العقد نصف الدائرى.[104]

والمعروف أن العقود المدببة قد اختلفت فى ظهورها وأماكنها؛ فيذهب كريسول إلى أن أقدم عقد مدبب وجد فى قصر ابن وردان سنة (٥٦١ - ٥٦٤م) بالقرب من حمص،[105] على حين يرى شافعى أن أقدم عقد مدبب يظهر فى سلسلة الحنايا التى تعلو واجهة طاق كسرى، وأن الدبب (التدبب) فيه لم يأتِ عفوًا أو عن انعدام الدقة فى طريقة البناء، بل كان عملها مقصوداً .[106]

ويشير الدكتور فكرى إلى أن العقد المدبب ابتكار عربى نشأ فى العراق، وأول ظهوره فى قصر الأخيضر، ثم عم استعماله بعد ذلك، حيث نجده فى قصر الجو سق الخاقانى بسامراء، والمسجد الجامع بالقيروان من عهد زيادة الله.[107] ويشير آخرون إلى أن أول ظهوره كان فى قصير عمرة، حيث ينعقد على قاعة الاستقبال عقدان مدببان تدبيباً خفيفاً[108]

ولذا فإننا نؤيد ما ذهب إليه الدكتور فكرى من أن هذا العقد ابتكار عربى خالص؛ إذ نجده ينتشر بعد ذلك فى العمارة الإسلامية انتشاراً كبيراً، فقد تفنن المعماريون فى ابتكار أشكال منه، أولها العقد المدبب ذو المركزين وذو الأربعة، والفاطمى (المسمى خطأ بالعقد الفارسى)، ويتفق جميع المختصين بالعمارة على أنه لم يعرف لا فى العصر الساسانى ولا البيزنطى.[109]

أما فى اليمن، فلقد شاع العقد المدبب ذو المركزين بكثرة على العمارة الإسلامية اليمنية؛ إذ نشاهده فى عقود جامع شبام كوكبان الذى يرجع إلى فترة بنى يعفر فى



العصر العباسى الأول، وفى جامع السيدة بجبلة، وعلى الجامع موضوع الدراسة؛ فقد عمد المعمار إلى استخدام العقد المدبب سواء فى عقود المداخل أو الحنايا التى تزين جدران الأضرحة من الخارج وقاعدة المئذنة.

ثانيا: الأضرحة

من الأمور المتعارف عليها: أن بناء الضريح يمر بعدة مراحل، تبدأ أولاً باختيار البقعة التى يراد فيها البناء، فقد كانوا يختارون أماكن دفنهم إبان حياتهم، بل ويوصون بأن يدفنوا فيها بعد مماتهم،[١١٠] وكان جعفر بن محمد بن الحسن (ت ٣٠١هـ/ ٩١٣م) قد حفر لنفسه قبرًا فى مقابر بنى أيوب قبل موته بخمس سنين، فكان يذهب إليه فيقف عنده، وقد أشار ابن زائدة بقوله: 'تبعت الأعمش يومًا، فأتى المقابر، فدخل فى قبر محفور فاضطجع فيه، ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول واضيق مسكناه'.[١١١]

وإلى جانب ذلك، فقد كانوا يفضلون أن تكون مواضع دفنهم بجوار الأئمة والأولياء، والبعض الآخر فضل أن يدفن بمكة المكرمة، وآخرون بالمدينة المنورة[١١٢] لذلك نشأت مقابر بجوار مقابر الأئمة والصالحين كما حصل فى النجف الأشرف بجوار قبر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ويوصى عضد الدولة البويهى (ت ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) بأن يدفن بجوار الإمام على، فكان من ضمن الكتابة المنقوشة على تابوته: 'أحب مجاورة هذا الإمام التقى لطمعه فى الخلاص يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها،'[١١٣] وكما حصل عند قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه بالقرافة.[١١٤] وسئل عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م يوماً: أين تحب أن تدفن؟ فقال 'صح عندى أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون بجوار نبى أحب إلى من أن أكون بجوار أبى.'[١١٥]

ويقول ابن الحاج عن اختيار البقعة: 'وينبغى لولى الميت أن يختاروا له مكان الدفن عند العلماء والأولياء والصالحين للتبرك بهم، لما ورد: 'هم القوم لا يشقى بهم جليسهم'، لما ورد عن النبى ﷺ قال: ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه'، فلعل بركة الجوار فى الغالب أن تعود على من جاورهم ونزل ساحتهم. وقد مضت عادة السلف - رضوان الله عليهم - أن يختاروا الدفن عند قبور الآباء والأقارب عند عدم القدرة على الدفن عند الأولياء والصالحين، فإن اجتمعا فيا حبذا.

وقد أعدت السيدة بنت أحمد ت (٥٣٢هـ/ ١١٣٨م) مكان دفنها بجامعها بذى جبلة قبل وفاتها لتكون بجوار المصلين والركع السجود.

والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) قد وصى أن يدفن فى حصنه بظفار ذيبين إلى جوار جامعه هناك، فمات بكوكبان، ثم نقل إلى حصن بكر فدفن فيه سنتين وخمسة أشهر، ثم نقل إلى ضريحه بظفار ذيبين والعلة فى بقائه هناك عدم اكتمال بناء الضريح وتهيئته، وولده عز الدين (المتوفى ٦٢٣هـ/ ١٢١٧م) قد بنا له ضريحاً إلى جوار ضريح والده فى ظفار، فمات فى حوث فنقل إلى ضريحه.

مكونات الضريح

أولا: القبر

يعتبر القبر أول مكونات الضريح، وقد أطلقت عليه عدة تسميات اختلفت فى اللفظ واتفقت فى المعنى.[١١٦]

وبعد أن يتم اختيار البقعة المنوى دفن المتوفى فيها، يحفر أولاً القبر، وكانت عملية الحفر تتم على النحو التالى:

يبدأ أولاً بتحديد موضع القبر، ثم يقاس بالذراع أو الشبر أو القدم بحيث يزيد طول القبر على طول المتوفى حتى تسهل عملية إدخال المتوفى إلى القبر، ثم تحفر الأرض - وهناك نوعان من الأرض: رخوة وصلدة - وفى الجميع يتم الحفر حتى يصل الحفار إلى مسافة تقدر بقامة الرجل، فإذا كان المتوفى رجلاً، كان القبر على قامة الرجل، بزيادة بسيطة، أما إذا كان المتوفى امرأة فتزيد على قامة الرجل الحفار ومد يده إلى الأعلى 'وتسمى فى الأرياف اليمنية قامة ومدة'. ثم تتبع فى أسفل القبر طريقتان فى الحفر: إما أن يلحد فيه وهو عبارة عن شق أسفل القبر بميل إلى جهة القبلة بحيث يكون هناك متسع لإدخال المتوفى فى ذلك اللحد ويبنى فى الجانب الآخر دكة، وهذا يعمل فى حالة الأراضى الصلدة، أو أن تُعمل دكتان من جانبى القبر، وهذا فى حالة الأرض الرخوة، ثم يؤتى بأحجار مستطيلة عريضة نسبيًا رفيعة نسبيا 'صلل - أو مساقف'، وفى اللحد تسند من الدكة إلى جانب القبر القبلى، وفى الثانى تسقف بها على الدكتين، ثم ترص تلك المساقف حتى يكتمل

القبر وتطين، ثم يؤذن أذان كامل كأذان الصلاة والدعاء الذى يليها، فيشترك الجميع فى حثو التراب على القبر حتى يتساوى بالأرض، ثم يحدد القبر ببعض الأحجار والتى ربما جاء منها التراكيب ثم توضع على القبر علامة من الحجر فى وسطه إذا كان رجلاً، أو عند رأسه إذا كانت امرأة، ولنا دلالة على ذلك فى موت عثمان بن مظعون الذى حضر دفنه الرسول ﷺ وعمل على قبره علامة فقال: أعلم بها على قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى،[١١٧] والتى من المحتمل أنه اتُّخذت منها شواهد القبور فيما بعد.

ثانيا: تخطيط الضريح

تعتبر هذه المرحلة الثانية من مكونات الضريح، إذ بعد أن يتم اختيار موضع الدفن وحفر القبر والدفن فيه، تأتى عملية بناء الضريح.. فكما مر معنا أن هناك أضرحة بنيت قبل وفاة الشخص المنوى الدفن فيها ثم دفن فيها حسب وصيته، وأخرى بنيت بعد الوفاة والدفن فى الموضع المختار للدفن ثم يبنى الضريح.

وقد اتخذت هذه الأضرحة تخطيطًا لا يخرج فى مجمله عن تخطيط الأضرحة فى عالمنا الإسلامى، وإن بدا لكل قطر عربى مسلم بعض من الاختلافات فلا يعنى أنها تخرج عن التخطيط المألوف، فقد انتشر فى بداية ظهور الأضرحة تخطيط بسيط متواضع، وهو عبارة عن مساحة مربعة تفتح من جهاتها الأربع بمداخل معقودة بعقود نصف دائرية مدببة على تلك المداخل، وقد عرف هذا التخطيط فى العمارة قبل العصر الإسلامى وفى العمارة الإسلامية المبكرة، ويعتبر أقدم الأضرحة الإسلامية الباقية هو القبة الصليبية فى سامراء بالعراق (٢٤٨هـ / ٨٦٢م)[١١٨] ويأتى بعدها ضريح إسماعيل السامانى فى بخارى سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م).[١١٩] ومن الأضرحة الباقية التى اتخذت هذا التخطيط فى مصر: القباب السبع،[١٢٠] والتى ترجع إلى سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م، وبعض أضرحة أسوان.[١٢١] ووجد هذا التخطيط فى اليمن فى مقبرة صعدة،[١٢٢] والتى تعتبر متأخرة قياساً بما وجد فى مصر لهذا النوع من التخطيط؛ فقد تبقى منها سبعة أضرحة، منها اثنان متهدمان، والباقى يحتاج إلى المحافظة عليه.[١٢٣] ويرجع أقدم هذه الأضرحة - حسبما - وجدنا إلى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، ولكن هذا لا يمنع أن تكون هناك أضرحة اتخذت نفس هذا التخطيط واندثرت؛ لأن المقبرة لا يزال فيها الكثير من أكوام الحجارة التى تدل على أنه كانت هناك أضرحة مبنية.

كما وجد هذا التخطيط فى العراق، سواء فى القبة الصليبية أو فى الأضرحة الموجودة فى المقبرة الواقعة بإزاء مشهد الشمس بمدينة الحلة.[١٢٤] وفى سوريا يمكن اعتبار ضريح ابن المقدم أوضح الأمثلة على هذا النموذج من التخطيط والذى يرجع إلى العصر الأيوبى.[١٢٥]

وظهر هذا التخطيط فى سوريا قبل الإسلام، إذ وجد هناك فى منطقة الجوانية فى الجبل الأعلى فى الشمال ومؤرخ بسنة ٣٦٨م، وآخر فى بارة ويؤرخ بالقرن الخامس الميلادى.[١٢٦] وهذا التخطيط لم يظهر فى الأضرحة فحسب، بل وجد فى العمائر المدنية كقصر أبى مسلم الخرسانى فى مرو (ق ٢هـ - ٨م)[١٢٧] وفى دار الإمارة بالكوفة[١٢٨] وفى القصور العباسية فى سامراء، كما أشار كر يسول إلى التخطيط نفسه على أنه يرتبط بفكرة الضريح المفتوح الجوانب، أى قبة تقوم على دعامات أربع بشكل حرف (L) بالإنجليزية، ويرى أن هذا الطراز من الأضرحة معروف باسم Caropy type، وأنه قد استخدم فى صدر الإسلام كوسيلة للتوفيق بين الأحاديث وتحريمها لفكرة البناء على القبور، وبين الرغبة فى اتخاذ مبان تذكارية،[١٢٩] وهذا الرأى ينفيه وجود هذا التخطيط، ليس فى الأضرحة فحسب، بل يوجد فى العمارة المدنية كما سبق دراسته.

ثم تطور هذا النظام من التخطيط فى العصر الفاطمى فى مصر؛ فقد قام المعمار الفاطمى بسد كل الجوانب تاركًا مدخلاً واحدًا فقط، ويتمثل هذا التخطيط فى ضريحى الجعفرى وعاتكة (الشكل ٨١) (٥١٤-٥١٩هـ/ ١١١٤-١١٢٤م)(٥٢٠-٥٢٥هـ/ ١١٢٦-١١٣١م)[١٣٠] وقبة الشيخ يونس[١٣١] (الشكل ١٩) (٥٠٠-٥٢٠هـ/ ١١٠٠-١١٢٥م) ومشهد إخوة يوسف (الشكل ٢٠) (الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادى) ثم تطور هذا التخطيط فى مشهد السيدة رقية [١٣٢] (الشكل ٢١) (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) ومثل مشهد يحى الشبيه (الشكل٢٢) (٥٤٥هـ/ ١١٥٠م) قمة تطور الأضرحة الفاطمية.[١٣٣]

وتأتى بعد ذلك المرحلة التالية، وهى أن يتصدر جدار القبلة فى الضريح محراب، على حين تُفتح فى بقية الجدران



الثلاثة مداخل، ويتمثل ذلك فى أضرحة كل من الإمام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وقد سد أحد مداخله فى فترة متأخرة، ثم يأتى بعده ضريح ولده الأمير عز الدين المتوفى سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م[١٣٤]

وقد وجد هذا التخطيط فى مصر فى العصر الفاطمى فى قبة الحصواتى والقبة الفاطمية بالجمالية أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير.

وبعد هذا الوصف العام للضريح، يجدر بنا القول إن ضريح الإمام عبد الله بن حمزة يعتبر أول ضريح مستقل لا يزال قائما منذ تاريخ تشييده بالرغم من وقوعه داخل صحن المسجد، وعلاوة على ذلك نجد أن المعمار قد التزم الجانب التطورى فى تخطيط هذا الضريح بما يماثله من تطور فى أضرحة العالم الإسلامى، ولا نعرف كيف كان تخطيط الأضرحة التى سبقته - والتى يغلب عليها أنها مندرسة - إذ لم يورد لنا المؤرخون وصفًا للضريح فى اليمن، ومن خلال الوصف المعمارى لهذا الضريح تبين أنه يفتح فى جدرانه ثلاثة مداخل، سد أحدها فى فترة متأخرة، فيما أغلق الجدار الرابع لعمل محراب من الداخل، وذلك أثناء فترة البناء. ولهذا يمكن القول إن هذا التخطيط المعمارى للأضرحة قد مر بعدة مراحل من التطور فى أضرحة العالم الإسلامى؛ فلقد مر بنا أن بداية هذا التخطيط - حسبما وصلنا كأقدم ضريح باق - هو القبة الصليبية وأضرحة القباب السبع جبانة أسوان التى تعتبر المثل الحى لهذا التطور.

ثالثا: منطقة الانتقال

تعد منطقة الانتقال فى القباب مرحلة مهمة من الناحية الإنشائية، وقد أدت دورا بارزا فى تطور قباب العمارة الإسلامية، إذ إن أهميتها تكمن فى عملية تحويل المربع إلى مثمن يسهل تحويله بعد ذلك إلى دائرة لتقوم عليها قبة، وهذه المنطقة عرفت عند مختصى الآثار الإسلامية بالحنايا الركنية.

وهذا النوع من عناصر العمارة الإسلامية، قد تضاربت الآراء حول الموطن الأول لابتكار هذا النوع من مناطق الانتقال، وأى من مواطن الحضارات كان لها قدم السبق فى ابتكاره، فمنهم من نسبها إلى بلاد فارس، ومنهم من نسبها إلى الرومان، ومنهم من نسبها إلى أرمينيا، ومنهم من قال إن لسوريا بعض الفضل، وآخرون يقولون إن بلاد ما بين النهرين وأشور وخراسان لها فى ذلك بعض الفضل.

وقد قام الدكتور أحمد فكرى بمناقشة تلك الآراء، وخلص إلى أنه اجتمع فى قباب القصور الساسانية أول مثل صريح وواضح لشكل الحنايا الركنية، وكان لها تأثيرها الواضح على الحنايا الركنية فى العمارة الإسلامية المبكرة،[١٣٥] أما كريسول فقد ناقش ابتكار الحنايا الركنية، وانتهى إلى القول بأنها ابتكرت فى فارس فى بداية القرن الثالث الميلادى، وانتشرت بعد ذلك فى الأقاليم الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى أرمينيا،[١٣٦] وذكر أن هذا الحل لمنطقة الانتقال أول ما عرف فى قصر فيروز أباد الذى يرجع تاريخه إلى (٢٢٦-٢٤٢م)، وقصر سرفستان الذى يعود إلى الثالث الأول من القرن الخامس الميلادى،[١٣٧] وقصر شيرين الذى ينسب إلى كسرى أبرويز(٥٩١-٦٢٩م)،[١٣٨] وقد أخذ برأى كريسول معظم الباحثين من عرب وأجانب.[١٣٩]

فى حين نجد أن الدكتور شافعى يشير إلى أن العمارة البيزنطية تدين للعرب فى بابتكار حنية الأركان Squinch التى يرجع ظهورها إلى العراق فى العصر الساسانى،[١٤٠]

وأن أول ظهور لها فى العمارة الإسلامية كان فى قصر الأخيضر ببادية العراق جنوب كربلاء، ويؤرخ بسنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م)،[١٤١] وأن المثل للحنايا الركنية الذى اتخذ شكلا عربيا خالصا هو حنية باب العامة بقصر الجوسق الخاقانى[١٤٢] سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٦م).

وإلى ذلك يشير الدكتور فكرى إلى أن أقدم الأمثلة للحنايا الركنية فى العمارة الإسلامية هى فى قبة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان (٢٢١هـ/ ٨٣٦م) (اللوحة ١٨)[١٤٣] وإذا نظرنا إلى تاريخ هذين الأثرين لوجدنا أن تاريخهما واحد، مما يدل على أن الحنية انتشرت فى أرجاء العالم الإسلامى فى تلك الفترة، وكان لقصر الأخيضر فضل نشرها، وهى تتشابه من حيث الشكل مع حنايا ضريح المنصور عبد الله وضريح عز الدين موضوع الدراسة. وإذا اتجهنا نحو مصر الإسلامية، وجدنا أن هناك بقايا لحنايا ركنية غائرة فى جامع عمرو لا تزال باقية فى الجزء العلوى من الواجهة الخارجية، وتغطى تلك الحنيات طواق ذات فصوص تخرج من مركز الطاقية على هيئة مروحية، ويرجع تاريخها إلى تجديد عبد الله بن طاهر للجامع سنة

(٢١٢هـ/ ٨٢٧م)،[١٤٤] تليها حنايا جامع ابن طولون التى فى واجهات الجدران،[١٤٥] وأما فى العصر الفاطمى فنجد أن مناطق الانتقال فى قبابه كانت عبارة عن حنايا ركنية كبيرة فى أركان المربع السفلى للضريح أو القباب الأخرى ومعقودة بعقود مدببة تشبه بذلك حنايا المحاريب، ومن ذلك: الأسلوب المتبع بقباب رواق القبلة بمسجد الحاكم (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) وبالقباب السبع (٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) وبعض قباب أسوان، وفى مشهد الجيوشى بقبة الدفن، وبمشهد إخوة يوسف أوائل (ق٦هـ/ ١٢م) وقبة الحصواتى (ق٦هـ/ ١٢م). ثم تطورت مناطق الانتقال فى هذا العصر، فبعد أن كانت تتكون من حنية واحدة مفردة فى أركان المربع، أصبحت أركان المربع تشغلها حطتان من الحنايا المعقودة المقرنصات.[١٤٦] وفى العصر الأيوبى تطورت منطقة الانتقال تطورا كبيرا، حيث اشتملت على عدد كبير من المقرنصات، وليس أدل على ذلك من ضريح الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/ ١٢١١م).[١٤٧]

أما فى اليمن، فإن الحنايا الركنية ليس لها مثل صريح؛ إذ إن الأضرحة القائمة والمغطاة بقباب لا نجدها إلا من بداية القرن السابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) إذ إن المصادر التاريخية لم تكشف لنا عن كيفية بنائها، وإنما كثيرا ما تشير إلى انه بنى عليه مشهد أو قبة، وبناء عليه يعتبر ضريح الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أقدم ضريح باق مغطى بقبة، وكانت حنية أركان الضريح تحتل أركان المبنى متوجة بعقود مدببة ترتكز على سطحى الجدارين الملتقيين والمكونين زاوية الضريح التى تربط بين الجدارين بحيث تكون خلفه شكل المثلث بضلع مقوس، وهو ما يطلق عليه الحنية، وحُشى ذلك الفراغ ببناء من الآجر عمد البنّاء إلى تزينه بالفصوص أو التضليع 'محارى الشكل'، وهى طريقة جمالية لكسر رتابة المنظر وإعطائه نوعا جماليا، وتشع هذه الفصوص من نقطة التقاء الجدارين 'الزاوية'، كما تشكل هذه الحنية ربع قبة مضلعة، زينت هذه الحنايا بثلاثة أشرطة زخرفيه اتخذت أشكال العقود، كما عمد المعمار إلى عمل حنايا صماء تنصف جدران الضريح الأربعة توجت بعقود مدببة تتشابه مع عقود الحنايا الركنية، شكلت من الجص بعدد ثلاثة أشرطة ويعلو هذه الحنايا مثمن نتج عن تحويل الحنايا الركنية، وقد زين هذا المثمن بشريطين، أحداهما كتابى وآخر زخرفى، وأقيمت فوق المثمن قبة نصف كروية تبدو عليها آثار تهدم وفتح فى رقبتها ثمان نوافذ.

القبة

تعتبر القبة علامة مميزة للضريح، وقد تسمى أحيانا الأضرحة بالقباب. وهذا ما يحدث فى بعض المناطق من العالم الإسلامى، ومنها اليمن، إذ يطلقون على الأضرحة اسم (القبب). ولقدأدت القبة دورا كبيرا ومميزا فى العمائر التى سبقت الإسلام والعمائر الإسلامية الدينية والمدنية، وقد تم الكشف مؤخرا فى اليمن فى موقع صبر لحج عن وجود جزء من قبة مع الحنية الركنية الحاملة لها والتى من المحتمل أنها كانت تغطى فرنًا للفخار. وإضافة إلى ذلك، فإنه عند دخول النصرانية إلى اليمن، بنيت فيها الكنائس مثل القليس بصنعاء، والتى روت كتب التاريخ أنه كان فيها قبة عرضها ثلاثون ذراعا زينت بالفسيفساء.[١٤٨]

ثم نجد أن القباب انتشرت فى العصر الإسلامى بكثرة فى المدن التى مصرها المسلمون، إذ من المعروف أن اليمنيين خرجوا منها تلبية للجهاد والدعوة فى سبيل الله، فكانوا من ضمن الجيوش التى فتحت بلاد الشام والعراق ومصر، وكان منهم الحرفيون والمهندسون الذين أشرفوا على تخطيط المدن التى مُصِّرَتْ كالبصرة والكوفة والفسطاط.

ويرجح 'سيرجنت' أن أقدم القباب فى اليمن فى العصر الإسلامى ربما كانت فى مسجد فروة بن مسيك المرادى عامل النبى ﷺ على صنعاء الذى بنى مسجد فروة أثناء بنائه للجبانة شرق صنعاء، أو تعود القباب إلى سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٧م) عندما أعيد تجديد مسجد فروة بواسطة محمد بن حسين الأصفهانى.[١٤٩] وقد نختلف مع سيرجنت فى احتماله الأول؛ وذلك لأن مسجد فروة قد بنى ليكون استراحة له أثناء بناء الجبانة ليؤدى فيه الصلوات الخمس، كما أنه من غير المعقول أن يكون هذا المسجد الصغير الذى بنى مؤقتا فى تلك الفترة أضخم من جامع صنعاء الكبير الذى أمر ببنائه الرسول ﷺ، ولذلك فمن المحتمل أن تكون قبة مسجد فروة ترجع إلى التجديد الذى حدث فى سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٧م).

كما أنه من المرجح أن تكون هناك قبة تتقدم بلاطة المحراب فى جامع صنعاء الكبير أسوة بالمسجد الأموى بدمشق، وأنها قد بنيت أثناء توسعة الوليد بن عبد الملك.



وقد سقطت وعمل بدلا عنها ما يشبه مخروطين من الخشب.

ثم نجد إشارة إلى ضريح الشهيدين بصنعاء، الذى يذكر أنه بنى على قبرهما مشهدا[١٥٠] تليهما قبة أقيمت على ضريح الشريف العراقى، ثم تشير الروايات التاريخية إلى أن الملك على بن محمد الصليحى قد أنشأ ثلاث قباب فى قرية الجنابذ،[١٥١] يلى ذلك قباب أضرحة كل من السلطان على بن محمد الصليحى وأخيه فى زبيد وصنعاء وقبة الخليفة التى دفن فيها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين.

وقد كان المتبع فى العمارة السابقة للإسلام والعصر الإسلامى عند بناء القباب على مساحات مربعة أن تستخدم فيها الحنايا الركنية أو المقرنصات أو المثلثات الكروية لتحويل المربع إلى مثمن لتستقر عليه قاعدة القبة المستديرة، كما كان المتبع أن تعطى الكتلة الكروية وهى القبة نفسها الأهمية الرئيسية فى البناء،[١٥٢] وكانت تعتمد فى بنائها اعتمادا كليا على القالب الخشبى 'السقالة' بحيث يتحدد شكل القبة بشكل قالبها،[١٥٣] وفى ذلك ينقل لنا ابن الأثير عن أبى شامة فى حوادث سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) 'أحضرت الأوتاد الخشب لأجل قبة النسر فى الجامع بدمشق، وعدتها أربعة، حيث قطعت من الغوطة، والدخول إليها من باب الفرج وأقيم هناك لها صوارٍ ورفعت ثم وضعت'.[١٥٤]

وقد نهج المعمار اليمنى فى بناء قبة ضريح المنصور بالله عبد الله بن حمزة وولده عز الدين نهج سلفه بإقامة القبة نصف الكروية بالاعتماد على الساحة المربعة التى تم الدفن فيها، أما الحنايا الركنية فقد حولت المربع إلى مثمن لتستقر عليه القاعدة المستديرة للقبة، ولذلك فقد بنيت جدران الضريح من الحجر، أما منطقة الانتقال والقبة فقد بنيت من الآجر والجص، وغطيت من الأعلى بمادة القضاض، وقد أشارت إلى ذلك وقفية مدرسة سلامة بتعز على أن قبابها قد بنيت من الآجر معقودة بأحرف من طين.[١٥٥]

العناصر الزخرفية

مما يميز هذا الجامع عن غيره، عناصره الزخرفية التى تزين سقفه ومحرابه، وواجهة رواق القبلة المطلة على الصحن، ومنطقة انتقال القباب فى الأضرحة، وهذه الزخرفة تنوعت ما بين كتابية ونباتية وهندسية وهى على النحو التالى:

الزخارف الكتابية

تعد الكتابات المنفذة على الآثار الإسلامية من أهم مميزات الفن الإسلامى عامة، إذ يعد الخط العربى السمة والصبغة العربية التى صُبغت بها الآثار الإسلامية عن غيرها من آثار الأمم السابقة أو المعاصرة لها، وقد جعل الفنان من الحرف العربى عنصرا هاما من عناصر الزخرفة، إلى جانب الاستفادة من النصوص الكتابية، وقد ساعدت تلك الحروف بما تتسم به من الاستقامة والليونة فى جعله ذا صفتين هما الكتابة والزخرفة.

وقد نشأ الخط العربى بفضل القرآن الكريم الذى حث على التعليم والكتابة، وأقسم الله سبحانه وتعالى بالدواة والقلم والكتابة فقال: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، كما أن رسولنا الأعظم محمد ﷺ طلب من أسرى بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه، وقد نفذت الكتابات التى تزين الجامع وملحقاته بنوعين من الخط هما الخط الكوفى والخط النسخى، وكانت المواضيع التى نفذت بها الكتابات هى آيات قرآنية و نصوصًا تسجيلية، إلى جانب أسماء الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وأولاده عز الدين وسليمان وأحمد ونسبهم وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب، والآمر بالبناء والمشرف على البناء والمنفذ للبناء وتاريخ الإنشاء، وذلك على نحو ما سبق.

أولا: الخط الكوفى

غلب على الكتابات التى تزين جدران الجامع الخط الكوفى المورق والمضفور، وذلك على النحو التالى:

الخط الكوفى المورق

يعد هذا النوع من الخط عملية تطورية للخط الكوفى البسيط، وهذا النوع من الخط الذى تلحق بحروفه المستقيمة والمستلقية والحروف النهائية زخارف تشبه أوراق الأشجار، وهى عبارة عن أوراق ثلاثية الفصوص، وقد نفذ هذا النوع على كل من محراب الجامع والأشرطة التى تزين منطقة الانتقال فى كل من ضريح الإمام وابنه وتابوتى الإمام وابنه، وفى هذا النوع من الخط عمد الخطاط إلى الحفر البارز فى إظهار الحروف.

وقد وجد هذا الخط فى اليمن قبل هذا المثل فى كل من الجامع الكبير بصنعاء وجامع شبام كوكبان اللذيْن يعودان إلى القرن الثالث الهجرى، وكذلك فى جامع السيدة بنت أحمد فى جبلة الذى يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجرى.

الخط الكوفى المضفور

يعد هذا النوع من الخطوط الكتابية التى بولغ فى تعقيدها أحيانا لدرجة تصعّب قراءته أو التمييز بين العناصر الزخرفية والخطية، وفيه تضفر حروف الكلمة الواحدة والكلمتيْن، وقد نفذت به الأشرطة التى تدنو السقف فى الجامع موضوع الدراسة، وفيها عمد الخطاط إلى مد الحروف المستقيمة إلى الأعلى لتلتقى مع حروف مستقيمة من نفس الكلمة أو من كلمة أخرى لتشكل بذلك زخرفة نباتية قوامها أوراق خماسية الفصوص أو ثلاثية، وهذا النوع من الخط قد وجد له مثل فى ضريح العباس بأسناف خولان.[١٥٦]

الزخارف النباتية

شاع استخدام الزخارف النباتية على الآثار الإسلامية فى العصور الإسلامية المختلفة، وأخذت مكانتها بين فنون العالم كعنصر هام من عناصر الزخرفة. وقد كان لتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام فى الزخرفة النباتية الأثر الكبير فى تجويد هذا النوع من الزخرفة، إلا أن طبع الفنان المسلم التجديد والتحديث والتطوير؛ فقد عمل على تحوير الزخارف النباتية وانصرف عن تقليدها إلى ما سماه الأوربيون الأرابسك.

وفى موضوعنا نجد أن الفنان قد تجلت مهارته فى تنفيذ زخارف الجامع وملحقاته، وقد وجدت منفذة على الجص والخشب، واستعمل فى تنفيذها أسلوبان: الحفر البارز، والرسم. وقد استخدمت الزخرفة بالحفر على الجص فى كتلة المحراب والواجهة المطلة على الصحن ومناطق الانتقال فى كل من ضريح المنصور وابنه، والتى كانت عبارة عن فروع نباتية تكون أشكالاً بيضاوية حصرت بداخلها مراوح نخيلية وزخارف نباتية مزدوجة تدور وتلتقى مع بعضها مكونة أشكالاً دائرية زين داخلها بأوراق ثلاثية وخماسية.

أما الزخارف النباتية المنفذة على المصندقات الخشبية، فقوامها مراوح نخيلية وأنصافها وفروع نباتية وأغصان، حيث يتفرع الغصن من أعلاه وأسفله إلى فرعين، أحدهما يلتقى مع الآخر مشكلاً معه مروحة نخيلية، وهكذا مرة إلى الأعلى ومرة إلى الأسفل، إضافة إلى أن الفنان قد اتخذ أسلوباً أكثر تحويراً ظهرت فيه الحركة المنتظمة لالتفاف الفروع حول مجموعة من الأوراق النباتية الخماسية والثلاثية والمراوح النخيلية، ويلاحظ تأثره بالأسلوب الفنى الذى اتخذه الفنان فى ضريح السيدة، وخاصة تلك التى وجدت على كوشات عقود الدخلات التى تزين واجهتى الضريح.[١٥٧]

الزخارف الهندسية

من الفنون التى استعملها الإنسان منذ القدم فى جميع الحضارات: الزخرفة الهندسية، إلا أنها كانت محدودة، وقد نالت هذه الزخارف حظا وافرا فى الفن الإسلامي، فقد تطورت وتنوعت من الخطوط المستقيمة والمقوسة والمتداخلة والمتقاطعة لتشكل أنواعا من الأشكال الهندسية،[١٥٨] إلى جانب أن الفنان العربى المسلم أخذ يطبق خياله لتنفيذ تلك الزخارف، فيقسمها ويجزئها ويحولها إلى خطوط ومنحنيات بتكرار وتعاقب، حيث تمتد إلى مالا نهاية، فيكاد الناظر إليها لا يقدر على تحديد بدايتها ونهايتها [١٥٩] وهذا الإبداع فى تنفيذ هذه الزخارف كان يعتمد على عنصرين أساسيين هما الخط والزاوية، إلى جانب علمه بأصول فن الهندسة.

ولقد مُثلت الزخارف الهندسية على الجامع موضوع الدراسة بشكل متناسق بين الأشكال الهندسية والزخارف النباتية والكتابية، وهذا يوحى بأن الفنان الذى قام بتنفيذ هذه الزخارف كان على معرفة تامة بأصول فن علم الهندسة. وقد وجدت أنواع عدة من الأشكال الهندسية، منها الأشكال الرباعية والمستطيلات والمثلثات والمعينات والأشكال النجمية - سواء الخماسية أو السداسية - والدوائر وزخرفة المييات، والتى نفذت على الجص - سواء فى المحراب أو مناطق الانتقال - وعلى الخشب فى أشكال المصندقات وفى توزيع الزخارف. وقد سَلَفَ عند الوصف التطرق إلى تلك الزخارف.



التوابيت

استخدم الإنسان الأخشاب فى صناعة توابيته منذ فترات موغلة فى القدم، ومع أنها كمادة عضوية لا تقوى على مقاومة عوادى الزمن، فإنه قد وصلنا من العصور الإسلامية بعض التحف الخشبية، وهى تلك الحشوات التى استعملت كمساند 'كوابيل' للعوارض الخشبية فى قبة الصخرة، وقد زينت تلك الحشوات بزخارف نباتية متنوعة. على أن أجمل ما عثر عليه من التحف الخشبية، ما يعرف بباب تكريت فى العراق، والمحفوظ حاليا بمتحف بيناكى بأثينا، وقد زين هذا الباب بشجرة تنتهى من الأعلى بغصنين لهما الْتواءان كالقرنين، إلى جانب زخرفة أوراق العنب وعناقيده وزخرفة هندسية.[١٦٠] إلا أن أجمل ما أنتجته يد الفنان المسلم وأقدمها هو منبر جامع سيدى عقبة بالقيروان، والذى يرجع إلى العصر العباسى، وقد صنع فى بغداد فى نهاية عصر الأمير الأغلبى أبى إبراهيم أحمد الذى حكم فى الفترة ما بين ٢٤٢- ٢٤هـ / ٨٥٦- ٨٦٣م، وقد زين هذا المنبر بزخارف نباتية وهندسية،[١٦١] أما فى اليمن فتعد الزخرفة الخشبية من أكثر المواد استخداما وشيوعا، وتعتبر الأسقف الخشبية فى المساجد بما تحمله من زخارف خير دليل على أن أجمل الزخارف الخشبية فى اليمن، وفى هذا يمكن القول إن الفنان اليمنى قد زين تلك الأخشاب بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية، ويعد أقدم الأسقف الخشبية فى اليمن هما سقفا الجامع الكبير بصنعاء وشبام كوكبان اللذيْن يعودان إلى منتصف القرن الثالث (أى سنة ٢٦٥هـ) حسب الكتابة المزبورة على البرطومة الخشبية أسفل قاعدة المئذنة الغربية فى الجامع الكبير بصنعاء، وقد زينت تلك الأخشاب بزخارف متنوعة، منها أوراق العنب وعناقيده، وكيزان الصنوبر وغيرها، والتى تنم عن مرحلة متطورة، لاشك أنه سبقتها محاولات للوصول إلى هذا الإبداع.[١٦٢]

أما بالنسبة للتوابيت، فيعد العصر الأيوبى أشهر العصور فى إنتاج أجمل التوابيت، كما يعد تابوت الشافعى فى مصر أحسنها، إذ تتألف جوانبه الأربعة وغطاؤه من حشوات زينت بزخارف نباتية دقيقة مجمعة بشكل أطباق نجمية وأشكال هندسية، إلى جانب غناء التابوت بالزخارف الكتابية بالخطين الكوفى والنسخى، ويرجع تأريخه حسب النص إلى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٩م. أما فى يمننا فقد أبدع النجار فى عمل التوابيت وتعدد مستوياتها ما بين مستوى واحد وأربعة مستويات، وقد حذا حذو زميله العربى فى تكوين التوابيت من حشوات ربط بين أجزائها بالمفصلات الحديدية التى انتهت رؤوسها على شكل الورقة الثلاثية، وثبتت بالمسامير المكوبجة، وزينت جوانبها بالزخارف النباتية والكتابية والهندسية. وقد مثل هذا النوع من التوابيت فى موضوع دراستنا تابوتًا كل من المنصور بالله وابنه، واللذان زينت جوانبهما بزخارف كتابية نفذت بالخط الكوفى المورق، وتضمنت آيات قرآنية تبشر بالجنة ونعيمها، إلى جانب اسم الصانع الذى نفذ عمل هذه التوابيت، والذى نص على 'صنعة عواض وأبى السعود وعبد الله أبناء عوض الله أولاد يحيى على عجيبة'.

شواهد القبور

يسمى الشاهد رخامًا أو لوحًا،[١٦٣] ويوضع فوق القبر عندما لا يكون هناك تابوت. وتعد الشواهد وثائق هامة لا يرقى إليها الشك، لأنها تمدنا بمعلومات وحقائق تلقى الضوء على جوانب مختلفة فى تاريخ بلد ما وجدت به شواهد، كما تزودنا بأسماء مشاهير الرجال، مما قد يفيد ورودها فى تحقيق صحتها وسلسلة نسبها،[١٦٤] وباعتبارها محايدة ومعاصرة للأحداث التى يسجلها، إذ لم تتغير من ناقل إلى آخر، وقد وصل منها الآلاف، والتى من خلالها استطاع الباحثون عن طريق كتاباتها تتبع لمرحلة تعريب مصر الإسلامية وتمصيرها،[١٦٥] إلى جانب أن هذه الشواهد تقوم بأداء مساعدات للدراسات الأثرية والحضارية، والتى من خلالها يمكن تتبع عنصر هام من عناصر الحضارة والفنون الإسلامية، ألا وهو الخط العربى.[١٦٦]

ومن المرجح أن يكون المسلمون قد ورثوا عمل الشواهد من أسلافهم العرب القدماء، حيث يعد أقدم شاهد عربى هو شاهد امرئ القيس بن عمرو المعروف بنقش النمارة، كما يرجح أن يكون شيوع استعمال الشواهد على أثر حركة الفتوحات الإسلامية، الذى جاء نتيجة لرغبة العرب ممن رحلوا عن أراضيهم ونزلوا أرضا جديدة فى التعريف بأنفسهم بعد الوفاة، وهى رغبة كثيرا ما تتملك نفس المغترب. وعند مقارنة الشواهد العربية قبل الإسلام بالشواهد الإسلامية من حيث المضمون، نجدها تتفق فى كثير من تلك المضامين، ويتكون الشاهد

العربى عند تحليل كتاباته من التعريف بشخص المتوفى والإشادة بعلو مكانته وتاريخ وفاته والدعاء له ولوالديه، أما الشواهد الإسلامية فإن مضمون كتاباتها هى البسملة والتعريف بشخص المتوفى والإشادة بذكره وتعظيم الرسول ﷺ وعبارات التوحيد والاعتراف بالبعث والخلود والجنة والنار وتاريخ الوفاة والتوسل إلى الله بالرحمة والمغفرة.[١٦٧]

وأما عن الشواهد اليمنية، فإنها لا تخرج فى مضامينها عن غيرها من الشواهد الإسلامية، ومنها شاهدا المنصور عبد الله وابنه عز الدين موضوع الدراسة، وقد سبق وصفهما.

الخاتمة

فى ختام هذا البحث، نرجو من الله أن نكون قد وفقنا فى إعطاء صورة متكاملة الجوانب عن هذا الجامع الذى يعد من أكمل المساجد عمارة، فإن كنت قد وفقتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسى، وحسبى أنى اجتهدت.

وفى هذا البحث الذى يتحدث عن أحد مساجد اليمن التى ما تزال تحتفظ بجميع معالمها منذ زمن البناء - وقلما نجد أثرا محتفظا بمعالمه لأن المساجد أكثر المبانى الأثرية عرضة للتجديد وذلك بغية الأجر والثواب، ولذا فإن الجامع يقع فى حصن ظفار الذى أمر ببنائه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة فى سنة ٦٠١هـ، وقد تعرض الحصن لعدد من الغارات منذ زمن بنائه من قبل الأيوبيين، ثم فى زمن الإمام القاسم بن محمد الذى هدم أجزاء كثيرة منه بسبب تمركز القوات العثمانية به، ثم فى العصر الحديث عندما أغارت القوات المصرية على مواقع القوات المساندة للإمام أحمد بن حميد الدين فى سنة ١٩٦٢م بطائراتها التى أسقطت قنابل بالحصن - وفيه الجامع - مما تسبب بأضرار كثيرة.

وهذا البحث المسمى جامع الإمام عبد الله بن حمزة بظفار ذيبين 'قد تعرض بالدراسة للجامع والوصف التفصيلى والتحليلى للجامع وملحقاته من الأضرحة التى تمركزت فيه مسبقا بتعريف عن مكونات الحصن، وخلص إلى النتائج التالية، علما أنه بحد ذاته غير مسبوق بدراسة تفصيلية للجامع تعرضت لنصوصه التسجيلية. وهذه النتائج هى:

- اقتدى الجامع فى تخطيطه بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة، من حيث تكويناته المعمارية.
- تشابهت زخارفه مع زخارف مسجد السيدة بنت أحمد بجبلة.
- قسم صانع الجامع سقف الجامع إلى صدر وجناحين، وغطى الصدر بلاطة المحراب، وزينها بأجمل الزخارف من نباتية وهندسية، وعناصر معمارية منها الدلايات، أما الجناحان فقد غطى كلا منهما بخمس عشرة مصندقة تنوعت أشكالها ما بين مربعة وخماسية وسداسية ومثمنة، وغشيت بزخارف متنوعة ما بين نباتية وهندسية وكتابية.
- تضمنت الكتابات التى تزين أعلى جدران الجامع والسقف بنصوصًا قرآنية وتسجيلية نفذت بالحفر البارز والغائر والرسم المسطح بالألوان، وبنوعين من الخطوط منها الكوفى المورق والمزهر والخط النسخى.
- شملت الكتابات التسجيلية اسم الإمام ونسبه وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه مسبوقًا بعدد من الألقاب.
- تضمنت الكتابات التى تزين السقف توقيع الصانع، وقد تعرض لأضرار كثيرة، ولم يتبق من الاسم إلا '... منصور بن على .. وولده مسعود بن ..'
- كما تضمنت الكتابات اسم القائم بأمر العمل، وهو ابن أخى الإمام عبد الله بن حمزة، حيث نص '... بن أمير المؤمنين مولانا عماد الدين عمدة المسلمين'، ولم يتلقب بلقب عماد الدين إلا يحيى بن حمزة.
- زين الفنان تيجان الأعمدة بكتابات نفذت بالخط الكوفى المورق بعبارات قرآنية وصلاة على النبى، وتوقيع الصانع بنص 'صنعة الفقير إلى رحمة الله عبد الله بن عواض بن يحيى عجيبة'.
- تضمنت الكتابات اسم المشرف على البناء، وهو جلب بن مقبل، حيث نص ذلك على احد تيجان الأعمدة المطلة على الصحن من جهة القبلة فى الركن الشمال الغربى 'عناية الشيخ الأجل'، وأكملها الصانع على الأعمدة الواقعة فى الجهة الغربية بنص 'جلب بن مقبل'.
- تضمن تخطيط الجامع مشهدين هما مشهد الإمام الذى يقع فى منتصف الصحن، والذى يعد أول ضريح مستقل غطى بقبة فى اليمن بالرغم من وقوعه داخل صحن الجامع، ولا يزال قائما منذ تاريخ بنائه، ومشهد



الأمير عز الدين الذى يحتل الركن الجنوبى الشرقى من الجامع.

ـ وفق معمار الضريحين فى إجادة تناسق أبعادهما من حيث الطول والعرض والارتفاع.

ـ عمد الفنان إلى تزيين مناطق الانتقال فى الضريحين بالزخارف الكتابية والنباتية والهندسية، وبشكل أشرطة أفقية تدنو وتعلو منطقة الانتقال وتزين واجهة العقود دون غيرها.

ـ تضمنت كتابات المشهدين آيات قرآنية تبشر بالجنة ونعيمها، ونفذت بالخط الكوفى المورق.

ـ نصت الكتابات التسجيلية على ضريح المنصور على اسم الإمام ولقبه ونسبه وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب، وكذلك اسم المشرف على البناء، وهو جلب بن مقبل، واسم الأمير الذى تم البناء فى عهده، وهو الأمير عز الدين أبو عبد الله محمد.

ـ وقع صانع ضريح المنصور على واجهة أحد عقود الحنايا الصماء بنص 'صنعة عواض وأبى السعود وعبد الله أبناء عوض أولاد يحيى بن عجيبة'.

ـ يعد تابوت الإمام عبد الله بن حمزة أقدم تابوت يمنى وصلنا خبره، إذ لم يشر المؤرخون إلى وجود تابوت وضع على قبر، إلى جانب أنهم لم يشيروا إلى هذا التابوت، ولذا فهو أقدم تابوت خشبى وضع على قبر فى اليمن. وهو يتكون من مستوى واحد زينت جوانبه بكتابات بالخط الكوفى المورق، وربطت ببعضها بالمفصلات الحديدية المثبتة بالمسامير المكوبجة، عدا القسم السفلى من الواجهة الجنوبية، والتى ثبت بها شاهد قبر من حجر البلق 'المرمر'. وقد شملت واجهات التابوت آيات قرآنية فقط، إذ لم تسجل على التابوت أى عبارات تسجيلية ودعائية، واكتفى صناع التابوت بالعبارات الواردة فى الشاهد المثبت فى الجهة الجنوبية حتى يبتعدوا عن التكرار، وقد ورد فى الشاهد اسم الإمام المنصور ونسبه وتوقيع كاتبه، وهو 'كتبه أسعد بن حميد'.

ـ تميز التابوت بتنفيذ كتاباته بالحفر البارز، وفيها صعوبة؛ إذ تستلزم حفر جوانب الحرف وإبقاء الحرف حتى يبرز، وهى عملية تطلب مهارة وإتقانًا عاليين لتنفيذ مثل هذا العمل، والذى حدا بالصناع إلى توقيع أسمائهم على جانبى الشاهد، والذى يستخلص منه أنه اشترك فى عمله أكثر من صانع. ومن خلال اللقب يتضح أنهم ينتمون إلى أسرة واحدة امتهنت أعمال النجارة، وهم عواض وأبو السعود وعبد الله أبناء عوض الله بن أولاد يحيى بن على عجيبة.

ـ لم يُحدد تاريخ صنع التابوت، مثلما وجد على التوابيت الأخرى فى العالم الإسلامى، غير أننا نرجح تاريخ عمل تابوت الإمام المنصور بالفترة الواقعة بين وفاته سنة ٦١٤هـ ونقله إلى ظفار فى سنة (٦١٧هـ/ ١٢١٧م)، وهذا الترجيح ناتج عن أنه لو كان هناك ضريح أو تابوت فى ظفار لتم نقل رفات الإمام أثناء وفاته، وإلا لما كان انتظر فترة ثلاث سنوات تقريباً، حيث تم نقل جثمانه أولا من كوكبان إلى حصن بكر ثم إلى ظفار، وهو الذى أوصى بأن يدفن فى ظفار، وكان قد أمر ببناء ضريح له وعمل تابوت، واستمر بناء الضريح تلك الفترة، وفيها عمل التابوت.

- تشابهت الكتابة المنفذة على شاهد القبر المثبت فى الجهة الجنوبية مع الكتابات التى تزين واجهات التابوت، وهو دليل على أن كاتب الشاهد وكاتب التابوت كانا يعملان فى فترة واحدة كل حسب اختصاصه، سواء كان نجارا أو نقاشا على الحجر، وتلك الكتابات المحفورة على جوانب الخشب تعكس أنها ترجع إلى فترة زمنية واحدة، إضافة إلى أن النجارين استبعدوا تكرار اسم المنصور ونسبه وألقابه وتاريخ وفاته واكتفوا بوجودها على الشاهد.

ـ وُجد للإمام عبد الله بن حمزة شاهدا قبر، الأول مثبت فى القسم السفلى من الجهة الجنوبية للتابوت وكتب بالخط الكوفى، والثانى تم تثبيته فى المحراب وقد نقشت كتاباته بخط الثلث.

ـ تميز الشاهد باشتماله على معلومات تاريخية مهمة فى حياة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وهى مكان ولادته وحددها بقرية عيشان بظاهر همدان، وكذلك الليلة التى ولد فيها، فقد حدد الشاهد الليلة والشهر والسنة، ولم يقل اليوم لأنه ولد فى الليل، مما يدل على الدقة فى كتابة المعلومات، ولكنه ذكر تاريخ وفاته باليوم؛ لأنه توفى فى النهار، والشهر والسنة والمكان الذى توفى، فيه كما أن هذا موافق لما جاء فى سيرة الإمام المنصور بالله.

ـ أمدنا الشاهد بسنى عمر الإمام، حيث حدد المدة التى عمر فيها بعدد السنين والأشهر والأيام، وكذلك مدة خلافته بالسنة والشهر واليوم، وهذه المعلومات

التاريخية التى أوردها الشاهد تعد تعبيرا صادقا على دقتها؛ لأنها معاصرة لفترة الوفاة أو بعدها بقليل، بحيث لم يَطْغَ النسيان على تلك المعلومات.

ـ دمج الخطاط كلمتى 'عليه السلام' فى كلمة 'عليلم'؛ وذلك فى جميع الكلمات الواردة فى الشاهد.

ـ تضمن الشاهد تسلسل نسب الإمام وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، كما عمد الخطاط إلى الفصل بين نصوص الشاهد ونصوص المقدمة بشريط زخرفى يتوسطه عقد زخرفى أيضا زين بزخرفة ورقة العنب الثلاثية، إضافة إلى الورقة الرمحية.

ـ رسم الخطاط الوريدة ثمانية البتلات لتنصف إطار الشاهد، كما زينت الورقة الثلاثية أركان الشاهد العلوى.

ـ أما عن ضريح الأمير عز الدين فنجد، أنه قد تشابه من حيث التخطيط مع ضريح أبيه المنصور بالله، وكذلك تتشابه زخارفه مع زخارف ضريح المنصور، وذلك من حيث استخدام الخط الكوفى المورق لتزيين منطقة الانتقال، إضافة إلى الزخرفة العربية التى تزين توشيحتى العقود والحنايا الصماء، واختلف مع ضريح المنصور فى أنه استخدم الخط النسخى فى بعض الأشرطة الكتابية، ولقد نتج عن هذا الاختلاف بعض التمييز بين ضريح الوالد عن ولده، وإبراز مكانة ضريح الوالد لأنه استخدم فيه الخط الكوفى فقط على اعتبار الصفة الرسمية لهذا الخط، ولذا يمكن أن نرجح أن فترة بناء الضريحين متقاربة جدا؛ إذ إن البنائين الذين بنوا ضريح الأمير قد اتخذوا من ضريح المنصور مثالا لهم، وإن الذين بنوا هذا الضريح هم عبد الله ابن عواض وعلى بن على عجيبة، وهم بانيًا ضريح الإمام عبد الله بن حمزة، ومن المحتمل أن يكون البناء قد تم فى حياة الأمير كما مر معنا وما أشارت إليه كتب التاريخ بأنه عند وفاته بحوث نقل إلى مشهده الذى بجنب مشهد أبيه.

ـ سجلت كتابات ضريح الأمير عز الدين أن الضريح قد بنى فى حياة الأمير أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله ابن حمزة أخى الأمير عز الدين صاحب الضريح؛ إذ كان هو القائم بأمور ظفار أثناء حياة أخيه الذى كان مشغولا بالحروب وإخضاع الناس لسلطته.

ـ أمر بعمارة مشهد الأمير عز الدين، الأمير سليمان بن إبراهيم بن حمزة ابن عم الأمير عز الدينك وذلك لأن الأمير عزا لدين كان مشغولا فى الحروب.

ـ تضمنت الكتابات آيات قرآنية تبشر بالجنة ونعيمها وتحث على العبادة وعدم القنوط من رحمة الله، إلى جانب أدعية للأمير عز الدين وكتابات تسجيلية، منها اسمه ونسبه وتاريخ وفاته.

ـ تضمنت النصوص الكتابية بعض الألقاب للأمير الذى أمر ببنائه والقائم عليه ولصاحب الضريح.

ـ وقع بانى الضريح ومنفذ الزخارف على واجهة أحد عقود الحنايا الصماء بصيغة 'صنعه الفقير إلى الله عبد الله بن عواض وعلى بن على عجيبة'.

– أيدت النصوص نقل جثمان الأمير من حوث إلى المشهد الذى بجنب مشهد أبيه.

ـ اشترك فى بناء الجامع والأضرحة عدد من البناة والفنانين، وهم فى السقف: منصور بن على .. وولده مسعود بن ... وربما كانا ينتميان إلى أسرة عجيبة. وفى بناء الجامع: صنعه الفقير إلى رحمة الله عبد الله بن عواض بن يحيى عجيبة. أما بناة الأضرحة وعمل التوابيت فهم عواض وأبو السعود وعبد الله أبناء عوض أولاد يحيى ابن عجيبة.

ـ وكما حدث التشابه الكبير فى الأضرحة، فقد تشابهت أيضا التوابيت، وذلك من حيث الشكل العام المكون من مستوى واحد قسم إلى قسمين ربط بين أجزائه بالمفصلات الحديدية، وزينت جوانبه بالخط الكوفى المورق، وإن اختلفت فى مضامينها مع تابوت المنصور إلا أنها اتفقت فى تنفيذ حروفها.

– اعتُمد الحفر البارز فى تنفيذ النصوص الكتابية، وكانت الدقة والإتقان فى تنفيذ الحروف.

ـ تخلو التوابيت تماما من الزخارف، سواء النباتية منها أو الهندسية، إلا ما جاء فى نهاية الحروف من شكل الورقة.

ـ بدأ الخطاط شاهد قبر الأمير بالبسملة وسورة الإخلاص، ثم أعقبهما باسم الأمير عز الدين وألقابه ونسبه، وصولا إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

– أمدنا الشاهد بمعلومات تاريخية تتعلق بحياة الأمير عز الدين؛ فقد تضمن مكان ولادته وهى مدينة براقش، إلى جانب أنه ذكر يوم مولد الأمير وحدده باليوم التاسع من ذى القعدة، كما حدد السنة وهى اثنتان وتسعون

وخمسمائة، وذكر مكان وفاته وهى منطقة حوث، وذكر الليلة التى توفى فيها الأمير وهى التى يسفر عنها نهار الاثنين، أى فى ليلة الأحد لصباح الاثنين، وحدد اليوم وهو التاسع من شهر ذى الحجة لسنة ثلاث وعشرين وستمائة، كما أفادنا بتحديد فترة توليه والتى بلغت عشر سنين وشهرا.

ـ تضمن الشاهد أبياتاً شعرية من أقوال الأمير عز الدين، ومضمونها أنها تتحدث عن الجزع والخوف من عملية حساب يوم القيامة، وفيها يدعو أصحابه إلى أن يستغفروا له ويدعوا له بعد موته بالرحمة والغفران، وقد عمد الفنان إلى الفصل بين كل بيت وآخر بزخرفة وردة ثمانية البتلات.

هذا، ونتمنى أن نكون قد وفقنا فيما ذهبنا إليه فى إعطاء صورة متكاملة الجوانب عن هذا الجامع الذى يتربع على حصن ظفار منتظرا يد الإنقاذ لينهض من جديد. ■

الحواشى

* أستاذ الآثار الإسلامية المشارك بجامعة صنعاء ـ كلية الآداب ـ قسم الآثار.

١ حسام الدين حميد بن أحمد المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية، مخطوط مصور عن دار أسامة (دمشق، ١٩٨٥)، ١٣٣؛ أبو فراس بن دعثم، السيرة المنصورية، تحقيق عبد الغنى محمود عبد العاطى (بيروت، ١٩٩٣)؛ أحمد محمد الشامى، تاريخ اليمن الفكرى فى العصر العباسى، ج ٣، ط١ (بيروت، ١٩٨٧)، ٣٧، ٣٨؛ محمد بن محمد زبارة، أئمة اليمن، ج١ (اليمن، ١٩٥٢)، ١٠٨.

٢ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٤٨١؛ بدر الدين محمد بن حاتم، السمط الغالى الثمن فى أخبار الملوك الغز باليمن، تحقيق ركس اسمث (لندن، ١٩٧٣)، ٤٢.

٣ ابن حاتم، السمط الغالى الثمن، ٥٢ـ٥٨.

٤ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٤٨٢؛ ابن حاتم، السمط الغالى الثمن، ١٠٨.

٥ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٤٨٢، ٤٨٣؛ ابن حاتم، السمط الغالى الثمن، ١٠٨، ١٠٩.

٦ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٤٨٣؛ ابن حاتم، السمط الغالى الثمن، ١٠٩، ١١٠.

٧ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٤٨٤.

٨ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٥٨٨ـ٥٩٠.

٩ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٥٩٠ـ٥٩٢.

١٠ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ٥٩٥.

١١ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزبدية، ١٣٣؛ ابن دعثم، السيرة المنصورية، ج١؛ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ج ٣، ٣٧، ٣٨؛ زبارة، أئمة اليمن، ١٠٨.

١٢ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزبدية، ١٣٥؛ زبارة، أئمة اليمن، ١٠٨؛ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ٣٨.

١٣ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية، ١٣٨؛ زبارة، أئمة اليمن، ١٠٩؛ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ٣٩.

١٤ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ٥٠؛ زبارة، أئمة اليمن، ١١٠.

١٥ زبارة، أئمة اليمن، ١١٠.

١٦ عن هذه الحروب انظر: ابن دعثم، السيرة المنصورية، ج ٢؛ ابن حاتم، السمط الغالى الثمن، ٤١ـ١٧١؛ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزبدية، ١٦١ وما بعدها؛ زبارة، ج١، ١١٠ وما بعدها؛ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ٥٠ وما بعدها.

١٧ عن أعماله الأدبية انظر: المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية، ١٧٩؛ الخزرجى، العسجد المسبوك، ١٨٢؛ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤٠٦؛ زبارة، أئمة اليمن، ج١، ١٤٢؛ عبدالله عبد الكريم الجرافى، المقتطف من تاريخ اليمن (القاهرة، ١٩٨٤)، ١٣١؛ محمد بن عبدالله الكبسى، اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية فى العصر الإسلامى، ٧٥؛ إسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ج٣، ٢١، ٩٥؛ الشامى، تاريخ اليمن الفكرى، ٣٥ وما بعدها.

١٨ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزبدية، ١٧٩؛ الخزرجى، العسجد المسبوك، ١٨٢؛ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤٠٦؛ زبارة، أئمة اليمن، ج١، ١٤٢؛ الجرافى، المقتطف من تاريخ اليمن، ١٣١؛ الكبسى، اللطائف السنية، ٧٥؛ إسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ج٣، ٢١، ٩٥.

١٩ المحلى، الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية، ١٧٩؛ الخزرجى، العسجد المسبوك، ١٨٢؛ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤٠٦؛ زبارة، أئمة اليمن، ١٠٦؛ الواسعى، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، ١٨٤. ولقد ورد تاريخ وفاته مزبورا على شاهد قبره. انظر الشاهد لاحقا.

٢٠ إسماعيل بن على الأكوع، هجر العلم ومعاقله فى اليمن، ج٣، ط١ (بيروت، ١٩٩٥)، ١٢٨٥.

٢١ الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ١٢٨٥.

٢٢ عن هذه الزخرفة فى جامع السيدة بجبلة انظر، عبد الله موسى كامل، الفاطميون وآثارهم المعمارية فى إفريقية ومصر واليمن (القاهرة، ٢٠٠١)، ٢٢٢؛ سورة الحج، الآية ٧٧.

٢٣ سورة التوبة، الآية ١٨.

٢٤ غيلان حمود غيلان، الأخشاب المزخرفة فى اليمن، ٢٦٥ـ٥٣٢، رسالة ماجستير (بغداد)، ٤٢.

٢٥ سورة فصلت، الآية ٣٤

٢٦ سورة آل عمران، الآيات من ١٩٠ـ ١٩٤.

٢٧ سورة النور، الآية ٤٠.

٢٨ سورة الحشر، الآيات من ١٩ـ ٢٤.

٢٩ سورة البقرة، الآية ٢٦٢.

٣٠ سورة البقرة، الآيات من ٢٥٥ـ٢٥٧.

٣١ سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

٣٢ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤٠٦؛ زبارة، أئمة اليمن، ١٠٦؛ الواسعى، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، ١٨٤. ولقد ورد تاريخ



وفاته مزبورا على شاهد قبره، انظر الشاهد لاحقا.
٣٣ المحلى، الحدائق الوردية، ١٧٩؛ الخزرجى، العسجد المسبوك، ١٨٢.
٣٤ فنستر بارباره، تقارير أثرية من اليمن، مترجم، المعهد الألمانى للآثار بصنعاء (١٩٨٢)، ٧٩ وما بعدها.
٣٥ آمال المصرى، مدارس بنى رسول بمدينة تعز- رسالة دكتوراه غير منشوره بكلية الآثار جامعة القاهرة، ٤٦٨.
٣٦ سورة الزمر، الآيتان ٧٣، ٧٤.
٣٧ عن هذه الألقاب، انظر الألقاب الواردة على ضريح الأمير عز الدين لاحقا.
٣٨ محمد حامد الحسينى، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (القاهرة، ١٩٨٨)، ٩٢.
٣٩ سورة الدخان، الآيات ٥١ – ٥٧.
٤٠ سورة الفتح، الآية ٥.
٤١ فنستر، تقارير أثرية من اليمن، ٨١.
٤٢ سورة الفاتحة .
٤٣ سورة النحل، الآية ٨٩.
٤٤ سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
٤٥ سورة الأحزاب، الآية ٥٦.
٤٦ سورة الزخرف، الآيات ٦٨ - ٧١.
٤٧ سورة يونس، الآيتان، ٩-١٠.
٤٨ ربيع حامد خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى (القاهرة، ١٩٨٧)، ٩٩.
٤٩ حسن الباشا، أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية، دراسات فى تاريخ الجزيرة (الرياض، ١٩٧٩)، ٨١، ٨٢.
٥٠ سيدة الكاشف، الآثار الإسلامية ودراسة التاريخ الإسلامى، مجلة كلية الآثار، الكتاب الذهبى (القاهرة، ١٩٥٨)، ٧٣.
٥١ إبراهيم جمعة، دراسة فى تطور الكتابات على الأحجار فى مصر فى القرون الخمسة الأولى، ٨٦.
٥٢ سورة البقرة، الآية ١٢.
٥٣ القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٦، ١١١ – نقلا عن: حسن الباشا، الألقاب، ١٦٧.
٥٤ الباشا، الألقاب، ٦٦-١٦٨.
٥٥ الباشا، الألقاب، ٤٢٣.
٥٦ الباشا، الألقاب، ١٩٤-١٩٧.
٥٧ الباشا، الألقاب، ٥١٢.
٥٨ الباشا، الألقاب، ١٧٧.
٥٩ الباشا، الألقاب، ٤٤٢.
٦٠ الباشا، الألقاب، ٣٩٠.
٦١ الباشا، الألقاب، ٤٠٦.
٦٢ الباشا، الألقاب، ٣٠٩.
٦٣ الباشا، الألقاب، ٥٣٩.
٦٤الباشا، الألقاب، ٣٨١.
٦٥ الباشا، الألقاب، ٣٣٩.
٦٦ انظر نسب المنصور فيما سبق.
٦٧ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤٠٥.
٦٨ عصر: اسم منطقة تقع غرب مدينة صنعاء فى سفح جبل عيبان'، وهى اليوم داخل مدينة صنعاء.
٦٩ ابن الحسين، غاية الأمانى، ج١، ٤١٦؛ الواسعى، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، ١٨٥؛ الأكوع، هجر العلم ومعاقله، ج٣، ١٢٩٧؛ حسين بن أحمد العرشى، بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، عنى بنشره الأب انستاس الكرملى (بيروت، د.ت)، ٤٤.
٧٠ انظر عن هذه الدخلات: ضريح السيدة.
٧١ انظر عن الطاقات: ضريح المنصور.
٧٢ عن المداخل، انظر مدخل ضريح السيدة فيما سبق.
٧٣ سورة الزمر، الآية ٥٣.
٧٤ سور النساء، الآية ١٣٧.
٧٥ الباشا، الألقاب، ١٨٠.
٧٦ الباشا، الألقاب، ١٨١.
٧٧ الباشا، الألقاب، ١٢٦.
٧٨ الباشا، الألقاب، ٢١٧.
٧٩ الباشا، الألقاب، ٤٧٧.
٨٠ الباشا، الألقاب، ٢٥٨.
٨١ الباشا، ا الألقاب، ٥٣٣.
٨٢ الباشا، الألقاب، ٣٣٩.
٨٣ الباشا، الألقاب، ٢٨٩.
٨٤ ابن الحسين، غاية الأمانى، ٢١٦؛ الواسعى، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، ١٦٥؛ العرشى، بلوغ المرام، ٤٤.
٨٥ سورة يس، الآيات ٥٥-٥٨.
٨٦ سورة يونس، الآيات ٦٢-٦٤.
٨٧ براقش من المدن اليمنية القديمة، تقع فى منطقة الجوف، واسمها قديما يثل، وهى ما زالت بسورها وبواباتها وترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ولقد اتخذها الإمام عبد الله بن حمزة عاصمة لدولته عند بداية خلافته، انظر الهمدانى الصفة، يوسف محمد عبد الله، أوراق تاريخ اليمن وآثاره، وتقرير البعثة الأثرية الإيطالية عن حفرياتها فيها.
٨٨ انظر عن الأمير فيما سبق من ألقاب الأمير سليمان الواردة على ضريح عز الدين.
٨٩ حسن الباشا، الألقاب، ٥٢٥.
٩٠ حسين مؤنس، المساجد (يناير ١٩٨١)، ٦٩.
٩١ وزيرى يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة (يناير ٢٠٠٤)، ١٣٨.
٩٢ إسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، ج٥ (١٩٧٥).
٩٣ حسين مؤنس، المساجد، ٧٦ـ٧٧.
٩٤ حسن الباشا، الحرم النبوى الشريف، مجلة منبر الإسلام، ع ٤، س ٢٦ (يونيو ١٩٦٨)، ١٨١.
٩٥ هذا، وقد تصدى لهؤلاء المستشرقين كل من د.فريد شافعى فى كتابه العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة) (القاهرة، ١٩٧٠)، ٥٨٦ـ٦٢٤؛ أحمد فكرى، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصرى، المجلد ٤، العدد ١٤ (نوفمبر ١٩٤٩)، ٢٠٦ـ٢٢٠؛ نجاة يونس التوتنجى، المحاريب العراقية (بغداد ١٩٨٦)، ٣١ـ٤٣.
٩٦ Serjeant, *Sana'a an Arabian Islamic City* (London, 1983), 332-334؛ على سعيد سيف، الأضرحة فى اليمن، رسالة دكتوراه (صنعاء، ١٩٩٩)، ٥٥؛ التوتنجى، المحاريب العراقية، ٣١ـ٣٤؛ غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء (صنعاء، ٢٠٠٤).
٩٧ الباشا، الحرم النبوى الشريف، مجلة منبر الإسلام، العدد الرابع، س ٢٦ (يونيو ١٩٦٨)، ١٨١.
٩٨ فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)



(القاهرة، ١٩٧٠)، ٥٨٦_٦٤٢؛ أحمد فكرى، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصرى، المجلد ٤، العدد ١٤ (نوفمبر ١٩٤٩)، ٢٠٦_٢٢٠.

٩٩. Serjeant, *Sana'a an Arabian Islamic City*, 332- 334.

١٠٠ مؤنس، المساجد (١٩٨١)، ٨٣.

١٠١ شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ٢١٢ ؛ كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الإسلام (١٩٧٠، القاهرة)، ٧٩.

١٠٢ سامح، العمارة فى صدر الإسلام، ٧٩؛ شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ٢١٣.

١٠٣ شافعى، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (الرياض، ١٩٨٤)، ٢٠٧.

١٠٤ شافعى، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ٢٠٧؛ العزاوى، العقود والأقبية فى العصر الإسلامى، رسالة ماجستير (بغداد، ١٩٦٩)، ١٠.

١٠٥. Creswell, *E.M.A.* I (London, 1932), 279.

١٠٦ شافعى، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (الرياض، ١٩٨٤)، ١٧٣_ ١٧٥.

١٠٧ أحمد فكرى، التأثيرات العربية على الفنون الأوربية، مجلة سومر، المجلد ٢٣ (١٩٦٧)، ٧٥؛ أثر العرب على النهضة الأوربية العمارة والمتاحف (القاهرة، ١٩٨٧)، ٣٩٤؛ المدخل، ١٢٠؛ غازى رجب محمد، العمارة العربية فى العراق فى العصر الإسلامى (بغداد، ١٩٨٩)، ١٢.

١٠٨ عبد العزيز حميد (١٩٧٩)، ١٢٩.

١٠٩ فكرى، التأثيرات،٧٥؛ أثر العرب، ٣٨٤؛ المدخل، ١٢٠.

١١٠ ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (الهند)، ط١، ج٩، ٢٤٧؛ علاء الدين أحمد العانى، المشاهد ذات القباب المخروطية (بغداد، ١٩٨٢)، ٧٥.

١١١ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محمد عبد الحميد (القاهرة، ١٩٤٨)، ث ١٣٨.

١١٢ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ (القاهرة)، ج٩، ٨٨.

١١٣ ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ١٢٠ .

١١٤ Creswell, *The Muslim Architecture of Eygpt*, II, 68
محمد حمزة الحداد، القباب فى العمارة الإسلامية، ٦٩

١١٥ ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ٤٠.

١١٦ وعن هذه التسميات انظر: القبر ابن سيده، أبى الحسن على بن إسماعيل، ج٦، ١٣١؛ المدفن، ابن منظور، ج ٢، ١٢٨؛ ابن سيده، المخصص، ج ٦، ١٣٢؛ الجدث، ابن منظور، ج ٢، ١٢٨؛ ابن سيده، ج٦، ١٣٢؛ الجفن ابن منظور، ج ١٣، ٩٣؛ الرمس ابن منظور، ج٦، ١٠١؛ الراموس ابن منظور، ج٥، ١٠٢؛ الرحم ابن منظور، ج ١٢، ٢٢٨؛ ابن سيده، ج ٦، ١٣٢؛ الرجمة ابن منظور، ج ٢، ٢٢٧؛ الريم ابن منظور، ج٢، ٦٠؛ ابن سيده، ج٦، ١٣٢، البيت ابن منظور، ج ٢، ١٥؛ ابن سيده، ج ٦، ١٣٢؛ البلد ابن منظور، ج٣، ٩٤؛ ابن سيده، المخصص، الكدية ابن منظور ج ١٥، ٢١٧؛ اللحد ابن منظور، ج٢، ٥٢٦؛ انظر تعريف الضريح فى مقدمة البحث، والتربة: انظر التعريف فيما سبق، المرقد ابن منظور، ج٣، ١٨٣؛ الكربة ابن منظور، ج ١٥، ٢١٧؛ الحفيز بن منظور، ٢٠٧.

١١٧ الشوكانى، محمد بن على، نيل الأوطار، ٩٦.

١١٨ عادل نجم عبود، التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا، مجلة سومر، ع٣٠ (١٩٧٤)، ٢٧٦. وقد وجد أمثلته فى العراق وفارس فى معابد النار الساسانية، كما ظهرت فى قصر أبى مسلم الخراسانى فى ٢هـ K. A . G (1958), 162 لإمارة فى الكوفة من ١٣هـ، مجلة سومر، م١٢ (١٩٥٦)، ٣_٢٣، تقرير أولى عن التنقيب فى الكوفة، محمد على مصطفى، كما عرفت فى العصور العباسية فى سامراء العراق؛ عادل نجم عبود، مجلة سومر، ع ٣٠، ٢٧٦.

١١٩. Creswll, *E. M. A*, I, 184-185.

١٢٠. Creswell, *E. M. A*, I, 134 .

١٢١ Monerel de wilad lancer pali musulmaman di as wam (La Cairo, 1930), 24- 36; Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, 134, fig. 65.
فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ٥٤٧، ش ٣٤٢، ٢٦٦.

١٢٢ أبو الفتوح سيف النصر، دراسة لمجموعة من شواهد قبور جبانة صعدة، ٧.

١٢٣ سيف، الأضرحة، ٧٨.

١٢٤ العانى، المشاهد، شكل ٨٢، لوحة ٤٧

١٢٥ عادل نجم عبود، مجلة سومر، ع ٣٠، ٢٧٧ .

١٢٦ H. C. Butler, *Architecture and other Arts* (New York, 1903).

١٢٧ Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (1958), 162.

١٢٨ محمد على مصطفى، تقرير أولى عن التنقيبات فى الكوفة، مجلة سومر، م١٢ (بغداد، ١٩٦٥)، ٣-٣٢.

١٢٩ Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, I, 163.

١٣٠ أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ٣٥؛ Creswell, *E.M.A*, 232.

١٣١ أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ٣٦؛ Creswell, *E.M.A* 232-234

١٣٢ Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, I, 264.

١٣٣ أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ٣٥.

١٣٤ سيف، الأضرحة، ٧٢.

١٣٥ أحمد فكرى، المسجد الجامع بالقيروان (القاهرة، ١٩٣٦)، ١٠٠، ١٠١.

١٣٦. Creswell, *E.M.A*, 101-108.

١٣٧ عادل نجم عبود، القباب العباسية فى العراق، رسالة ماجستير (بغداد، ١٩٦٧)، ٢٠٧.

١٣٨. Creswell, *E.M.A*, I, 107.

١٣٩ مرزوق، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك، ٧٤؛ كريتش، إيران فى عهد الساسانيين، مترجم (١٩٥٧)، ٨١؛ سامح، العمارة فى صدر الإسلام، ٨٠-٨٣؛ شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ١٦٩.

١٤٠ شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ١٤٣. وفى هذا يمكن القول إن هذا التضارب فى الآراء حول موطن ابتكار الحنايا قد جعل جميع الباحثين الأجانب ينسب نشأة المقرنصات والحنايا الركنية إلى بلاد فارس، ولهم العذر فى ذلك لأنهم لا يعترفون ولن يعترفوا بأى فضل للعرب سواء قبل أو بعد الإسلام! وقد نحا نحوهم البحاثة العرب، فمن المعروف أن موطن الحضارات هو فى الشرق، وقد استعملوا أنواع العمائر وعناصرها ومنها القبة، ولعلها قد سبقت إيران بآلاف السنين، فلابد أن تقام القبة على



مربع، وعليه لابد من تحويله إلى مثمن ثم إلى دائرة ليسهل إقامة القبة عليها. ولقد انتشرت القباب فى البلاد العربية قبل الميلاد وعلى مساحات مربعة، فكيف لها أن تقوم على مربع دون منطقة الانتقال؟ إذن فلابد أن العرب قد عرفوا بناء القباب المقامة على الحنايا الركنية، وما مصر والعراق وبلاد الشام واليمن ببعيدة عن ذلك، فقد أسفرت الحفريات الأثرية فى منطقة صبر لحج فى اليمن عن وجود حنايا ركنية لأحد قباب الأفران وهذا يرجع بتاريخه إلى قبل الميلاد (تقرير مكتب لحج للآثار)، إضافة إلى أن الساسانيين أو البيزنطيين عندما دخلوا واستقروا فى المناطق العربية وأقاموا فيها بعض العمائر كان البناة عربا محليين.

١٤١ شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ٥٥٩-٥٦١؛ عادل نجم عبود، القباب العباسية فى العراق، ٢٠٨، ويذكرنا هذا المثل من حنية قصر الأخيضر بحنية القصور الساسانية، ولكنه هنا مدرج؛ إذ يتكون من عدة عقود حتى زاوية المربع، كما يوجد فى أثر معمارى آخر نحت فى الصخر فى موضع يسمى بافيان على بعد ٨٠ كم من كابول بأفغانستان.

١٤٢ شافعى، العمارة العربية، ٥٦١؛ كمال الدين سامح، العمارة فى صدر الإسلام، ٨٣؛ أبو الفتوح، سيف النصر، مداخل العمارة المملوكية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٠٣.

١٤٣ فكرى، المسجد الجامع، ١٠٢؛ مساجد القاهرة، ج١، ١٦٣؛ سليمان مصطفى زبيس، القبة التونسية 'من كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية' (القاهرة، ١٩٧٩)، ٩٩.

١٤٤ شافعى، العمارة العربية، ٣٦٨.

١٤٥ شافعى، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ١٧.

١٤٦ سامح، تطور القبة فى العمارة الإسلامية، ١٤-١٥؛ فكرى، مساجد القاهرة، ج١، ١٦٥؛ سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ١١٦-١١٩؛ لمعى، التراث المعمارى الإسلامى فى مصر، ١٠٢؛ محمد نجيب مصطفى، مدرسة الأمير قرقماس، ٤٩٤؛ آمال العمرى، على الطائش، العمارة فى مصر الإسلامية، العصرين الفاطمى والأيوبى، ١٨٨؛ حسن عبد الوهاب، الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ١٣٢-١٣٣؛ Houtecoeur et Wiet, *Les masques du Caire*, 243; Creswell, *E.M.A.* I, 227.

١٤٧ آمال العمرى وعلى الطائش، العمارة فى مصر الإسلامية، العصرين الفاطمى والأيوبى، ١٦٣؛ الحداد، القباب فى العمارة الإسلامية، ١٠١؛ Cerswell, Vol 2, 72

١٤٨ الأزرقى، أخبار مكة (بيروت، ١٩٦٤)، ١٣٨-١٣٩.

١٤٩ Sergeant, *Sana'a an Arabian Islamic City*, 31.

١٥٠ الواسعى، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن.

١٥١ ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ٧٥.

١٥٢ فكرى، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية، ٣٨٥.

١٥٣ العانى، المشاهد، ٧٧.

١٥٤ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج٣، ٧.

١٥٥ آمال المصرى، مدارس بنى رسول بمدينة تعز ـ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ٤٦٨.

١٥٦ سيف، الأضرحة، ٥٦، ٥٧. أسناف منطقة تقع إلى الشرق من مدينة صنعاء تتبع إداريا مديرية خولان وتبعد عنها بنحو ٢٥كم.

١٥٧ ربيع حامد خليفة، الفنون الزخرفية،٨٣؛ سيف، الأضرحة، ٥٩ .

١٥٨ محمد أحمد الحسينى، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (القاهرة، ١٩٨٨)، ٩٢.

١٥٩ زكى محمد حسن، فنون الإسلام (القاهرة)، ٢٤٨.

١٦٠ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤٢، ٤٤٤؛ حميد، حضارة العراق، ج٩، ٣٢٩-٣٣٤؛ حسنى نويصر، الآثار الإسلامية (القاهرة، ١٩٩٦)، ٣٠٠.

١٦١ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤٥، ٤٤٦؛ محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ١٥٦؛ حميد، حضارة العراق، ج٩، ٣٣٥؛ حسنى نويصر، الآثار الإسلامية، ٣٠١.

١٦٢ سيرجنت، ٣٣٥ ؛ خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى، ١٢٩؛ غيلان حمود غيلان، الأخشاب المزخرفة فى اليمن من سنة ٢٦٥ـ٥٣٢هـ، ١٠.

١٦٣ أشارت المراجع التاريخية فى اليمن إلى تسمية الشواهد باللوح، حيث نجد ذلك عندما توفى الإمام صلاح بن على سنة ٨٤٩هـ ودفن فى صوح مسجد موسى، وأرسلت له زوجته بلوح من ألواح القبور ليوضع على قبره (ابن الحسين، غاية الأمانى، ج ٢، ٥٨٢؛ زبارة، أئمة اليمن، ج ١، ٣٢٢.

١٦٤ حسن الباشا، أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية، ٨١-٨٢.

١٦٥ سيدة الكاشف، الآثار الإسلامية ودراسة التاريخ الإسلامى، مجلة كلية الآثار، ٧٣.

١٦٦ شافعى، العمارة فى مصر، ج١، ٥٤١.

١٦٧ إبراهيم جمعة، دراسة فى تطور الكتابات الكوفية، ٢٨٦.



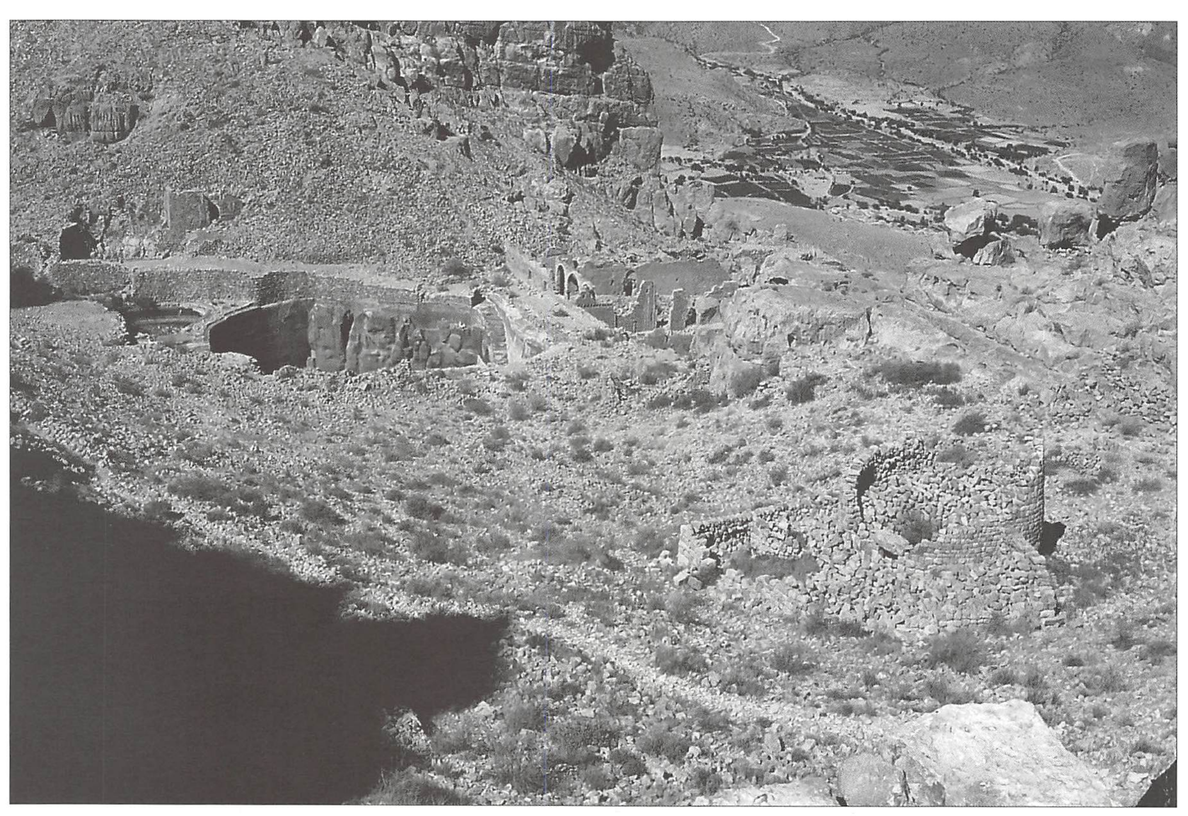




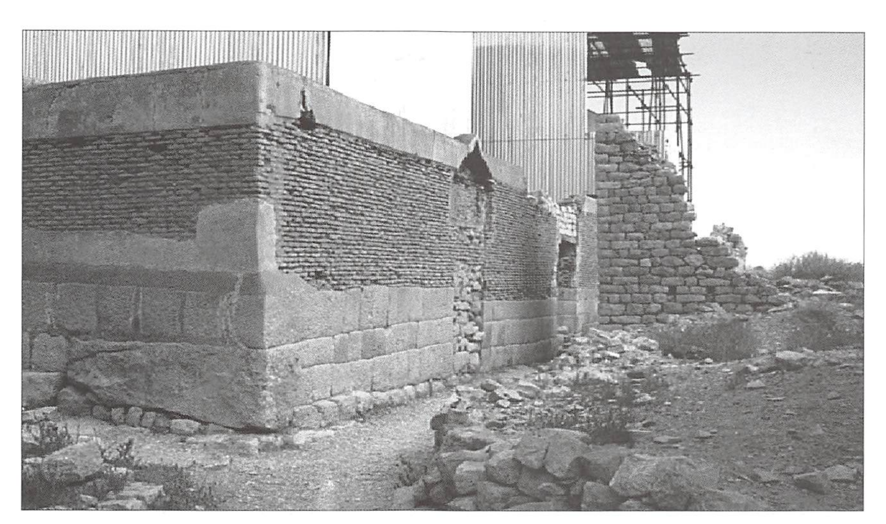
اللوحة ١. توضح الحصن الذى يقع عليه جامع الإمام عبد الله بن حمزة.



اللوحة ٢. توضح قلعة القاهرة بحصن ظفار.



اللوحة ٣. توضح مواقع البرك فى منخفض المدينة بالحصن.



اللوحة ٤. توضح الجدار الجنوبي للجامع. تصوير الباحث

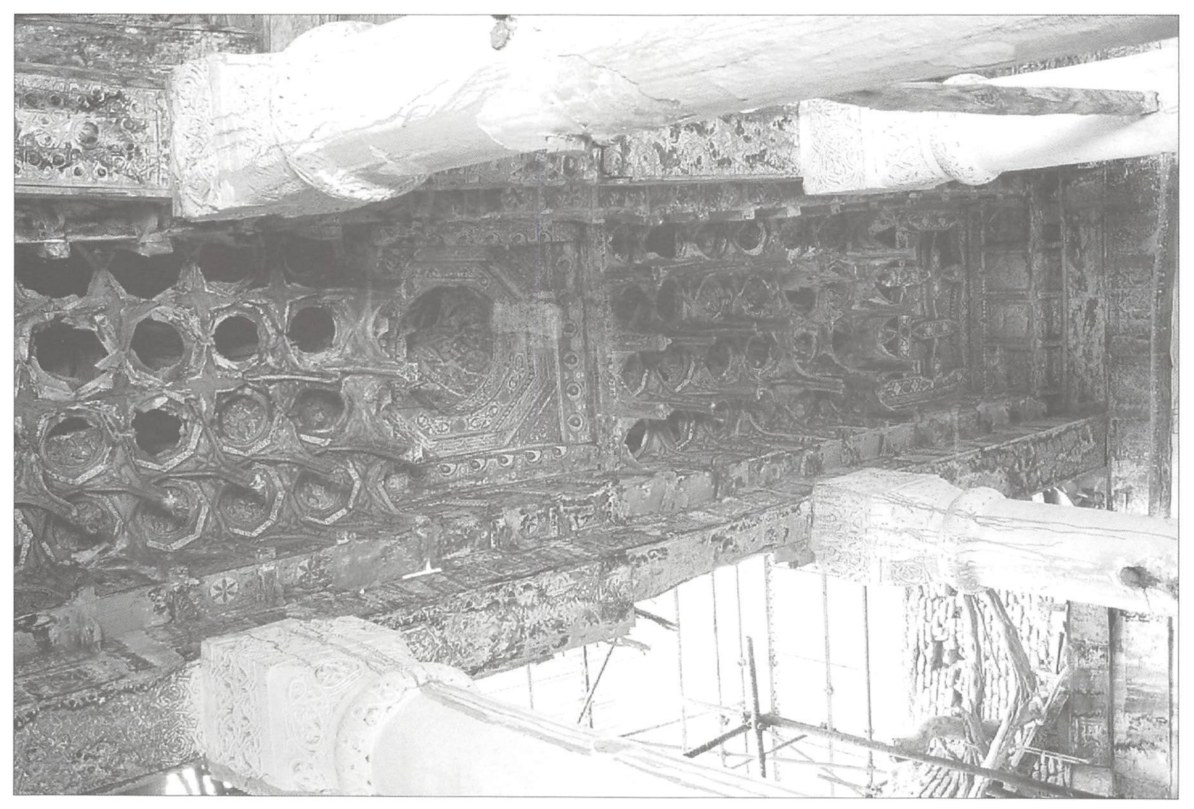


اللوحة ٥. الواجهة الغربية المطلة على الصحن بالجامع.

اللوحة ٦. توضح شكل المحراب بالجامع.



اللوحة ٧. توضح شكل المنبر بالجامع.



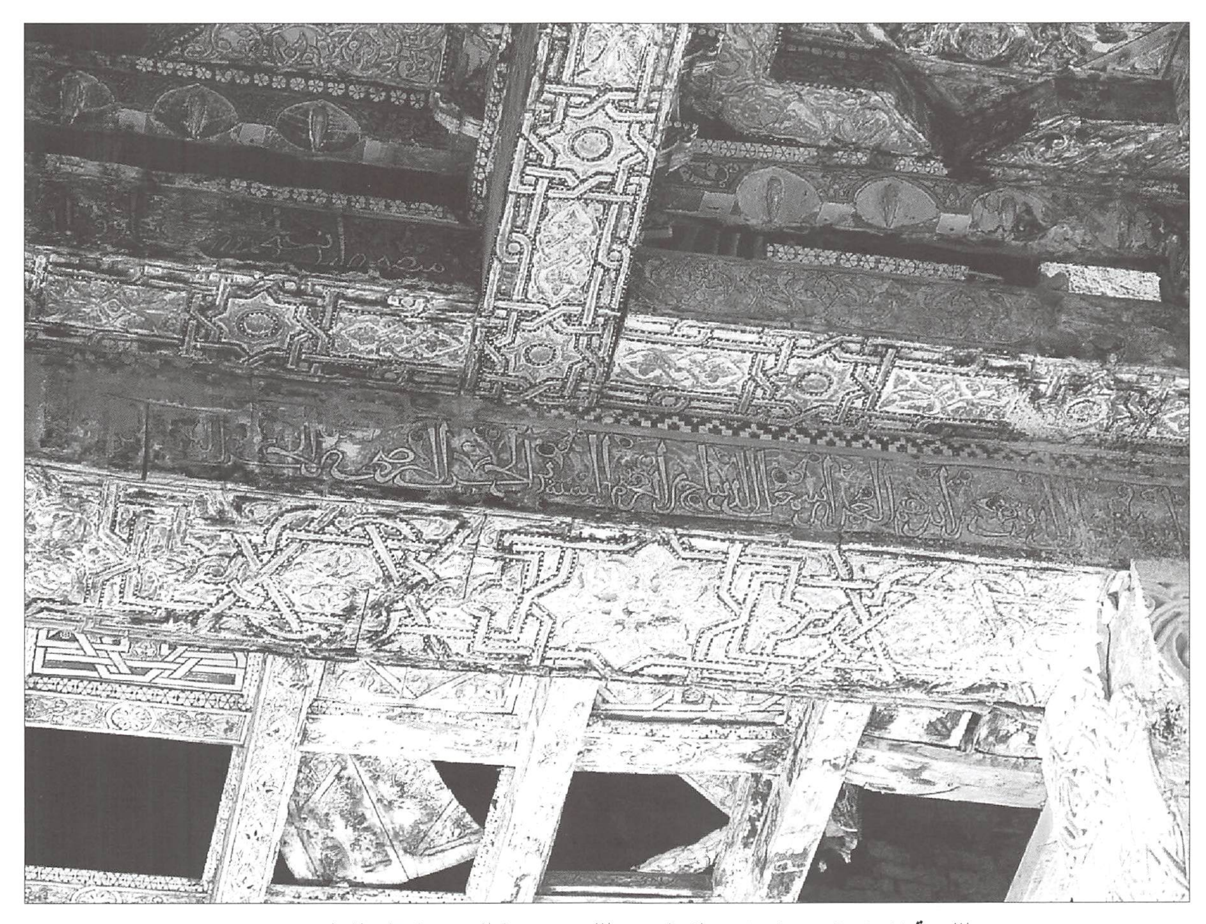
اللوحة ٨. توضح صدر سقف الجامع.



اللوحة ٩. توضح إحدى مصندقات الجامع.



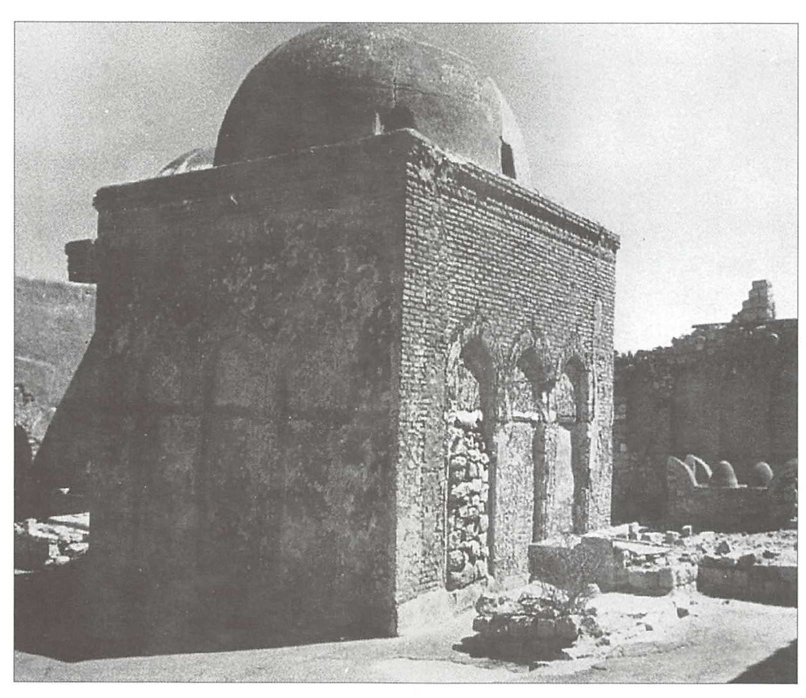
اللوحة ١٠. توضح بعض الكتابات التى تزين أسفل سقف الجامع.



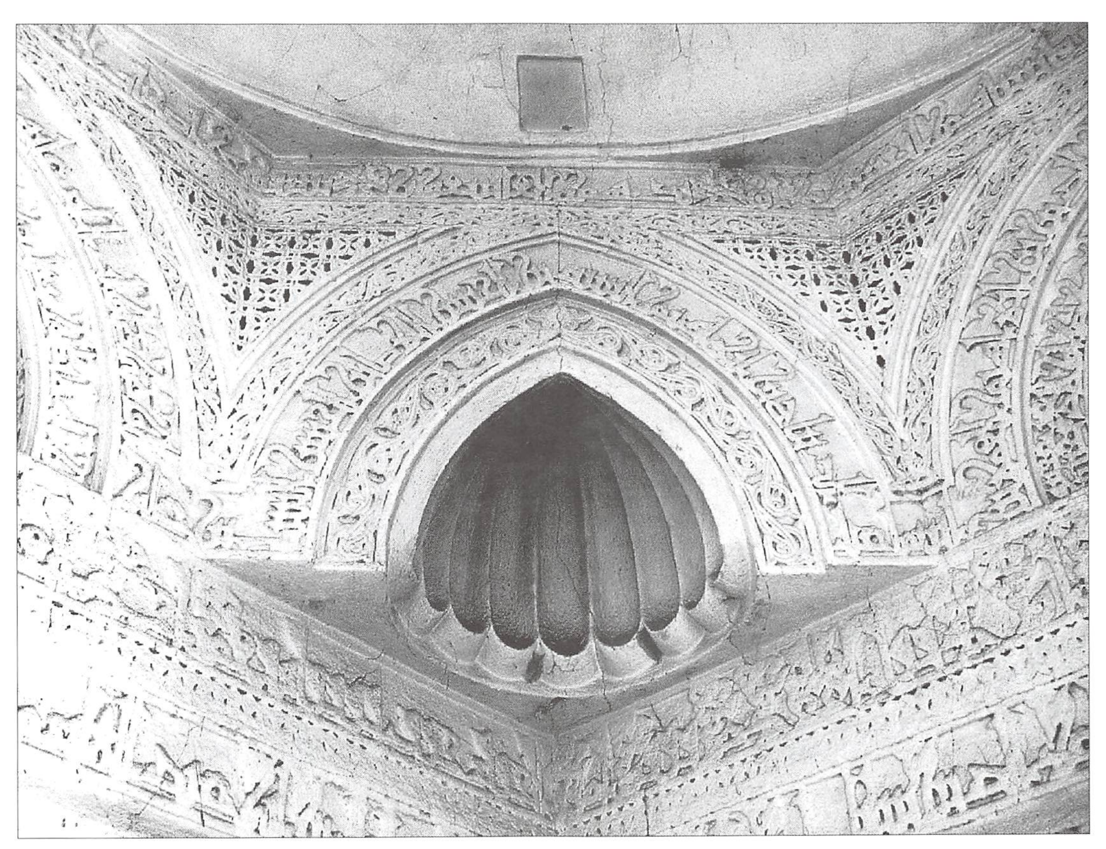
اللوحة ١١. توضح بعض نسب الإمام عبد الله بن حمزة المزبورة على الخشب.



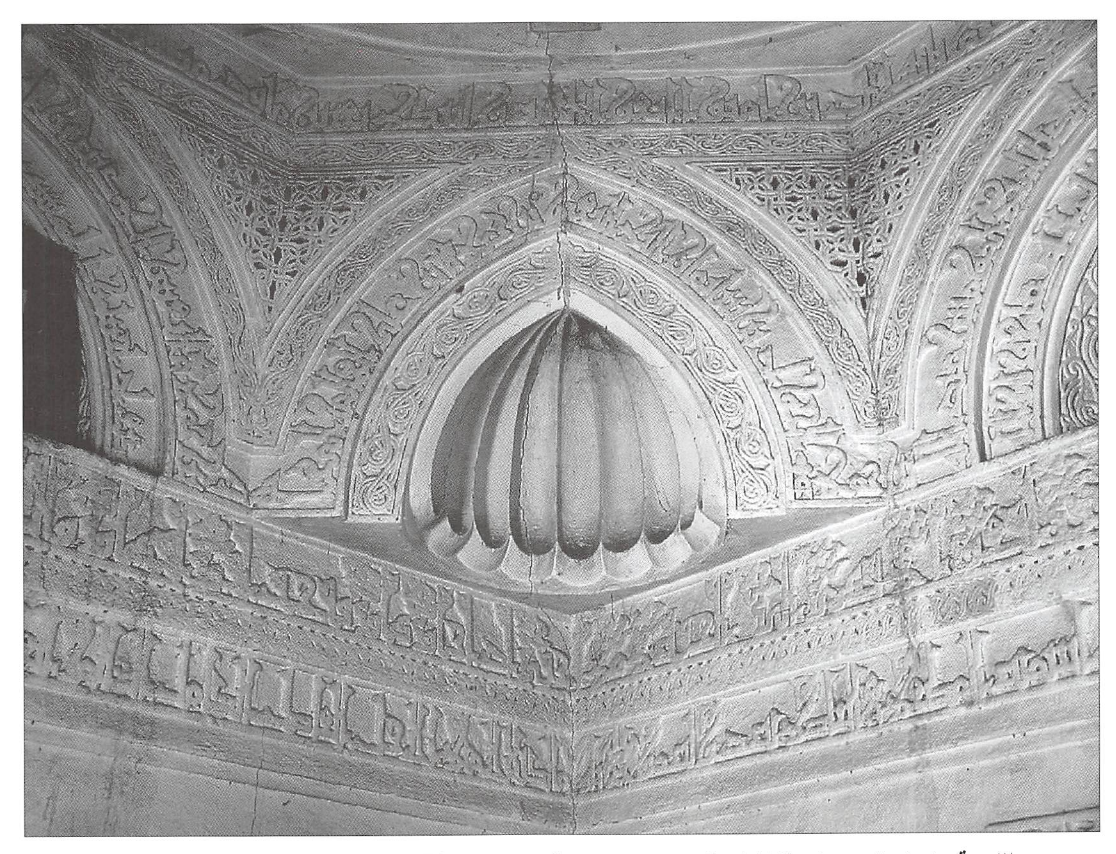
اللوحة ١٢. توضح توقيع الصانع على تاج أحد الأعمدة المطلة عل الصحن بالجامع. تصوير الباحث



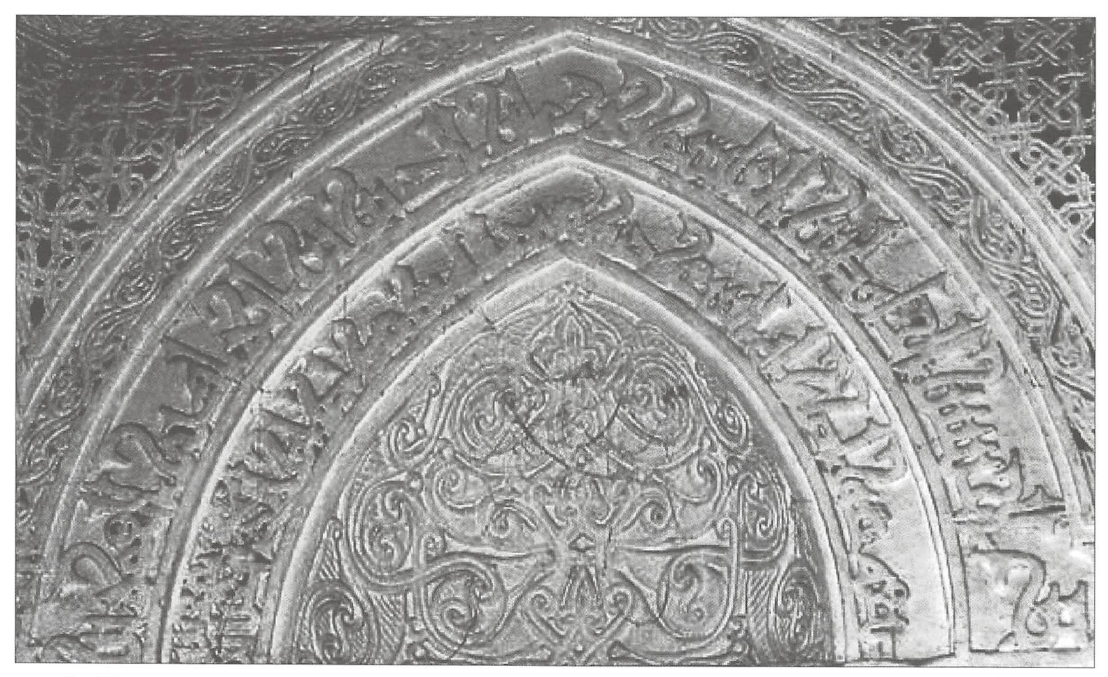
اللوحة ١٣. توضح شكل ضريح الإمام عبد الله بن حمزة بالجامع عن فنستر.



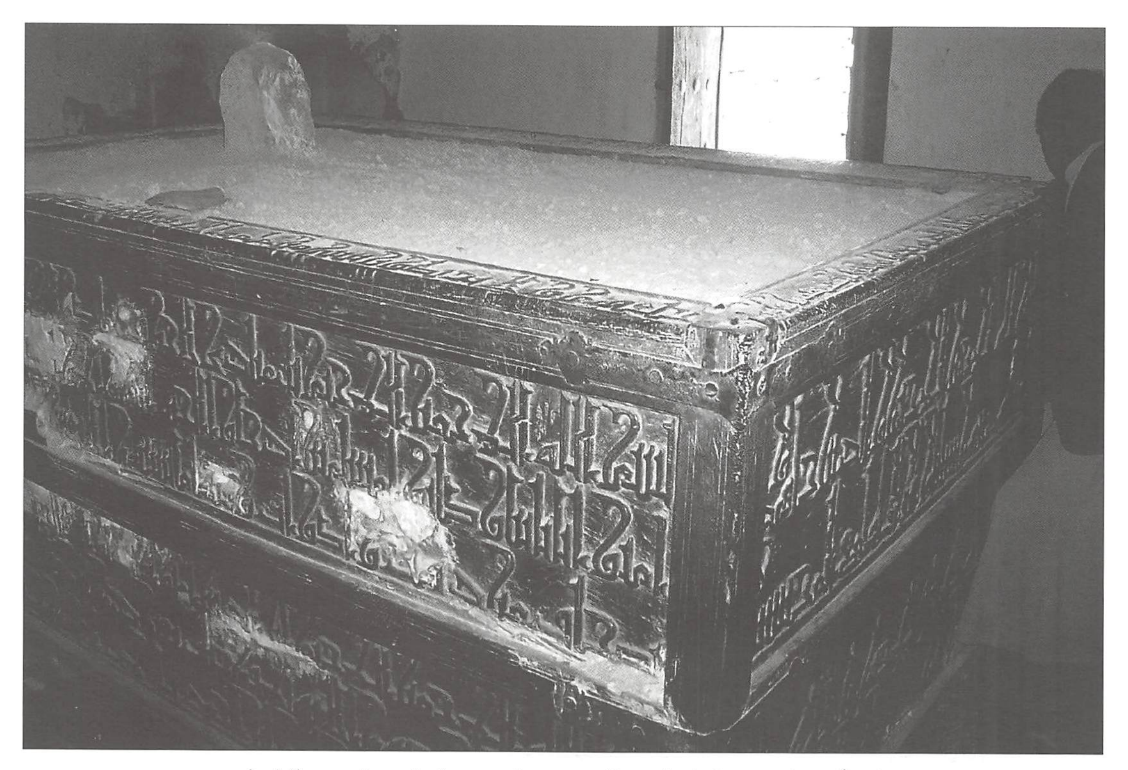
اللوحة ١٤. توضح حنايا الضريح بالجامع. تصوير الباحث



اللوحة ١٥. توضح بعض الكتابات التى تزين ضريح المنصور عبد الله بن حمزة بالجامع. تصوير الباحث

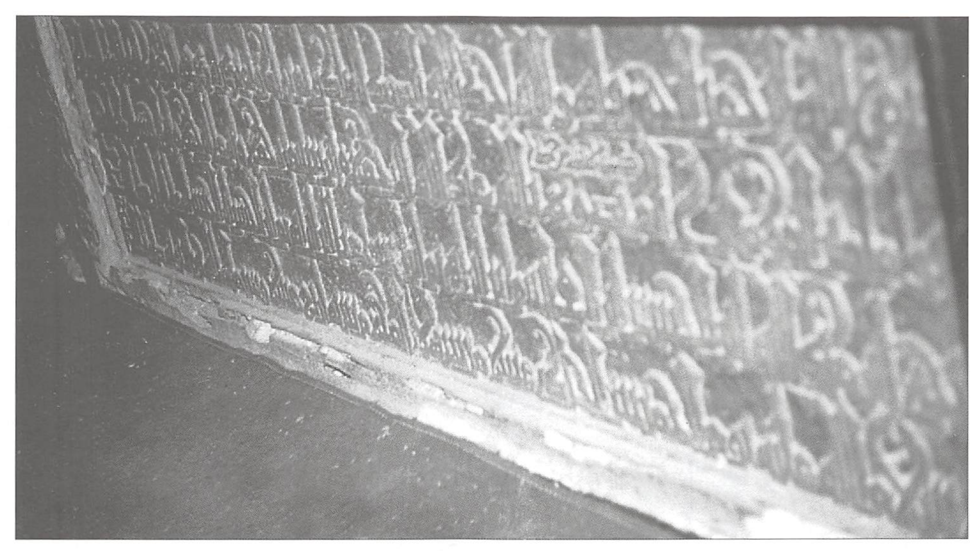


لوحة ١٦. توضح توقيع صانع الكتابات والزخارف في ضريح المنصور عبد الله بن حمزة بالجامع. تصوير الباحث



لوحة ١٧. توضح شكل تابوت المنصور بضريحه بالجامع. تصوير الباحث

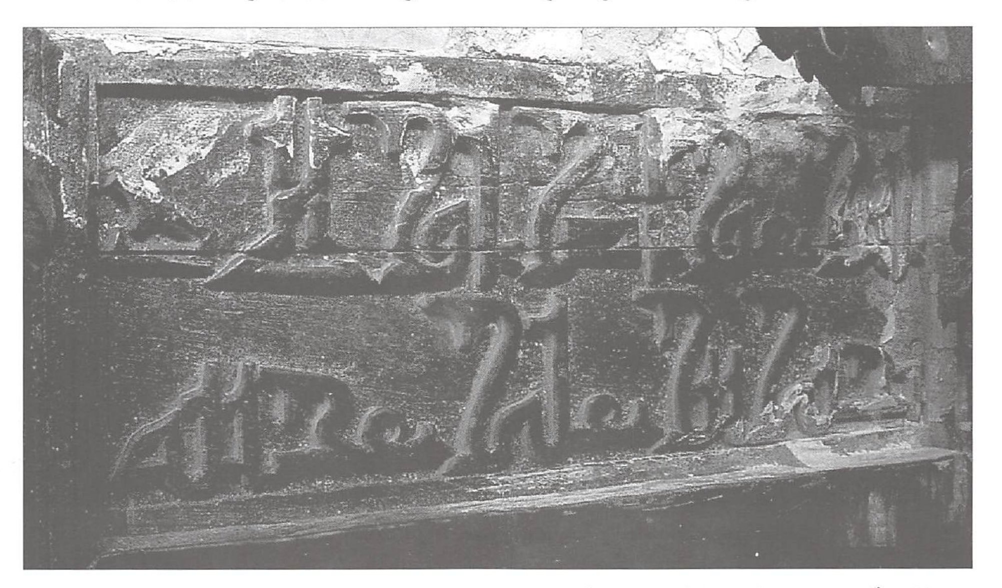




اللوحة١٨. توضح شاهد قبر المنصور الملصق بتابوته بضريحه بالجامع. تصوير الباحث

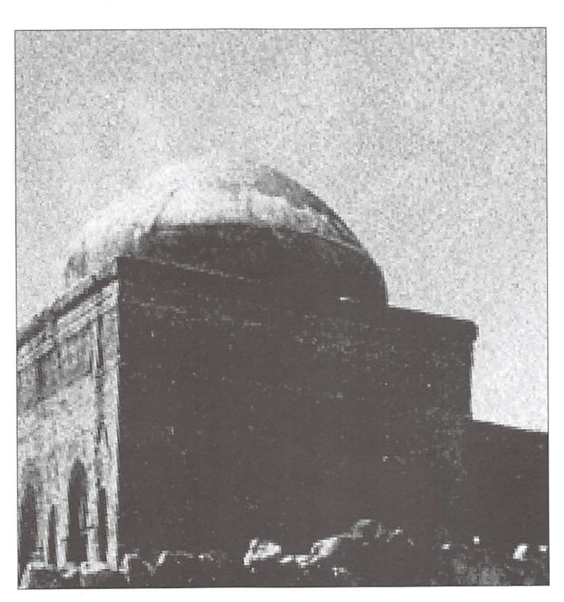


اللوحة ١٩. توضح جزاء من توقيع صانع التابوت بضريح المنصور بالجامع. تصوير الباحث



اللوحة ٢٠. توضح الجزء الثانى من توقيع صانع تابوت المنصور بضريحه بالجامع. تصوير الباحث

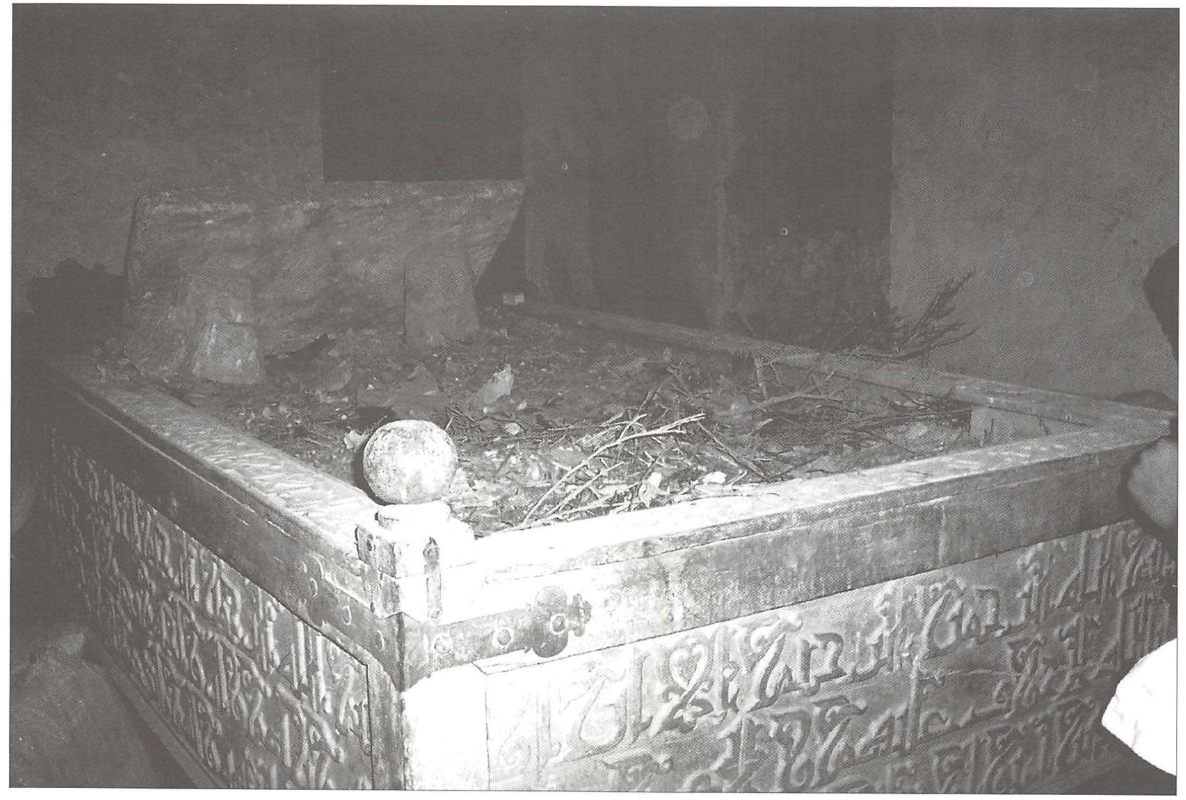
اللوحة ٢١. توضح شاهد قبر المنصور بضريحه بالجامع. تصوير الباحث



اللوحة ٢٢. توضح شكل ضريح الأمير عز الدين بالجامع.



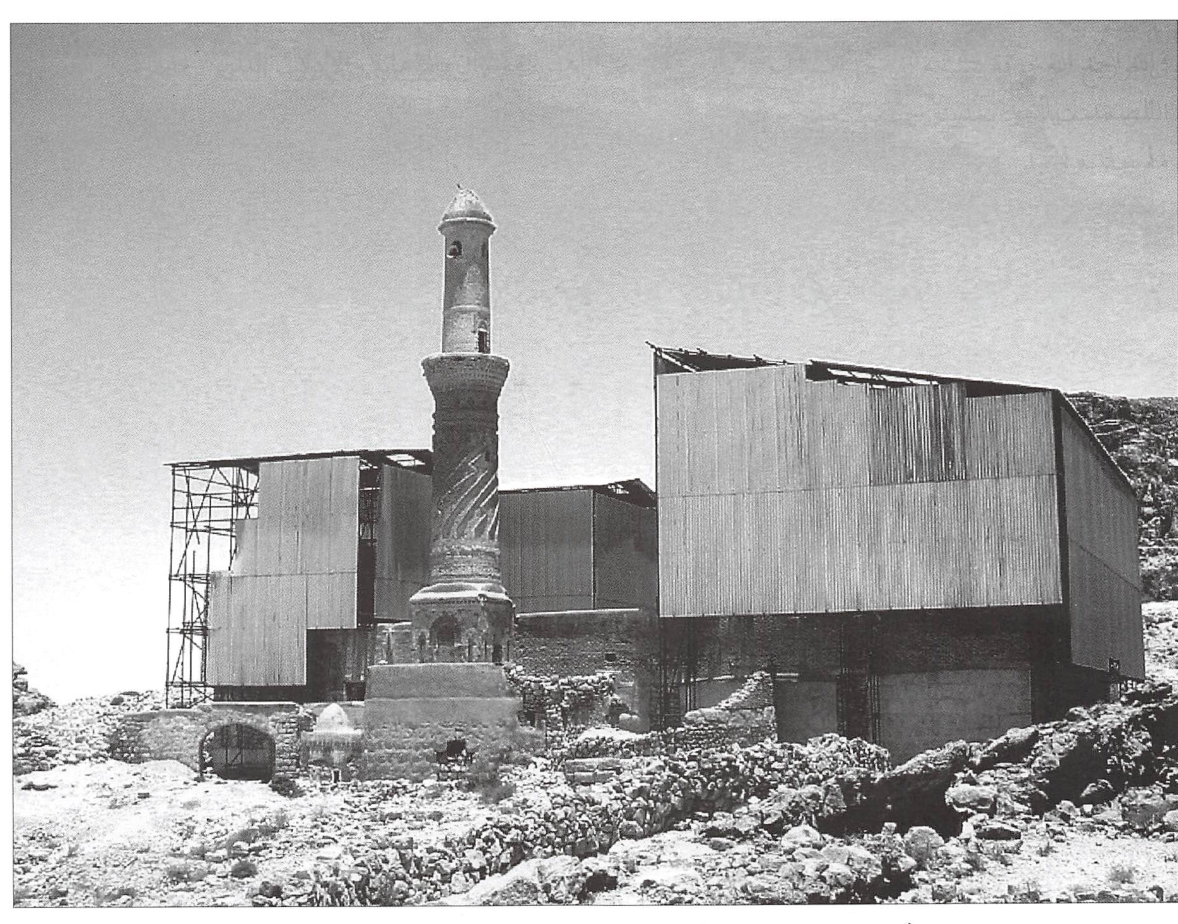
اللوحة ٢٣. توضح الكتابات التى تزين ضريح الأمير عز الدين بالجامع. تصوير الباحث



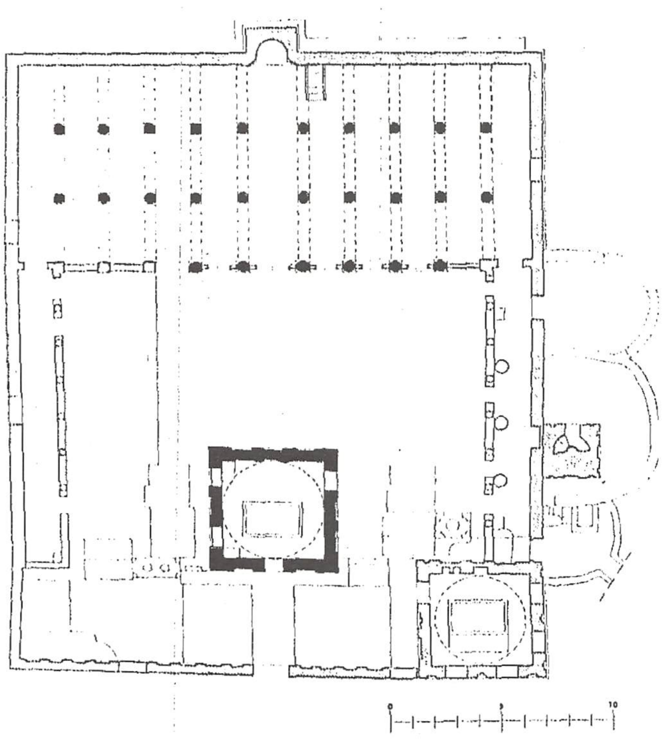
اللوحة ٢٤. توضح شكل تابوت الأمير عز الدين بضريحه بالجامع.



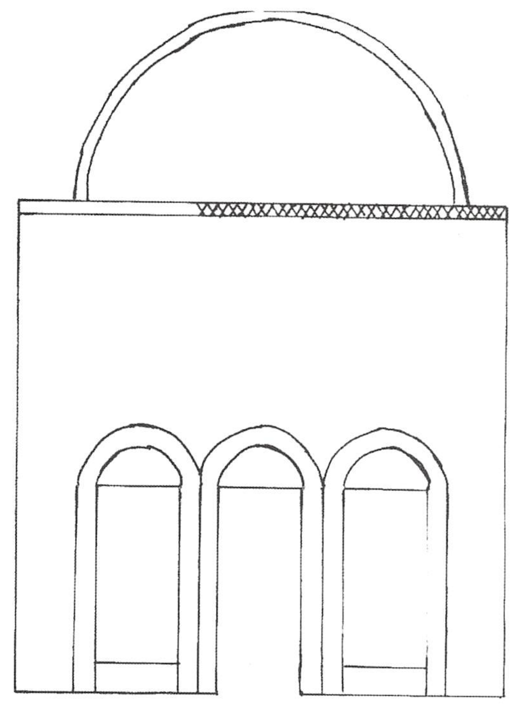
اللوحة ٢٥. توضح شكل شاهد قبر الأمير عز الدين بضريحه بالجامع.



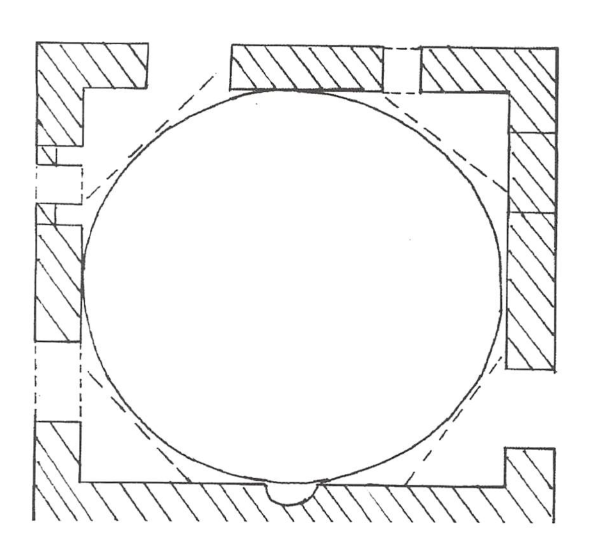
اللوحة ٢٦. توضح شكل مئذنة المنصور عبد الله بن حمزة بالجامع. تصوير الباحث



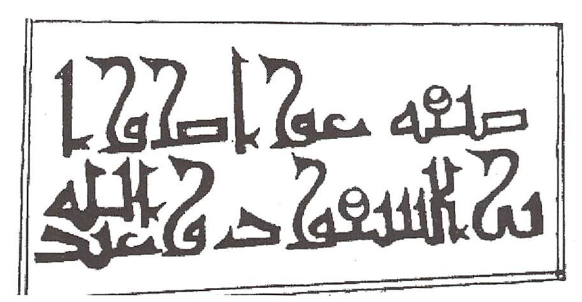
الشكل ١. يوضح تخطيط الجامع عن فنستر.



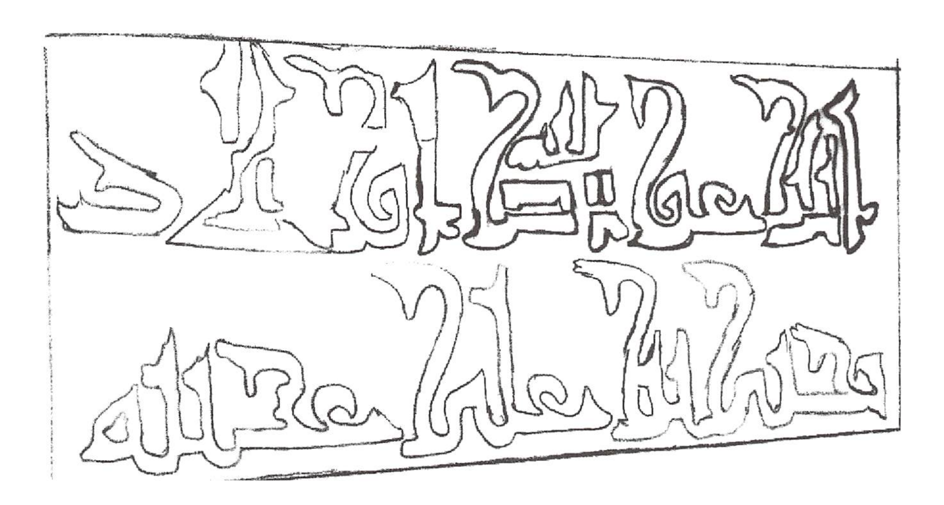
الشكل ٣. يوضح المسقط الرأسى لضريح المنصور.
عمل الباحث



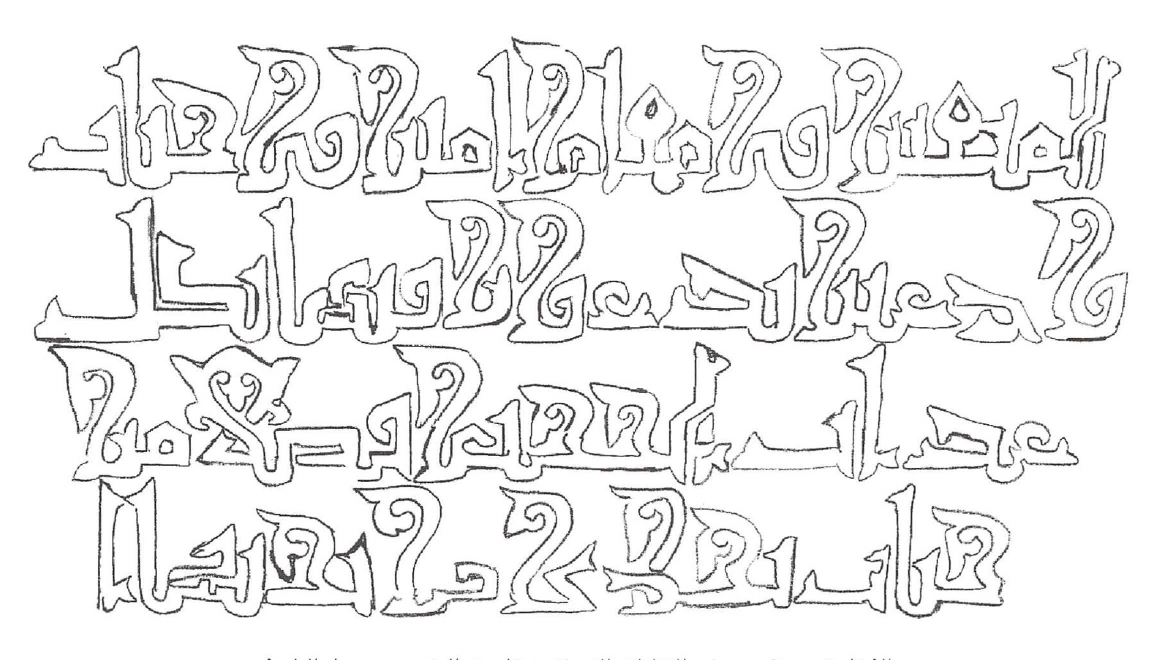
الشكل ٢. مسقط أفقى لضريح المنصور بالجامع.
عمل الباحث نقلا عن فنستر



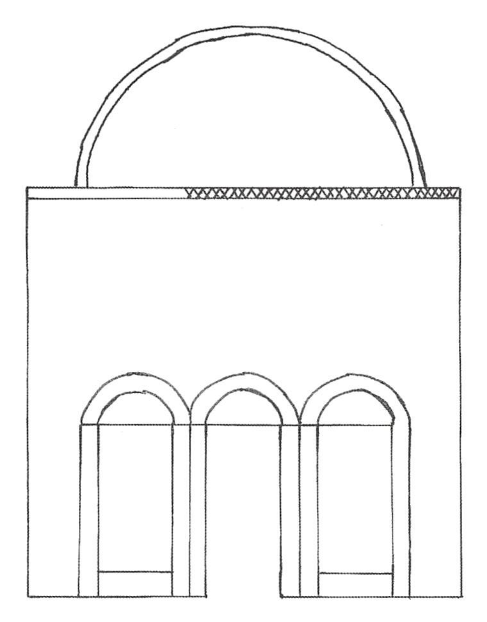
الشكل ٤. يوضح جزء من توقيع صانع تابوت المنصور عن خليفة.



الشكل ٥. يوضح بقية توقيع صانع تابوت المنصور. عمل الباحث



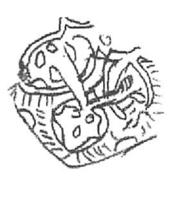
الشكل ٦. يوضح بعض الكتابات التى تزين تابوت المنصور. عمل الباحث



الشكل ٧. مسقط رأسى لضريح الأمير عز الدين بالجامع. عمل الباحث



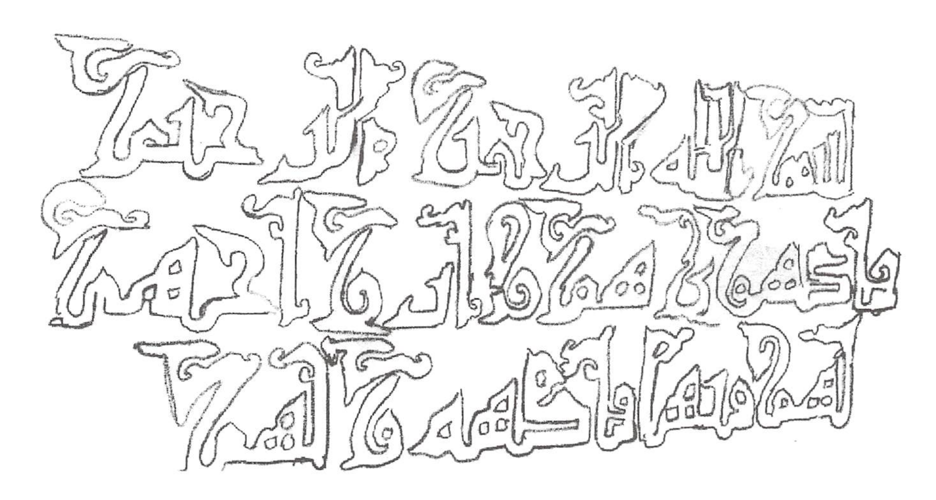
الشكل ٨. يوضح الزخارف التى تزين حنايا ضريح الأمير عز الدين بالجامع. عمل الباحث



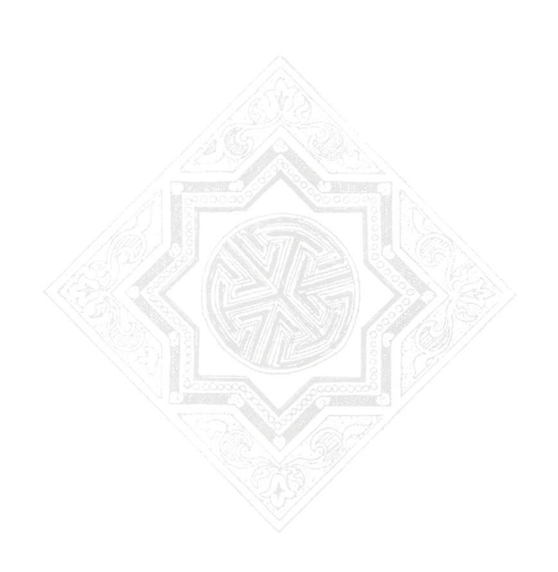


الشكل ٩. يوضح زخارف الدروع فى كوشات حنايا ضريح الأمير عمل الباحث.





الشكل ١٠. يوضح الكتابات التى تزين تابوت الأمير عز الدين.



أهمية العمائر السكنية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة والعوامل المؤثرة فى تصميمها

غزوان ياغى

تعتبر العمائر السكنية من الضرورات التى لا تقوم الحواضر إلا بها، ولا يكتمل عمران المدن إلا بانتشارها، فهى أبرز معالم الاستقرار، ونواة المدن، حتى إنها صارت معيارًا يعكس مراحل نمو المدن ومستوى التحضر الذى وصلت إليه، حيث يمثل المسكن تراكما يعكس تطور المدينة ضمن إطارها الجغرافى والتاريخى والسياسى والاقتصادى، فالمدينة تمثل (النتيجة لتفاعل عوامل اجتماعية - اقتصادية - تقنية، ضمن إطارها الإقليمى ومسارها التاريخى، وتمثل الوظيفة العنصر الأساسى فى تشكيل المدينة، ويأتى السكن فى مقدمة وظائف المدينة مقاسا بأهميته الاجتماعية والروحية والاقتصادية والمعمارية).[1]

وعليه فقد كان المسكن وتأمينه وتحسينه هدفًا عامًّا اشتركت فى السعى إليه كافة طبقات المجتمع، الغنية منها والفقيرة، عبر الزمن، فقد كانت - وما زالت - المساكن تشكل نسبة لا تقل عن ٥٠٪ من مجموع العمائر الموجودة بالمدينة،[2] ومن هنا تبرز أهميتها فى التشكيل الحضرى للمدن فى فترات نموها المختلفة.

وقد اعتبر الإسلام المسكن أحد الضرورات الرئيسية والأساسية للإنسان المسلم، وجعل المسكن من مقومات الحياة ومفردات مستوى المعيشة، مثله مثل الكساء والغذاء، وجعله نعمة من الله على عباده، حيث قال تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.[3]

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: (ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال: بيتًا يسكنه وثوبًا يوارى عورته، وجلف الخبز، والماء).[4]

وإذا كان الإسلام منهجًا كاملًا للحياة، فإن العمارة تختص بالمكان الذى تمارس فيه هذه المنهجية بحيث تتحقق فيها الحياة الطيبة والاستقرار النفسى، ولذلك فهى جزء من حيز هذه الشمولية العامة لهذا الدين الحنيف..[5] فإذا كانت العمارة هى سجل للحياة، فالمسكن هو الحيز الأكثر تعبيرا فى هذا السجل.[6]

وقد جاء المسكن الإسلامى معبرًا عن الشخصية المسلمة ومرتبطًا بجملة العوامل والمؤثرات الفقهية التى شرعت بدقة العلاقة بين أفراد الأسرة المسلمة، والعلاقة بين هذه الأسرة والمجتمع المحيط بها، فكان لدعوة الإسلام إلى الستر والفصل بين الرجال والنساء أثره الكبير على الشكل المعمارى للمسكن الإسلامى، والذى جاءت واجهاته الخارجية مقفلة، قليلة الفتحات، مثل الحجاب الذى يحجب داخل المسكن، وجعل المدخل المؤدى إليه منكسرًا، وخصص فيه للزوار أماكن استقبال خاصة جعل الوصول إليها سهلاً ومباشرًا من أقرب نقطة للمدخل الخارجى، بوقت جعل للنساء فيه أيضا أماكن خاصة بعيدة عن أماكن الاستقبال، وتطل جُلُّ فتحاتها على الفناء.

وقد عكست العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة من العصر المملوكى كل هذه المعانى (الشكل ١)؛ فقد تميز المجتمع القاهرى فى العصر المملوكى بانقسامه إلى طبقات عديدة، على رأسها الطبقة العليا التى تشمل السلاطين والأمراء، وغالبيتهم من المماليك الذين (كانوا الطبقة العسكرية الممتازة التى سيطرت على البلاد وأهلها، ولهم فى أصلهم



ونشأتهم وطريقة تربيتهم وأسلوبهم الخاص فى الحياة وعدم اختلاطهم بأهالى البلاد سياج يحيط بهم، ويجعل منهم طبقة ذات خصائص تعزلها عن المحيط الذى تعيش وسطه).[٧]

وتلى هذه الطبقة طبقة وسطى تتألف من كبار الموظفين وكبار التجار، حيث عاش (المعممون أو أرباب الأقلام)[٨] فى سعة وبسطة فى الحياة نتيجة لما أغدقه عليهم السلاطين وكبار الأمراء من رواتب وعطايا لضمان دعمهم ومساندتهم فى إرضاء الشعب والسيطرة عليه، كما كان للأوقاف التى وقفت على المؤسسات العلمية والدينية كالمدارس والمساجد والخانقاوات دور فى زيادة ثروات هؤلاء.

وفى نفس الوقت، تمتع التجار فى هذا العصر بثروات كبيرة نتيجة للدور التجارى الكبير الذى أدته مصر فى هذا العصر فى تجارة الشرق والغرب، وكانت هذه الثروة التى امتلكوها سببا فى ميل السلاطين وكبار الأمراء إليهم ومحاولة التقرب منهم؛ رغبة فى جعلهم عونًا لهم ومصدرًا للمال فى ساعات الحرج والشدة.[٩]

وتلى هؤلاء فى مجتمع القاهرة المملوكى طبقة ثالثة سفلى تكونت من عدة طبقات شعبية شملت (مختلف الشرائح من أهل الحرف والصنائع وصغار التجار والباعة والسوقة والسقائين والمكاريين والمشاعلية، حتى نصل إلى أدنى شريحة من شرائح الطبقة الشعبية ممن لا عمل لهم من العاطلين نحو الشطار والعيارين والحرافيش).[١٠]

وقد سكنت طبقات المجتمع المملوكى فى مساكن تناسبت فى مواقعها ومساحاتها وتصميماتها مع الإمكانيات الاقتصادية لكل منها، فسكن الأمراء طوال العصر المملوكى فى قصور قريبة من مقر الحكم فى القلعة التى تركزت حولها قصور أشهر أمراء هذا العصر، مثل قصر ألناق،[١١] وقصر قوصون،[١٢] وقصرى يلبغا اليحياوى والطنبغا الماردانى،[١٣] وقصر بكتمر الساقى،[١٤] وقصر أراغون الكاملى،[١٥] وقصر طاز،[١٦] وقصر صرغتمش،[١٧] وقصر منجك،[١٨] وغيرها كثير.

وقصورهم هذه - إضافة لمواقعها المميزة على الشوارع الرئيسية، التى من أهمها الشوارع المتفرعة من ميدان القلعة، مثل شارع باب الوزير وسوق السلاح والصليبية، إضافة للشارع الرئيسى للقاهرة الفاطمية 'المعز لدين الله الفاطمى' الذى احتفظ بأهميته طوال العصر المملوكى كمكان للمنشآت السلطانية والأميرية الهامة، وحول البرك الهامة والتى أهمها بركة الفيل[١٩] (الشكل ٢) - فقد كانت مبنية على مساحات ضخمة تتوسطها أفنية واسعة،[٢٠] كما جاء تصميمها الداخلى متكاملاً ملبيًا لكل المتطلبات، مشتملاً على كل عناصر المسكن الإسلامى من أماكن استقبال، وأماكن الأسرة، والحياة الخاصة، وأماكن الخدمات.

أما طبقة التجار فجاءت مساكنها عبارة عن منازل أقل بدرجات من قصور طبقة الأمراء، سواء فى مواقعها أو مساحاتها أو تصميماتها وتكامل عناصرها، وقد توزعت فى الشوارع الأقل من حيث الأهمية السياسية والاجتماعية وحول الخلجان والبرك[٢١] (الشكل ٣).

أما الطبقات الشعبية، فقد سكن أفضلها فى مساكن صغيرة تمتلكها أو تستأجرها، على حين سكنت أغلبية هذه الطبقات فى عمائر سكنية عامة متعددة الوحدات أطلق عليها اسم الأرباع[٢٢] والوكالات،[٢٣] فقد تحولت الوحدات السكنية الموجودة بالطوابق العليا للرباع والوكالات إلى وحدات سكن دائم للأسر من أبناء الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى، فيذكر المقريزى مثلاً أن وكالة قوصون القريبة من جامع الحاكم كانت تشتمل على ٣٦٠ بيتًا، ويعيش بها نحو ٤٠٠٠ نفس،[٢٤] وقد عنى السلاطين وكبار الأمراء بإنشائها وتأجيرها بهدف الكسب والربح (الشكل ٤).

ومن الواضح أن طبقة الأمراء كانت دائما تقلد السلطان فى كل مظاهر حياته وفى كل أسلوب يؤديه، وبنفس الوقت كانت الطبقة الوسطى من الأغنياء تعمل على تقليد الأمراء فى مظاهر حياتهم ما أمكنهم ذلك، فكان (المملوك إذا وصل إلى مرتبة الإمارة أصبح سلطانًا صغيرًا، أو على قول القلقشندى 'سلطانًا مختصرًا'، له إسطبل - أى مجموعة من المبانى تشمل مسكنه وبيوت مماليكه وموضع خيوله ومخازن مؤنتها وسروجها - ولكل أمير منهم موظفون من الطشت خاناه[٢٥] والفرش خاناه[٢٦]... وله من أجناده أستادار[٢٧] ورأس نوبة[٢٨] وداوادار[٢٩]... وكأنه سلطان، وأطلق المصطلح المماليكى اسم البيوت الكريمة على بيوت الأمراء، كما أطلق البيوت الشريفة على بيوت السلطان).[٣٠]



ويشير الواقع الأثرى اليوم إلى أن كل الذى وصلنا من العمائر السكنية المملوكية (الشكل ٥) هى مساكن تلك الطبقة العليا التى تمكنت بما تملكه من سلطات وثروات من بناء قصور أو منازل حسنة التصميم والبناء، ومبنية بخامات جيدة استطاعت عناصرها الصمود أمام تقلبات الزمن وعواديه، كما استمر استخدامها من قِبَل سكان لديهم وسائل وإمكانيات صيانتها وإصلاحها فى وقت لم يكتب لمساكن الطبقات المتوسطة والشعبية البقاء (لأنها مبنية بمواد أقل جودة، وبعناية أقل لا تدوم لأكثر من جيل أو جيلين، وبالتالى فإنها تتجدد على الدوام).[٣١]

ولكن يشار إلى أن الأصول التى أقيم عليها التصميم للوحدات السكنية فى القاهرة الوسطى متطابقة جوهريا بالنسبة للوحدات الكبيرة والصغيرة للأغنياء والفقراء، والاختلافات كانت تنحصر فى الزخرفة ومقياس الرسم.[٣٢]

وإذا كانت أغلب العمائر السكنية الفاطمية والأيوبية لم تصل إلينا لأنها بنيت فى مناطق تعرضت فى العصر المملوكى للكثير من الإحلال والإبدال والتغيير، فإن هذا لا يعنى بأى حال أن كل عمائر الطبقة العليا الغنية بمدينة القاهرة من العصر المملوكى قد وصلت إلينا اليوم؛ فرغم متانة هذه العمائر، فإن يد الزمان كانت أقوى فى الإتلاف، فقضت على الكثير من تلك القصور والمنازل، كما تعرض ما بقى من هذه العمائر، فى العصر الحديث لجملة من المؤثرات السلبية التى أضاعت الكثير منها بشكل نهائى، وأفقدت البعض الآخر الباقى الكثير من عناصرها وزخارفها، ولخص أندريه ريمون هذه المؤثرات بعاملين، هما:

١ - تحديث المدن الذى أدى إلى دمار المناطق القديمة، ففى القاهرة اختفى كل النصف الغربى للمدينة التاريخية بسبب عمليات التعمير التى تمت خلال القرن التاسع عشر.

٢ - إصابة المراكز العمرانية القديمة الباقية بنكبات بسبب التغيرات الاجتماعية - الاقتصادية التى أدت إلى إحلال سكان أقل غناء أو أفقر مكانَ سكان أغنياء.[٣٣]

وقد كان برأيى للخلل الكبير الذى حصل بنظام الأوقاف دور هام فى زيادة تدهور هذه العمائر السكنية التى من البديهى القول إنها بطبيعتها عمائر تتعرض للكثير من التغيير والتبديل الذى يرتبط أحيانا كثيرة بأذواق وأمزجة ساكنيها الذين كان لتبدلهم الكثير والمستمر، خاصة فى تلك القصور والمنازل المملوكية التى يرجع تأسيس أحدثها لأكثر من خمسة قرون ونيف، أثر فى إضعاف هذه العمائر، التى وإن كانت العناية بها غير منقطعة، فإنها كانت فى الواقع من حيث النوعية أقل بكثير من العناية التى لاقتها المنشآت الدينية التى كانت أصلا أقل عرضة للتخريب والإهمال والتبديل بسبب ما لها من قدسية ومكانة روحية.

وهكذا فإن القصور والمنازل الباقية من العصر المملوكى تشكل بمدينة القاهرة الأمثلة الأفضل للدراسة؛ لأنها النماذج الوحيدة التى كتب لها الاستمرار لحسن تخطيطها، وجودة مواد بنائها، وأهمية موقعها، فكانت خير العمائر السكنية التى تحدت الزمن والظروف، ووصلت إلينا نماذج جيدة صالحة للدراسة، تفيض بالمعلومات الأثرية والفنية والتاريخية، وقد أجرينا دراستنا الوصفية على تسعة قصور باقية من ذلك العصر (الشكل ٦)، تمكنا بالدراسة الدقيقة التاريخية والأثرية لهذه القصور - باعتبارها أمثلة جيدة عن مجمل العمارة المملوكية - من التوصل لتحديد دقيق لأهمية هذه القصور والمنازل ودورها ووظائفها ومميزاتها وأسس تصميمها.

ويلاحظ أن قصور ومنازل العصر المملوكى البحرى تميزت بمساحاتها الواسعة والميل الشديد للمبالغة فى الأحجام والارتفاعات، فشاعت بها جميعا ضخامة غير مسبوقة أو متبوعة بالعناصر المكونة لها، ويظهر ذلك واضحا فى القصور الباقية من هذا العصر: قصر ألناق، قصر بشتاك،[٣٤] قصر قوصون، قصر منجك، قصر طاز، ولا يخفى ذلك فى الواجهات الخارجية لهذه القصور، وفى مداخلها التى تعبر تفاصيلها وخطوطها العرضية ومساحات سطوحها المختلفة عن المتانة والقوة والمنعة والاطمئنان، وتدلل على الرسوخ والثبات، والقدرة العالية للتغلب على الهجمات والتعديات.

وقد ظهرت هذه الفخامة أيضا بشكل واضح فى القاعات الرئيسية لهذه القصور التى لا تختفى فى تفاصيلها رغبة إظهار العظمة والإرادة القوية لبناتها من كبار الأمراء الذين كانوا ينافسون السلطان بقوتهم ويتباهون بإظهار رفعتهم وعلو مكانتهم، خاصة أمام منافسيهم من الأمراء

الآخرين، وكل هذا انعكس فى سعيهم الدائم لإظهار أبهة مساكنهم فى كبر مساحاتها وضخامة عناصرها وكثرة زخارفها.

وقد ساعدهم على ذلك تلك الثروات الطائلة التى تجمعت لمصر أيام الدولة المملوكية، هذه الثروات التى تجمعت بأيديهم واختصوا أنفسهم بجزء كبير منها، وصرفوها فى تحقيق سلطتهم، وإظهار عظمتهم، وكان لذلك أثر بعيد فى تطور أنواع كثيرة من الفنون، أهمها العمارة التى كان لتنافس الأمراء وتسابقهم فى إقامة المنشآت الدينية والمدنية دور كبير فى بلوغها درجة عالية من النضج والإتقان، ويظهر ذلك بشدة فى عمارة القصور والمنازل الباقية من هذا العصر، ولا ننسى التذكير بأنه كان لكثرة الاضطرابات داخل الدولة المملوكية منذ قيامها أبعد الأثر بدفع الأمراء المماليك للعناية الزائدة بتقوية قصورهم وزيادة منعتها لتصمد فى وجه المهاجمين، حتى إن بعضها كان يزود ببعض عناصر العمارة الدفاعية، مثل البرج الذى ما زال يتقدم المدخل الرئيسى الأصلى لقصر بشتاك، والذى كان يتألف من طابقين ومزودًا بفتحات مزاغل ومراقبة، وكذلك فتحة المزغل التى ما زالت موجودة قرب باب سر 'المدخل الفرعى' قصر الأمير طاز.

وعموما، فإن هذا الطراز المعمارى الذى يعتمد على المبالغة فى الأحجام والارتفاعات ساد كل عمارة قصور ومنازل العصر البحرى، واستمر حتى بدايات العصر الجركسى، حيث بدأ منذ أوائل القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى يتطور بشكل بطىء ليصبح أكثر رشاقة، ويبتعد شيئًا فشيئًا عن طابع المبالغة والصرامة والقوة.

ونلاحظ بالمقابل أن أغلب العمائر السكنية المتخلفة من هذه الفترة بنيت بأماكن بعيدة نسبيا عن القلعة، حيث أقيمت فى الشوارع الجديدة التى ازدهرت فى العصر المملوكى الجركسى، وفى مكان أقرب ما يكون لمناطق الازدهار التجارى فى شمال وغرب القاهرة القديمة، هذا الازدهار الذى شهدته القاهرة فى القرن ٩هـ/ ١٥م، وهذه المناطق التى صارت أماكن جذب عمرانى انتقلت إليها بعض أهمية الشوارع القديمة التى تركزت حول القلعة، والتى كانت قد بنى بها أهم عمائر العصر البحرى. ومن أهم هذه العمائر السكنية الباقية التى تعبر عن هذا الاتجاه العمرانى والمعمارى الجديد، منزل قايتباى بالمغربلين[٣٥] ومنزله الآخر بالتبانة،[٣٦] وربما كان للاتجاه إلى البناء بالحجر النحيت ذى الأحجام المتوسطة فى العصر الجركسى، والتخلى عن الحجر الكبير العجالى[٣٧] الذى بنيت به العديد من القصور البحرية، دور فى ميل عمائر هذا العصر الجركسى للرشاقة والتناسب، أكثر من الميل للمبالغة والقوة اللتيْن اتسمت بهما عمارة العصر السابق كما بينا سالفًا.

ولا شك أن اتساع المساحة المتاحة لقصور العصر المملوكى البحرى كان لكون هذه القصور بمثابة عمارات فى مكانها ابتداء، حيث بنيت فى أماكن شبه خالية آن ذاك (يلاحظ مثلا أن قصر طاز بنى على جزء من بستان سيف الإسلام)، مما أعطى لبناتها من الأمراء الأغنياء والطامحين حرية كبيرة فى وضع التصاميم التى يرغبون بها لقصورهم، فجاءت متسعة تتناسب رحابتها وأحجام عناصرها بدقة مع المكانة العالية لصاحبها، وقد كان لهذا أثر كبير فى الميل الذى لاحظناه بهذه المساكن لإظهار العظمة والفخامة.

وبنفس الوقت، فإن قلة هذه المساحة المتاحة قد دفعت المساكن المملوكية الجركسية لتكون أقل فى الاتساع، ومالت بالتالى عناصرها للصغر والرشاقة، فيلاحظ مثلا الانحراف والميل الشديد لخطوط الواجهات الخارجية لمنزلى قايتباى بالمغربلين والتبانة، مما يعكس مساحة متاحة محدودة غير منتظمة قَبِلَ بها السلطان قايتباى لعدم توفر غيرها وسط الشوارع المكتظة، وبالتأكيد لم يكن ممكنًا أن تتوفر مثل هذه المساحة - رغم عدم انتظامها - لغيره آن ذاك، ونلاحظ أن كلا المنزلين الباقيين لهذا السلطان لم يكونا عمائر ابتداء، بل بنى كل منهما على أساس منزل قديم آل للسلطان قايتباى عن طريق الشراء الشرعى، كما تُظهر وثائقه، ثم قام هو بتجديد عمارة كل من المنزلين دون أن يزيل كل الأجزاء القديمة التى كانت قائمة عند شرائه لهما.

فلم تعد رغبة المنشئين وإمكانياتهم المادية وتوفر المهندسين الأكفاء كافية وحدها - كما رأينا فى العصر البحرى - لبناء العمائر، بل تحكمت بذلك جملة عوامل، أهمها كما رأينا الموقع والمساحة المتاحة،[٣٨] فلم يستطع سلطان جركسى كبير مثل قايتباى الحصول على أكثر من نصف المساحة التى حصل عليها أمير من العصر البحرى مثل طاز.[٣٩]

وبناء على ذلك، لا نستطيع إغفال حقيقة كون أغلب القصور البحرية كانت عمارات ابتداء فى أماكنها، وخاصة تلك التى بنيت خارج أسوار القاهرة، ولهذا كانت ذات دور محسوس فى تطوير الخطط والدروب حولها، ولا سيما أن العديد من هذه القصور كان يحوى العديد من المحلات التجارية بواجهته الرئيسية، مما جعلها مكان جذب للنشاط التجارى والحرفى، ولكن الغالب على الظن أن هذه القصور بحكم كونها قصورًا خاصة لم تحقق هذا التأثير فى دفع التطور العمرانى والمعمارى حولها إلا عبر سنوات طويلة، ساعدها فيه ثبات عمارتها واستمرار مكانتها وتأثيرها كأماكن لسكن أكابر الأمراء القادرين على تأمين وحماية من يستجيرون بهم، وخاصة من الساكنين حول قصورهم، ولاشك أن الكثير من الأمراء الصغار كانوا يرغبون فى البناء والسكن حول قصور أسيادهم أيضًا.

وقد تبين لى من خلال دراسة تاريخ عمارة القصور والمنازل المملوكية، وخاصة الأمثلة الباقية موضوع الدراسة الوصفية بهذه الرسالة، أنه بالرغم من اتخاذ هذه القصور والمنازل جميعًا كمكان للسكن فيها؛ فإن بعض هذه القصور قد خصص لسكن أصحاب وظائف محددة؛ فكانت بمثابة قصور وظيفية، فى حين ظلت باقى القصور كمقارّ لأصحابها؛ أى عبارة عن قصور خاصة، كما أشارت المصادر لقيام السلاطين والأمراء ببناء بعض المنازل وتخصيصها للإيجار والانتفاع؛ وبناءً عليه يمكننا تقسيم القصور والمنازل المملوكية من حيث استخدامها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً- قصور الوظائف

فقد آلت هذه القصور مع الزمن لتصبح قصورًا حكومية؛ أى لا تخص أميرًا معينًا، بل خُصص كل منها لإقامة الأمراء الذين يتولون وظيفة محددة، حيث يتحول الأمير للإقامة بها بمجرد حصوله على وظيفته هذه، فمثلا: خُصص قصر قوصون بعد وفاة بانيه ليكون مكان سكن ومقرًا لمن يتولى منصب أتابك العسكر.[٤٠] ومن أشهر من شغل هذه الوظيفة وسكن بهذا القصر بعد قوصون: الأمير شيخون العمرى، ثم بالتعاقب سكن به الأمير إينال الأجرود الذى لم يلبث أن أصبح سلطانا (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، ثم الأمير خوشقدم الأحمدى الذى أعلن سلطانا أيضا سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)، وسكنه الأمير يشبك من مهدى بعد حصوله على منصب الأتابكية سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، وخلفه بعد خمس سنوات الأمير آقبردى وظل به حتى وفاته سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م).

أما قصر منجك السلاح دار، فقد صار بعد وفاة منشئه من قصور الوظائف أيضًا، وخُصص لسكن من يحصل على وظيفة الدوادارية الكبرى،[٤١] وأحيانا سكن به بعض من يشغل وظيفة الأتابكية، فمثلا: سكن به الأمير يشبك الشعبانى، وكان أتابكًا للعسكر زمن السلطنة الثانية للناصر فرج (٨٠٩-٨١٥هـ/ ١٤٠٦-١٤١٢م)، والذى قُتل سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) ليخلفه الأمير تغرى بردى اليشبغاوى فى منصب الأتابكية والسكن بهذا القصر، كما سكن به الأمير تمربغا الظاهرى الذى لم يلبث أن صار سلطانا سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٩٨م)، كما سكن به الأمير يشبك من مهدى طوال بقائه فى منصب الدوادارية الكبرى من سنة (٨٧٢-٨٨٠هـ/ ١٤٦٧-١٤٧٥م)، ولم ينتقل منه حتى حصوله سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) على منصب الأتابكية، فانتقل عندئذ للإقامة بقصر قوصون كما ذكرنا سابقًا، كما سكنه الأمير تمراز الشمسى الذى نال الأتابكية سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، وسكنه العادل طومان باى قبل أن يصبح سلطانا (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)، وسكنه الأمير مصرباى الذى عينه الغورى بمنصب الدوادارية الكبرى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م، وسكنه بعد ذلك الأمير قرقماس أمير كبير أتابك العسكر سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وظل به حتى مات سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م).

ويتضح من هذين المثالين السابقين أن هذه القصور قد ظلت قائمة محافظة على وظيفتها كمكان لسكن أصحاب الوظائف طوال العصر المملوكى، وجرت العادة أن يضع كل أمير رنكه على واجهة القصر أو فى مدخله طوال إقامته فيه،[٤٢] ويبدو أنه كان على عاتق الأمير الذى كان يسكن بأحد قصور الوظائف العناية به ومرمته، كما سُمح له بإجراء توسعة فيه وتجديد بعض ملحقاته، وهذا ما فعله كل من الأمير يشبك ثم آقبردى فى قصر قوصون، كما كان الأمير يشبك قد فعل مثل ذلك فى قصر الأمير منجك عندما سكنه.

ولم تقتصر قصور الوظائف فى العصر المملوكى على هذين القصرين، بل وُجدت عدة قصور أخرى قامت بنفس المهام، مثل مناظر الكبش[٤٣] التى اتخذت سكنًا لأصحاب منصب الأتابكية قبل الانتقال منها لقصر قوصون، يؤكد ذلك أن السلطان المنصور صلاح الدين محمد (٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م) عندما سمح للأمير أسندمر - وكان قد قبض عليه - بالعودة لمنصب الأتابكية، اشترط عليه أن يتقاسم هذا المنصب مع الأمير خليل بن قوصون، وعليه أمر بنزولهما معا بمناظر الكبش.[٤٤]

ثانيًا- القصور والمنازل الخاصة

وتشمل كل القصور التى بناها السلاطين والأمراء ليتخذوها مقار لهم ولمماليكهم، أو لتخصيصها لأبنائهم وزوجاتهم، وكان يحق لهم بيع هذه القصور أو تأجيرها أو توريثها أو استبدالها أو وقفها، وقد حرص كل أمير فى العصر المملوكى على أن يكون له قصر كبير يتسع له ولأفراد أسرته وجواريه وعبيده ومماليكه وخيوله، حيث كانت هذه القصور الخاصة مقارّ للسكن والإدارة، حيث يسيّر الأمير شئون إقطاعاته وأملاكه، ويحكم فى مماليكه وعبيده وجواريه وهو جالس بقصره، ويزوره فيه كبار الأمراء، وأحيانا السلطان نفسه، ومنها تدار الفتن والاغتيالات التى اشتهر بها العصر المملوكى. وقد كانت هذه القصور هدفًا مباشرًا لأعداء الأمير للانتقام وتصفية الحسابات، وكان هذا كما أشرنا سببًا هامًا فى عناية هؤلاء الأمراء بتقوية قصورهم وزيادة منعتها لتصمد أمام المهاجمين، حتى صارت بعض هذه القصور شبيهة بالقلاع الصغيرة، وزُود بعضها كما أشرنا بأبراج دائرية ومزاغل للحماية.

وقد كان للعناية الزائدة للمنشئين بقصورهم هذه الخاصة السبب الأهم فى سعى باقى الأمراء إلى السيطرة عليها وسكناها، لذلك نرى أن كل هذه القصور ظلت مكانًا لسكن كبار الأمراء إلى ما بعد نهاية العصر المملوكى، ومن أشهر هذه البيوت الخاصة: قصر الأمير ألناق الحسامى الذى بناه لنفسه سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)، وسكن به بعده الأمير أيتمش البجاسى المتوفى سنة (٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م)، ثم الأمير مقبل الحسامى الدوادار، ثم آل لملكية السلطان برسباى (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) بحدود سنوات (٨٢٠-٨٢٧هـ/ ١٤١٧-١٤٢٣م)، والذى ضمنه فى كتاب وقفه،[٤٥] وسكنه بعد برسباى الأمير خاير بك، ومن بعده الأمير إبراهيم أغا مستحفظان.

أما قصر الأمير طاز، فقد احتفل طاز بانتهاء عمارته سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، ونزل السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١-١٣٥٤م) لقصر طاز ليهنئه بقصره الجديد وقد احتفل بهذه المناسبة، وفى هذا دلالة على مكانة هذه القصور التى تُستمد من مكانة أصحابها أو ساكنيها. ومنها أيضًا قصر الأمير بشتاك، وقصر ماماى،[٤٦] وقصر الغورى[٤٧]، ومنزلا السلطان قايتباى فى المغربلين والتبانة.. وغيرها كثير.

وعموما، فقد لعبت هذه القصور بما كان لأصحابها أو ساكنيها من أدوار هامة فى مجريات التاريخ المحلى للمناطق التى بنيت بها، خاصة تلك القصور القريبة من القلعة، فكان العديد منها مسرحًا لأحداث هامة تعرضت فيها هذه القصور للنهب والإحراق مرات عديدة، وقد نُصِّبَ بعض الأمراء سلاطين وهم جالسين بهذه القصور، مثل الأمير خوشقدم أمير سلاح الذى نصب عام (٨٥٩هـ/ ١٣٥٧م) سلطانًا وهو جالس بمقعد قصر قوصون.

ثالثًا - المنازل التى أقيمت بغرض الإيجار

وهى عبارة عن قصور أو منازل أقامها بعض السلاطين أو الأمراء وغيرهم لتأجيرها لبعض الأمراء أو كبار التجار، وخاصة الغرباء منهم عن القاهرة، حيث كان يؤخذ ريع هذه المنازل ويُصرف مع جملة المصاريف التى حددها هؤلاء السلاطين والأمراء على أوقافهم، وقد ذكرت الوثائق العديد من هذه المساكن، فمن ذلك جميع العمائر السكنية الوارد ذكرها فى الوقف الأول للسلطان قايتباى،[٤٨] ومنها المنزل المكون من قاعتين كبرى وصغرى كاملتى التجهيز والملحقات الذى كان يقع بشارع الصليبة ملاصقًا لمدرسة قانى باى[٤٩] التى ما زالت قائمة، وكذلك المنزل المشتمل على عدة أروقة وثلاثة طباقات وإسطبل كبير مقام ١٢ رأس خيل وعدة حواصل، والذى كان قائمًا بدرب ابن البابا،[٥٠] وهذه إضافة لمنازل وأماكن سكنية عديدة ذكرتها الوثيقة بهذا الوقف وفى أماكن عديدة من القاهرة، وقد ورد فى آخر هذا الوقف أن السلطان قايتباى



قد (شرط أن يضم ربع ذلك - أى جميع المنازل التى ذكرت بالوقف - بعضه إلى بعض، ويبدأ من ريعه بعمارته وعمارة جميع ما شمله الوقف المسطر أعلاه).[٥١]

ويمكننا ضم هذه المنازل مع تلك الوحدات السكنية الأخرى التى أقامها السلاطين والأمراء كأماكن للسكن العام بغرض الكسب والانتفاع.

وإضافة للعوامل المؤثرة والمتغيرة التى ذكرناها من تأثير المساحة المتاحة وإمكانيات المنشئين ومتطلباتهم وأذواقهم، هذه العوامل التى أثرت على الشكل العام للمسكن من حيث مساحته وضخامة عناصره ونوعية الفراغات الموجودة فيه، ولاحظنا اختلاف تأثير هذه العوامل بحسب الاتجاهات والظروف السياسية والعمرانية والفنية التى كانت سائدة بكل من دولتى العصر المملوكى، فقد خضعت جميع العمائر السكنية المملوكية فى تصميماتها لجملة من العوامل المؤثرة المشتركة التى طُبقت على المجتمع القاهرى آن ذاك، فأثرت جوهريًا على تخطيطات هذه المساكن، وحددت الشكل النهائى لمساقطها الأفقية فى جميع طوابقها (الشكل ٦)، كما حددت أقسام هذه المساكن، ووظائف هذه الأقسام، بل أثرت حتى فى مواد وأسلوب إنشاء هذه المساكن. ومن أبرز هذه العوامل المؤثرة:

أولاً – العوامل الدينية

قلنا سابقا إن المسكن الإسلامى جاء معبرًا عن الشخصية المسلمة المرتبطة فى حياتها اليومية بجملة من القيم الإسلامية وبالعديد من الأوامر والنواهى الفقهية التى نظمت علاقة الفرد والأسرة بالمجتمع المحيط، (فإن تحديد الإسلام للسلوك حدد أسسًا تصميمية وأوجد عناصر معمارية ذات وظائف متعددة لبناء احتياجات المسكن المسلم، أعطت صورة متغيرة متنوعة فى الشكل والتشكيل)،[٥٢] فكان تحقيق الخصوصية والستر أول ما روعى عند تصميم المسكن الإسلامى، وروعى ذلك بقوة عند تصميم المسقط الأفقى لجميع العمائر السكنية، فجاء هذا التصميم محتجبًا عن الخارج بواجهات قليلة الفتحات بمستوى الدور الأرضى، ومنفتحًا على الداخل حول فناء واسع مكشوف، وجعل الدخول لهذه المساكن عن طريق مداخل منكسرة، يقع الرئيسى منها بالواجهة الرئيسية، ومُيز بجعله مدخلاً تذكاريًا، ويظهر ذلك جليًا فى جميع أمثلة الدراسة الوصفية لهذه الرسالة، كما زودت بعض المساكن بأبواب فرعية (أبواب سر) تفتح على الحارات والدروب الفرعية، كما فى قصر طاز الذى يفتح باب سره على حارة الشيخ خليل (درب الميضا).

وقد كان لهذا الاتجاه نحو الداخل فى تصميم المسكن الإسلامى أثر مباشر فى إيجاد عنصر الفناء الداخلى الذى أدى العديد من الوظائف، فحوله كانت تنتظم عناصر المسكن بطوابقه التى وزعت فيها العناصر بأماكن تناسبت مع وظيفتها، فاشتمل الطابق الأرضى – إضافة للمداخل المنكسرة – على العديد من أماكن الخدمات، مثل الإسطبل والحمام والساقية والمطبخ والعديد من المخازن والحواصل، وأحيانًا ظهر بهذا الطابق فى العصر المملوكى البحرى – إضافة لذلك – قاعة أرضية صغيرة مغلقة الفتحات غطيت بعقود حجرية كما فى قصر الأمير طاز، ثم تحولت هذه القاعة فى العصر الجركسى إلى قاعة استقبال ضخمة 'مَنْظَرَة' ارتفعت بمستوى الطابق الأول والثانى وخصصت للاستقبال، كما فى منزل السلطان قايتباى بالمغربلين، وقد حددت العناصر الفراغية بهذا الطابق أسباب عديدة أهمها، عدم صلاحية أجزاء هذا الطابق لغرض السكن المريح لانعدام إمكانية فتح نوافذ واسعة فى جدرانه الخارجية، مما يقلل نسبة الهواء والضوء الداخليْن إليها.

أما الطابق الأول فقد احتوى على أماكن الاستقبال، وأهمها المقعد والقاعة الرئيسية كما فى قصر طاز، وقد عنى بأماكن الاستقبال هذه تمشيا مع الأوامر الدينية الداعية لحسن استقبال الضيوف وإكرام وفادتهم بالقدر الذى لا يخل بأخلاق المسلم ولا يقلل من ضرورات الستر والخصوصية التى دعا إليها الإسلام، فجاءت هذه الأماكن واسعة، ترتفع أسقفها بارتفاع الطابق الأول والثانى، وجهزت من الداخل بشكل يحقق الراحة للزائرين، كما زودت بملحقات ومرافق لخدمتهم، وبنفس الوقت جُعل الوصول إليها سهلاً ميسورًا ومباشرًا من أقرب نقطة من المدخل الرئيسى للمسكن، وعن طريق مداخل وسلالم خاصة تؤدى إليها، كما احتوى الطابق الأول أيضا على العديد من الغرف والمبيتات والدهاليز والممرات والسلالم.

وكان لفرض الإسلام الاحتجاب على النساء أثره المباشر بأن جُعلت لهن أماكن خاصة يمكن تسميتها بأماكن الأسرة والحياة العائلية، وجاءت هذه الأماكن غالبًا بمستوى الطابق الثانى للمسكن،[٥٣] وتكونت من عدد من القاعات الصغيرة والأروقة والغرف والمبيتات، وزودت بملحقات ومرافق لازمة للحياة اليومية للأسرة، وقد جُعل الوصول إلى هذه الأماكن أيضًا عن طريق سلالم وممرات خاصة بعيدة عن أماكن الاستقبال، كل هذا دون أن يؤدى ذلك إلى الحجْر على النساء داخل خدورهن، بل عمل المعمار على إيجاد نظام اتصال حركى بين أجزاء المسكن، عن طريق عمل ممرات بديلة متوارية تسمح للنساء بالتنقل بين أجزاء وطوابق المسكن دون الاضطرار للمرور من الفناء أو أماكن الاستقبال عند وجود الضيوف، كما عمل بنفس الوقت على إيجاد اتصال بصرى بين أماكن الاستقبال وباقى أجزاء المسكن، وذلك عن طريق المشربيات التى تُفتح على الفناء الداخلى، فتسمح للنساء بمراقبة ما يجرى بالمقعد دون أن تراهن عيون الضيوف، ومن خلال مقاعد الأغانى التى تسمح لهن بمتابعة ما يجرى بقاعات الاستقبال أيضا دون أن يلاحَظن.

كما أثرت هذه العوامل الدينية فى تحديد شروط معينة لارتفاعات هذه المساكن، وحددت علاقة هذه المساكن بعضها ببعض، وخصوصا فيما يتعلق بمطلاتها وأبوابها (ظاهرة تنكيب الأبواب، وخاصة فى الشوارع الضيقة)، وكل ذلك لتمنع الكشف وتحقق مبدأ الخصوصية والستر. وقد فاضت كتب الحسبة بالضوابط والشروط لتحقيق ذلك.[٥٤]

ثانيًا - العوامل المناخية

لقد أثرت هذه العوامل بشدة فى المسقط الأفقى للمسكن الإسلامى القاهرى، حيث روعى بدقة عند تصميم المسقط توجيه كامل المبنى ليكون اتجاه المحور الرئيسى للفناء الداخلى نحو الشمال أو الشمال الغربى 'الاتجاه البحرى' بالشكل الذى يسمح للمبنى بتلقى الرياح الباردة اللطيفة التى تهب على القاهرة من هذا الاتجاه، وفى نفس الوقت يوجه أحد الأضلاع القصيرة للفناء - الضلع الجنوبى أو الجنوبى الغربى - للاتجاه البحرى، حيث يبنى به أحد أنواع المقاعد ذات الواجهة المفتوحة على الفناء[٥٥] التى تعتبر من أهم عناصر المسكن، والتى جاءت استجابة لمتطلبات بيئية ومناخية،[٥٦] والتى ما لبثت أن تحكمت بالشكل النهائى للفناء الداخلى.

ولنفس الغاية، نلاحظ أن المحور الطولى للقاعات المملوكية جاء موازيًا لاتجاه الفناء للزيادة فى تلقيها للنسيم عن طريق الشخشيخة التى تعلو دورقاعاتها، أو عن طريق الملاقف،[٥٧] وبناء عليه نلاحظ تأثير ذلك بأن جاءت كل القاعات الرئيسية عمودية فى مسقطها على الاتجاه الطولى للمقعد، وقد عُمل لنفس الهدف على زيادة الفتحات الداخلية المطلة على الفناء، وجُعلت الجدران الخارجية للمساكن سميكة، حيث استُخدمت فى بنائها مواد طبيعية من البيئة تساعد على العزل الحرارى وتوفر مناخًا داخليًا لطيفًا، كما قللت الفتحات المطلة على الخارج، وعولج الموجود منها بتغطيته بالمشربيات[٥٨] التى قدمت معالجة مناخية رائعة؛ كونها تمنع دخول أشعة الشمس المباشرة إلى الوحدات الموجودة خلفها، فى وقت تسمح فيه بدخول الهواء والضوء وتلقى الظلال، هذا إضافة لوظيفتها السابقة بحجب النساء وتأكيد الفصل بينهن وبين الرجال، وقد عملت كثرة البروزات - التى لجأ إليها المعمار عادة فى الطابق الأول وما بعده - إلى زيادة مسطحات الظل على واجهات المبنى وكسر حدة الشمس عن الجدران الخارجية، كما جاءت الملاقف التى وُجهت بالاتجاه البحرى لتلقى النسيم البارد بمثابة معالجة إضافية للعوامل المناخية التى فرضت نفسها بقوة على المسكن الإسلامى، وخاصة المملوكى، الذى عرف المسكن به قمة التطور الذى وصلت إليه العمارة السكنية الإسلامية، سواء فى التخطيط والتصميم العام، أو فى أنواع العناصر المعمارية والزخرفية وتوزيعها، ووظائف هذه العناصر التى لم يضف العصر العثمانى اللاحق عليها أى شيء يذكر، خلا بعض التغيير فى بعض التفاصيل الزخرفية والحليات المعمارية.

ويلاحظ أن تأثير هذين العاملين - الدينى والمناخى - على الشكل النهائى للمسكن المملوكى كان تأثيرًا مباشرًا مستمرًا، فلم يتغيرا ولم يخضعا مثل غيرهما من العوامل الأخرى التى ذكرناها (الإمكانيات المادية والمساحة المتاحة ورغبة المنشئين وأذواقهم) لأية تأثيرات مستجدة طوال العصر المملوكى بدولتيه البحرية والجركسية، بل



استمر تأثير هذين العاملين حتى نهاية العصر العثمانى، فهما اللذان أنتجا جوهر المسكن الإسلامى ومضمون عمارته المميزة، حيث صارت كل الأصول التى أقيمت عليها جميع العمائر السكنية فى القاهرة المملوكية رغم اختلافها بين قصور خاصة أو وظيفية، أو مساكن الطبقة الوسطى من كبار التجار وغيرهم، أو مساكن العامة من الطبقات السفلى فى السلم الاجتماعى، متطابقة جوهريًا بالنسبة للوحدات الكبيرة والصغيرة، وللأغنياء والفقراء، وصارت الاختلافات بينها بفضل هذه العوامل الدينية والمناخية المشتركة تنحصر فى المساحة المتاحة، ومقياس الرسم والزخرفة، فقد جاءت هذه القصور والمساكن متطابقة مع احتياجات وظروف أصحابها.

الحواشى

١ خالص حسن الأشعب، تطور البيت ودوره فى تشكيل المدينة العربية 'حالة الدراسة بغداد'، مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية (عدد خاص عن تطور المسكن العربى عبر العصور)، العدد ٨، تشرين الثانى 'نوفمبر' (١٩٧٩)، ٨٣-١١١، ٨٥.

٢ بالطبع تختلف هذه النسبة التقريبية من شارع لآخر بحسب طبيعة الشارع ما بين شارع تجارى وآخر سكنى، فمثلاً يشكل الاستخدام السكنى اليوم فى منطقة جامع عمرو نسبة ٤٩,٦٪ من مساحة المنطقة، وفى منطقة الباطنية نسبة ٣٥,٤٪، وفى منطقة السيدة زينب نسبة ٢٦,٨٪، وفى منطقة الخيامية نسبة ٢٢,٨٪، على حين لا تزيد فى منطقة خان الخليلى عن ١,١٪، وفى منطقة جامع الحاكم نسبة ١٢,٤٪، وفى منطقة جامع المؤيد نسبة ١٧,٠٠٪. انظر: مجموعة مؤلفين، أسس التصميم والتخطيط الحضرى فى العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، جدة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية (١٩٩٠)، ٥٣٧-٦١٦.

٣ الآيتان ٨٠-٨١، سورة النحل.

٤ رواه الترمذى فى باب الزهد.

٥ مجدى محمد عبد الرحمن حريرى، أسس تصميم المسكن فى العمارة الإسلامية (د.م، د.ت)، ٢٠.

٦ تمام فاكوش، القيم الاجتماعية وأثرها على تصميم المسكن العربى، مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية، العدد ٨، ٢٣٧-٢٤٧، ٢٣٨.

٧ سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ط١ (القاهرة، ١٩٦٢)، ١١-١٢.

٨ سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصرى، ٢٨.

٩ سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصرى، ٣٤.

١٠ محاسن محمد الوقاد، الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، سلسلة تاريخ المصريين (١٩٩٩)، ٢٤.

١١ قصر الأمير ألناق الحسامى (المعروف بقصر آلين آق)، الأثر رقم ٢٤٩. يقع هذا القصر بشارع باب الوزير على يسرة السالك فيه باتجاه قلعة الجبل، ملاصقًا لمدرسة الأمير خاير بك، ومنشئ هذا الأثر هو الأمير سيف الدين ألناق الساقى السلاح دار، والقصر بحالة جيدة من الحفظ، خاصة بعد الترميمات الجيدة التى نفذتها مؤسسة الأغاخان للخدمات الثقافية، ويؤرخ القصر بـ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م. للاستزادة انظر: غزوان ياغى، العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة من العصر المملوكى (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ٢٠٠٤)، ١٨-٤٥.

١٢ قصر الأمير قوصون، الأثر رقم ٢٦٦، ويقع هذا القصر بالقرب من مدرسة السلطان حسن بميدان القلعة، ويفتح المدخل الرئيسى لهذا القصر على شارع مناخ الوقف. ومنشئ هذا القصر هو الأمير الكبير قوصون، كبير مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد تعرض هذا القصر للكثير من التعدى والتبديل عبر زمن طويل كان كافيًا وحده أن يُفنى هذه القصور لولا عظمة ما تتمتع به من ضخامة وقوة ومنعة ودقة فى البناء وروعة التصميم، وقد تمكنا عند دراسة هذا القصر من إثبات أن هذا القصر كان قد بنى على مرحلتين: المرحلة الأولى قبل سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨، فيما تعود المرحلة الثانية من عمارة هذا القصر لسنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م. وبمساحة أصلية كانت تشمل مساحة ضعف المساحة المتبقية اليوم منه بعدة مرات.
للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٨٢-١٢٦.

١٣ ويذكر المقريزى أن موقع هذين القصرين كان مكان مدرسة الناصر حسن، حيث قام صاحب المدرسة بهدمهما وأضاف إليهما عدة دور، وشرع فى بناء مدرسته تجاه قلعة الجبل، وذلك سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م.
- المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ج٤ (القاهرة، ١٩٩٦)، ١١٧-١٢٠.

١٤ كان هذا القصر تجاه قلعة الكبش على بركة الفيل، وقال المقريزى: (إنه من أعظم مساكن مصر وأجلها قدرًا وأحسنها بنيانًا، وقد أنشأه السلطان محمد بن قلاوون لسكن أجل أمرائه بكتمر الساقى)، وللأسف لقد زال هذا القصر منذ أمد بعيد.
انظر: المقريزى، الخطط المقريزية، ج٢، ١١٠.

١٥ كان يقع بالجسر الأعظم على بركة الفيل، وقد أنشأه الأمير أراغون الكاملى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م، وأدخل فيه من أرض بركة الفيل ٢٠ ذراعا، وهو زائل الآن. انظر: المقريزى، الخطط المقريزية، ج٢، ١١٨.

١٦ قصر الأمير طاز، الأثر رقم ٢٦٧، وتؤرخ عمارة هذا القصر بـ ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م، ويقع هذا القصر بشارع السيوفية، بحى الخليفة بمدينة القاهرة، ومنشئ هذا القصر هو الأمير طاز بن عبد الله الناصرى، من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان هذا القصر قد تعرض إلى الكثير من أعمال الهدم والبناء فى أجزائه المختلفة، وتعرض أيضًا للإهمال والمحن عبر سنواته الطويلة حتى سنة٢٠٠٢ حين بدأ مشروع القاهرة التاريخية بترميم هذا القصر، حيث أنقذ القصر من الضياع ليصبح اليوم نموذجًا متكاملاً للقصور المملوكية.



للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ١٤٩-٢٠٥.

١٧ كان هذا القصر يقع بحارة بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية بشارع الصليبة، وقد أثبتنا أن قصر الغورى الواقع بالصليبة كان قد بنى على أرض هذا القصر.
- انظرحول ذلك: تاريخ عمارة قصر الغورى بالصليبة، ٣٠٩-٣٢٢ من الرسالة.

١٨ قصر الأمير منجك اليوسفى، الأثر رقم ٢٤٧. يقع هذا القصر اليوم بأول شارع سوق السلاح المتفرع من شارع محمد على عند مدرسة السلطان حسن، ومنشئ هذا القصر هو الأمير سيف الدين منجك اليوسفى، الذى تنقل فى خدمة الناصر محمد ابن قلاوون حتى صار سلاح دار، ولم يبق من هذا القصر بعد أن ضاعت مكانته، وتم التعدى على أجزائه بالهدم والإزالة ثم السيطرة التدريجية على قطع من أرضيته وإقامة المبانى الحديثة عليها كما نرى اليوم، سوى جزء من الواجهة الجنوبية الشرقية الخارجية المطلة على شارع سوق السلاح، والتى ما زال بها المدخل الرئيسى الأصلى للقصر كاملاً ويحمل تفاصيل معمارية غاية فى الدقة، هذا إضافة لبعض الملحقات القليلة الباقية خلف هذه الواجهة، وتؤرخ عمارته بـ ٧٤٧-٧٤٨هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م. للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ١٢٧-١٤٨.

١٩ تعتبر بركة الفيل من أقدم برك القاهرة ذكرًا، وكانت من أعظم متنزهاتها حتى نهاية القرن الماضى. حول هذه البركة انظر:
محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٩٤)، ٧٦-١٨٧.

٢٠ قدرنا مساحة الفناء الأصلى لقصر قوصون بـ ٥٥٢٠ مترًا مربعًا، والفناء الأصلى لقصر طاز بـ ٢٥٠, ١٦٠٠متر مربع.

٢١ D. Abou Seif, 'Azbakiyya and its Environs from Azbak to Ismail', 1476 - 1879, *CAI* 6, IFAO (Le Caire, 1985); N. Hanna, 'An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottoman periods', *CAI* 3, IFAO (Le Caire, 1983).

٢٢ كان الربع يخصص أصلاً للصناع وأصحاب الحرف، حيث كان الدور الأرضى يحتوى على ورش ومحلات ومرافق والخدمات اللازمة، أما الطابقان العلويان فيحتويان على شقق منفصلة، مكونة كل شقة من حجرة أو حجرتين ومطبخ ودورة مياه لعائلات الصناع أصحاب هذه المحلات، وتشبه هذه الشقق إلى حد كبير مثيلاتها بالوكالات، وتؤدى إليها عادة طريق متصلة فى أحد نهاياتها بسلم واحد يؤدى إلى الشارع.
توفيق أحمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، ط٣ (القاهرة، ١٩٨٦)، ٤٢٠.
ومن أهم الرباع الباقية بمدينة القاهرة التى ترجع للعصر المملوكى: ربع قايتباى بالصحراء الشرقية، الأثر رقم ١٠٤، ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م، والربعان الباقيان أعلى وكالة قايتباى بباب النصر، الأثر رقم ٩، ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م، والربع الباقى أعلى وكالة الغورى بالتبليطة، الأثر رقم ٦٤، ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م، ويشار لأنه لم يبق فى القاهرة اليوم أكثر من عشرين ربعا، أغلبها متهالك وآيل للسقوط والبعض الآخر بقى من أجزاء تتمثل فى واجهاته وأدواره السفلية. حول الرباع الشعبية بالقاهرة انظر:
هبة الله محمد فتحى حسن، الرباع والمنازل الشعبية فى القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٩٥).
- L. Ibrahim, 'Middle-Class Living Units in Mamluk Cairo: Architecture and Terminology', *Annales Islamologiques*, XVII, IFAO (Le Caire, 1983), 24-30.

٢٣ لقد تكونت الوكالات من مخازن منفصلة بالدور الأرضى تطل على فناء مفتوح، كما تضم جميع المرافق والخدمات اللازمة لمثل هذه الأغراض، أما الطوابق العلوية فكانت مخصصة أيضا للشقق السكنية وتطل على نفس الفناء، وكانت تخصص هذه الوكالات لإقامة صغار التجار فى مواسم التجارة ممن يحضرون من مختلف القرى المجاورة مع عائلاتهم لقضاء موسم التجارة فى المدن الكبيرة، فتقيم هذه العائلات فى الوكالات، وتخزن البضائع فى المخازن الموجودة بها، حتى ينتهى كل تاجر من بيع بضاعته ثم يرحل. انظر: توفيق أحمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، ٤٢٠.

٢٤ المقريزى، الخطط المقريزية، ج٣، ١١٥.

٢٥ الطشت خاناه، ومعناها بيت الطشت، والطشت صحن كبير لحمل الطعام أو الماء، والطشت خاناه هو المكان المخصص لوضع الطشوت اللازمة لغسل الأيدى والقماش وغيرها، فضلاً عما يلبسه السلطان من الثياب والسيف والخف، وما يجلس عليه من المقاعد والوسائد والسجاجيد كالتى يصلى عليها.
- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد، ت٨١١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (القاهرة، ١٩١٥)، ج٤، ١٠-١١؛ محمد أحمد محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى (دمشق)، ١٠٨.

٢٦ الفراش خاناه، ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على أنواع الفراش من البسط والخيام، ولها مثل الركاب خاناه والطشت خاناه والشراب خاناه، مهتار تحت يده جماعة من الغلمان.
القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ١١.

٢٧ كانت الوظيفة الأساسية للأستادار هى النظر على بيوت السلطان، ويذكر المقريزى أنها من الوظائف الجليلة، ولكن مع الزمن عظمت مكانة الأستادار ونفذت كلمته وصار المتحكم فى جمهور أموال الدولة، وصار نظر البيوت أمرًا لا معنى له.
المقريزى، الخطط المقريزية، ج٣، ٣٦٤.

٢٨ رأس النوبة: وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء، واحد منهم مقدم ألف، وثلاثة طبلخانات.
القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ١٨.

٢٩ وظيفة الدوادار الأساسية هى حمل دواة السلطان مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى.

٣٠ سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصرى، ١٧-١٨؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ٢١؛ ج٥، ٤٥٧.

٣١ أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى فى العصر العثمانى، مترجم (القاهرة، ١٩٩١)، ط١، ٢٠٥.

٣٢ Ibrahim, 'Residential Architecture in Mamluk Cairo', *Muqarnas* 2 (London, 1984), 47.

٣٣ أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى، ٢٠٥.

٣٤ قصر الأمير بشتاك، الأثر رقم ٣٤، ويقع هذا القصر بمنطقة النحاسين بشارع المعز لدين الله، والمعروف سابقًا بخط بين القصرين، ومنشئ هذا القصر هو الأمير سيف الدين بشتاك بن عبد الله الناصرى، وهو أهم مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وتشرف الواجهة الرئيسية الشمالية الغربية لهذا القصر على شارع المعز، فى حين تقع واجهته الجنوبية الغربية على حارة بيت القاضى، وكان بها المدخل الرئيسى للقصر، وتمتد الواجهة الشمالية الشرقية لهذا القصر على درب قرمز، وبها المدخل الثانوى

المستخدم حاليًا للدخول إلى القصر. والقصر بحالة جيدة، خاصة بعد عملية الترميم الشاملة التى نفذها مشروع ترميم القاهرة التاريخية. ويؤرخ هذا القصر بـ ٧٣٥-٧٤٠هـ/ ١٣٣٤-١٣٣٩م. للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٤٦-٨١.

٣٥ منزل السلطان قايتباى بالمغربلين، الأثر رقم ٢٢٨، ويؤرخ هذا المنزل بـ ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م، ويقع بسكة الماردانى، المتفرعة من حارة زقاق المسك المتفرعة بدورها من شارع الخيامية خارج باب زويلة. ومنشئ هذا المنزل هو السلطان، الملك، الأشرف، أبو النصر قايتباى المحمودى، الظاهرى، الذى يعتبر من أشهر سلاطين المماليك، ومن أطولهم مدةً فى الحكم (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م). والمنزل يقع تحت سيطرة المجلس الأعلى للآثار بعد أن أخلى فراغاته من التعديات الكبيرة للأسر العديدة التى كانت تقطن به منذ سنوات طويلة، وخاصة بعد الأثر الكبير الذى أحدثه زلزال عام ١٩٩٢ فى زعزعة أجزاء هذا المنزل وتهدم بعض جدرانه، حتى باتت كل حوائطه وواجهاته تقف مصلوبة بدعامات حديدية تحميه من التداعى والسقوط، وقد بُدِئ بترميم هذا المنزل مؤخرًا دون أن يكتمل ذلك. للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٢٠٧-٢٣٧.

٣٦ منزل السلطان قايتباى بالتبانة (المعروف بمنزل الرزاز)، الأثر رقم ٢٣٥. يقع هذا المنزل اليوم بشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر بجوار المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان شعبان، ومنشئه الأصلى هو هو السلطان قايتباى، ولكن فى الواقع تشير وثيقة قايتباى فى أكثر من موضع إلى أن قايتباى قد عمر هذا المنزل على عمارة سابقة لمنزل قديم آل إليه بطريق شرعى عن طريق الشراء، ثم أضاف إليه تجديدات كبيرة دون أن يهدم كل ما كان فيها من أجزاء باقية، ولا توجد فى المنزل أية كتابات تشير إلى التاريخ الدقيق للعمارة الواسعة التى قام بها السلطان قايتباى، وبالاستناد إلى وثيقة قايتباى أمكننا تأريخ هذا المنزل بالفترة بين عامى ٨٧٩هـ- ٨٨٤هـ/ ١٤٧٤-١٤٧٩م، وظل هذا المنزل محتفظًا بمكانته فى العصر حتى آل للأمير مصطفى كتخدا عزبان الرزاز، ثم من بعده لابنه أحمد آغا قبجى الذى يعرف بأحمد كتخدا الرزاز، وقد قام هذا الأمير أحمد ببناء منزل جديد على الأرض الواقعة خلف الواجهة الجنوبية الغربية لمنزل قايتباى، فجاء هذا المنزل ملاصقًا له، وقام أحمد كتخدا بتحويل الفراش خاناه الواقع أسفل مقعد قايتباى إلى دهليز يصل بين المنزلين، حتى ظن الكثيرون أنهما عبارة عن منزل واحد بناه أحمد كتخدا الرزاز، ومُيز بين جزأى هذا البيت بوثيقة وقفه بالقول: الفناء الغربى الكبير والفناء الشرقى الصغير، وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتسجيل المنزلين فعلاً باسم أحمد كتخدا الرزاز، وأرخا معًا بتاريخ ١١٩٢هـ/١٧٧٨م، واستثنى الباب الواقع بالجدار الجنوبى الشرقى للفناء الشرقى فسجل تحت اسم باب قايتباى بمنزل الرزاز وأرخ بالقرن ٩هـ/ ١٥م، ومع هذا حمل الباب نفس رقم المنزل، أى رقم أثر ٢٣٥، وبدأ مركز البحوث الأمريكى منذ سنوات بأعمال ترميم بهذا المنزل لم تنته حتى اليوم؟

للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٢٣٨-٢٨٩

٣٧ يطلق هذا المصطلح فى العمارة المملوكية للدلالة على الحجارة الضخمة، وربما أخذت هذا الاسم لأنها كانت تسحب على عجل - أى العجلة - وهى الآلة الخشبية التى كان يجرها الثور.

٣٨ حول تأثير العوامل المؤثرة فى تخطيطات العمائر المملوكية انظر: حسنى محمد نويصر، عوامل مؤثرة فى تخطيط المدرسة المملوكية، مجلة جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم التاريخ، المجلد الأول، العدد الأول (١٩٩١)، ٢٢٩-٢٦٧.

٣٩ تبلغ المساحة الكلية لفناء قصر طاز حوالى ١٦٠٠,٢٥٠ متر مربع، بينما تبلغ المساحة الكلية الحالية لفناء منزل قايتباى بالمغربلين ٤٥٦ مترًا مربعًا.

٤٠ الأتابك: لقب من ألقاب الصفات، وأصله أطابك، وهو يتألف من جزأين فارسيين، أطا بمعنى أب، وبك بمعنى أمير، أى الأمير الأب، ثم تحول بعد ذلك إلى لقب وظيفى بمعنى الرئيس الكبير، وكان يتولى رعاية أولاد السلطان وتربيتهم، وقد عرف التركمان هذا اللقب منذ القديم، ثم تطورت مهمة الأتابك على مر العصور، حتى كان سببًا فى انقسام الدولة العباسية إلى ولايات مستقلة يحكمها الأتابك، كما أضيفت إليه فى العصر المملوكى بعض الألفاظ مثل الجيوش والعسكر، فيقال أتابك العسكر؛ أى كبير الجيش، وكانت هذه الوظيفة من أرقى الوظائف العسكرية بحضرة السلطان فى عصر المماليك، ومتوليها أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ١٨؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، ج١ (القاهرة، ١٩٥٨)، ٢-٣.

٤١ الدوادار: وهو أيضًا لقب وظيفى، مكون من جزأين فارسيين، دواة، أى دواة الحبر التى يكتب منها، ودار بمعنى ممسك، أى ممسك الدواة، وكانت وظيفة يشغلها عسكريون يختارون من بين فرقة الخاصكية، وقد كان للسلطان الواحد أكثر من دوادار، ولم يكن يشترط بهؤلاء وفرة العلم، حيث كانت وظيفة الدوادار الأساسية هى حمل دواة السلطان مع ما ينضم لذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى، من حكم وتنفيذ أمور وتقديم البريد، وكان له رنك خاص به على هيئة دواة تشبه الكأس.

- القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ١٩؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، ج٢، ٥١٩- ٥٣٥.

٤٢ نلاحظ وجود بقايا معالم رنك الأمير يشبك حتى اليوم على المدخل الرئيسى لقصر قوصون، فيما يوجد بالجدار الواقع بصدر دركاة المدخل الرئيسى لهذا القصر أربعة رنوك ممسوحة!

٤٣ كانت مناظر الكبش من متنزهات القاهرة، وتقع على جبل يشكر الذى بنى عليه جامع أحمد بن طولون، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب حوالى عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، واتخذت هذه المناظر كمنتزه ملكى، ثم اتخذت فى العصر المملوكى مكانًا لسكن الخلفاء العباسيين، وكذلك دار ضيافة ينزل فيها ضيوف السلطنة والرسل والقصاد، وهدمت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م بأمر الملك الأشرف شعبان. للاستزادة انظر: محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، ٣٨٥-٣٩٢.

٤٤ ابن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت٨٧٤هـ-١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد رمزى، ١٦ج؛ ج١١ (القاهرة، ١٩٧٢)، ٤٨-٤٩.

٤٥ الحجة رقم ٨٨٠، أوقاف، وهى مؤرخة بعد تواريخ، أولها ٢٤ رجب ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، وآخرها ٢ صفر ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م، ١٠٦-١٠٩.

٤٦ قصر الأمير ماماى السيفى، الأثر رقم ٥١، بتاريخ ٩٠١ هـ - ١٤٩٦م، ويقع هذا الأثر فى شارع بيت القاضى (الذى أخذ اسمه من القصر)، وهو الشارع الذى يربط بين شارع الجمالية وشارع المعز لدين الله، ومنشئ القصر هو الأمير ماماى السيفى من خداد، الذى كان من مماليك السلطان قايتباى المحمودى. وقد تبين لى من

خلال متابعة المصادر أن هذا القصر قد بُنى فى موضع قصر الزمرد الذى كان من جملة القصر الكبير الشرقى الفاطمى الذى كان فى مساحته الآن جامع الحسين ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب، وكامل ميدان بيت القاضى وقصر بشتاك، أى الأرض المحصورة بين شارع المعز لدين الله الفاطمى من الجهة الغربية وشارع الجمالية من الجهة الشرقية، والذى بنى فى موضعه قصر تتر الحجازية الذى آل الجزء الجنوبى الغربى منه للأمير ماماى، فقام بمرمته وتجديد عمارته، ومن هنا جاءت تسمية ابن إياس لهذا القصر بالدار المعظمة، فقال: (هو الذى جدد الدار المعظمة التى بين القصرين)، ومن المؤكد أيضًا أن ضخامة هذا القصر واكتمال بنائه كانا السبب الرئيسى فى قرار السلطات العثمانية بجعل القصر دارًا للقضاء العالى، فاتخذ قاضى عسكر من قصر ماماى سكنًا له، فيما اتخذ من المقعد الكبير الذى كان يتسع لجلسات دائرة القضاء العالى ومراسيمها، مقرًا لعقد جلسات دائرة القضاء العالى، أما اليوم فقد ضاع قصر ماماى السيفى، وكل ما بقى منه جزء من ضلعه الجنوبى الغربى، وبه فى طابقه الأرضى أربعة حواصل يعلوها مقعد ضخم جليل، أقل ما يبعثه فى مشاهده تساؤلٌ عن مدى ضخامة ذلك القصر الذى كان هذا المقعد مجرد جزء منه.
انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٢٩٠-٢٠٨.

٤٧ قصر السلطان الغورى، الأثر رقم ٣٢٢، ويقع هذا القصر بأول حارة الأربعين المتفرعة من شارع الصليبية على يمين السالك فيه باتجاه قلعة الجبل. ومنشئ هذا القصر هو السلطان، الملك، الأشرف، أبو النصر قانصوه الغورى، آخر سلاطين المماليك ٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م. وقد تمكنا من تأريخ بناء هذا القصر بالفترة من ٩١٥ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠٩-١٥١٦م. ومن المرجح أن الحدود الأصلية لقصر السلطان الغورى هذا كانت تمتد لمساحة كبيرة بحيث شكل شارع الصليبية حدها البحرى 'الشمالى الغربى'، وحارة الأربعين حدها الشرقى 'الشمالى الشرقى' وبه الواجهة الرئيسية للقصر، وبها المدخل الرئيسى الذى يعتبر مع الجزء الصغير من هذه الواجهة الخارجية الشمالية الشرقية الجزء الوحيد المتبقى من ذلك القصر الواسع، وقد كان الحد القبلى 'الجنوبى الشرقى' ملاصقًا لجار، وربما كان ينتهى جزء منه لزقاق غير نافذ كان متصلاً بحارة بئر الوطاويط، أما الحد الغربى 'الجنوبى الغربى' فقد كان يفتح بجزء كبير منه على حارة بئر الوطاويط.
وتمثل هذه الأجزاء الباقية اليوم من قصر الغورى الجزء الهام من الواجهة الرئيسة الخارجية الشمالية الشرقية من القصر، وقد قال عنها مكس هرتس بك: (إنها من نفائس الأبنية الأهلية المتخلفة من بعض القصور المندثرة)، وهى تقع على يمين الداخل إلى حارة الأربعين بطول ١٢,٤٥م، ويمكننا تقسيم هذه الأجزاء لقسمين هما أولا: المدخل الرئيسى للقصر، وثانيًا: القسم الباقى من جدار الواجهة.
للاستزادة انظر: ياغى، العمائر السكنية، ٣٩٠-٣٢٢.

٤٨ الكتاب الجامع لوقف السلطان قايتباى، وزارة الأوقاف، الوثيقة رقم ٨٨٦، وهى مؤرخة بعدة تواريخ، آخرها ١٨ جمادى الأولى ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م. ومذكور هذا الوقف الأول لهذا السلطان ضمن هذا الكتاب الجامع فى الصفحات ١-١٩٣.

٤٩ الكتاب الجامع لوقف السلطان قايتباى، ٨٢-٨٨.

٥٠ الكتاب الجامع لوقف السلطان قايتباى، ٨٨-٩٤. وما زال درب ابن البابا قائما اليوم، ويحمل نفس اسمه القديم، وهو غير بعيد عن الصليبة.

٥١ وثيقة قايتباى، المصدر السابق، ١٢١-١٢٢.

٥٢ أسس التصميم، ٤٩٨-٤٩٩.

٥٣ من الممكن أحيانًا أن يتبع أماكن الأسرة بعض الوحدات الواقعة بالطابق الأول بالأضلاع البعيدة عن أماكن الاستقبال، وربما تقتصر أماكن الأسرة على هذه الوحدات فى حال عدم وجود طابق ثان فى القصر أو المنزل.

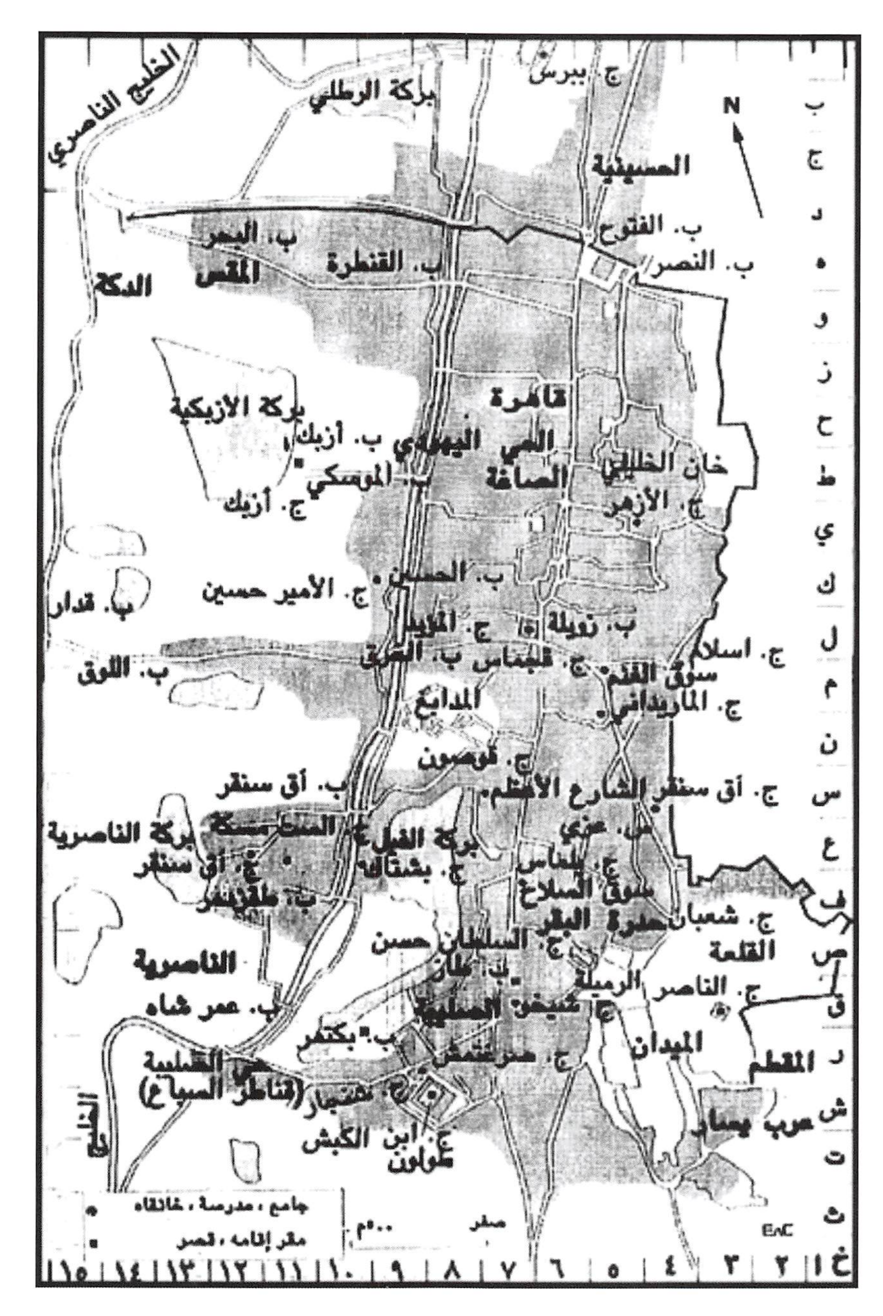
٥٤ حول ذلك انظر: وليد عبد الله عبد العزيز المنيس، الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الآداب، العدد ١٦ (جامعة الكويت، ١٩٩٥)، ١٢٠-١٠٤.

٥٥ من أنواع هذه المقاعد: المقعد التركى، والمقعد الإيوانى، والديوانى، والمصرى، والمقعد ذو العقد الواحد بدون أعمدة، والمقعد ذو الدرابزين بغير أعمدة أو عقود، والمقعد الأرضى.
انظر حول هذه الأنواع: ياغى، المقاعد فى عمائر القاهرة السكنية فى العصرين المملوكى والعثمانى، دراسة أثرية حضارية، قسم الآثار الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٩٩)، ١٨٠-٢٦١.

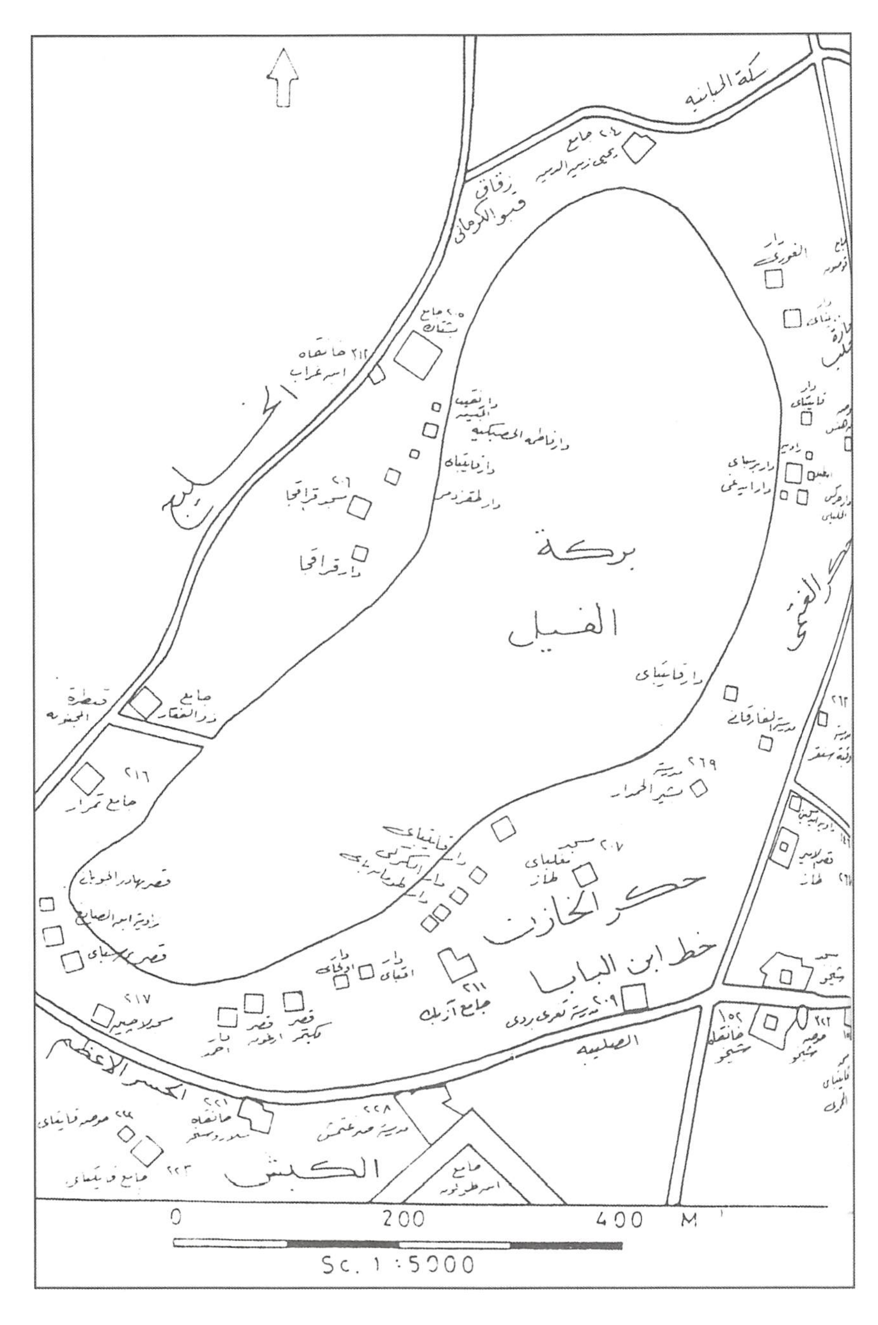
٥٦ حول الخصائص البيئية والمناخية للمقاعد انظر: ياغى، المقاعد فى عمائر القاهرة السكنية، ٢٥٨-٢٥٩.

٥٧ تعتبر ملاقف الهواء أحد أهم العناصر المميزة فى المبانى الإسلامية، خاصة التى توجد بالمناطق الحارة، وتعرَّف ملاقف الهواء على أنها مداخل تقوم بتهوية المبنى فى وجود مخارج للهواء، فإذا ما اندفع تيار هواء داخل الغرفة ولم يجد له مخرجًا فإن هذه الغرفة سرعان ما تمتلئ بالهواء ويصبح الهواء الداخلى فى حالة سكون. لذا استخدم الفناء الداخلى مع الملقف لإتمام حركة الهواء داخل الغرف التى تستخدم الملاقف لتهويتها، ولها فتحات تطل على الأفنية الداخلية، كما استُخدمت الشخشيخة مع الملقف فى تهوية القاعات الإسلامية، حيث يخرج الهواء الساخن منها، ويحل محله هواء بارد من الملقف أو الفناء.
- يحيى وزيرى، العمارة الإسلامية والبيئة 'الروافد التى شكلت التعمير الإسلامى'، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٤ (الكويت، يونيو ٢٠٠٤)، ١١٦-١١٧.

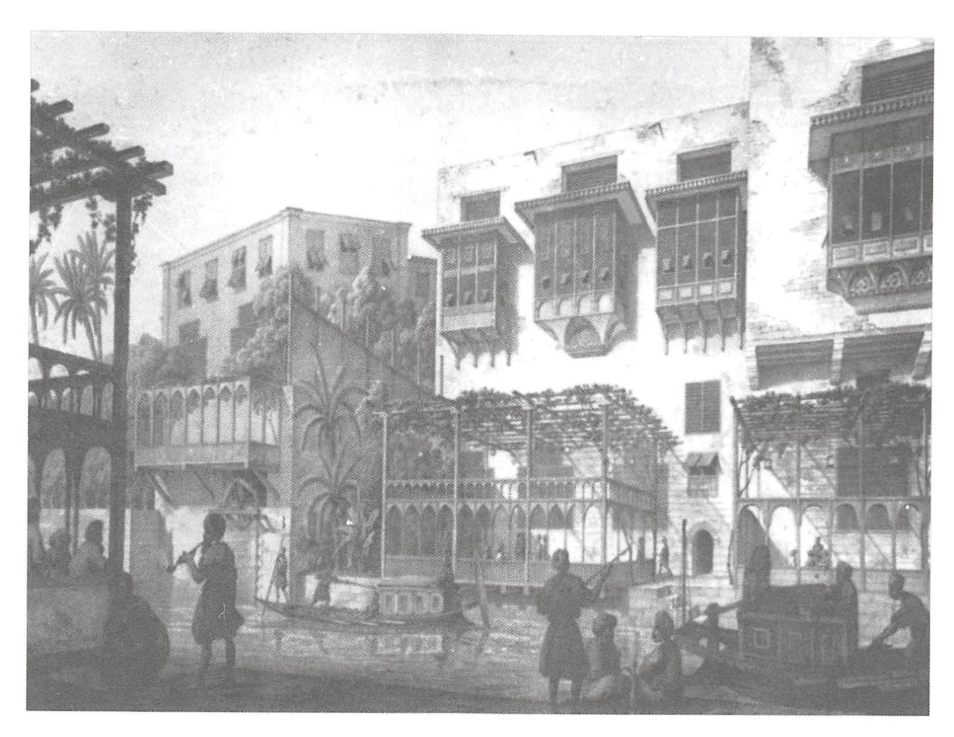
٥٨ يحتل فن المشربية مكان الصدارة فى الفنون الحرفية التقليدية لارتباطها بالعمارة منذ بداية الحضارة الإسلامية فى مصر. والمشربية معالجة معمارية مصرية إسلامية، تصنع من قطع خشبية مخروطة ومتداخلة ومجمعة ضمن أطر تجعل منها غرفة صغيرة مستطيلة أو مضلعة المسقط، وتسمح بدخول الرياح المطلقة ولا تسمح بدخول أشعة الشمس، كما تعمل المشربية على تحقيق قدر كبير من الخصوصية، حيث يرى من بداخل المسكن من فى خارجه من دون أن يُرى بفضل خرط المشربية الضيق، وعادة ما توضع المشربيات لتغطى المسطح الخارجى للشبابيك والسدلات المطلة على الأفنية الداخلية أو الشوارع، وقد تباينت الآراء حول أصل كلمة 'مشربية' وسبب تسميتها بهذا الاسم، فالبعض يرى أنها كلمة مشتقة من كلمة 'مشربة' (أى الغرفة)، لأن المشربية هى غرفة صغيرة بارزة عن سمت الحائط.. وآراء أخرى ترى أن كلمة مشربية تحريف لكلمة مشربة وجمعها مشربيات، أى الإناء الذى يشرب منه.
- توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، ج٣، ١٥٣؛ يحيى وزيرى، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد ٣٠٤، ١٢٧-١٣٤.



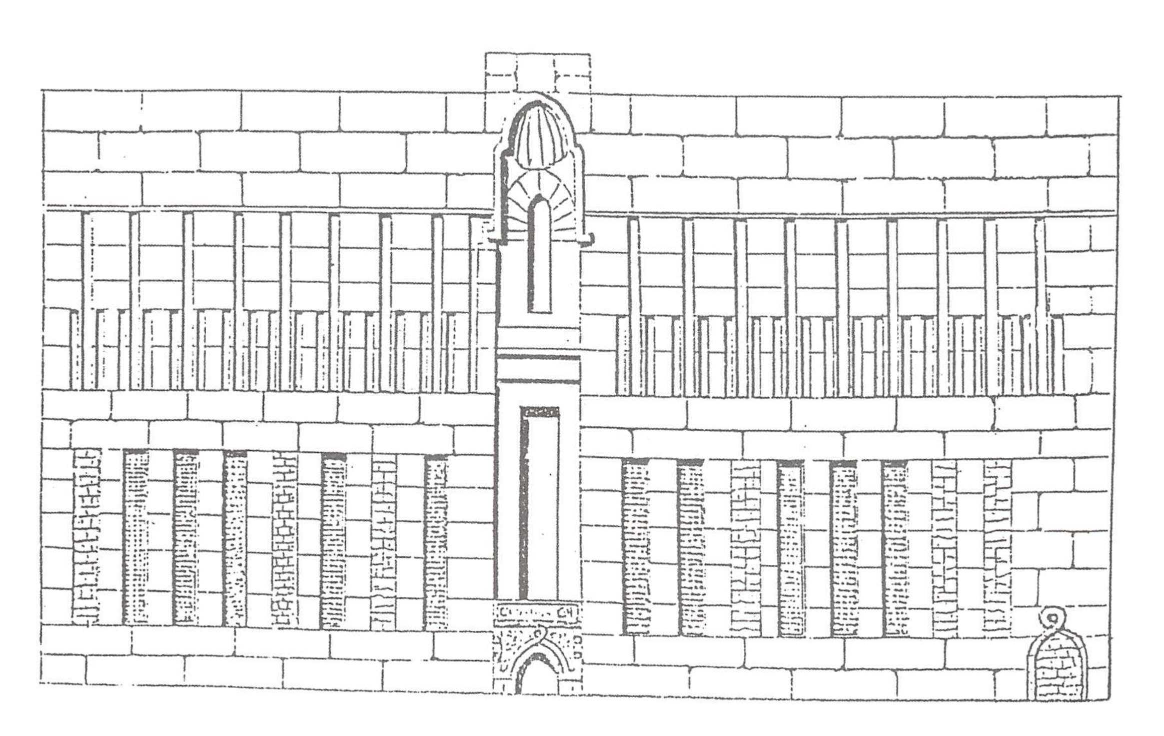
الشكل ١. خريطة تمثل القاهرة فى العصر المملوكى على خلفية خريطة الحملة الفرنسية، وقد وُقِّعَتْ عليها الامتدادات الجغرافية للمدينة، وحدودها، وأهم ضواحيها وشوارعها ومبانيها كما كانت فى ذلك الوقت.



الشكل ٢. خريطة تبين القصور والمنازل المملوكية التى كانت تقع حول بركة الفيل القريبة من القلعة.



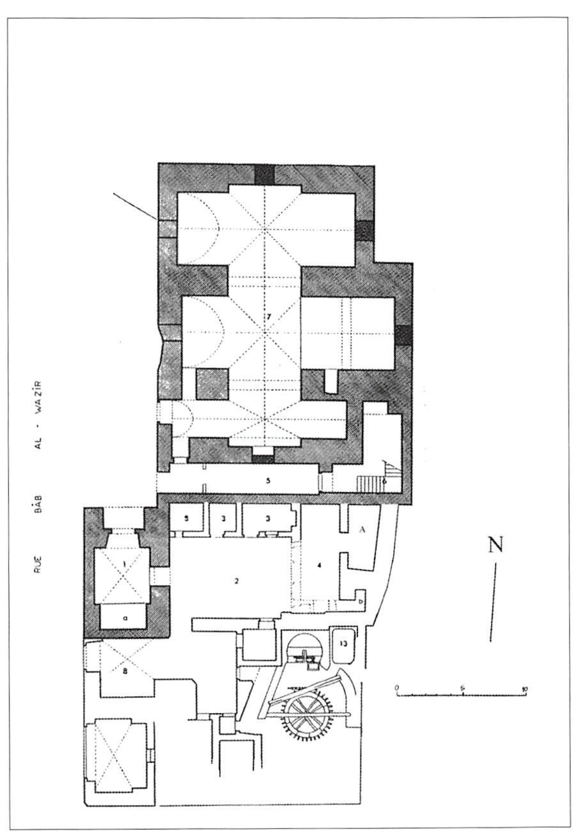
الشكل ٣. بعض بيوت الطبقة الوسطى على الخليج المصرى.



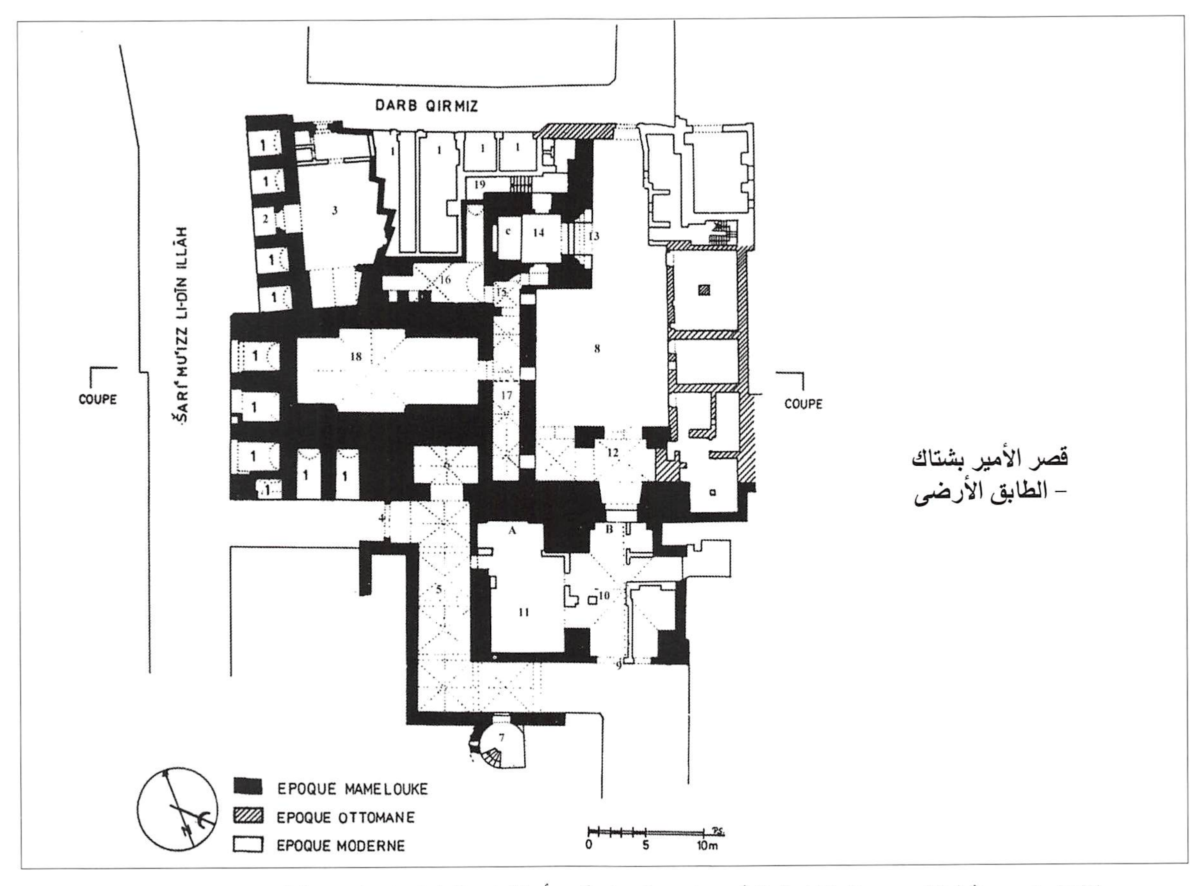
الشكل ٤. رسم تخطيطى للواجهة الرئيسية الشرقية لربع قايتباى الواقع بشارع السوق فى الصحراء الشرقية بالقاهرة.

الشكل ٥. خريطة حديثة تبين مواقع القصور والمنازل الباقية فى مدينة القاهرة من العصر المملوكى.

قصر آلين آق الحسامى- الطابق الأرضى

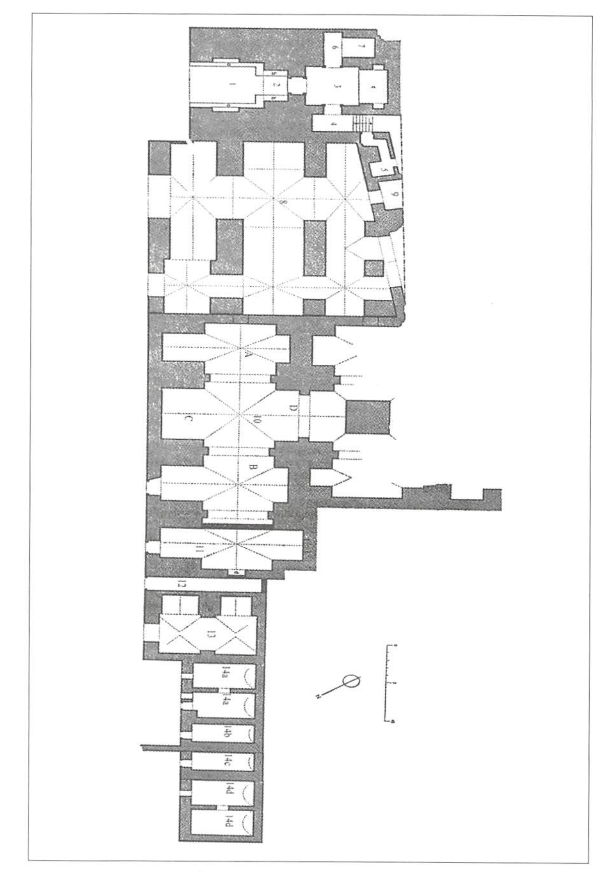


قصر آلين آق الحسامى- الطابق الأول

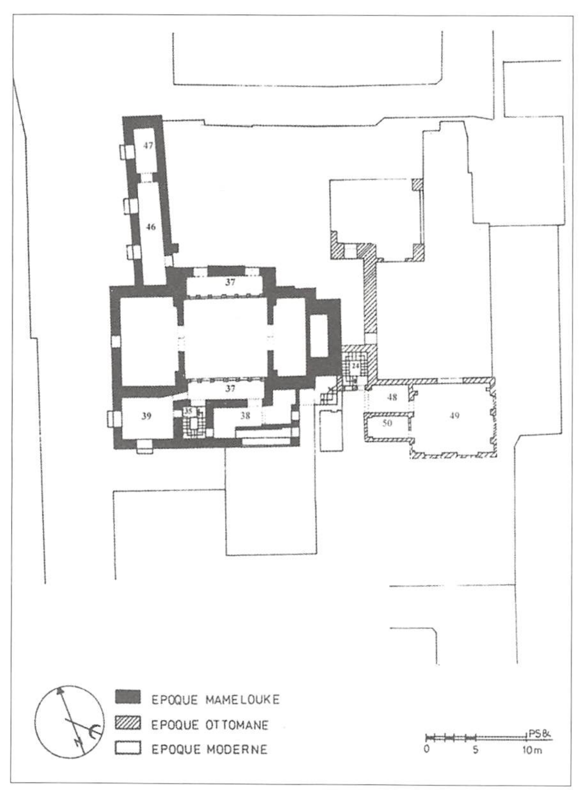


قصر الأمير بشتاك
- الطابق الأرضى

الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.

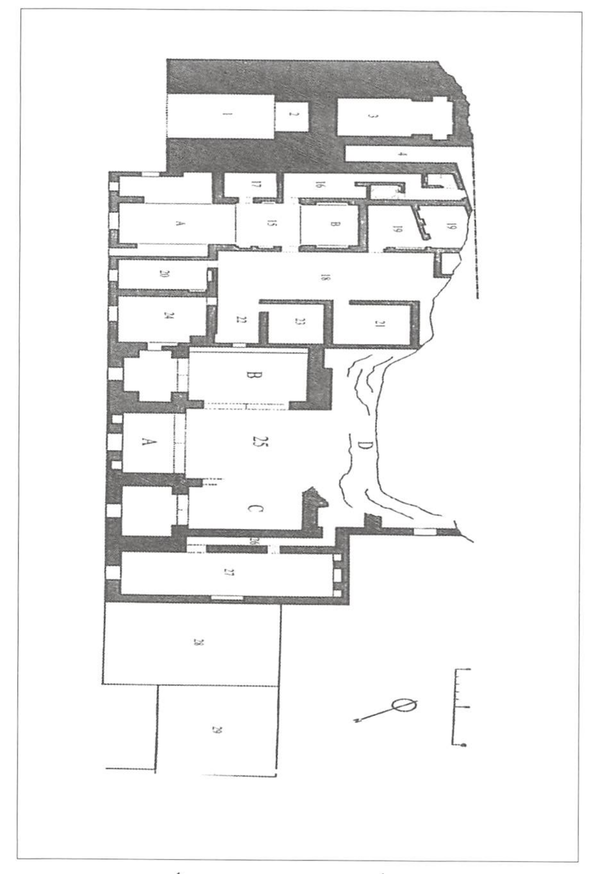


قصر الأمير بشتاك- الطابق الأول



قصر الأمير بشتاك- الطابق الثانى

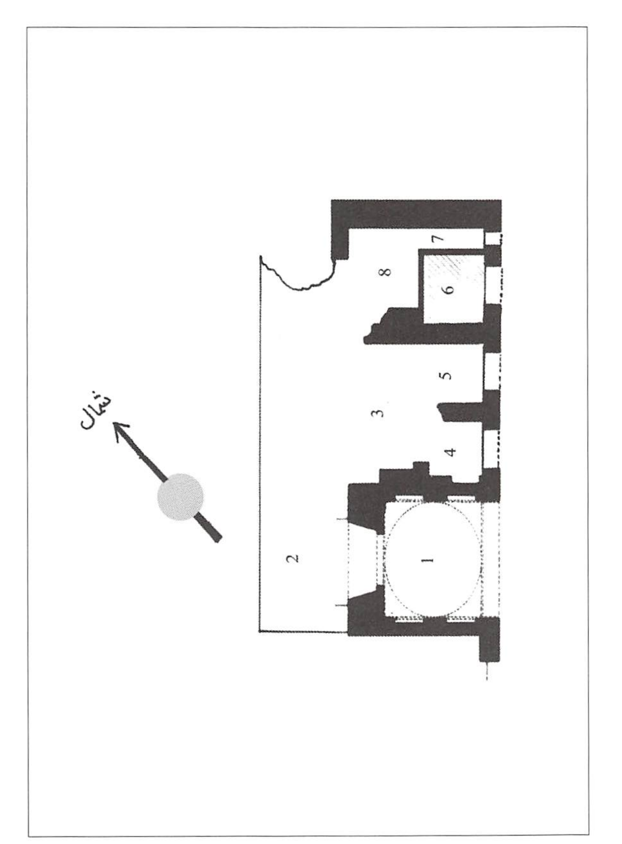
قصر الأمير قوصون-الطابق الأرضى



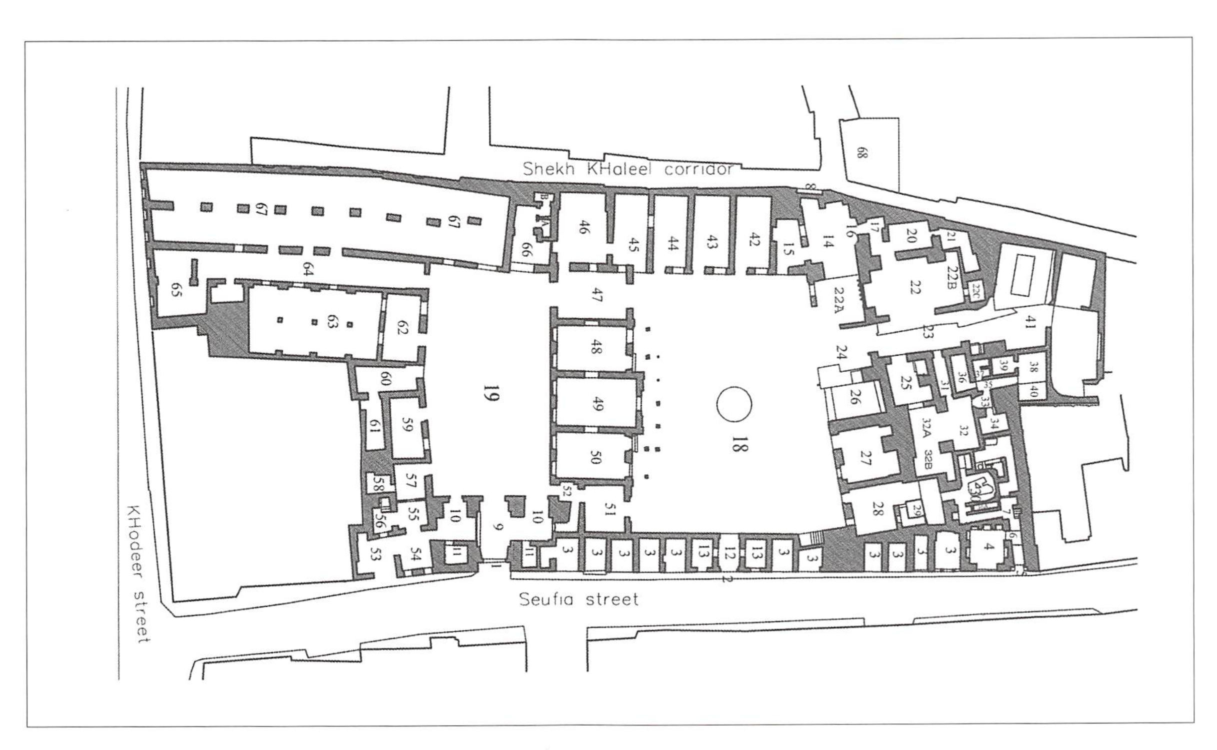
قصر الأمير قوصون-الطابق الأول

تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.

قصر الأمير قوصون-الجناح المكتشف



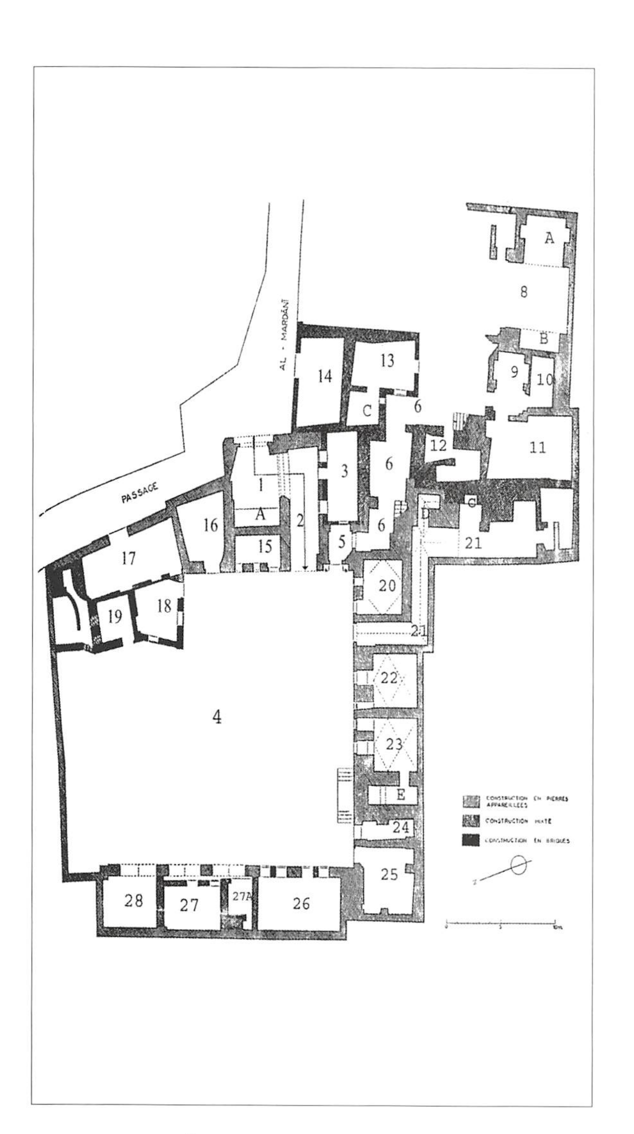
قصر الأمير منجك



قصر طاز- الطابق الأرضى

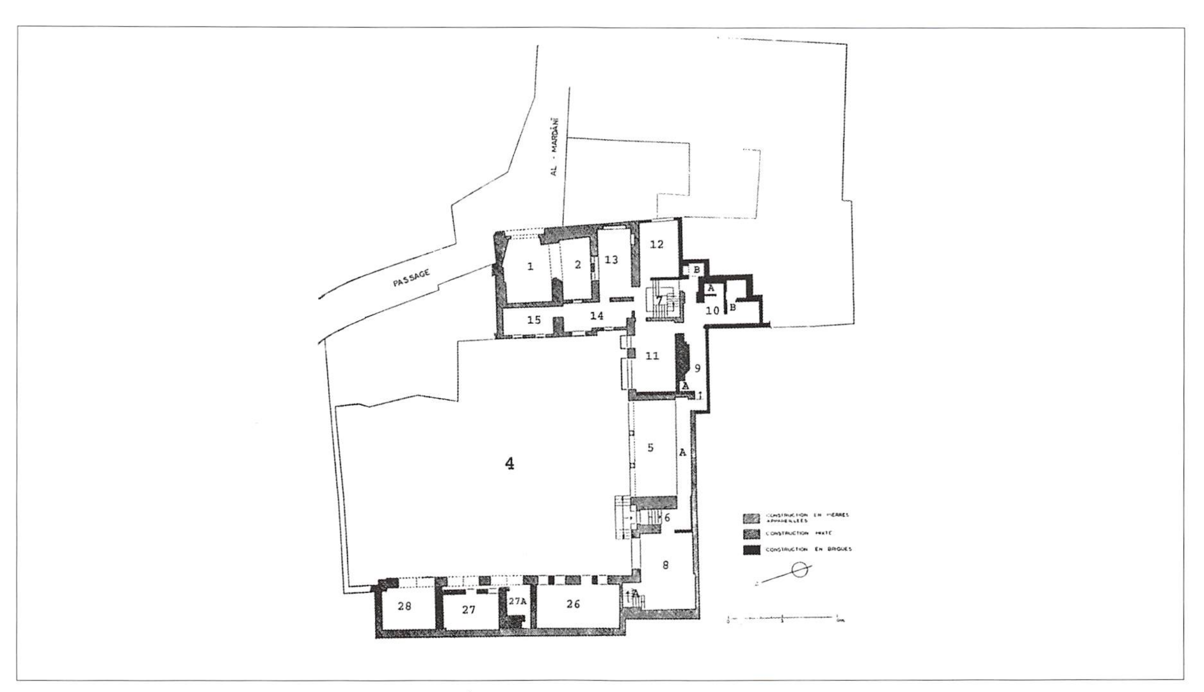
تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.

قصر طاز– الطابق الأول

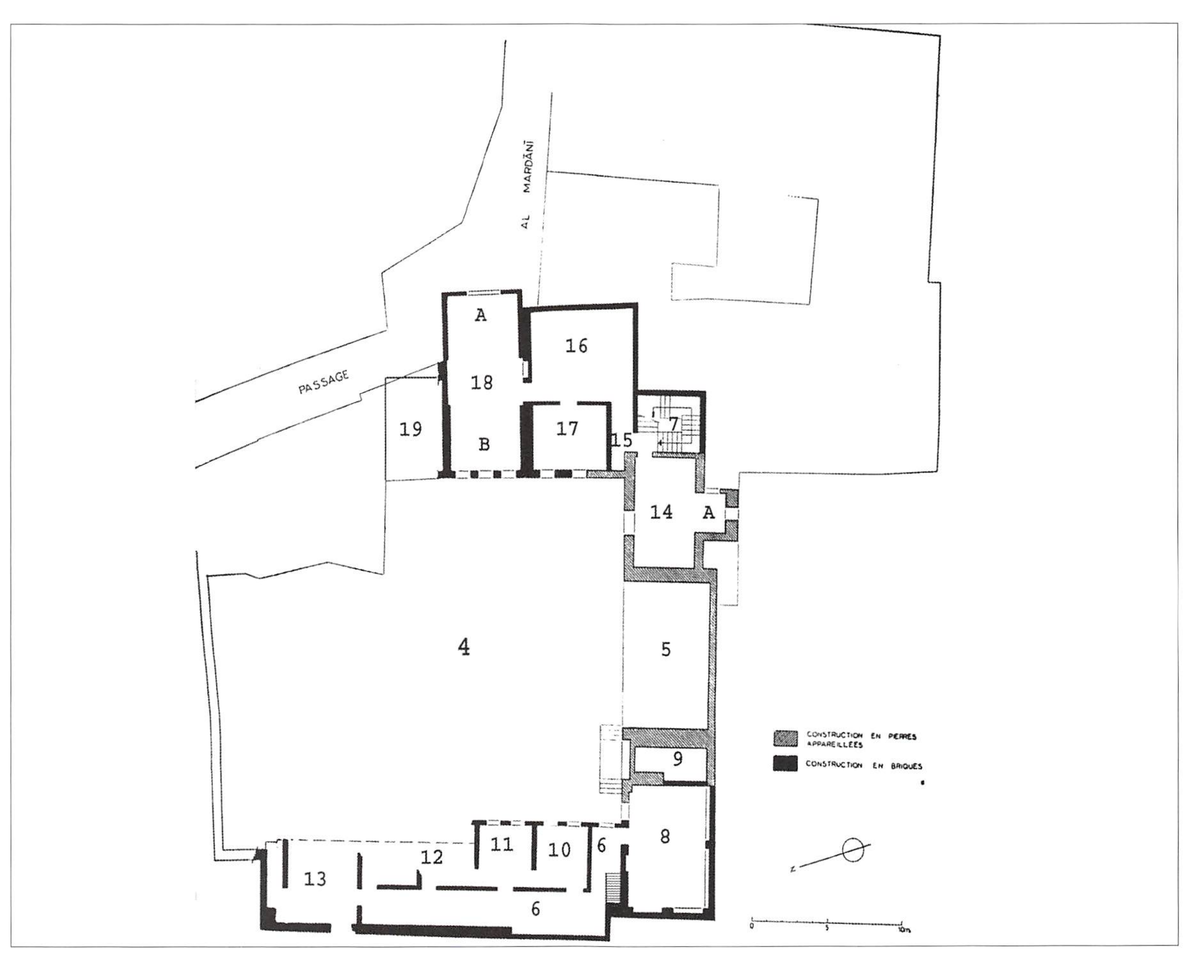


منزل قايتباى بالمغربلين الطابق الأرضى

تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.



منزل قايتباى بالمغربلين الطابق الأول

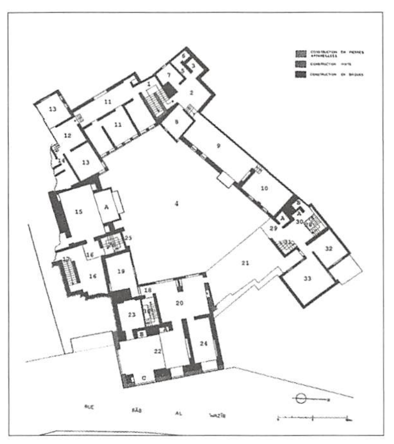


منزل قايتباى بالمغربلين الطابق الثانى

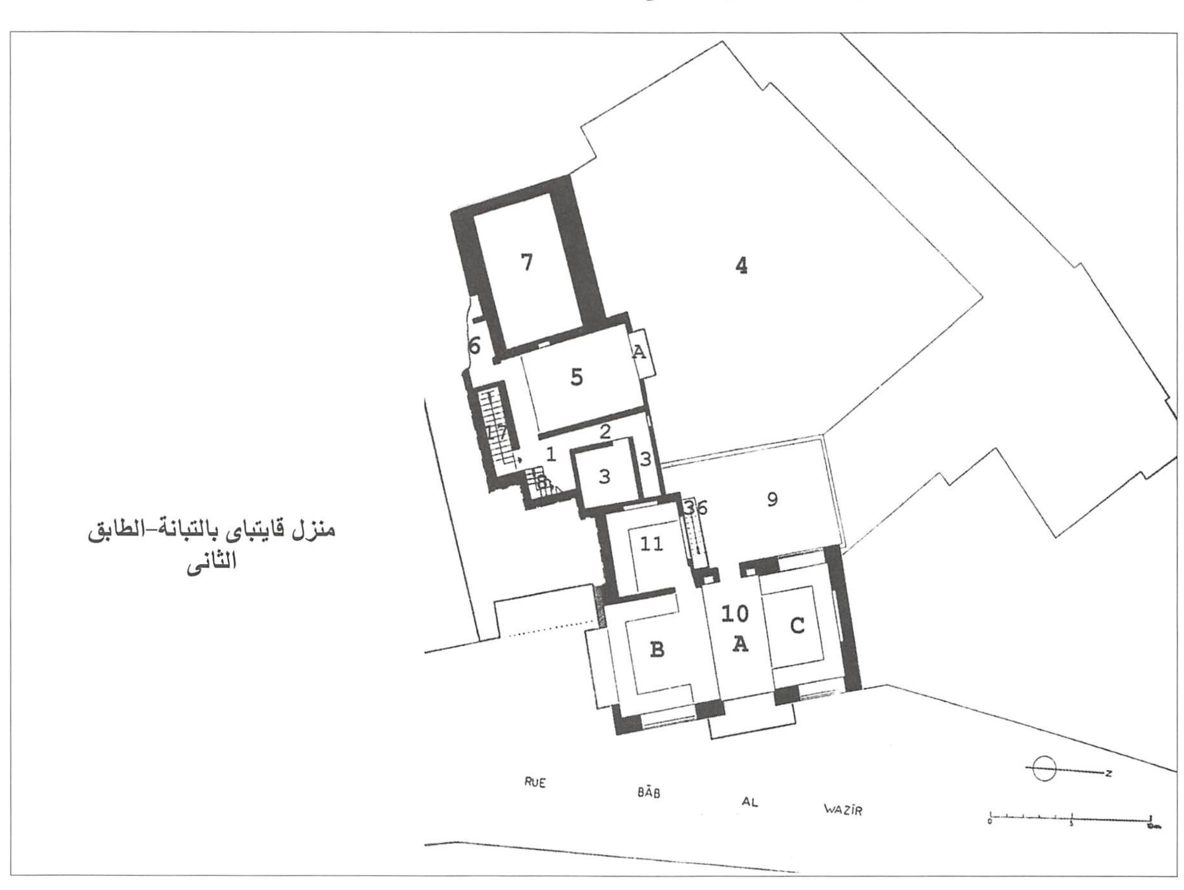
تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.



منزل قايتباى بالتبانة الطابق الأرضى

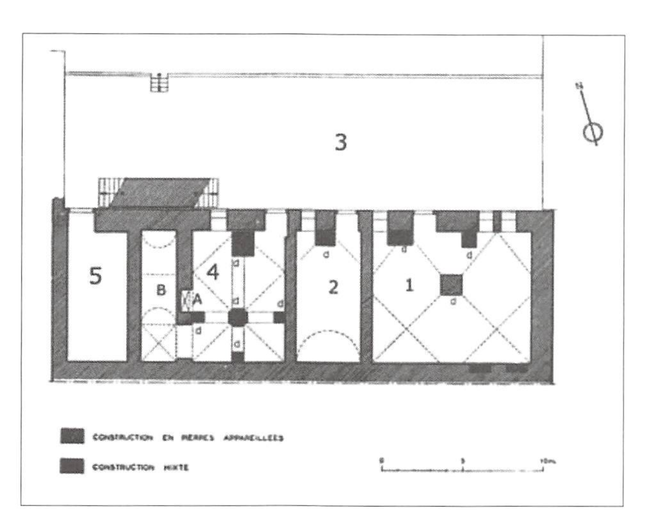


منزل قايتباى بالتبانة الطابق الأول

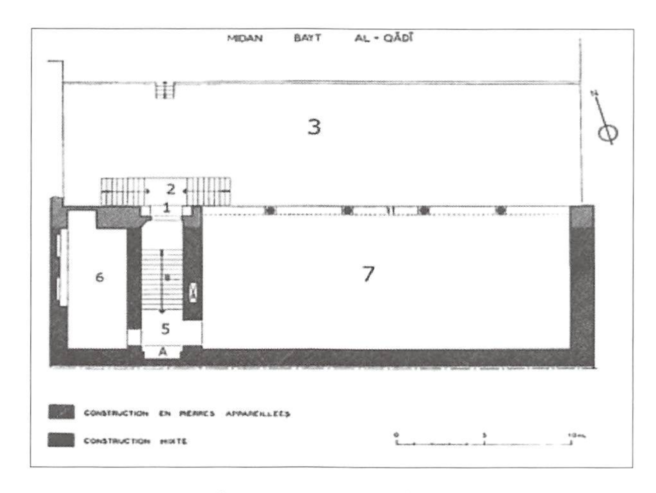


منزل قايتباى بالتبانة–الطابق الثانى

تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.

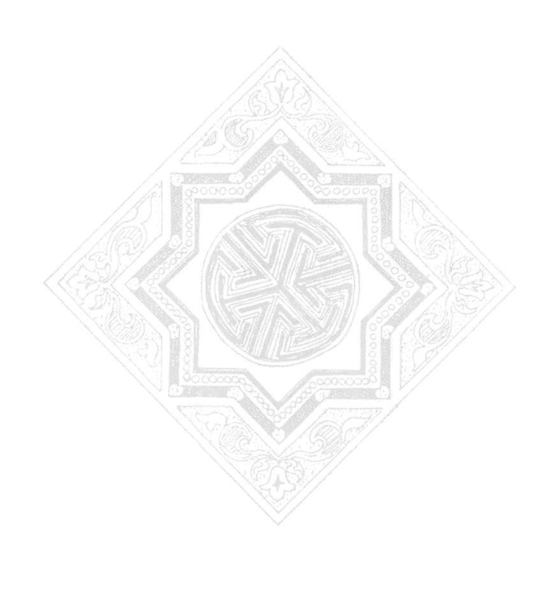


قصر الأمير ماماى-الطابق الأرضى



قصر الأمير ماماى-الطابق الأول

تابع الشكل ٦. مساقط القصور والمنازل الباقية موضوع الدراسة، كأمثلة لمساقط العمائر السكنية فى العصر المملوكى.



وثيقة ترميم

قلعة مدائن صالح (الحجر) في طريق الحاج الشامي

هشام بن محمد على بن حسن عجيمى*

محطة الحِجْر

الحِجْر، بكسر الحاء وجيم ساكنة بعدها راء، اسم لمكان يقع شمال المدينة المنورة، قرب دائرة عرض ٢٦-٤٦ شمالًا، وخط طول ٣٧-٥٦ شرقًا، ويتبع حاليًا إمارة المدينة المنورة، محافظة العُلا، وذلك فى المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية.[١]

والحِجْر من الأمكنة التى ورد ذكرها فى القرآن العظيم، فى معرض ذكر قوم نبى الله صالح، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم، وسُميت سورة من القرآن العظيم باسم 'سورة الحِجْر'، ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾.[٢] كما وردت فى عدة مواضع أخرى من القرآن العظيم.[٣]

ومجمل الآيات القرآنية توضح حال نبى الله صالح - عليه الصلاة والسلام - مع قومه (ثمود) وتكذيبهم إياه والعذاب الذى حل بهم. وما زالت الجبال المنحوتة فيها البيوت قائمة وآثارهم باقية. والحِجْر من أهم المناطق الأثرية فى عصور ما قبل الإسلام، فضلًا عن العصر الإسلامى.

وبعد ظهور الإسلام، نزل سيدنا محمد ﷺ فى الحِجْر عند توجهه إلى 'تبوك' لغزو الروم فى العام التاسع من هجرته، ومعه صحابته رضوان الله عليهم، فاستقوا من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود، وعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله ﷺ بإهراق القدور، وأن يعلفوا العجين للإبل، ثم نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا، وقال لهم: 'لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم'، أو كما قال ﷺ. وفى رواية أنه قنَّع رأسه وأسرع راحلته،[٤] صلوات الله وسلامه عليه.

ونظرًا لوقوع (الحِجْر) على الطريق الواصل بين المدينة المنورة والشام، فقد اتُّخذت محطة للاستراحة من قِبَل المسافرين، ومن ضمنهم قوافل الحجاج (الشكل ١).

وورد ذكرها فى العديد من كتب الجغرافيين المسلمين الأوائل، فذكرها ابن خرداذبه[٥] (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، وابن رسته[٦] (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، والإصطخرى[٧] (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) وغيرهم.

كما ذكرها العديد من الرحّالة كمحطة للحجاج فى كل كتب رحلات الحج تقريبًا، فقد ذكرها ابن شجاع الدمشقى عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، وابن بطوطة عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، وابن طولون عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م، والجزيرى المتوفى فى حوالى عام ٩٧٧هـ/ ١٥٧٠م،[٨] كما ذكرها كبريت فى رحلته[٩] ولم يذكر أن بها قلعة، وذكر أن بها آبارًا.

وذكرها أوليا جلبى[١٠] فى رحلته عند حجه عام ١٠٨٢هـ/ ١٦١٧م، حيث ذكرها باسم مدينة سيدنا صالح، ووصفها وذكر أن بها حصنين، هما قلعة دُبَّل وجدل، وأن كُلًّا منهما حصن قد قُدَّ فى الصخر فوق قمة الجبل، بمعنى أنهما منحوتان فى الصخر وليسا بناء.

وذكرها أيوب صبرى باشا[١١] فى مرآته عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م، وقال إن اسم الجبل الذى توجد عليه استراحة الحِجْر يسمى جبل أنان، ولم يذكر أن بها قلعة.

وذكر الحِجْر الرحالة سليمان شفيق بن على كمالى أوغلى[١٢] فى رحلته عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، وأورد ما نصه: 'عند وصولنا مدائن صالح، رأينا سوقًا كبيرةً يُباع فيها الباذنجان والبامية وسائر الخضراوات، والليمون الحلو والحامض، مما دفع الحجاج إلى شراء احتياجهم من المواد الغذائية، وكانت فرصة مُتاحة. وإلى جوار القلعة بساتين، وإلى الجنوب الغربى من قلعة مدائن صالح تقع قرية العلا، وتبعد عن مدائن صالح مقدار خمس ساعات'.[١٣]

وذكر ابن القارى[١٤] فى ترجمة والى دمشق أسعد باشا العظم أنه: 'عَمّر قلعة المدائن، ولم يكن فى ذلك المكان قلعة سابقًا'.

وفى عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، قام الأستاذ محمد عبد الحميد مرداد[١٥] بنشر رحلته إلى مدائن صالح وسجل مشاهداته، وقدم دراسة مهمة عن مدائن صالح (الحِجْر)، وحدد موقع القلعة على خريطة رحلته.

وفى عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣-١٩٩٤م، قام الزميل الدكتور على حامد غبان[١٦] بمسح أثرى للمنطقة الشمالية الغربية، أورد فيه صورة لقلعة مدائن صالح، وذكر أن إدارة الآثار والمتاحف قد قامت بترميم القلعة والبركة (الشكل ١).

وتقدم الوثائق العثمانية معلومات مهمة عن قلعة الحِجْر أو مدائن صالح، تُعتبر إضافات جديدة لمحطة مدائن صالح وما بها من خدمات قُدمت لحجاج بيت الله الحرام، ومن ضمنها توفير الحماية ببناء قلعة بها.

ومن تلك الوثائق، وثيقة هامة مؤرخة بعام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م،[١٧] أوردت معلومات مهمة عن محطة الحِجْر أو مدائن صالح، ونظرًا لأهمية النص أذكره بتمامه: 'قلعة مدائن صالح، تقع على مسافة عشرين ساعة من الدار الحمراء، وهى مبنية بالحَجَر على شكل مربع، طول كل ضلع من أضلاعها خمس وعشرون ذراعًا معماريًا، وليس بها ما يحتاج إلى الترميم. وبداخل القلعة نبع أقيمت عليه ساقية تدار بالبغال، وتغذى البركة الموجودة خارج القلعة بالماء، والقناة التى يجرى فيها الماء إلى البركة تهدمت، فحضر مع الحملة أحد عمال مجارى المياه وأصلحها. وقد رُتب لتدوير هذه الساقية بغلان، مات أحدهما، والآخر لا يصلح للعمل الآن. وقد اتضح لنا من التحقيق الذى أجريناه، أن الأورطة باشى يبيعون الشعير المخصص لهذين البغلين، الأمر الذى أدى إلى ضعفهما. والبغل الموجود الآن لم يصل إلى هذه الحالة إلا من جراء الجوع. على أن الأورطه باشى لم يجد سبيلًا إلى نفى ذلك، وهم يعتذرون بأنهم يتسلمون من (الشام) المونة وعليق الدواب لمدة عام، وتُحمل من قِبَل الميرى كما هو معتاد، وعند وصولها إلى القلاع لا يتولى الميرى توزيعها، وإنما تنقل بواسطة العربان من قلعة إلى أخرى.

ونظرًا لنقص مقاديرها فى الطريق، ونظرًا كذلك لأن القلاع تقع فى البيداء ولا يتيسر شراء أى شىء بدلًا عما نقص من المونة والعليق، فإن الدواب تفتقر إلى العليق، ومن ثم تموت.

والواقع أنهم محقون فى قولهم هذا كما هو ظاهر، لأننا نحن أيضًا قد جربنا ذلك. فلو تولت الحكومة نقل المونة المرتبة للقلاع وسلمتها لأصحابها بنفسها، لوضعت حدًّا لذلك، ولما ضاعت المونة وتلفت الدواب. هذا، وقد اشتُرى بغل بدل البغل الميت، وتُرك فى القلعة، أما البغل الهزيل فقد أُعطى للأورطه باشى، وأُخذ منه بدلًا منه بغلٌ قويٌّ عقابًا له على تجويعه لذلك البغل، وحتى لا يعود لمثل ذلك ويصير عبرة لسواه، وأصبح فى القلعة بغلان كالسابق.

وقد شاهدنا خارج القلعة - وباتصالها - بركة ماء مربعة الشكل، طول كل ضلع من أضلاعها ثلاثون ذراعًا معماريًّا، وعمقها عشر أذرع، وهى تتغذى بالماء بواسطة تلك الساقية، وحول البركة آبار للماء، وليس ثمة أى ضيق من ناحية الماء فى هذه المرحلة. ونظرًا لقرب هذه المحطة من (العلا)، فإن الأهالى يأتون إليها بالليمون الحلو والحامض والأترج والبلح وبعض أنواع المأكولات الأخرى المعروفة هناك ويبيعونها للحجاج' اللوحات (١-٤).[١٨]

أما الوثيقة الثانية التى تقدم معلومات مهمة عن قلعة مدائن صالح، فهى التى أقدمها دراسةً ونشرًا فى هذا البحث. وتكمن أهمية هذه الوثيقة فى أنها تُؤكد ما أوردته النصوص التاريخية بأن الذى قام بإنشاء القلعة هو والى الشام من قِبَل الدولة العثمانية، الوزير أسعد باشا العظم، الذى تولى ولاية الشام فى الفترة من عام ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م إلى عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م، بل تقدم الوثيقة تاريخًا دقيقًا لزمن إنشاء قلعة مدائن صالح، وهو الثامن

عشر من شهر جمادى الآخر عام ١١٦٨هـ، الموافق للأول من أبريل عام ١٧٥٤م، هذا فضلًا عن معلومات إدارية تتصل بقلعة مدائن صالح كما سيتضح ذلك من خلال دراسة الوثيقة.

وهذه الوثيقة مؤرخة بالسابع من شهر رمضان عام ١٢٠٩هـ، الموافق الثامن والعشرين من مارس عام ١٧٩٤م، وهذا العام يقع فى فترة حكم السلطان العثمانى سليم الثالث بن مصطفى (١٢٠٣-١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩-١٨٠٧م).

والسؤال المهم الذى يطرح نفسه هو: لماذا أمر السلطان سليم الثالث بترميم قلعة مدائن صالح فى هذه الفترة بالذات؟

وللإجابة على هذا السؤال، لابد من معرفة الأحوال العامة للدولة على وجه العموم، ومنطقة الشام ومصر وبلاد الحجاز على وجه الخصوص بشكل مختصر، ففترة السلطان سليم الثالث من الفترات العصيبة التى مرت بالدولة العثمانية؛ ففى الثامن عشر من المحرم عام ١٢٠٤هـ، الموافق أكتوبر عام ١٧٨٩م، سقطت بلغراد فى يد النمسا، وتبعها سقوط قلعة كيلى فى ٢١ من شهر صفر عام ١٢٠٥هـ، ثم قلعة إسماعيل فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٠٥هـ، مما اضطر السلطان العثمانى إلى عقد معاهدة مع الروس والنمساويين فى ٢٢ من ذى الحجة عام ١٢٠٥هـ.

وفى ١٨ من شهر المحرم عام ١٢١٣هـ، الموافق للأول من يوليه عام ١٧٩٨م، حاصر نابليون بونابرت الفرنسى مدينة الإسكندرية بمصر، وسقطت القاهرة فى يد نابليون فى ٨ من صفر عام ١٢١٣هـ، الموافق ٢٢ يوليه عام ١٧٩٨م، مما دفع السلطان سليم الثالث إلى إعلان الحرب ضد فرنسا، وتقدم الفرنسيون بعد استيلائهم على مصر وحاصروا مدينة عكا فى الساحل الشامى فى ١١ شوال عام ١٢١٣هـ، الموافق ١٨ مارس عام ١٧٩٩م، واستغل الوهابيون فرصة اختلال أمر الدولة العثمانية فتحركوا من وسط الجزيرة العربية وحاصروا الطائف فى ٢٥ شوال عام ١٢١٧هـ، الموافق ٥ فبراير عام ١٨٠٣م، ودخلوها، وسقطت مكة المكرمة فى يد الوهابيين بقيادة سعود بن عبد العزيز فى ٨ محرم عام ١٢١٨هـ، الموافق ٣٠ أبريل عام ١٨٠٣م.[١٩]

وتلك الأحداث كفيلة بأن تدفع السلطان العثمانى سليم الثالث - منذ فترة مبكرة لوقوع تلك الأحداث - إلى أن يتفقد المواقع العسكرية فى دولته، ومن ضمنها قلاع طريق الحاج الشامى على وجه العموم، وقلعة مدائن صالح على وجه الخصوص. ولا تَخْفَى أهمية الاعتناء بالمواقع العسكرية فى حالة الحروب أو توقع حدوثها، فضلًا عن الأخطار الخارجية التى تسعى لإسقاط الدولة. لذا كان الاعتناء بقلاع طريق الحاج الشامى على وجه الخصوص بالترميم والتجهيز؛ لأنها المنفذ البرى الأقرب لمصر والجزيرة العربية، وكذلك لولاية الحجاز التى استولى عليها الوهابيون فى هذه الفترة.

كما أن الأحداث السابق ذكرها، والتى حدثت فى فترة السلطان سليم الثالث، أعطت مؤشرًا لبقية سلاطين الدولة العثمانية فيما بعد لربط ولايات الشام والحجاز واليمن وبغداد بسكك حديدية تسهل عملية الوصول إليها فى حالة هجوم خارجى على ولايات الدولة فى هذه المنطقة لاحقًا.[٢٠]

فهرسة الوثيقة

المصدر: أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركى - إستانبول - تركيا.

التصنيف: جودت عسكرى.

الرقم فى المصدر: ٤٦٧٠٣.

التاريخ: ٧/ ٩/ ١٢٠٩هـ.

النوع: تذكرة.

عدد الأوراق: ٢.

أبعاد الوثيقة: ١١,٥سم × ٣٢سم.

الحالة: جيـدة.

الموضوع: تذكرة من طرف أمير الحاج سعيد باشا بخصوص مستحقات ستين نفرًا ممن شاركوا فى ترميم قلعة مدائن صالح (الشكل ٢).

النص

محتوى الأمر السلطانى:

تيمنًا باليوم الحادى عشر من شهر رجب الشريف عام ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م) الذى تم فيه الجلوس السلطانى[٢١] على التخت العثمانى، صدر الأمر السلطانى بالموافقة على تجديد

قلعة مدائن صالح وبركتها التى سبق إنشاؤها بمعرفة والى الشام وأمير الحاج الوزير أسعد باشا،[٢٢] والذى خصص لأجل أمير المحافظة خمسة وأربعين فضة،[٢٣] وزيادة خمسة وعشرين فضة يومية مرتبات ستين نفرًا للمعينين فى القلعة، وتلك المخصصات هى سنوية فى ولاية الشام، والتى سبق أن تقدم بها الوالى ملتمسًا اعتمادها للقلعة كما هو معمول به فى قلعة (عنيزة).[٢٤] ومبلغ الخمسة والأربعين فضة، والزيادة البالغة خمسة وعشرين فضة، ألحقت بدفتر ولاية الشام فى حساب الإنكشارية.[٢٥] والمبلغ المضاف على السابق - المائة وستون فضة - يُضم إلى الحساب البالغ ألفًا وستمائة وخمسة وتسعين قرشًا[٢٦] وخمس عشرة بارة[٢٧] هى من المواجب السنوية، فإذا ضمت الثلاثمائة وخمسون قرشًا إلى البواقى، أصبح المجموع ألفين وتسعين قرشًا وخمس عشرة بارة، تسجل فى دفتر ولاية الشام لحساب الإنكشارية اعتبارًا من عام ١١٦٩هـ وتخصم من عوائد جزية الشام.[٢٨] ويتم هذا الحساب على المعينين فى القلاع الثمانية[٢٩] فى طريق الحاج فى الحجاز، ومن ضمنها قلعة مدائن صالح وقلعة العنيزة، إلى آخر القلاع فى أبيار غنم وهدية الواقعة بجوار المدينة المنورة، على مُنَوِّرها أكمل التحية.

إلا أَن قلعة مدائن صالح الواقعة فى المرحلة السادسة، قد أضيف إليها عشرون نفرًا، بزيادة خمس وعشرين فضة يوميًا، حسب رغبة صنجق الولاية[٣٠] الواردة فى تقريره، والذى تمت الموافقة عليه، نظرًا لحاجة قلعة مدائن صالح إلى زيادة الأنفار بسبب قيام أشقياء من العربان على بالاعتداء بشكل مستمر على قافلة الحجاج المسلمين، مما استدعى هذه الزيادة فى قلعة مدائن صالح وبقية القلاع الحجازية. ولذا تم اعتماد هذه الزيادة وضمها إلى عوائد الشام الرسمية من المال السلطانى، وإرسال قوائم ممهورة بأسماء الأنفار وتسجيلها فى دفتر المحاسبة الرئيسية فى الخزينة العامرة فى حساب إنكشارية الولاية. وعليه، فإن مبلغ الألفيْن وتسعمائة قرش وخمس عشرة بارة يحتاج إلى أمر سلطانى عالٍ لاعتماد صرفه من الحساب المذكور تمهيدًا لإرساله، ويشمل الأمر كذلك إرسال أسلحة للأنفار المعينين لخدمة تأمين قافلة الحجاج فى قلعة مدائن صالح. وسيتم تقديم تقرير شامل سنوى لما تم إرساله من رواتب للأنفار المذكورين منذ عام ١١٦٨هـ؛ لحصر المبالغ التى تمت زيادتها منذ زمن صدور الأمر السلطانى للمرحوم والمغفور له السلطان سليم خان،[٣١] طاب ثراه، فى إنشاء قلعة مدائن صالح المؤرخ بالثامن عشر من جمادى الآخرة عام ألف ومائة وثمانية وستين، وما تم اعتماده من أموال فى ذلك العام، كما تضمنه الأمر السلطانى، ليتم بذلك القيد بموجبه يحتاج إلى صدور أمر سلطانى؛ ولذا تم إصدار هذه التذكرة.

فى ٧ رمضان عام ١٢٠٩هـ.

(ختـم) أحمد الله على نعمائه.

انتهى النص. ■



الحواشى

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١ سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط١، الكتاب الجامعى (٦) (جدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٢٠٥.

٢ سورة الحِجْر، الآيات (٨٠-٨٣).

٣ سورة هود، الآيات (٦١-٦٨)؛ سورة النمل، الآيات (٤٥-٥٢)؛ سورة الأعراف، الآيات (٧٣-٧٩)؛ سورة الشعراء، الآيات (١٤١-١٥٨)؛ سورة الشمس، الآيات (١١-١٥).

٤ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج١، ١٣٠-١٣١، بتصرف.

٥ ابن خرداذبَة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، المسالك والممالك (ليدن، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م)، ١٥٠.

٦ ابن رُسْتَه، أبو على أحمد بن عمر (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، كتاب الأعلاق النفيسة، تحقيق محمد جابر الحسينى (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ١٨٣.

٧ الإصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، مسالك الممالك (ليدن، ١٩٢٧)، ١٠-١٩.

٨ على بن إبراهيم بن على حامد غبان، الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة العربية السعودية، مدخل عام، ك (٢)، ط١ (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ١٣١.

٩ كبريت، محمد بن عبد الله الحسينى الموسوى (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوى، ط٢ (بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، ١٣٤.

١٠ أوليا جلبى، الرحلة الحجازية، مترجم (القاهرة، ١٩٩٩)، ٩٩.

١١ أيوب صبرى باشا، مرآة جزيرة العرب، ترجمة الصفصافى أحمد المرسى، ط١، ج٢ (الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٢٣٣.

١٢ سليمان شفيق بن على كمالى أوغلى، حجاز سياحتنامه، مخطوط باللغة العثمانية، مصور خاص، اللوحة رقم (١٥٣).

١٣ حسب سير جمل المحمل وقافلة الحاج الرسمية.

١٤ ابن القارى، كتاب الوزراء، نشر وتحقيق صلاح الدين المنجد فى كتاب ولاة دمشق (دمشق، د. ت)، ٧٩.

١٥ محمد عبد الحميد مرداد، مدائن صالح: أروع البلدان السياحية فى المملكة العربية السعودية، ج١، ط١، د. ن، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ط٢ (جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٦ غبان، الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة، ١٨٣.

١٧ هشام عُجيمى، القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامى من خلال وثيقة عثمانية، مجلة الروزنامة، العدد الثالث (القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ٣٠-٣١.

١٨ اللوحات مأخوذة عن وكالة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية، ومن خلال الشبكة العنكبوتية من موقع فريق الصحراء، انظر:

الراشد سعد عبد العزيز سعد وآخرون، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الكتاب الثالث (الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ١١٥.

WWW. alsahra. org

١٩ للزيادة والتوسع انظر:

I. H. Saisment, *Izahi Osmanli Tarihi Kronolojisi*, cild 4, 68-84.

٢٠ U. Gulsoy, *Hicaz Demiryolu Eren yayineri* (Iskanbul, 1994), 44-50.

٢١ كان جلوس السلطان سليم الثالث فى يوم الثلاثاء ١١/ ٧/ ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م)، وخُلع عن السلطنة فى ٢١/ ٣/ ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م)، انظر:

I. H. Danismend, *Izahli Osmanli Tarihi Kronojisi*, Turkiy yayineve (Istanbul, 1972), 68-87, cild 4.

٢٢ الوزير أسعد باشا العظم، تولى ولاية الشام أربعة عشر عامًا (١١٥٦-١١٧١هـ/ ١٧٤٣-١٧٥٧م).

٢٣ الفضة، ترجمة لكلمة (أقجه) فى العثمانية، وهى نوع من العملة المستخدمة فى فترة حكم الدولة العثمانية وولاياتها، وكانت لها قوة شرائية اختلفت زمانًا ومكانًا. للزيادة انظر:
الكرملى، النقود العربية، ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٩.

٢٤ العنيزة: إحدى محطات طريق الحاج الشامى، وتقع حاليًّا فى المملكة الأردنية، انظر خارطة طريق الحاج الشامى فى هذا البحث.

٢٥ الإنكشارية: فرقة من فرق الجيش العثمانى.

٢٦ القرش: نوع من العملة المستخدمة فى فترة حكم الدولة العثمانية وولاياتها، كانت لها قوة شرائية اختلفت زمانًا ومكانًا. للزيادة انظر:
الكرملى، النقود العربية، ٢٥٠.

٢٧ البارة: من أجزاء القرش، فكل عشر بارات تساوى قرشًا واحدًا.
الكرملى، النقود العربية، ١٨٢-١٨٣.

٢٨ شأنها فى ذلك شأن حساب قلعة الزمرد فى طريق الحاج الشامى، انظر:
هشام عجيمى، وثيقة إنشاء قلعة الزمرد فى طريق الحاج الشامى، المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، العدد الثالث، ٢٣٥-٢٤٠.

٢٩ القلاع الثمانية هى: المزيريب - الزرقاء - قطران - الحسا - عنيزة - تبوك - مدائن صالح - الزمرد. (الباحث).

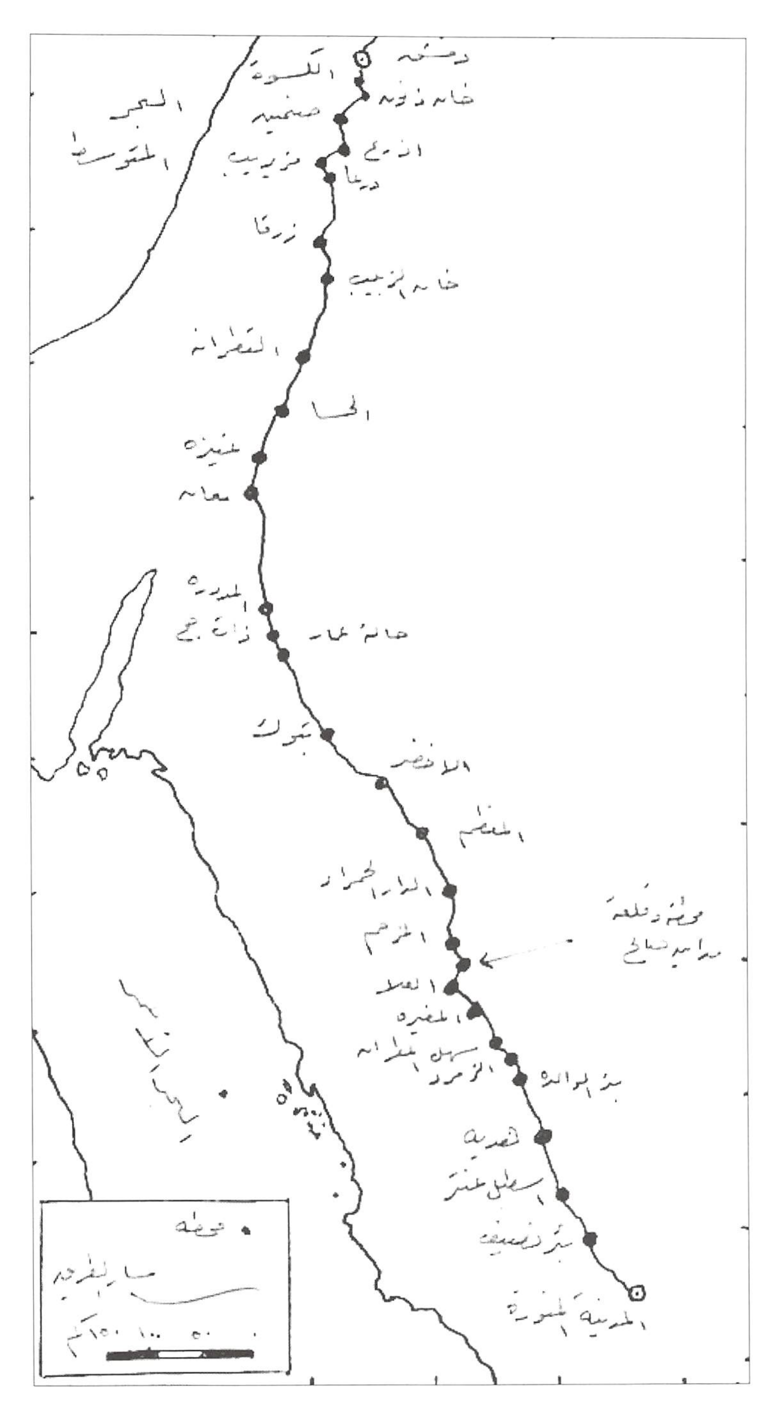
٣٠ الصنجق: رتبة من المراتب العسكرية وتشكيلاتها فى الفترة العثمانية، وله صفة إدارية أيضًا، وهى من الرتب العالية، ولكل ولاية من ولايات الدولة (صنجق) خاص بها له عدة مسئوليات. للمزيد انظر:

M. Sertoglu, *Osmanli Tarih lugati Enderun Kitabevi* (Istanbul, 1986), 302.

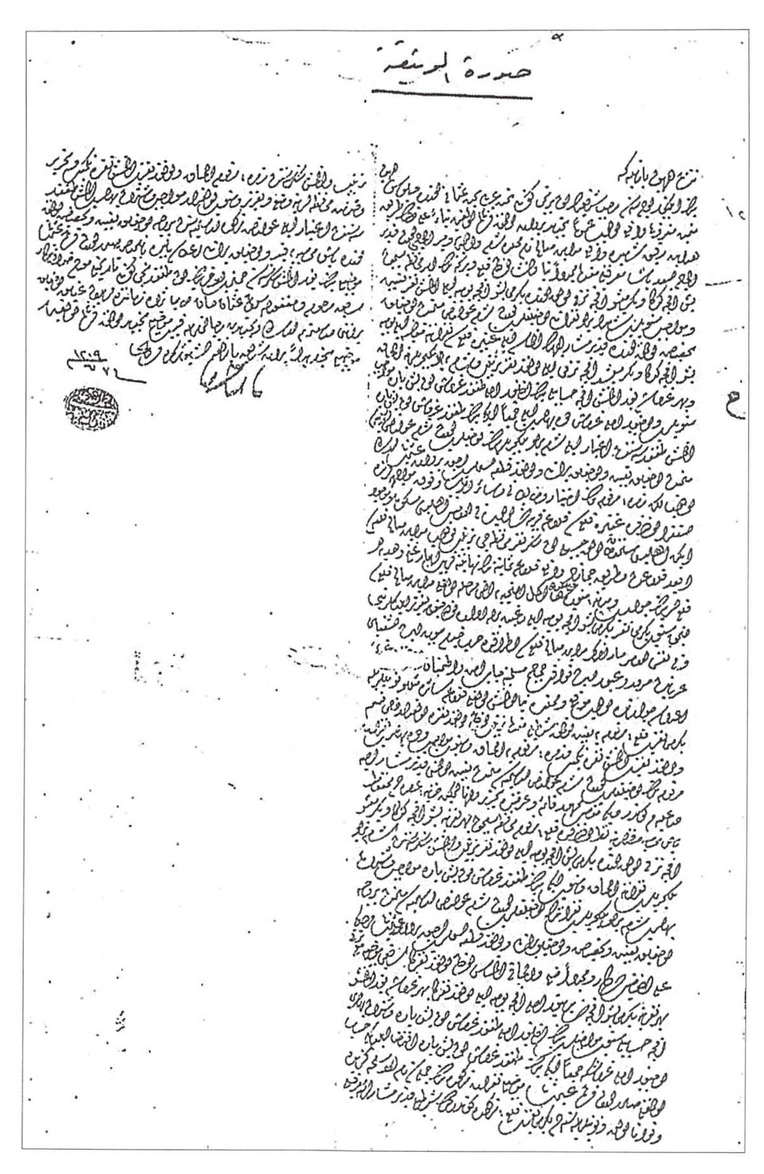
٣١ السلطان عثمان الثالث (١١٦٨-١١٧١هـ/ ١٧٥٤-١٧٥٧هـ)، انظر:

Danismend, *Izahli Osmanli Tarihi Kronojisi*, 37-56.

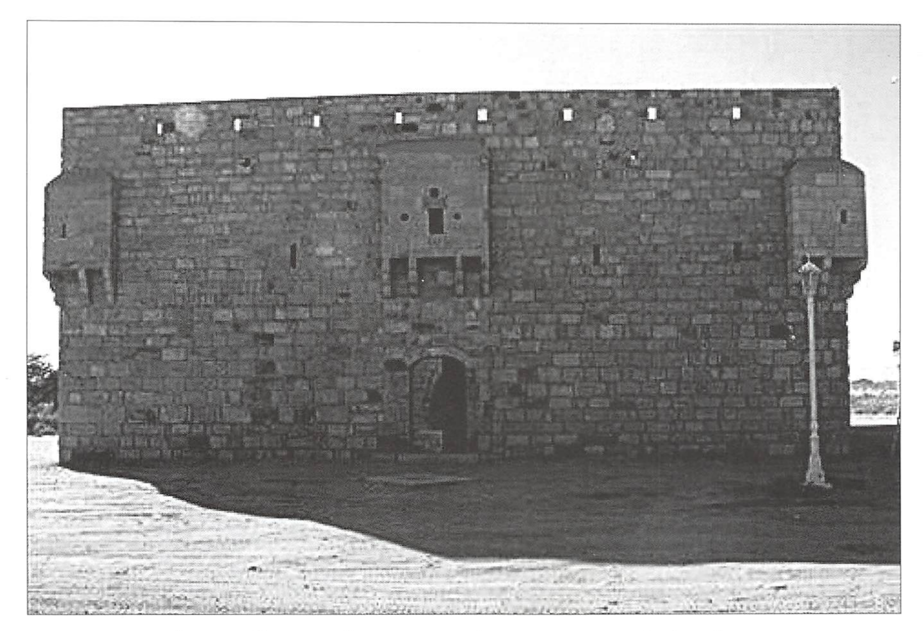




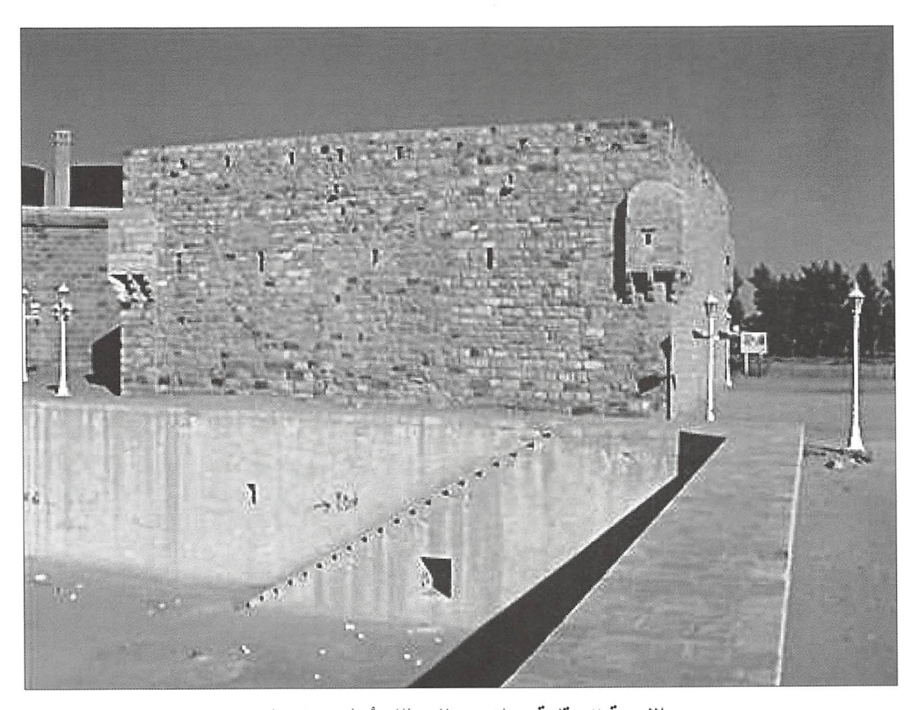
الشكل ١. خارطة درب الحاج الشامى، موضح عليها
موقع قلعة مدائن صالح (الحِجْر).



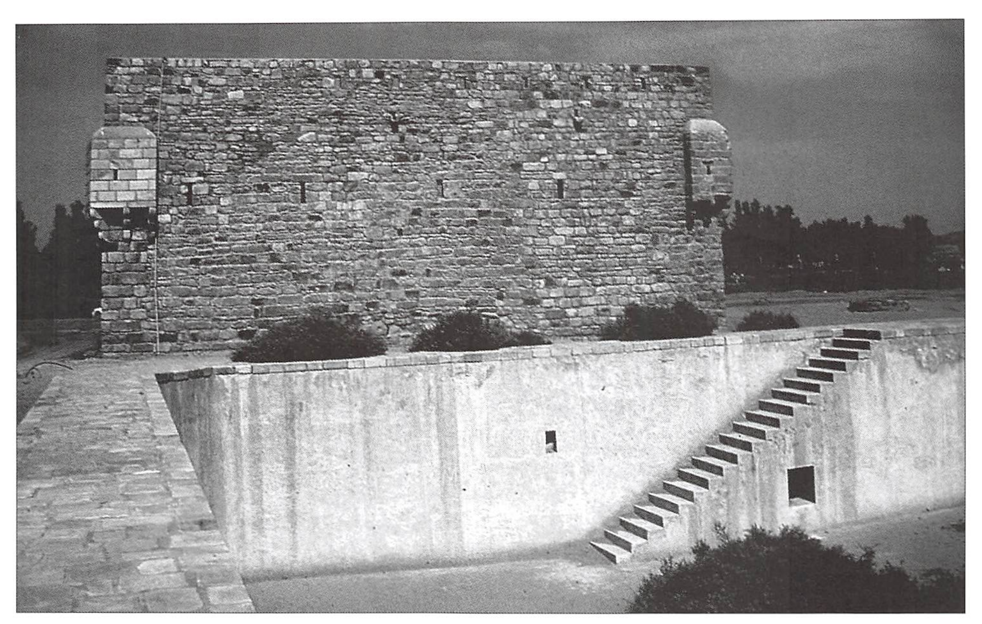
الشكل ٢. وثيقة قلعة مدائن صالح (الحِجْر).



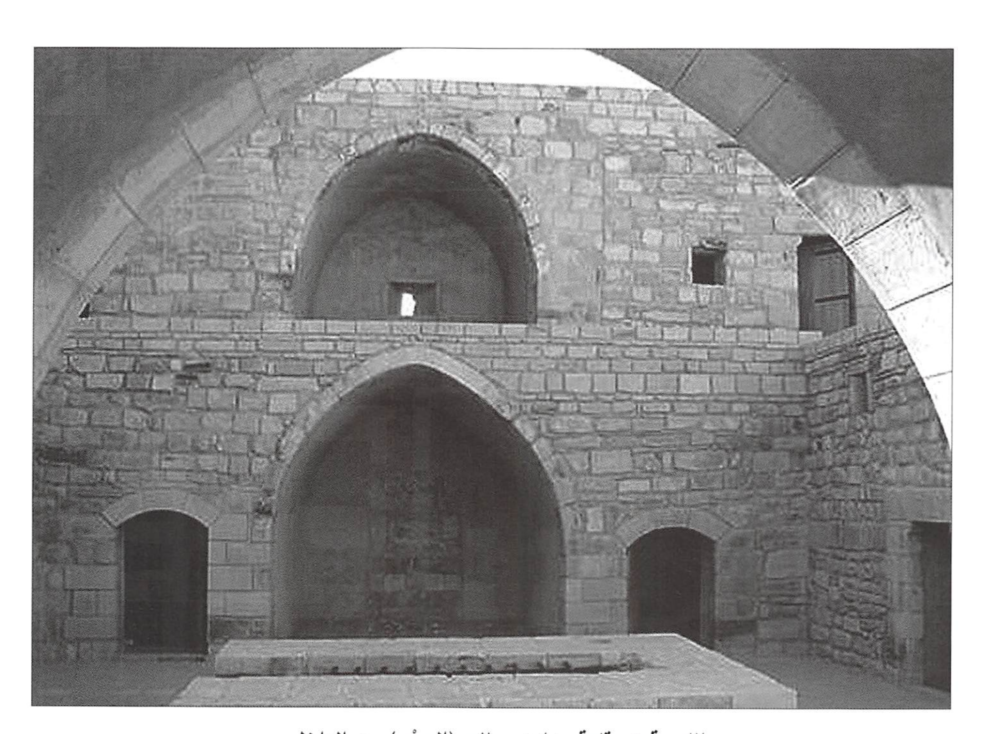
اللوحة ١. قلعة مدائن صالح (الحِجْر) حيث البوابة والواجهة الرئيسية.



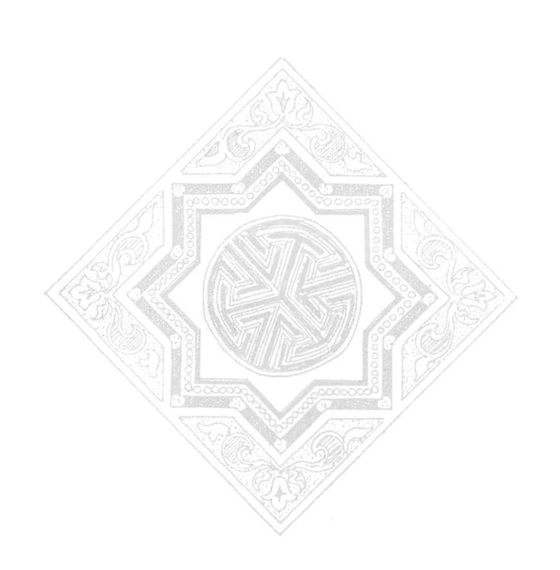
اللوحة ٢. قلعة مدائن صالح (الحِجْر) وبركتها.



اللوحة ٣. بركة مياه قلعة مدائن صالح (الحِجْر).



اللوحة ٤. قلعة مدائن صالح (الحِجْر) من الداخل.



وثيقة إنشاء قَلْعة الزُّمُرّدْ في طريق الحاج الشامي

هشام بن محمد علی بن حسن عُجیمی*

محطة الزُّمُرّد

الزُّمُرّدْ بتشديد الزاى وضمها وميم مضمومة وراء مشددة مضمومة ودال ساكنة على اسم الحِجْر الكريم، محطة من محطات طريق الحاج بين دمشق ومكة المكرمة. أحدثت فى القرن الحادى عشر الهجري/ السابع عشر الميلادى، أول من ذكرها كبريت[1] فى رحلته (١٠٧٠هـ/ ١٦٠٩م) بأنها على جادة الطريق، أى على طريق الحاج الشامى بين جبال متضايقة، ولم يذكر أن بها قلعة.

وقد عدها كبريت من محطات الحج لأن بها بئر يتزود منه الحاج بالماء، وأول من ذكر وجود قلعة بمحطة الزُّمُرّدْ المؤرخ أبى الفضل المرادى[2] (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م) فى سلك درره فى ترجمة الوزير محمد باشا والى الشام وأمير الحاج الشامى، بما نصه: 'بنى فى طريق الحاج الشريف قلعة لبئر الزُّمُرّدْ، واصطنع فيها آثاراً جميلة'.

ويؤكد النص على أن بئر الزُّمُرّدْ موجودة قبل بناء القلعة مما يؤكد النص الذى أورده كبريت بأن الزُّمُرّدْ محطة قبل إنشاء قلعة بها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل النص على أن القلعة بنيت لحماية بئر الزُّمُرّدْ، ولعل ما جاء فى النص بأن الوزير محمد باشا اصطنع فيه آثاراً جميلة، هو إنشاء أو عمل بركة بجوار البئر والقلعة.

وأول وصف للقلعة ومحتوياتها ورد فى وثيقة مؤرخة فى سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م، وهى عبارة عن تقرير عن القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامي[3] جاء فيها بما نصه: 'قلعة بئر الزُّمُرّدْ تقع على مسافة ثلاثين ساعة من 'مدائن صالح' وهى مربعة الشكل مبنية بالحجر وبداخلها بئر يرفع منها الماء بواسطة البغال، على أن حكمة الله شاءت أن ينفد ماء هذا البئر منذ عدة سنين، حيث تعطلت القلعة وانقطع الحجاج عن النزول فى هذه المرحلة. وقد اتضح لنا أن قعر هذا البئر عبارة عن صخر وأن الماء ينبع من هذا الصخر، وأنه لو تم فلق الصخر لعادت المياه إلى التفجر حسبما فهمناه.

وقد عمد أحد أمراء الحج إلى استقدام أحد الخبراء من الشام، وحطم هذا الصخر، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً، ولم ينفجر الماء، على أنه من المناسب أن يعهد إلى أحد الخبراء بمجارى المياه بالكشف عن هذا البئر، وعلى ما أظن أن هذا البئر لا يحتوى على نبع، وإنما نظراً لأن الأرض التى تحيط به رملية، والرمل يتشرب مياه الأمطار التى تتساقط وتتسرب إلى هذا البئر بالنسبة لبعد غوره، فهناك بجوار القلعة بئر عميق حفر فى وسط الرمال قد تجمعت فيه المياه، وبما أن البئر المحفورة خارج القلعة بعيد الغور، فإن مياه البئر الموجود بداخل القلعة قد تسربت إليه، فإذا ما انتدب أحد الخبراء لإقامة ساقية على البئر الخارجى وأحيط البئر بسور وأُلحِقَ بالقلعة، فإن المياه تتسرب إليه إبان المطر، وتتغذى البركة بمائه. أما إذا ترك على حاله فإن مياه الأمطار المتجمعة فيه ستغور بمجرد أن يشتد الحر، وينقطع الماء من البركة.

ونظراً لعدم وجود من يتولى الحراسة فمن المحتمل أن يتلف العربان الموجودات. ومن الضرورى جداً أن يعالج أمر الماء فى هذه المرحلة، لأن الماء الذى وجدناه فى المرحلة الثانية وهى 'البئر الجديدة' كاد أن لا يفى بحاجة دوابنا، فلابد والحالة هذه من تعيين أحد الخبراء بمجارى المياه ليعمل على تكثير الماء فى مرحلتى 'بئر الزُّمُرّدْ' و'البئر الجديدة' التى سنتكلم عنها توطئة لإحياء هذه الطريق، واستدراراً لخير الدعاء من الحجاج.

وهناك بجوار هذه القلعة بركة للماء مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها عشرون ذراعاً وعمقها عشرة أذرع معمارية، ولا يوجد فيها نقطة واحدة من الماء، ولابد من تجديد مونتها من الداخل، ومحافظ هذه القلعة يقيم بمدائن صالح'.

إن النص السابق المؤرخ فى سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م يُعطينا وصفاً دقيقاً لمحطة الزُّمُرّدْ وقلعتها وبئريها وبركتها، وتلك المعلومات تصف محطة الزُّمُرّدْ بعد إحدى وستين عاماً من إنشاء القلعة التى تم بنائها سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م على يد والى الشام وأمير الحاج الشامى الوزير محمد باشا.

ونلحظ كذلك أن الوصف السابق لمحطة الزُّمُرّدْ بأن القلعة جيدة البناء ولا تحتاج إلى ترميم وتنحصر المشكلة فيها بأن الماء بها غير متوفر ولذلك أقام محافظها بمحطة مداين صالح.

والوثيقة التى بصدد الدراسة فى هذا البحث تكشف عن معلومات مهمة تتركز فى إثبات ما أورده المرادى فى سلكه بأن بانى القلعة هو الوزير محمد باشا والى الشام وأمير الحاج الشامى سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م.

هذا بالإضافة إلى الكثير من المعلومات المهمة عن الاعتمادات المالية قبل إنشاء القلعة، وأثناء الإنشاء فضلاً عن المعلومات الإدارية، وعدد الجنود المخصصين للإقامة بها والاعتمادات المالية لهم ومصدرها، وطريق حسابها، واستمرارها، وغير ذلك من المعلومات المهمة التى تعتبر إضافات جديدة لتاريخ محطة 'الزُّمُرّدْ'، وتلك المعلومات فى مجموعها تدل دلالة تاريخية وثائقية عن مدى اهتمام الدولة العثمانية على وجه العموم، وولاية الشام على وجه الخصوص بمحطات طريق الحاج الشامى لتوفير الخدمات الأساسية لحجاج بيت الله الحرام. ونظراً لتلك الأهمية تكمن ضرورة نشر هذه الوثيقة.

فهرسة الوثيقة

المصدر: أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركى – استانبول – تركيا.

التصنيف: جـودت عسكرى.

الرقم فى المصدر: ٥٤٨٢٧

التاريخ: ٨ شوال سنة ١١٩٠هـ.

النـوع: تقـرير.

اللغـة: تركية عثمانية.

عدد الأوراق: ١

الخط: ديوانى – رقعة.

الحالة: جيـدة جدا.

الموضوع: إنشاء قلعة الزُّمُرّدْ فى طريق الحاج الشامى وتسوية حساباتها.

محتوى الوثيقة:

أمر صادر للالتماس المشار إليه بعد الموافقة المسجل بقلم الحفظ بشروطه بموجب الطلب المقدم تلخيصه فى ٢٨ رمضان سنة ١١٩٠هـ، تم.[٤]

عرض عبدكم[٥]

إن المسافة الواقعة بين قلعة 'أبيار غنم'[٦] وقلعة 'بئر الوالدة'[٧] الواقعتين على طريق الحاج فى الحجاز تقدر بثلاثين ساعة،[٨] وفى هذه المسافة يجد حجاج القافلة العناء، وكذلك حراس القافلة وتتلف الحيوانات بينهما. ولذلك تقدم والى الشام وأمير الحاج الوزير المكرم صاحب السعادة حضرة الحاج محمد باشا[٩] بالتماس محرر يطلب فيه إنشاء قلعة جديدة بين القلعتين المذكورتين عند بئر الزُّمُرّدْ، وصدر الأمر الشريف بموجبه لإنشاء القلعة حسب رؤية الوزير المشار إليه وتحديد الصرف عليها من قبل الوزير المذكور لأجل المحافظة على الحجاج وخدمتهم وتعيين ستون نفراً لهذه القلعة[١٠] لضمان السلامة للقافلة المباركة تكون عوائدهم[١١] من أموال الجزية[١٢] التى يتسلمها أمير حجاج الشام، ومن فائض المال المشار إليه يتم شراء ما يتوجب بالإضافة إلى شراء جمال لذلك حالاً، ويصرف عليها فى كل سنة حسب الزمان المقرر فى موضعه، وبعد ذلك يتم تسويته حسب الدستور المعمول به، ولذا أعطى الأمر بالإنفاق المشار إليه، وتم إعلام قلم جزية الشام الشريف بذلك لاعتماد المعاشات المقتضية لذلك وقدرها ستة وعشرون ألفاً وستمائة وثلاثة وستون قرشاً[١٣] ونصف، تسجل فى قيد مثله بعد الإخراج لحساب الوزير المشار إليه، ويضاف إليها مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وثمانون قرشاً لشراء المطلوبات وكراية للجمال حسب الالتماس الذى تقدم به الوزير المشار إليه وتمت الموافقة على طلبه ويكون ذلك اعتباراً من سنة ١١٩٠هـ، وحيث

أن المال المذكور مستقطع من فائض جزية الشام فى هذه السنة المباركة، فينبغى عمل قائمة بالأسماء لتسجيل الحقوق وإصدار رتبة لذلك، وإبلاغ المحاسبة الرئيسية، لذا والحالة هذه فإن الوزير المذكور قد عُيّن له الحاج عبد اللطيف أغا لإعداد تلك القائمة، وكتب له تقريراً لما تم ذكره، وجاء فى تقريره أن المبلغ المار الذكر وهو ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وثمانون قرشاً لا يكفى لتغطية المشتروات لتوفير الذخيرة[١٤] وشراء الجمال، لذا حدد مبلغ وقدره خمسة آلاف ومئة وخمسة وعشرون قرشاً لتغطية المصروفات السالفة الذكر وأُعد التنظيم الملائم، وقد تم إعلام الوزير المشار إليه بذلك، وتم إعداد القائمة الخاصة بذلك، وتم تحرير أسماء الأنفار[١٥] المذكورين بواقع ألف وخمسمائة فضة[١٦] يومياً وسنوياً أربعة آلاف وأربعمائة وخمسة وعشرون قرشاً، وقيمة ذخيرة وكراية جمال سبعمائة قرش، ومجموع ذلك خمسة آلاف ومئة وخمسة وعشرون قرشاً، وتم إعلام المحاسبة الرئيسية بذلك لعمل ترتيب الحساب المذكور، وإصدار الأوامر اللازمة وتحديد الرُّتبْ لحفظه لدى القلم المختص حسب الشروط المعتبرة والحساب الذى التمسه الوزير المشار إليه وقدره خمسة آلاف ومئة وخمسة وعشرين قرشاً يعتمد اعتباراً من سنة ١١٩٠هـ، يستقطع من فائض الجزية المذكورة، لذا يتوجب إصدار الأمر بذلك[١٧] لإجراء ما تم ذكره من مطلوبات فى هذا الشأن والأمر لحضرة صاحب الدولة والعناية حضرة سلطاننا . صحيح.

تذكره براءة لما ذكر فى ٨ شوال ١١٩٠هـ

انتهى نص الوثيقة المؤرخ سنة ١١٩٠هـ

وتفيد وثيقة[١٨] مؤرخة فى سنة ١١٩٦هـ أى بعد ست سنوات من إنشاء قلعة الزُّمُرّدْ أن الطلب المقدم سنة ١١٩٠هـ قد وافق عليه السلطان العثمانى، وأن ميزانية قلعة الزُّمُرّدْ خصص لها مبلغ وقدره خمسة آلاف ومئة وخمسة وعشرين قرشاً هى رواتب المأمور وستون نفراً من فرقة (مستحفظان) وذخيرة وأجراء كراء، وتم ربط المبلغ من فائض جزية ولاية الشام على أن يكون مبلغ وقدره ألفين وثمانمائة قرش من الجزية المفروضة على (نسيم اليهودى) والباقى من المبلغ وقدره ألفين وثلاثمائة وخمسة وعشرين قرشاً من عُهدة (صوباشى البقاع أمير آخور محمد المتوفى).

وبذلك يتضح أن قلعة الزُّمُرّدْ استمرت فى أداء مهمتها التى أنشئت من أجلها وأن ميزانيتها منذ إنشائها سنة ١١٩٠هـ بلغت (٥١٢٥) قرش، واستمرت بعد ذلك إلى سنة ١١٩٦هـ، ولعل الوثائق تكشف لنا الكثير من النواحى الإدارية والمالية لقلعة الزُّمُرّدْ مستقبلاً.

أما القلعة ومبانيها فقد أفادت الوثيقة المؤرخة فى سنة ١٢٥١هـ أنها سليمة ولا ينقصها سوى الماء ومازال مبنى القلعة قائماً فى محطة الزُّمُرّدْ فى طريق الحاج الشامي،[١٩] وقد أورد الزميل الدكتور على حامد غبان صورة لها،[٢٠] وهى صورة وحيدة وفريدة للقلعة إلا أنه لم يذكر تاريخ تصويرها. ■

الحواشى

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١ كبريت، محمد بن عبدالله الحسينى، كتاب رحلة الشتاء والصيف (القاهرة، ١٢٩٣)، ٢٣٨.

٢ المرادى، أبى الفضل محمد خليل بن علي، سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر، ج٤، ط٣ (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٩٧-١٠٢.

٣ هشام بن محمد على عُجيمى، القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامى من خلال وثيقة عثمانية، مجلة الروزمانة، العدد الثالث، دار الوثائق القومية (القاهرة، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ)، ٣١-٣٣.

٤ تأشيرة الموافقة على الالتماس المقدم كتب بالخط الديوانى وهذه التأشيرة تكتب من قبل ديوان المحاسبة المالية المركزية فى استانبول.

٥ عبارة تكتب عادة فى حالة طلب الموافقة على موضوع ما عند العرض على سلطان الدولة العثمانية، وعادة ما يكون العرض ملخصاً بأقصر عبارة محتوياً على كافة المعلومات المالية والإدارية، وفى حالة الموافقة تكتب إدارة المحاسبة المالية الأمر بذلك وهو ما ورد فى مقدمة الوثيقة، الحاشية السابقة.

٦ أبيار الغنم، وردت فى الوثيقة (أنبار نعم) والصحيح ما أثبت، وتسمى هذه القلعة، أيضاً (قلعة الفقير) و(قلعة الحفائر) و(حفائر الغنم) و(أبيار الغنم) وهى قلعة عثمانية، غبان، الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة، مدخل عام، ط١ (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ١٨٥.

٧ قلعة بئر الوالدة، وتسمى (البئر الجديدة) و(قلعة الصورة)، انظر: غبان، الآثار الإسلامية، ١٨٧.

٨ تقدير المسافة بالساعات أى حسب سير جمل المحمل.

٩ محمد باشا، والى الشام ترجم له المرادى فى سلك الدرر فى أعيان

القرن الثانى عشر، ط٣، ج٤ (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٩٧-١٠٢.

١٠ تؤكد هذه العبارة وجود طلب باسم الوزير محمد باشا والى الشام ووجود موافقة من قبل السلطان، إلا أن هذه الأوراق لم تضم مع الوثيقة.

١١ العوائد، هى الرواتب المخصصة للجنود.

١٢ أموال الجزية، هى ما تم جمعه من أموال مقررة على النصارى المقيمين فى ولاية الشام، وهى أموال سنوية مفروضة عليهم تشكل دخلاً أساسيًا لولاية الشام يتسلمها والى الشام ويصرف منها على شئون الولاية، ويسجل ذلك فى دفاتر تبين وجه الصرف وتتم محاسبة الولاية على تلك الأموال من قبل ديوان المحاسبة المركزى فى استانبول. (الباحث)

١٣ نوع من العملة المستخدمة فى فترة الدولة العثمانية وولاياتها، لها قوة شرائية اختلفت زمانًا ومكانًا، انظر: الكرملى، الأب انستانس مارى، النقود العربية الإسلامية وعلم النميات، ط٢ (القاهرة، ١٩٨٧)، ٢٥٠.

١٤ الذخيرة: مصطلح عام لجميع ما توفره الدولة لموقع يقدم الخدمة الميدانية لموقع أو لمدينة أو لولاية فى الدولة العثمانية، ويشمل ذلك المواد الغذائية كالحبوب والسمن والزيت والمسلى وعلف الدواب وغير ذلك. (الباحث)

١٥ جمع نفر، والنفر اسم للجندى المكلف بخدمة محددة فى أى موقع (الباحث).

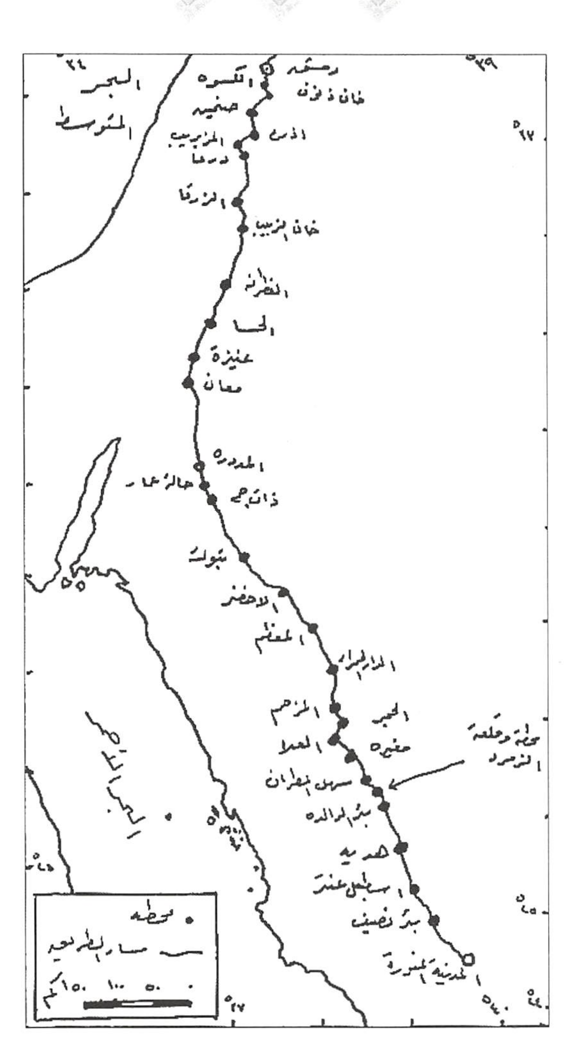
١٦ الفضة: ترجمة لكلمة (أقجة) فى العثمانية، وهى نوع من العملة المستخدمة فى فترة الدولة العثمانية وولاياتها، لها قوة شرائية اختلفت زماناً ومكانًا، للمزيد انظر: الكرملى، النقود العربية، ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٩.

١٧ تفيد هذه العبارة طلب الموافقة على اعتماد الزيادة المالية التى تقدم بطلبها والى الشام الوزير محمد باشا. (الباحث)

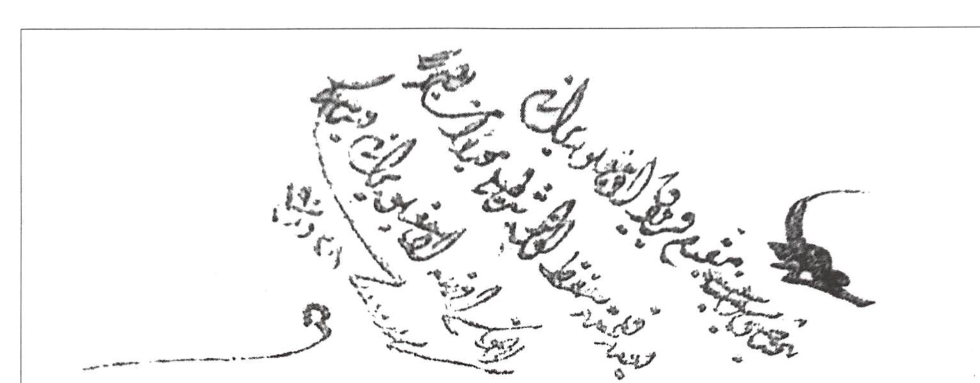
١٨ أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركى، تصنيف جودت عسكرى، وثيقة رقم ٥٢٠١٩/ ٧ مؤرخة فى سنة ١١٩٦هـ.

١٩ انظر: موقع محطة الزُّمُرّدْ فى خارطة طريق الحاج الشامى فى هذا البحث.

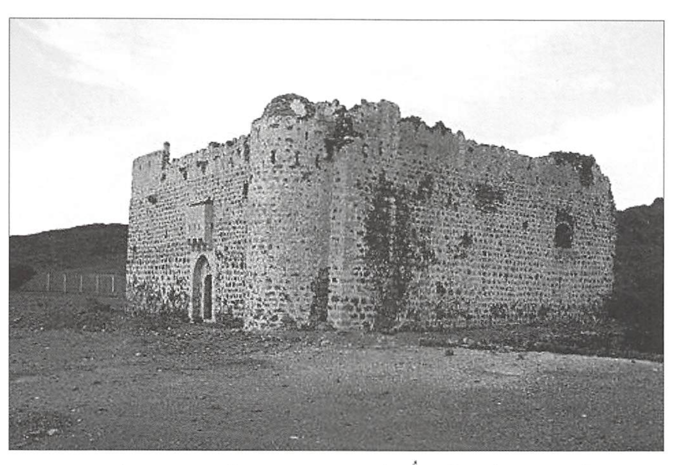
٢٠ انظر واجهة قلعة الزُّمُرّدْ: غبان، الآثار الإسلامية، ١٨٧، الشكل رقم (٨٩).



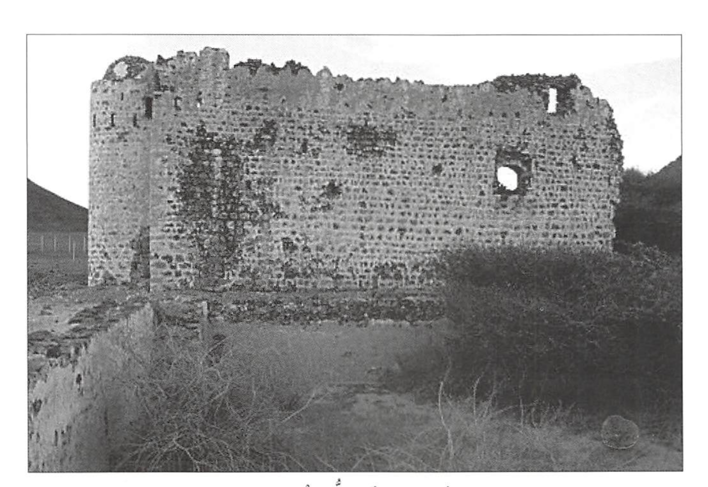
الشكل ١. خارطة درب الحاج الشامي خلال العصر العثمانى موقع عليها قلعة الزمُرّدْ.



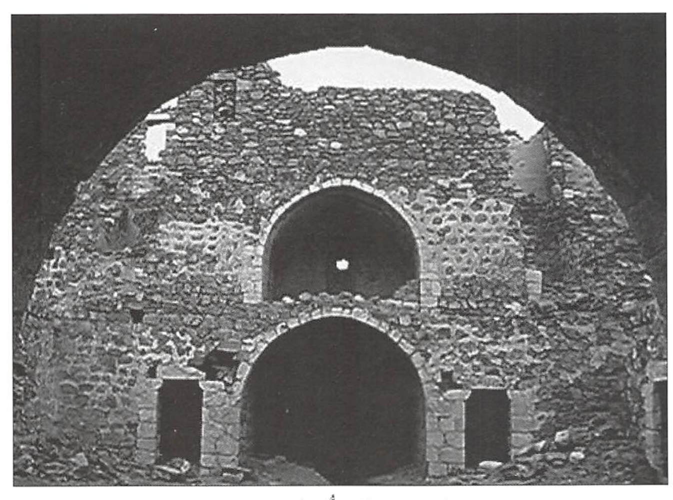
الشكل ٢. وثيقة إنشاء قلعة الزُمُرّدْ على طريق الحاج الشامى.



اللوحة ١. واجهة قلعة الزُّمُرَدْ التي تم تشيدها في العصر العثمانى على طريق الحاج الشامى.



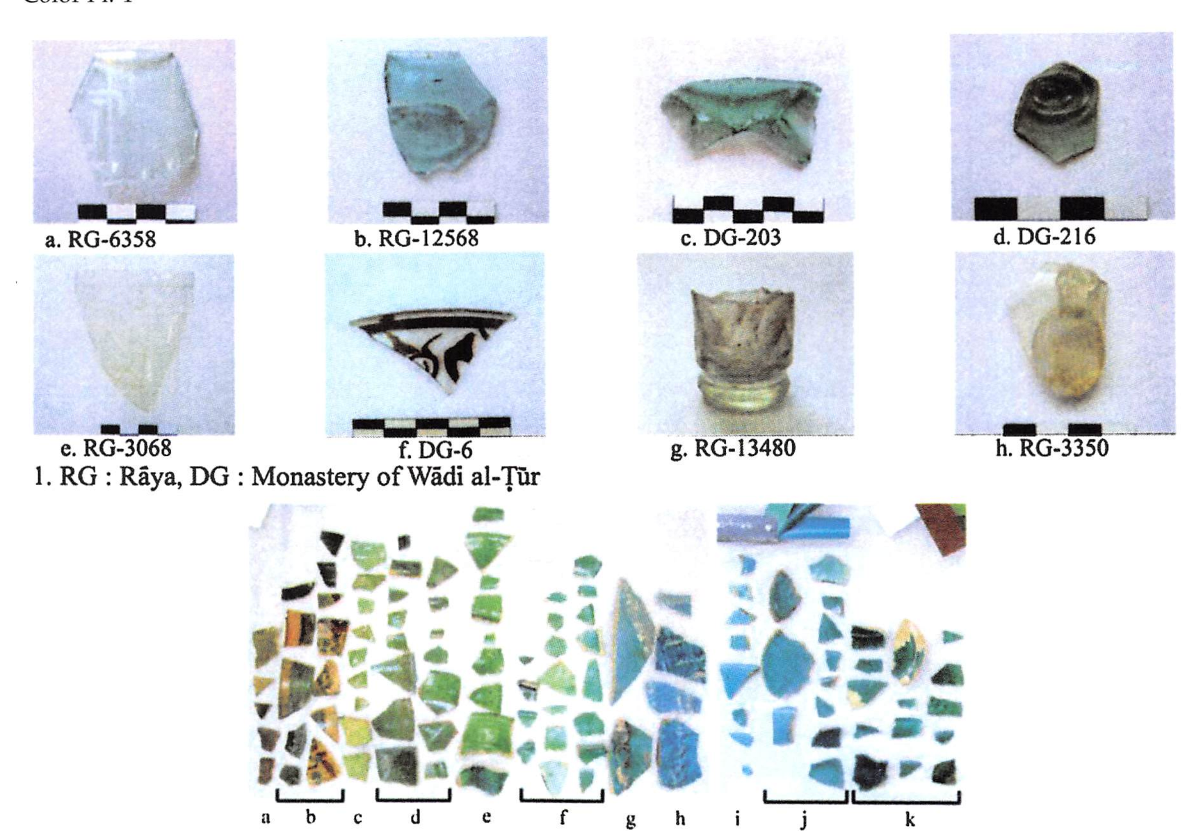
اللوحة ٢. قلعة الزُّمُرَدْ وبركتها.



اللوحة ٣. قلعة الزُّمُرَدْ من الداخل.



Color Pl. 4

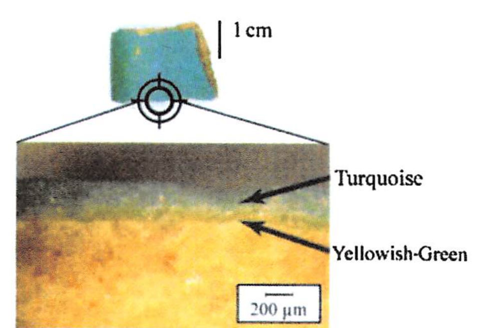


a. RG-6358 b. RG-12568 c. DG-203 d. DG-216

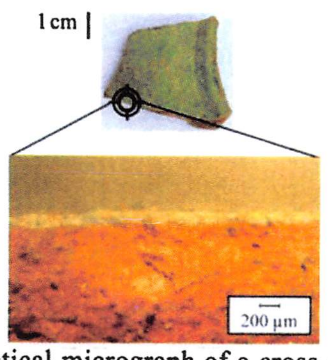
e. RG-3068 f. DG-6 g. RG-13480 h. RG-3350

1. RG : Râya, DG : Monastery of Wādi al-Ṭūr

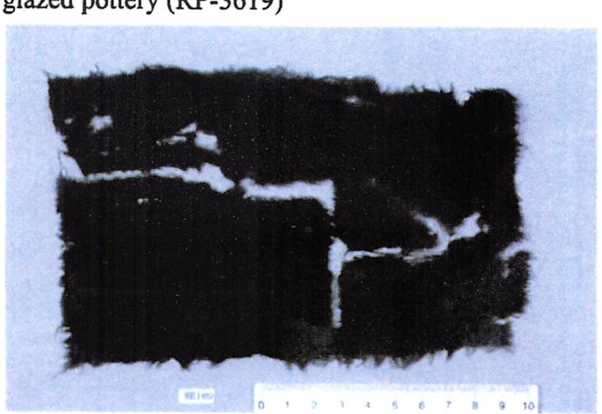
2. Some samples analyzed in this study and their color variations. (a. brownish-yellow, b. brownish-green, c. yellowish-green, d. e. green, f. g. k. bluish-green, h. j. blue, i. turquoise) Further detailed classifications of each color are described in the text.



3. Optical micrograph of a cross-section of turquoise glazed pottery (RP-3619)



4. Optical micrograph of a cross-section of yellowish-green glazed pottery (RP-8126)



5. RR-189



6. RR-55



Color Pl. 3



1. RC-118 (recto)



2. RC-118 (verso)



3. RP-18582+18583+18584+18585



4. RP-17895+18826+20302



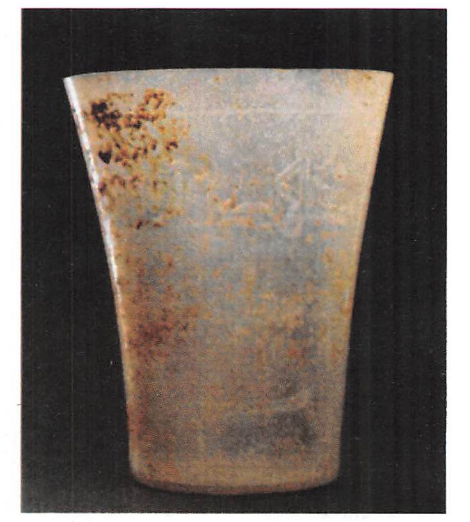
5. RP-19059+19083+19084+19085



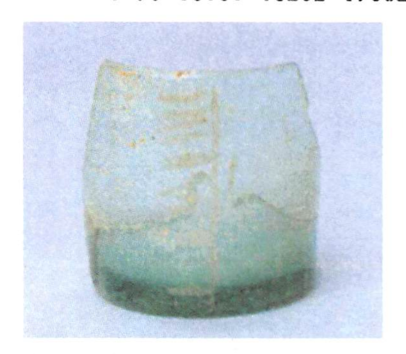
6. RP-18128+18129+18131+18133 +18136+18161+18202+19062



7. RO-8979



10. RG-9487 (unearthed in 2001)



8. RG-5447+5587+5588 (unearthed in 1999)

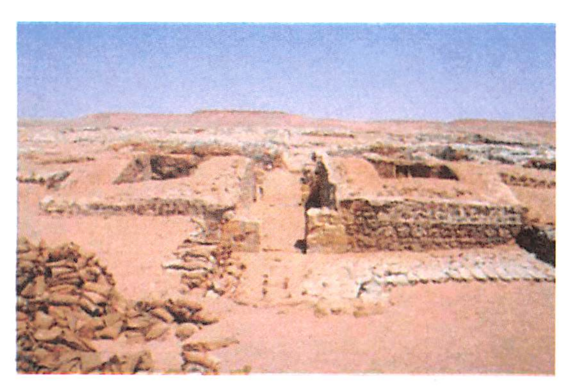


9. RG-K3169 (unearthed in 2005)

Color Pl. 2



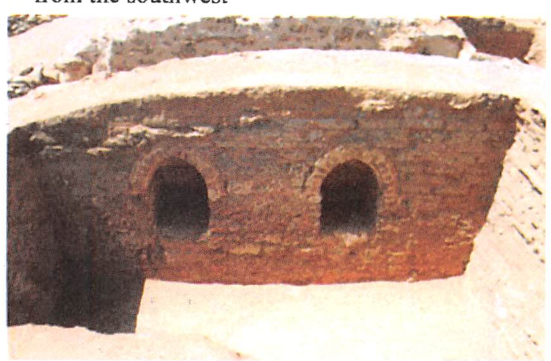
1. General view of the excavated area from the northeast



2. Main Gate, Tower 1 and Tower 9 from the southwest



3. Stairs in the southwestern part of Room 4-13



4. Niches in the northwest wall of Tower 9



5. Luster-glazed pottery unearthed in Room 4-23



Color Pl. 1



1. General view of the main gate area of the Fort



2. Fieldwork in 2007

Pl. 45

1. RT-11818

2. RT-11262

3. RT-11341

4. RT-12022

5. RT-12023

6. RT-12091

7. RO-8865~8875

8. RO-8835

9. RO-8921

10. RO-9142

11. RO-9163

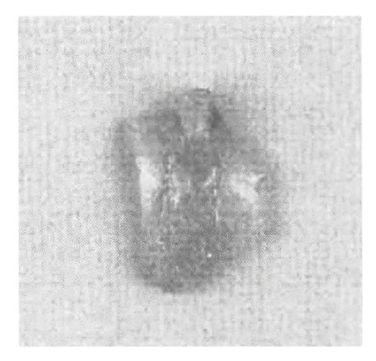
12. RO-8739

13. RO-8997

14. RO-8867



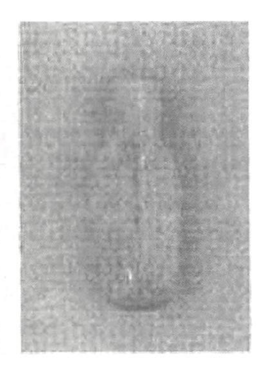
Pl. 44



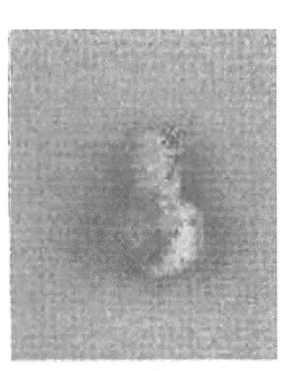
1. RG-13138



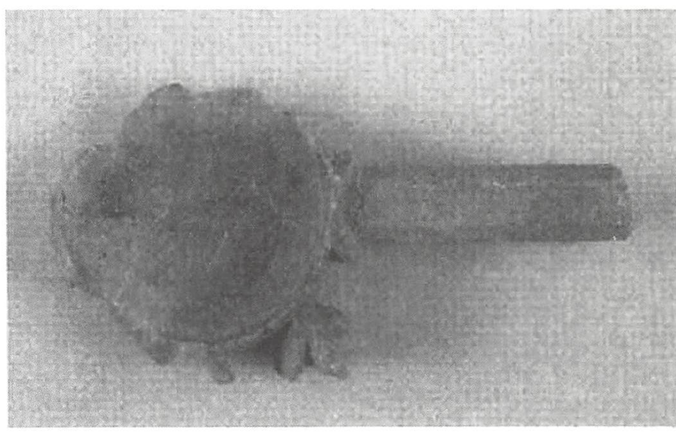
2. RG-13307

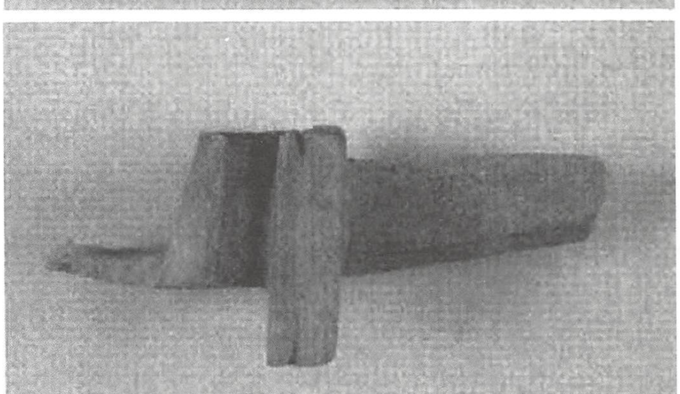


3. RG-13107

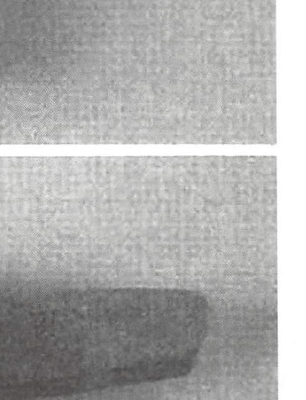


4. RG-13326

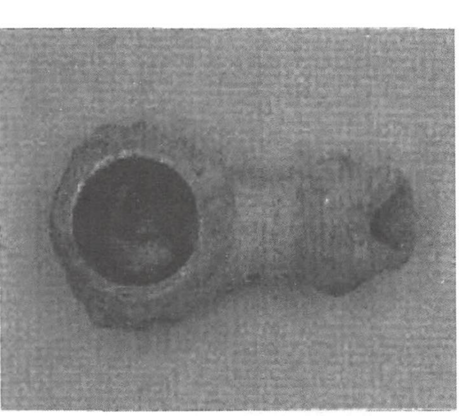


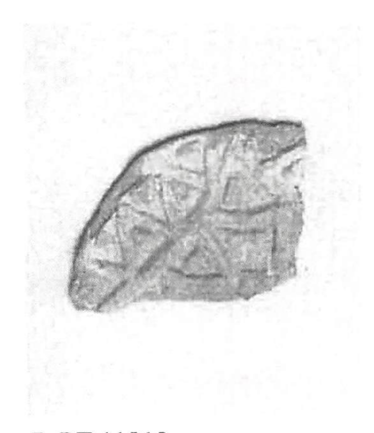


5. RT-11807

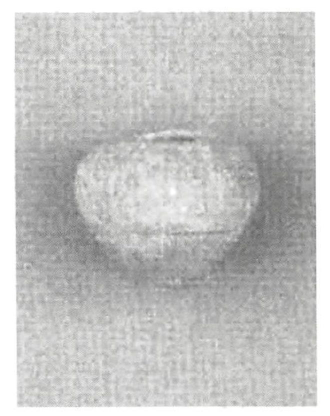


6. RT-11990

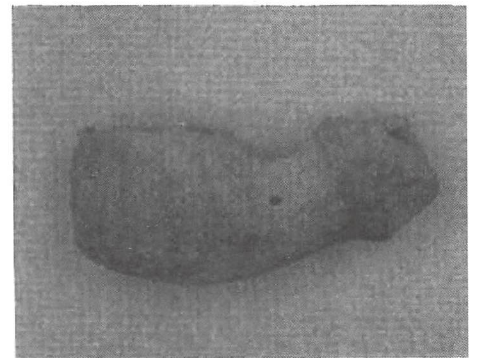




7. RT-11913



8. RT-11742



9. RT-11082

Pl. 43

1. RG-13456

2. RG-13204

3. RG-13273+13276

4. RG-13122

5. RG-13222

6. RG-13531

7. RG-13591

8. RG-13657

9. RG-13669

10. RG-13480

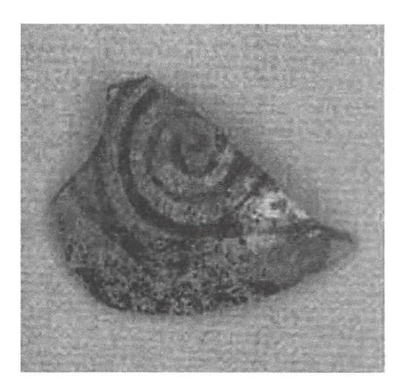
11. RG-13407

12. RG-13419

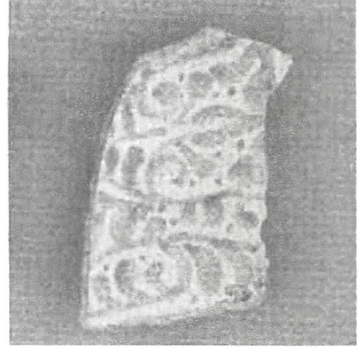
13. RG-13237



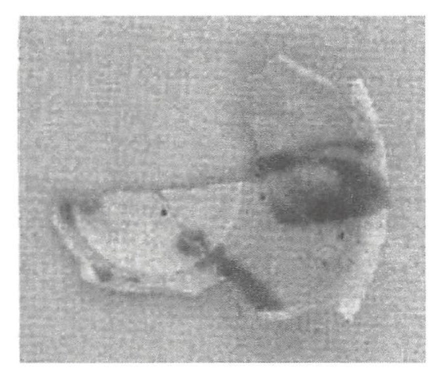
Pl. 42



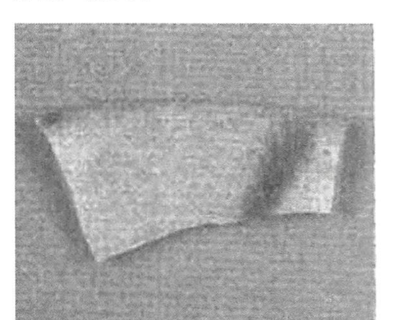
1. RP-18968



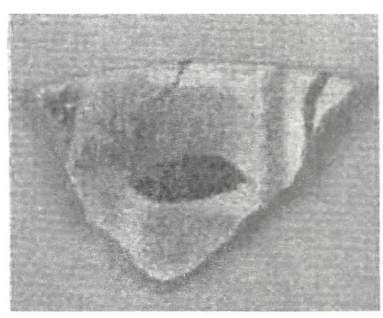
2. RP-19008



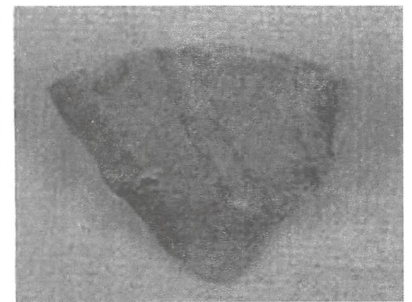
3. RP-18784+18852



4. RP-18688

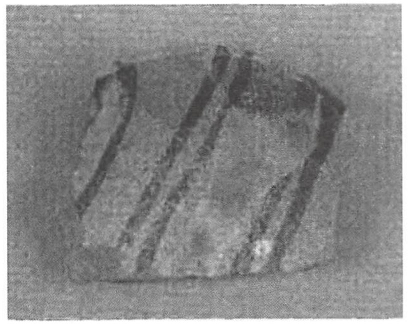


5. RP-18896

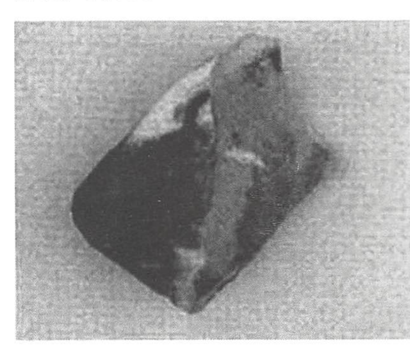


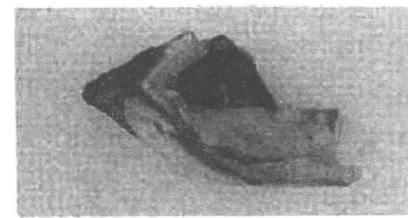
6. RP-18824



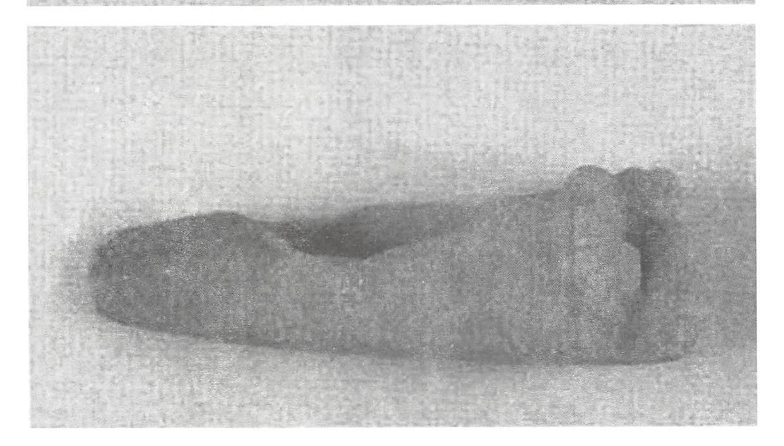


7. RP-18791



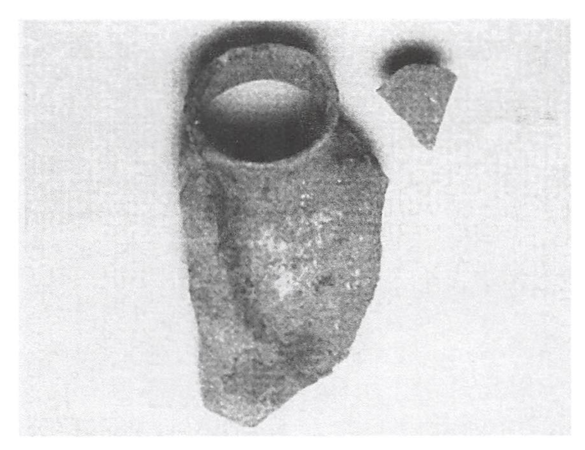


8. RL-196

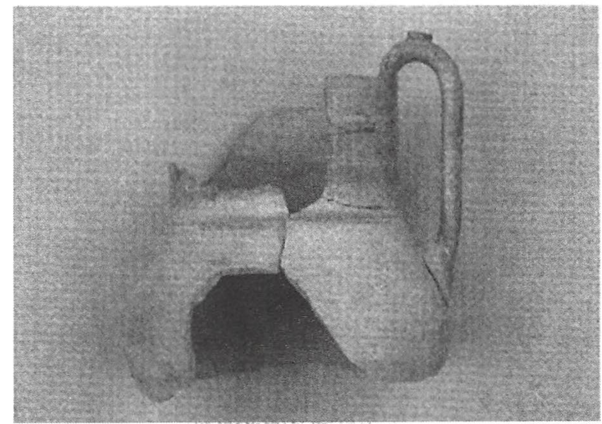


9. RL-211

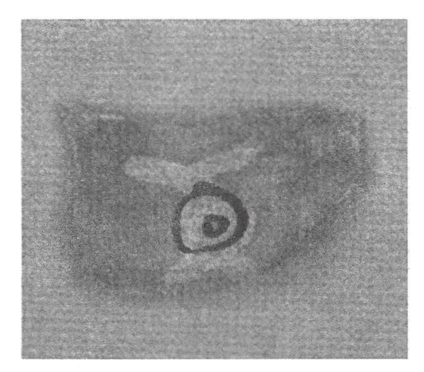
Pl. 41



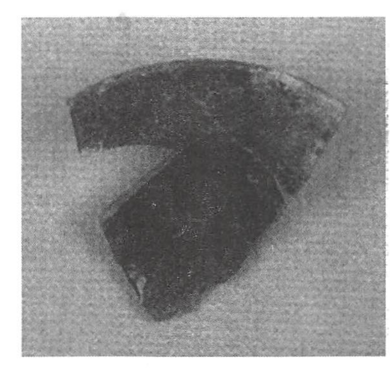
1. RE-5619



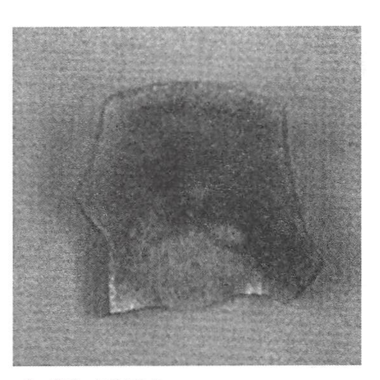
2. RE-5494+5546



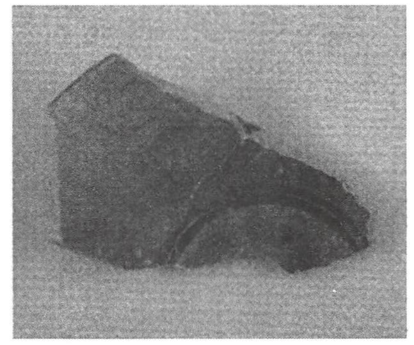
3. RE-5802



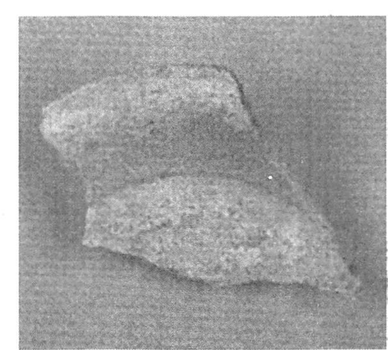
4. RP-18743+18744



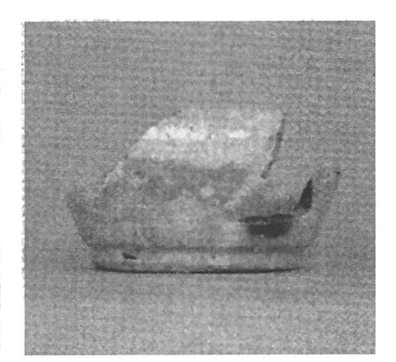
5. RP-18588



6. RP-18655



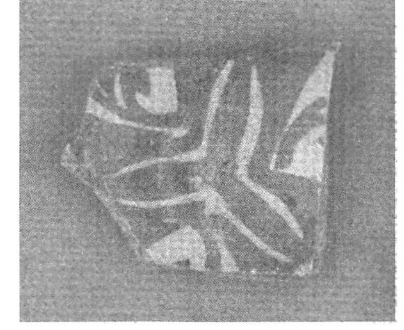
7. RP-18884



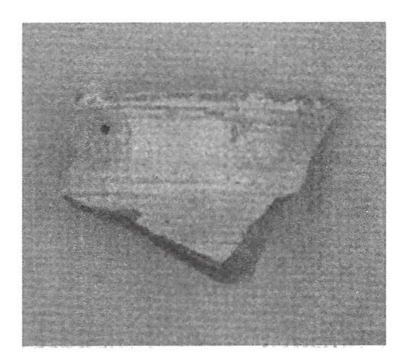
8. RP-18635+18850+20169



9. RP-18921



10. RP-18748



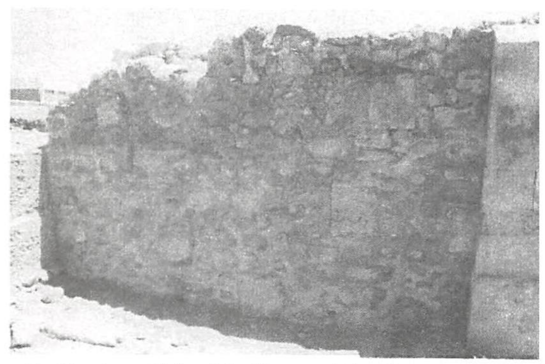
11. RP-19116



Pl. 40



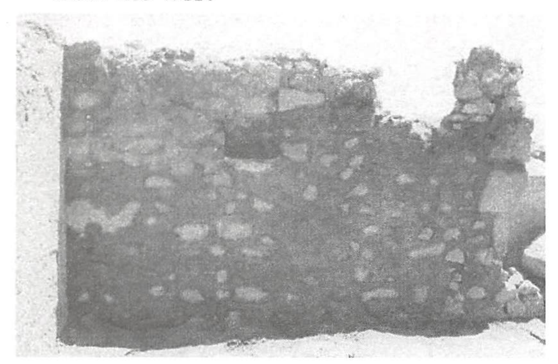
1. East wall inside Room 21 before repairs, from the west



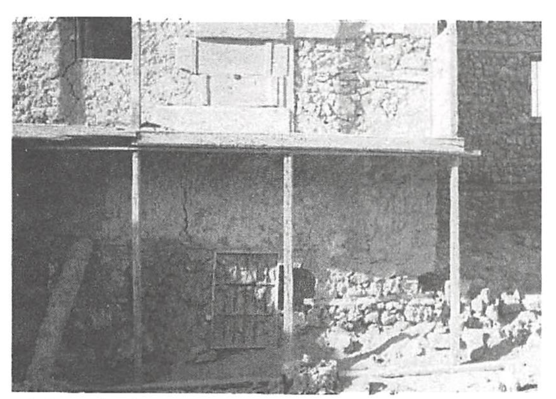
2. East wall inside Room 21 after repairs, from the west



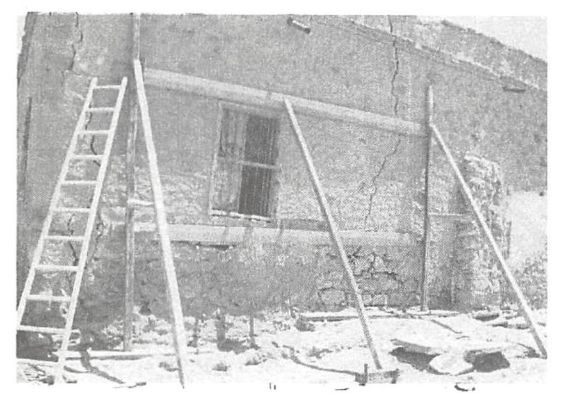
3. East wall inside Room 20 before repairs, from the west



4. East wall inside Room 20 after repairs, from the west



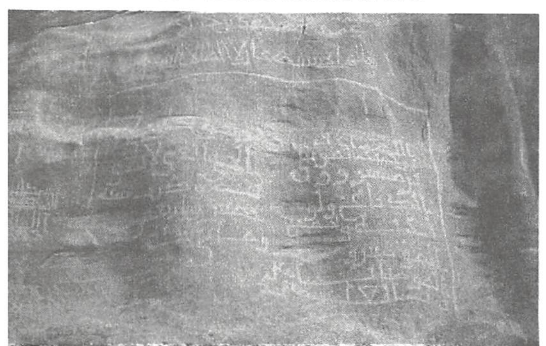
5. North side of Modern House No. 32



6. West side of Modern House No. 1

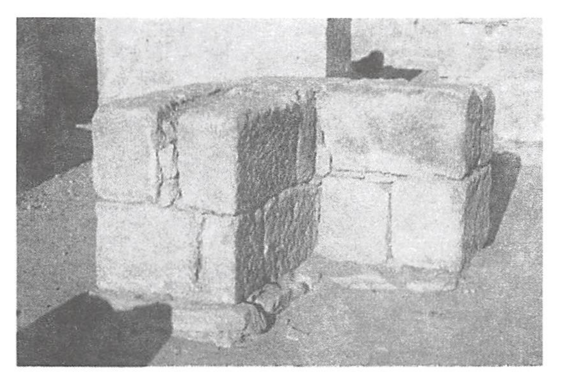


7. South area of the site of rock inscriptions of Jabal Nāqūs

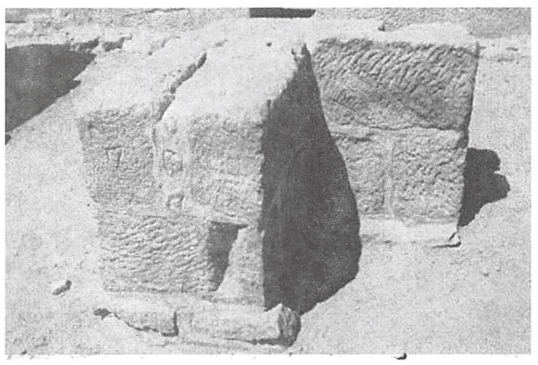


8. Inscription S-XII-053

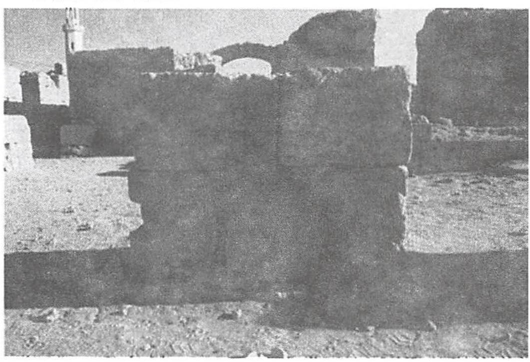
Pl. 39



1. East face of Pillar 3 before repairs, from the east



2. East face of Pillar 3 after repairs, from the east



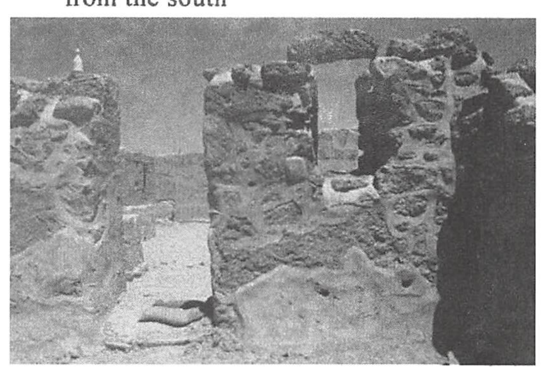
3. South face of Pillar 5 before repairs, from the south



4. South face of Pillar 5 after repairs, from the south



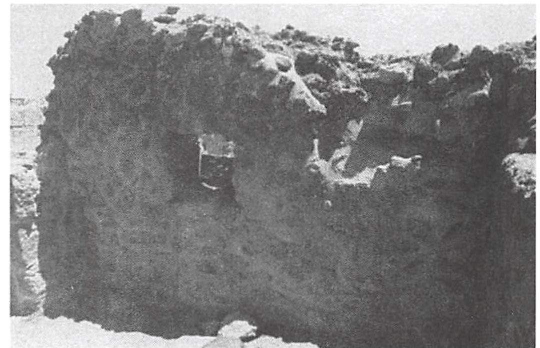
5. North wall inside Cell 2 before repairs, from the south



6. North wall inside Cell 2 after repairs, from the south



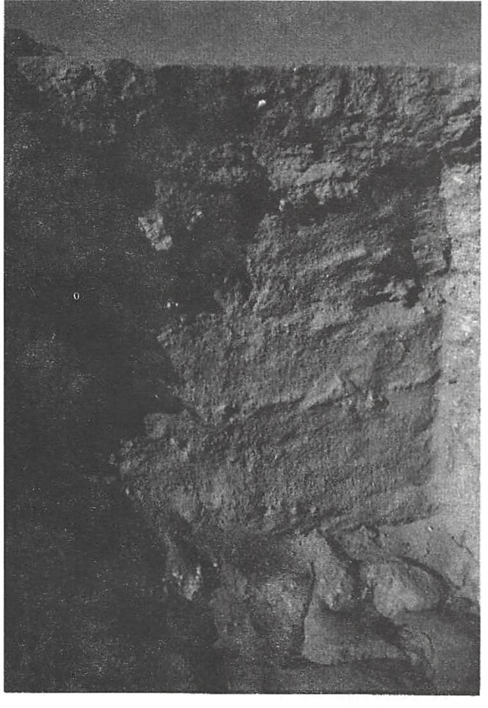
7. East wall inside Cell 4 before repairs, from the west



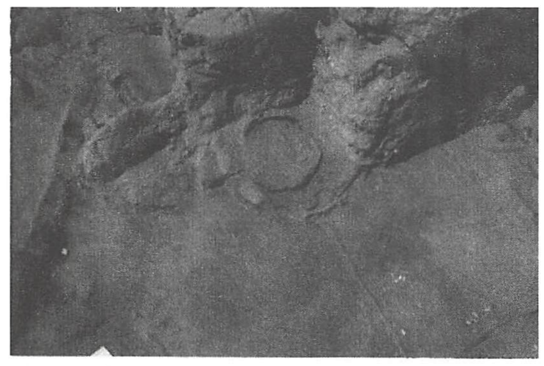
8. East wall inside Cell 4 after repairs, from the west



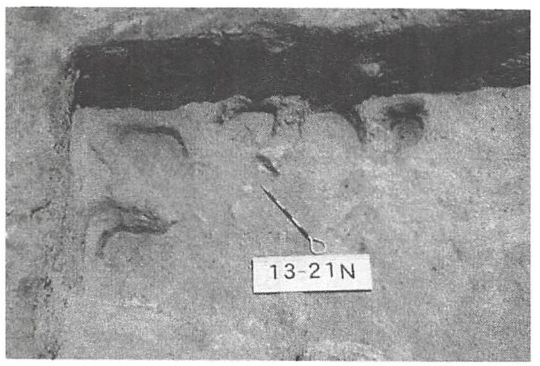
Pl. 38



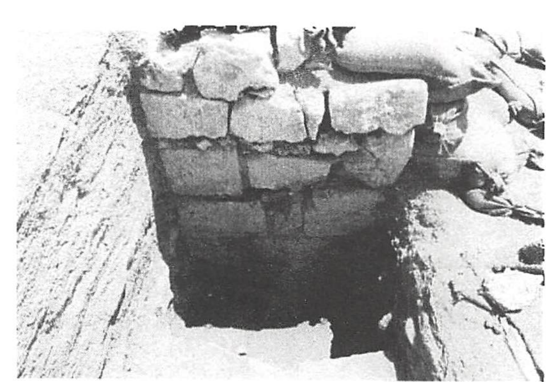
1. Northeast wall of Tower 9



2. *Tandoor* oven in Room 13-6



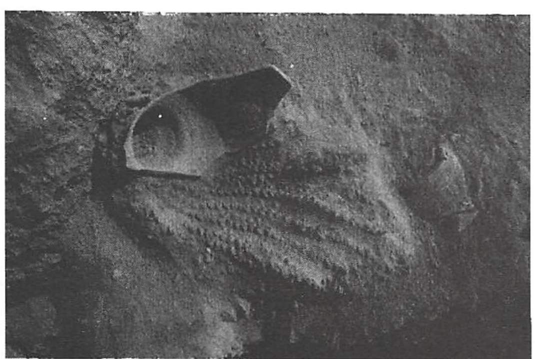
3. Quintuple *qānūn* in the north corner of Room 13-21N



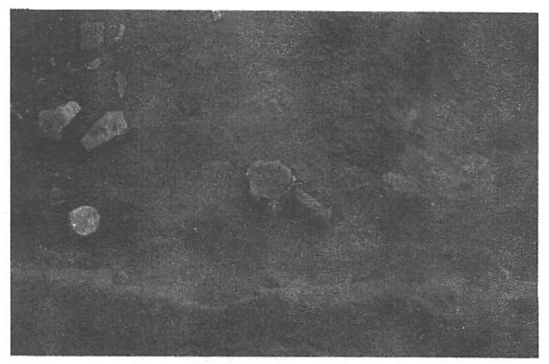
4. Wall attached to Room 13-21



5. Large bowl (Islamic grazed pottery) unearthed in Room 13-6

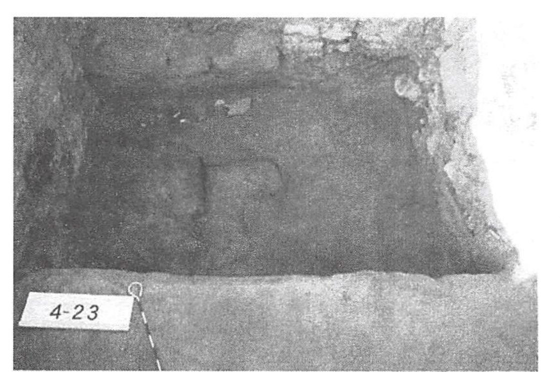


6. Earthen vessel covered with some kind of knitted material unearthed in Room 13-6

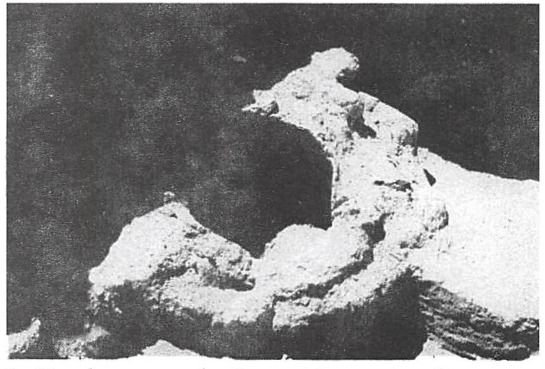


7. Steatite incense burner unearthed in Room 13-21

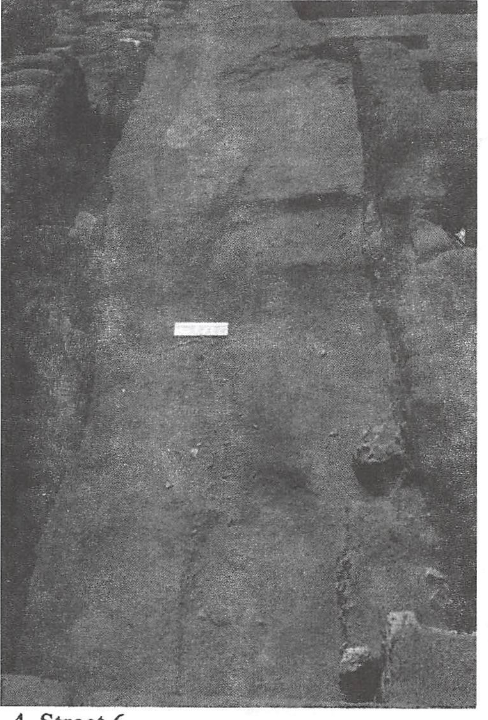
Pl. 37



1. The last floor used of Room 4-23



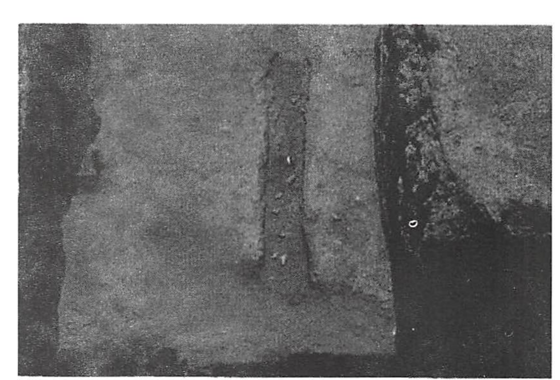
2. *Tandoor* oven in the south corner of Room 4-12



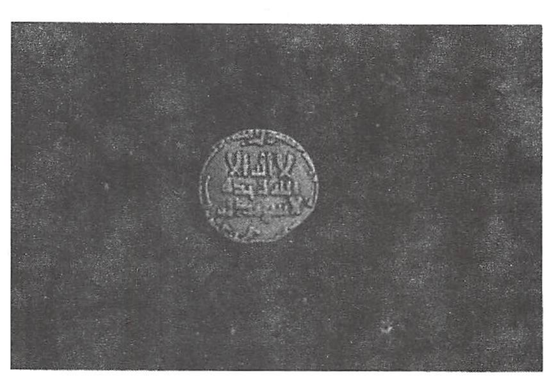
4. Street 6



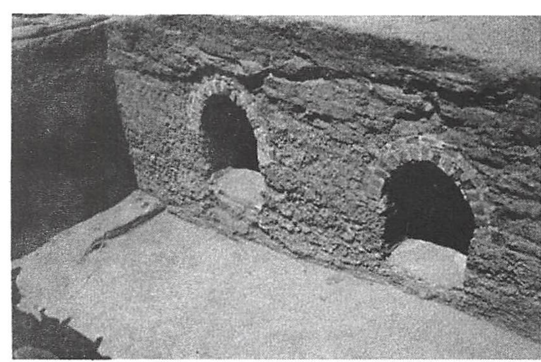
3. The last used floor of Room 4-12



5. Ditch features in Street 6



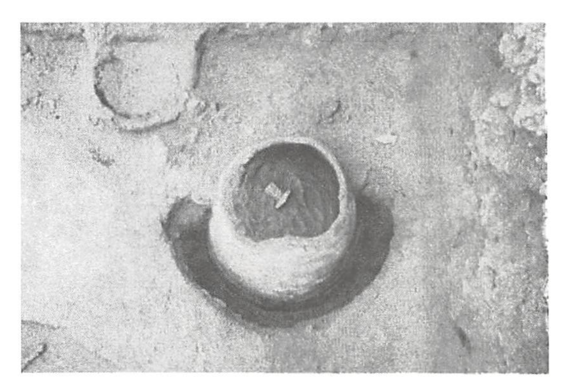
6. Unearthed coin in Street 6



7. Niches in the arches in Tower 9



Pl. 36



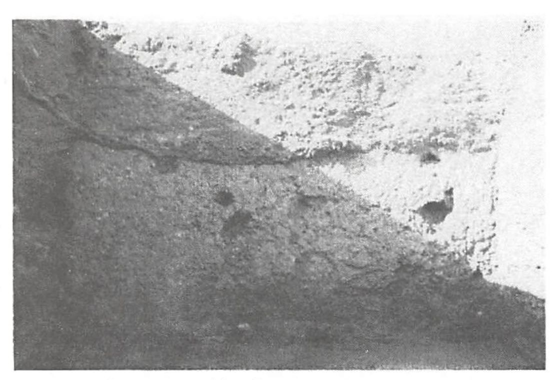
1. Stone object in an earthen jar unearthed in Room 4-2



2. Molar kohl bottle unearthed in Room 4-2



3. Room 4-2 from southeast



4. Southwest wall of Room 4-2



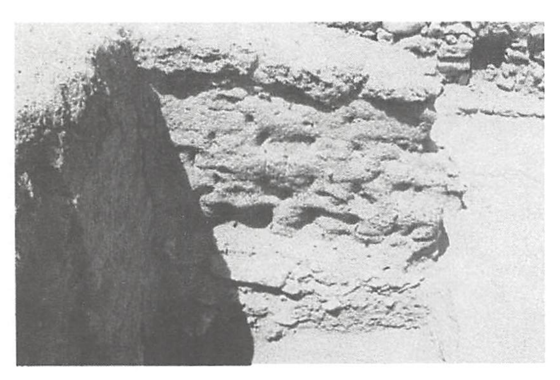
5. Northeast wall of Room 4-2



6. Northwest wall of Room 4-2

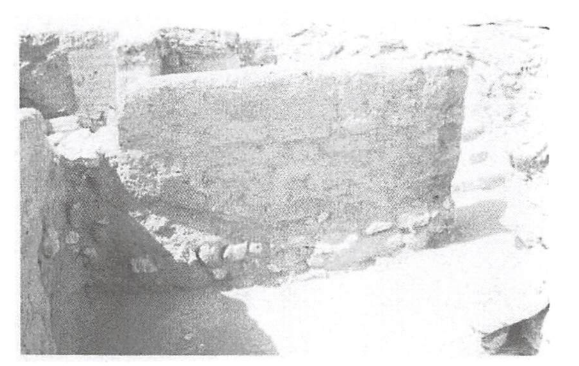


7. Mad-mortar on the east corner of Room 4-2

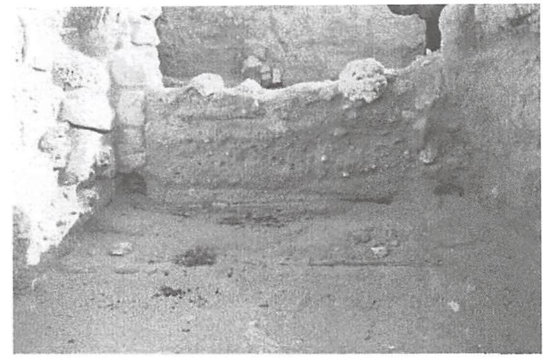


8. Northwest wall of Room 4-23

Pl. 35



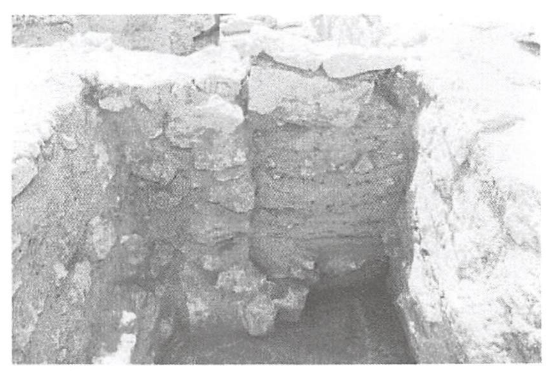
1. Southwest wall of Room 4-22 from the northeast



2. Doorway to Room 4-22 and 4-13



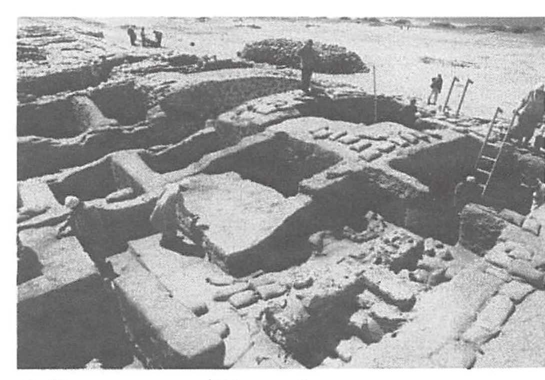
3. Room 4-26 from southwest



4. southwest wall of Room 4-26



5. Stairs in Room 4-13 from the northwest



6. Rooms around Tower 1



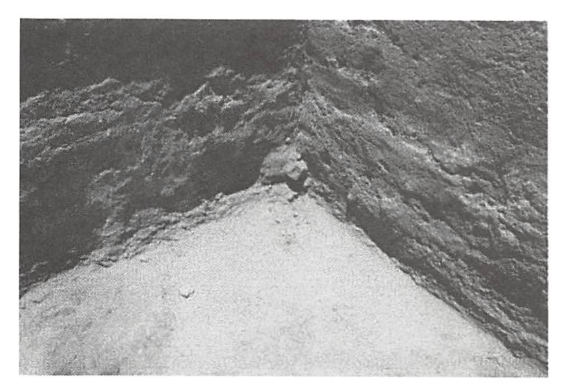
7. Room 4-2



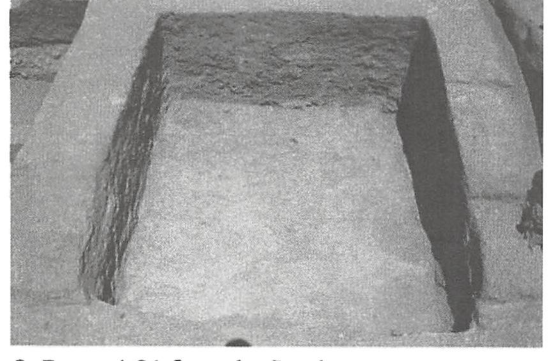
8. Islamic glazed pottery unearthed in Room4-2



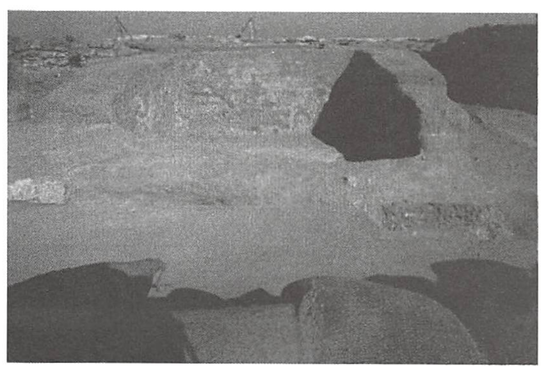
Pl. 34



1. North corner in Room 4-21



2. Room 4-21 from the Southwest



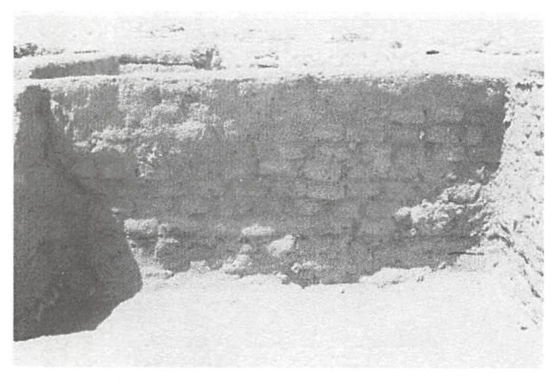
3. Southeast wall of Room 4-21



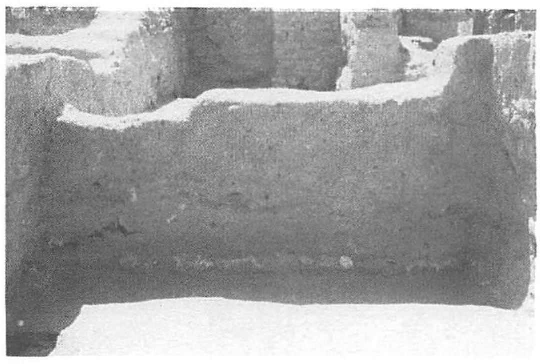
4. Room along Street 6



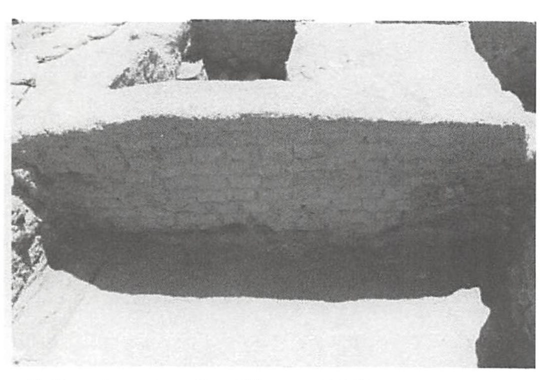
5. Unearthed tortoise shells in Room 4-25



6. Northwest wall of Room 4-25

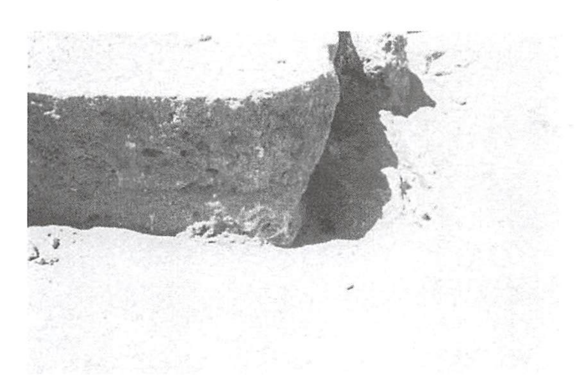


7. Southwest wall of Room 4-25

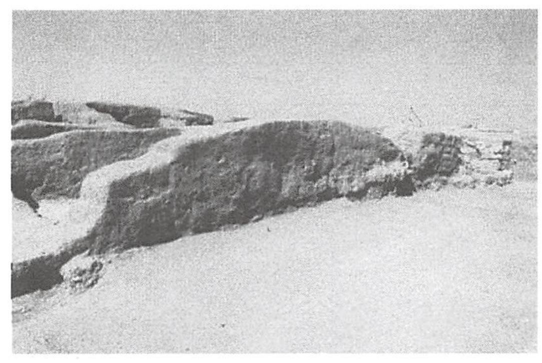


8. Southeast wall of Room 4-22

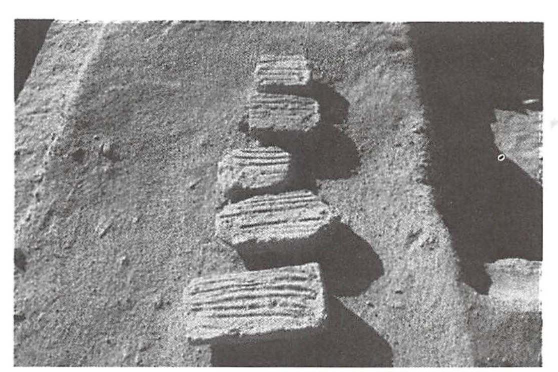
Pl. 33



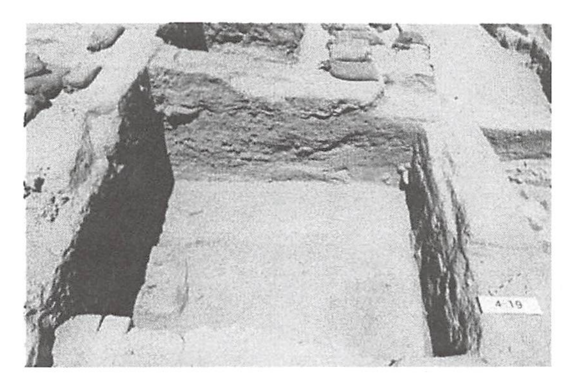
1. Foundation of the northeast wall of Room 4-21



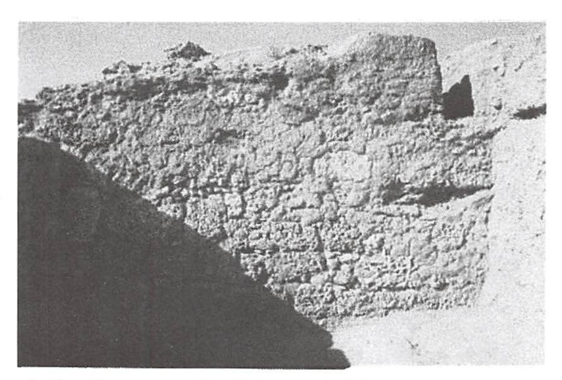
2. Northeast wall of Rooms 4-21, 25 and 22



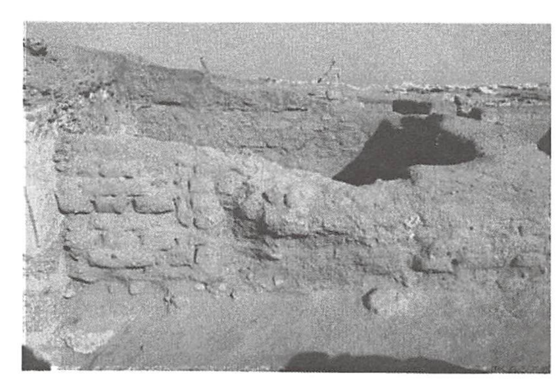
3. Unearthed large bricks in Room 4-19



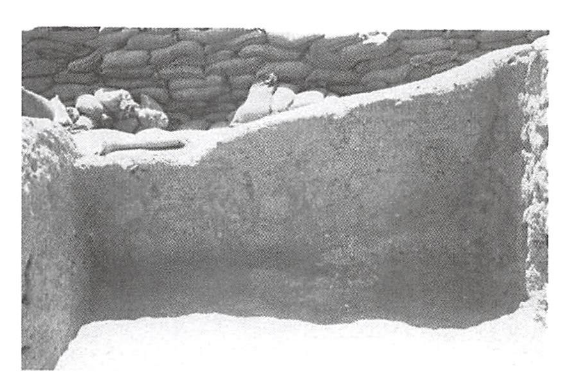
4. Room 4-19 from the southwest



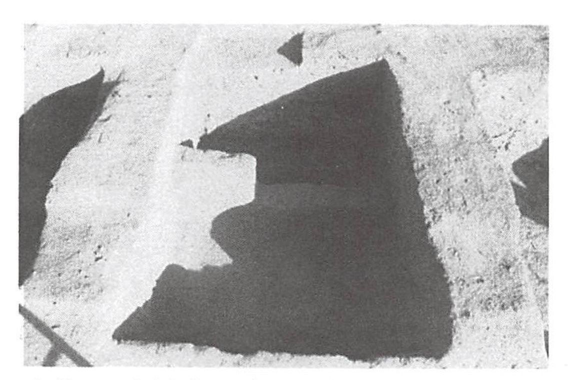
5. Southwest wall of Room 4-19



6. Outer face of the southeast wall of Room 4-19

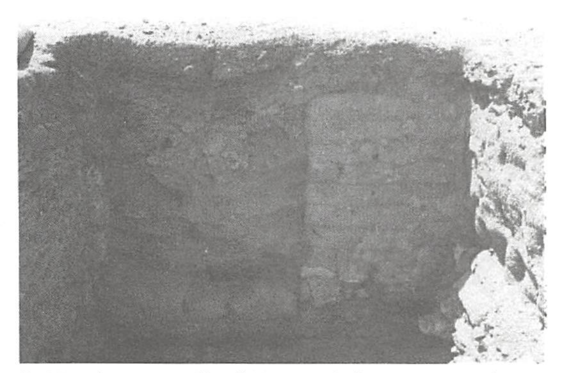


7. Southeast wall of Room 4-20

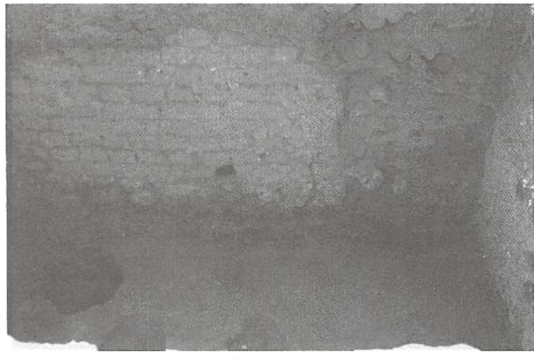


8. Room 4-20 from the southwest

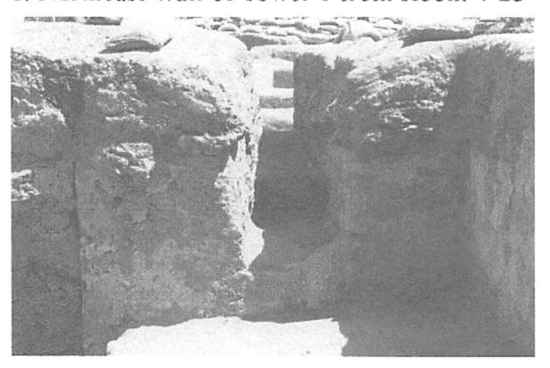
Pl. 32



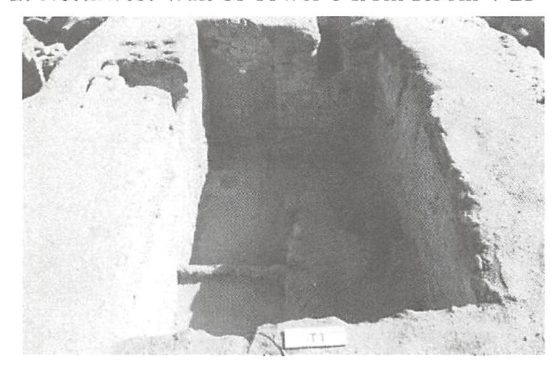
1. Northeast Wall of Tower 1 from Room 4-23



2. Northwest Wall of Tower 1 from Room 4-23



3. Loophole in the arch of the northeast wall of Tower 1



4. Tower 1 from the southwest



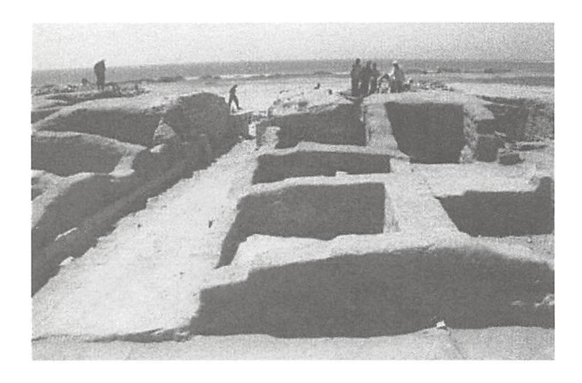
5. Partition wall in Tower 1



6. North-south cross-section of Tower 1



7. Northwest Wall of Tower 1 from southeast



8. Rooms along Central Street

Pl. 31

0 20m

Plan of the site of inscriptions of Jabal Nāqūs with points of dated inscriptions



Pl. 30

Plan of the al-Ṭūr al-Kīlānī site

Pl. 29

P=Pillar
R=Room
S=Staircase

Plan of the Wādī al-Ṭūr Monastery



Pl. 28

2. RT-11990

3. RT-11742

1. RT-11807

4. RT-11913

5. RT-11082

9. RT-12022

11. RT-12091

12. RO-8865+8875

6. RT-11818 7. RT-11262 8. RT-11341 10. RT-12023

16. RO-9163

17. RO-8739

18. RO-8997

15. RO-9142

14. RO-8921

13. RO-8835

19. RO-8979

20. RO-8867

0 5cm

Pl. 27

1. RL-196
2. RL-211
3. RG-13456
4. RG-13204
5. RG-13273+13276
6. RG-13122
7. RG-13222
8. RG-13531
9. RG-13591
10. RG-13657
11. RG-13669
12. RG-13480
13. RG-13741+13742+13743
14. RG-13407
15. RG-13419
16. RG-13237
17. RG-13138
18. RG-13307
19. RG-13107
20. RG-13326
21. RG-13652+13654

0 5cm



Pl. 26

1. RP-19239+19249

2. RP-18688

3. RP-18784+18852

4. RP-18896

5. RP-18128+18129+18131+18133+18136+18161+18202+19062

6. RP-18824

7. RP-18791

0 5cm

Pl. 25

1. RP-19369+19468+19469+19470+19471+20022+20027

2. RP-19588+19589+19592

3. RP-18635+18850+20169

4. RP-18921

5. RP-18748

6. RP-19116

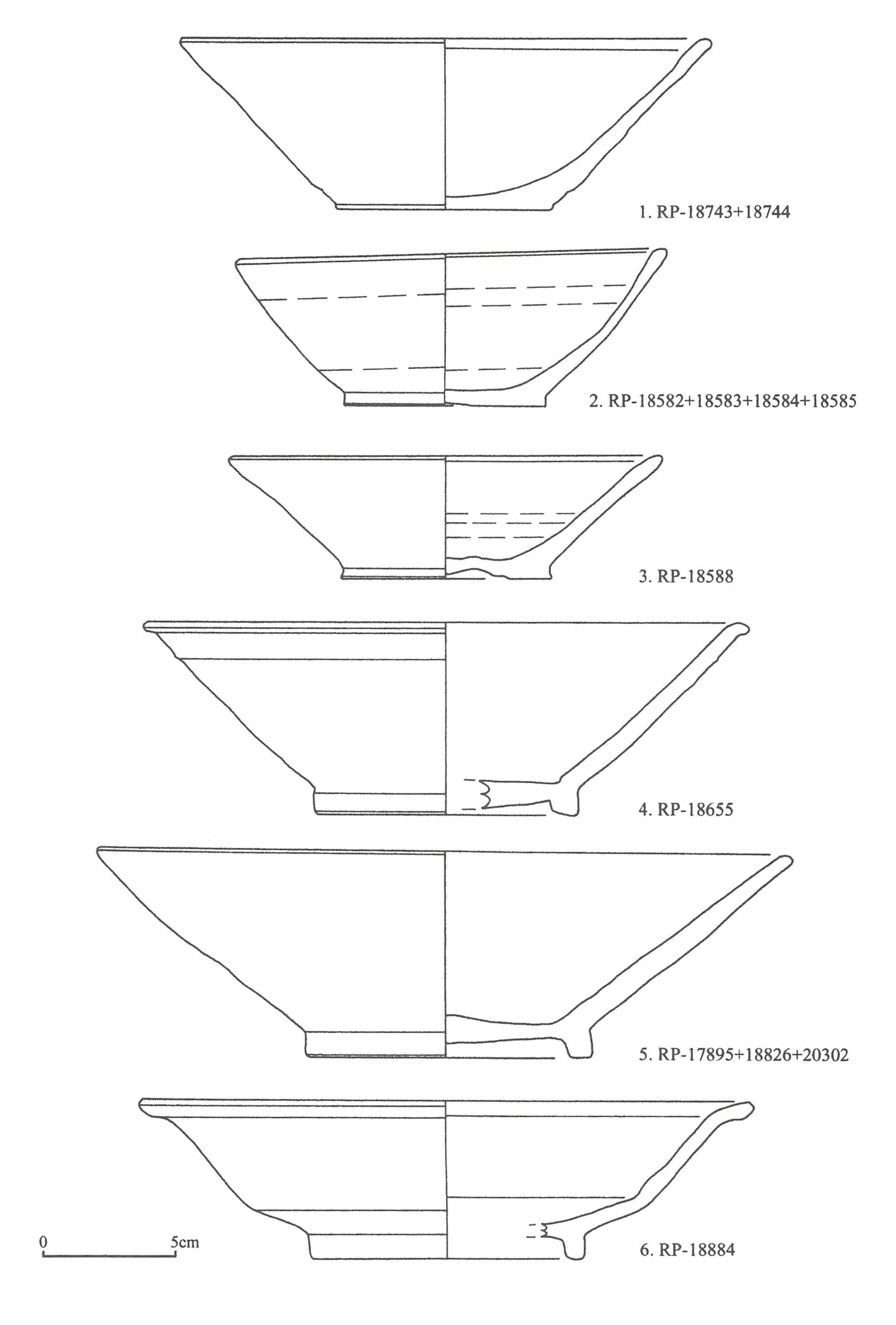
7. RP-19059+19083+19084+19085

8. RP-18968

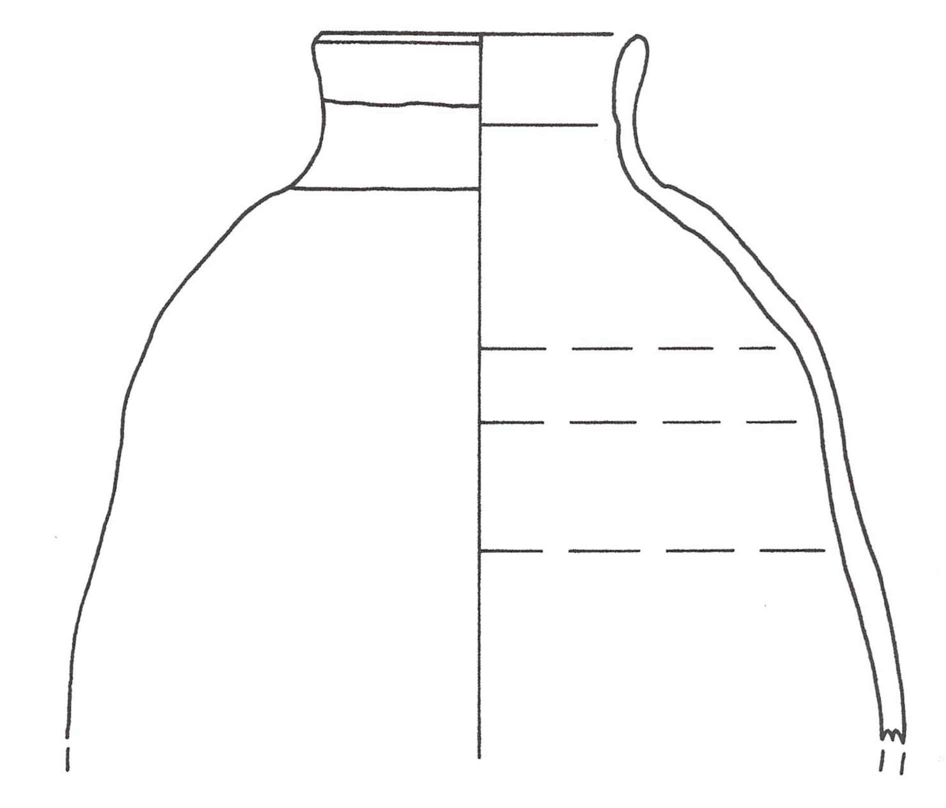
0 5cm

9. RP-19008

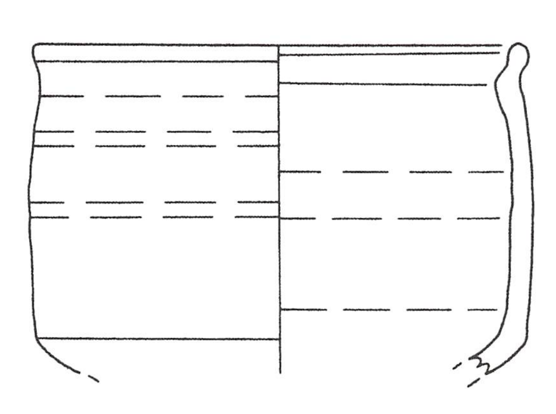
Pl. 24


1. RP-18743+18744
2. RP-18582+18583+18584+18585
3. RP-18588
4. RP-18655
5. RP-17895+18826+20302
6. RP-18884
0
5cm

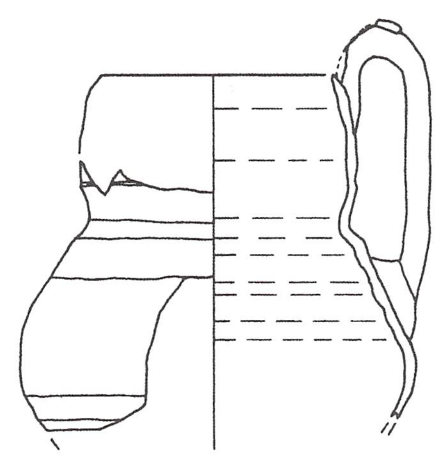
Pl. 23



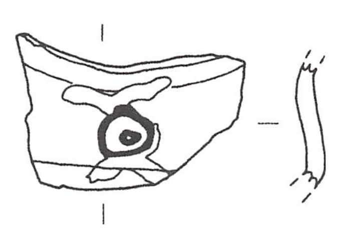
1. RE-5619



2. RE-5835+5928



3. RE-5494+5546



4. RE-5802

0 5cm



Pl. 22

Artifacts excavated in the Fort-3

Pl. No.	Reg. No.	Room / Grid	Stratum	Depth (m)	Description
color pl. 4-1g, 27-12, 43-10	RG-13480	13-6N	Garbage layer	7.967	Small flask with cut decoration, colorless
27-13	RG-13741	Tower 1E, loophole in the northeast wall	The 6th layer	8.586	Glass beaker, colorless
	RG-13742	Tower 1E, loophole in the northeast wall		8.603	
	RG-13743	Tower 1E, loophole in the northeast wall		8.617	
27-14, 43-11	RG-13407	13-6N	Garbage layer	8.244	Bottle, pale bluish-green
27-15, 43-12	RG-13419	13-6N	Garbage layer	8.096	Bottle, pale blue
27-16, 43-13	RG-13237	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.673	Bottle, colorless
27-17, 44-1	RG-13138	4-2E	Sand layer	8.469	Lamp with handles, colorless
27-18, 44-2	RG-13307	4-23S	Sand layer	8.687	Small bottle, colorless
27-19, 44-3	RG-13107	4-19S	Sand layer	8.967	Small bottle, colorless
27-20, 44-4	RG-13326	4-19N	Sand layer	8.740	Small bottle, colorless
27-21	RG-13652	4-2E	Sand layer with garbage containing ash and charcoal	7.341	Bottle, colorless
	RG-13654	4-2E		7.318	
28-1, 44-5	RT-11807	13-21S, southeast side	Sand layer	7.684	Steatite incense burner
28-2, 44-6	RT-11990	Tower 1E	Directly over the latest hardened street	6.974	Steatite pan
28-3, 44-8	RT-11742	4-25N	Sand layer	8.226	Small gypsum vessel
28-4, 44-7	RT-11913	4-13N	Sand layer	8.282	Clay stamp for bread
28-5, 44-9	RT-11082	4-19S	Sand layer	8.487	Clay pipe
28-6, 45-1	RT-11818	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	6.989	Copper needle
28-7, 45-2	RT-11262	13-6N	Garbage layer	8.488	Wooden needle
28-8, 45-3	RT-11341	13-6N	Garbage layer	8.539~8.471	Wooden needle
28-9, 45-4	RT-12022	Tower 1E	The 6th layer	8.101	Ivory spindle
28-10, 45-5	RT-12023	4-19S	Mud-brick débris layer	8.106	Copper weight
28-11, 45-6	RT-12091	13-6N	Sand layer	7.676	Copper stamp
28-12, 45-7	RO-8865	Tower 1W	Concentration of ash	7.125	Ivory ornament or vessel
	RO-8875	Tower 1W	Mud-brick débris layer	7.064	
28-13, 45-8	RO-8835	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.724	Wooden comb
28-14, 45-9	RO-8921	4-20B	Mud-brick débris layer	7.406	Copper kohl stick
28-15, 45-10	RO-9142	4-25N	Sand layer containing mud-brick débris	8.323	Copper kohl stick
28-16, 45-11	RO-9163	4-2W	The 8th layer	7.669	Copper kohl stick
28-17, 45-12	RO-8739	13-6N	Garbage layer	8.621	Glass bead
28-18, 45-13	RO-8997	4-19N	The 11th layer	7.774	Stone pendant
color pl. 3-7, 28-19	RO-8979	Tower 9W	The 4th layer	8.113	Bone Coptic doll
23-20, 45-14	RO-8867	Tower 1W	Sand layer	7.133	Bone Coptic doll
color pl. 3-1, 2	RC-118	Trench No. 2007-2 of Street 6	The 19th layer	8.016	Gold coin

Pl. 21

Artifacts excavated in the Fort-2

Pl. No.	Reg. No.	Room / Grid	Stratum	Depth (m)	Description
25-8, 42-1	RP-18968	4-2W	The 2nd layer	8.615	Jar, glazed pottery (white and yellow glazes, dark purple lines)
25-9, 42-2	RP-19008	4-23S	Sand layer	7.898	Bowl, luster-painted pottery
26-1	RP-19239	4-2W	The 8th layer	7.631	Bowl, glazed pottery (white and bluish-green)
	RP-19249	4-2W		7.694	
26-2, 42-4	RP-18688	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.632	Bowl, glazed pottery (white and bluish-green)
26-3, 42-3	RP-18784	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.399	Bowl, glazed pottery (white and bluish-green)
	RP-18852	4-2E		7.564	
26-4, 42-5	RP-18896	4-23S	Sand layer	8.253	Bowl, glazed pottery (white, bluish-green and dark purple)
color pl. 3-6, 26-5	RP-18128 (2006)	13-6	Garbage layer	8.274	Bowl, glazed pottery (pale brown and green glazes, dark purple lines)
	RP-18129 (2006)	13-6		8.272	
	RP-18131 (2006)	13-6		8.283	
	RP-18133 (2006)	13-6		8.277	
	RP-18136 (2006)	13-6		8.292	
	RP-18161 (2006)	13-6		8.219	
	RP-18202 (2006)	13-6B	Garbage layer	8.069	
	RP-19062	13-21S	Garbage layer	8.054	
26-6, 42-6	RP-18824	13-6N	Garbage layer	8.346	Bowl, glazed pottery (pale green and green glazes, dark purple lines)
26-7, 42-7	RP-18791	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.447	Bowl, glazed pottery (uncirtain dark purple lines)
27-1, 42-8	RL-196	4-20AS	Mud-brick débris	7.823	Unglazed oil lamp with molded decoration
27-2, 42-9	RL-211	Trench in 13-21N	Sand layer with garbage	7.055	Steatite oil lamp
27-3, 43-1	RG-13456	Tower 9 W	The 3rd layer	8.291	Beaker with impressed decoration, pale purple
27-4, 43-2	RG-13204	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.870	Beaker with impressed decoration, pale blue
27-5, 43-3	RG-13273	Tower 1W	Sand layer	7.447	Beaker with stamped decoration, pale bluish-green
	RG-13276	Tower 1W		7.587	
27-6, 43-4	RG-13122	4-12E	Hardened salt and sand layer	8.585	Bottle with scratched decoration, blue
27-7, 43-5	RG-13222	13-6N	Garbage layer	8.581	Beaker with cut decoration, colorless
27-8, 43-6	RG-13531	13-21N	Collapsed soil (north-east cross-section)	-	Beaker with cut decoration, colorless
27-9, 43-7	RG-13591	13-21N	The 5th layer	8.411	Cup with cut decoration, colorless
27-10, 43-8	RG-13657	4-2E	Sand and garbage layer containing ash and charcoal	7.326	Cup with cut decoration, colorless
27-11, 43-9	RG-13669	4-2E	Sand and garbage layer containing mud-brick débris, ash and charcoal	7.253	Small flask with cut decoration, colorless



Pl. 20

Artifacts excavated in the Fort-1

Pl. No.	Reg. No.	Room / Grid	Stratum	Depth (m)	Description
23-1, 41-1	RE-5619	13-6N	Garbage layer	8.255	Big jar
23-2	RE-5835	13-6N	Sand and soil layer containing mud-brick	8.004	Bowl
	RE-5928	13-6N	Mud-brick débris	7.854	
23-3, 41-2	RE-5494	13-6N	Garbage layer	8.446	Water jug with one-handle
	RE-5546	13-6N		8.440	
23-4, 41-3	RE-5802	13-6N	Garbage layer	8.103	Jar with black and white painting
24-1, 41-4	RP-18743	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.509	Bowl, glazed pottery (dark green)
	RP-18744	4-2E		7.494	
color pl. 3-3, 24-2	RP-18582	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.962	Bowl, glazed pottery (green)
	RP-18583	4-2E		7.960	
	RP-18584	4-2E		7.944	
	RP-18585	4-2E		7.929	
24-3, 41-5	RP-18588	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.974	Bowl, glazed pottery (pale purple)
24-4, 41-6	RP-18655	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.714	Bowl, glazed pottery (green)
color pl. 3-4, 24-5	RP-17895 (2006)	13-21	Sand layer	7.885	Bowl, glazed pottery (uncertain)
	RP-18826	13-6N	Garbage layer	8.346	
	RP-20302	13-21S	Directly over the latest floor	7.497	
24-6, 41-7	RP-18884	4-21N	Mud-brick débris layer	7.476	Bowl, glazed pottery (white with greenish tint)
25-1	RP-19369	4-2E	Sand and garbage layer	7.369	Bowl, glazed pottery (white)
	RP-19468	4-2E	Sand and garbage layer containing mud-brick débris, ash and charcoal	7.275	
	RP-19469	4-2E		7.267	
	RP-19470	4-2E		7.294	
	RP-19471	4-2E		7.284	
	RP-20022	4-2W	The 8-th layer	7.273	
	RP-20027	4-2W		7.315	
25-2	RP-19588	13-21N, southeast side	The 8th layer (cross-section of Room 13-22SW)	7.644	Bowl, glazed pottery (uncertain)
	RP-19589	13-21N, southeast side		7.649	
	RP-19592	13-21N, southeast side	Sand layer containing ash and charcoal	7.679	
25-3, 41-8	RP-18635	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.773	Bowl, glazed pottery (pale brown)
	RP-18850	4-2E		7.596	
	RP-20169	4-13N	Sand layer containing ash and charcoal	7.534	
25-4, 41-9	RP-18921	Tower 1W	Concentration of ash	7.032	Small cup, glazed pottery (green)
25-5, 41-10	RP-18748	4-2E	Sand layer containing ash and charcoal	7.513	Bowl, luster-painted pottery
25-6, 41-11	RP-19116	13-21S	Mud-brick débris layer	7.845	Big jar, glazed pottery (yellow)
color pl. 3-5, 25-7	RP-19059	4-23S	Sand and soil layer	7.605	Jar, luster-painted pottery
	RP-19083	4-23S		7.530	
	RP-19084	4-23S		7.509	
	RP-19085	4-23S		7.524	

Pl. 19

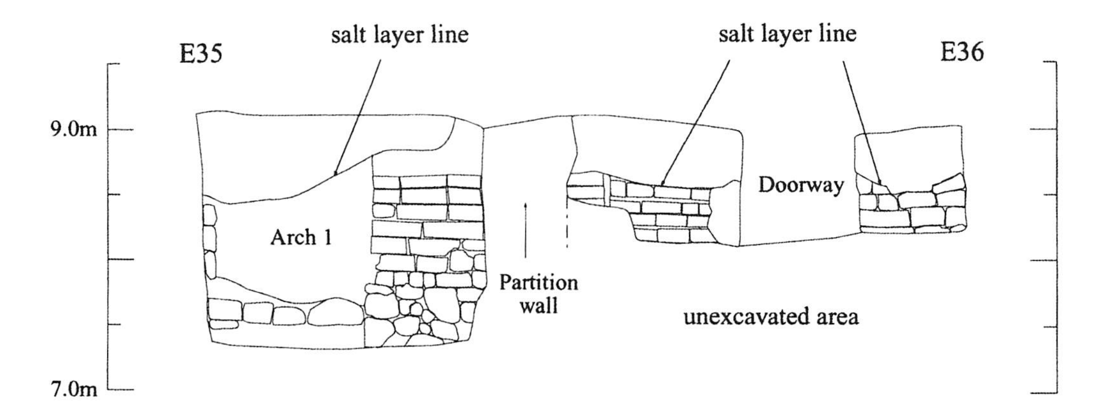
1. Elevation of the inner face of the northwest wall of Tower 9

2. Elevation of the inner face of the southeast walls of Rooms 13-6 and 21

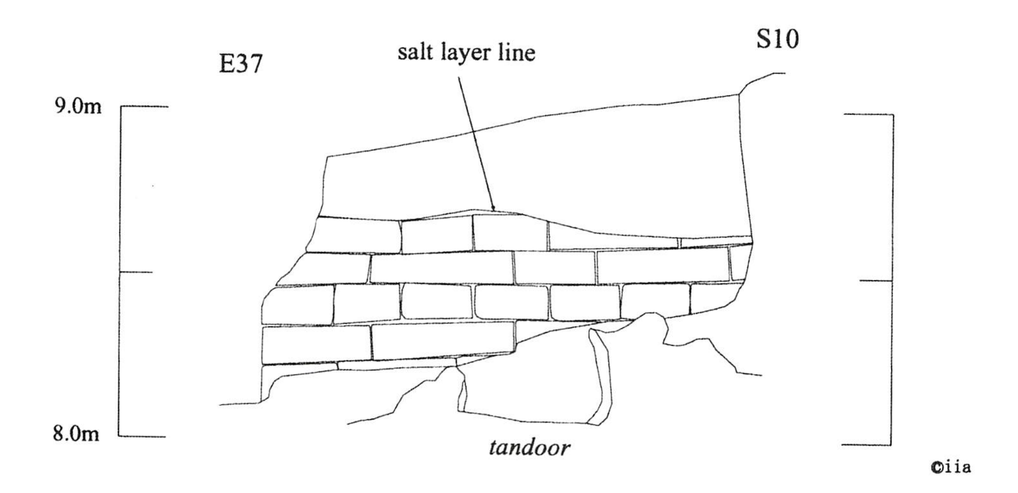
3. Elevation of the partition wall attached to the northeast wall of Room 13-21



Pl. 18

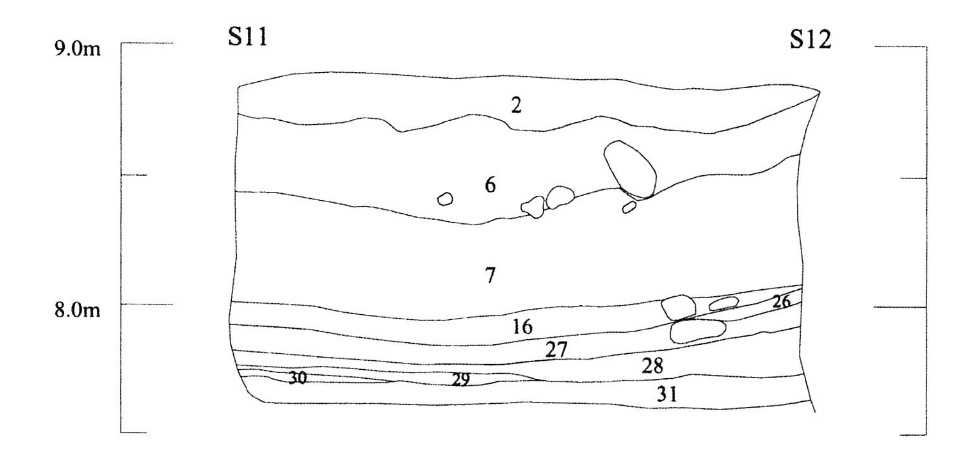


1. Elevation of the inner face of the southwest walls of Rooms 4-12 and 4-23



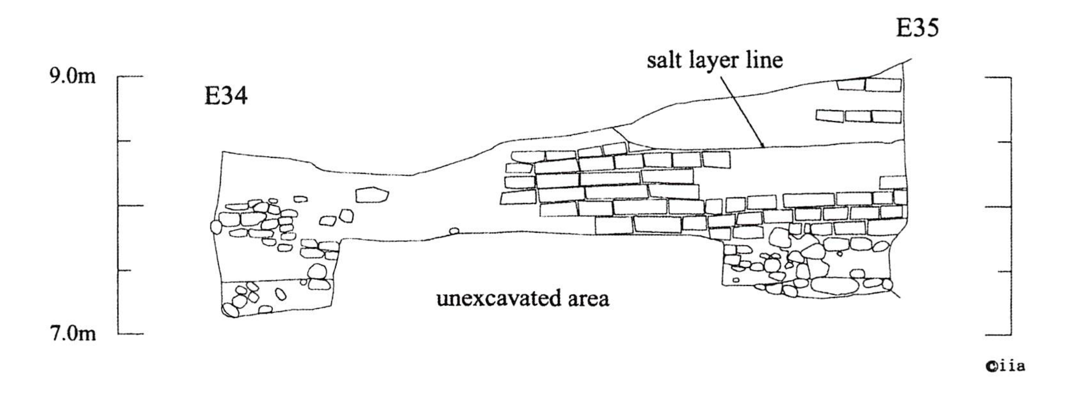
2. Cross-section of the *tandoor* oven in Room 4-12 and elevation of the southeast wall of Room 4-12

Pl. 17



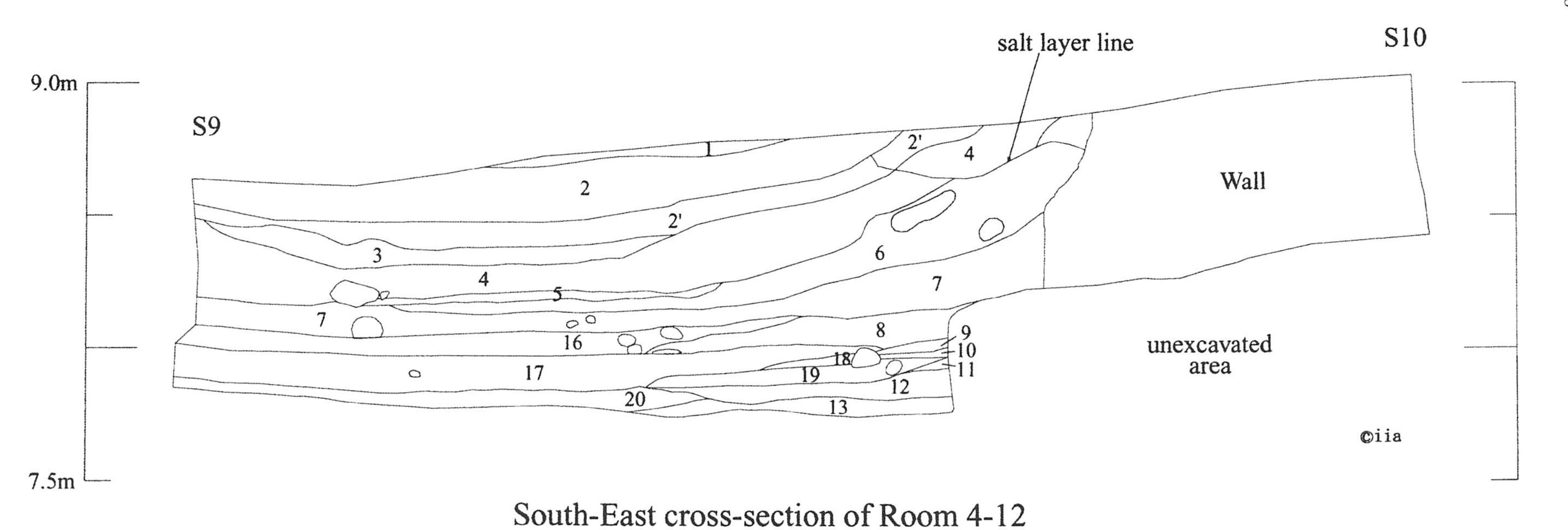
1. North-East cross-section of Room 4-23

2. Sand layer containing a small amount of soil.
6. Sand layer containing mud-brick débris and pebbles.
7. Sand layer containing slightly more fine gravel and pebbles.
16. Loose sand layer containing a large amount of mat fragments, shell fragments, and fine gravel. (partly mixed with goat droppings)
26. Black-ash layer.
27. Sand and soil layer.
28. Sand layer containing many mat fragments.
29. Smooth sand layer.
30. Smooth sand layer containing much ash.
31. Sand layer containing a small amount of fine gravel and much soil.



2. Elevation of the inner face of the southeast walls of Rooms 4-23 and 4-24

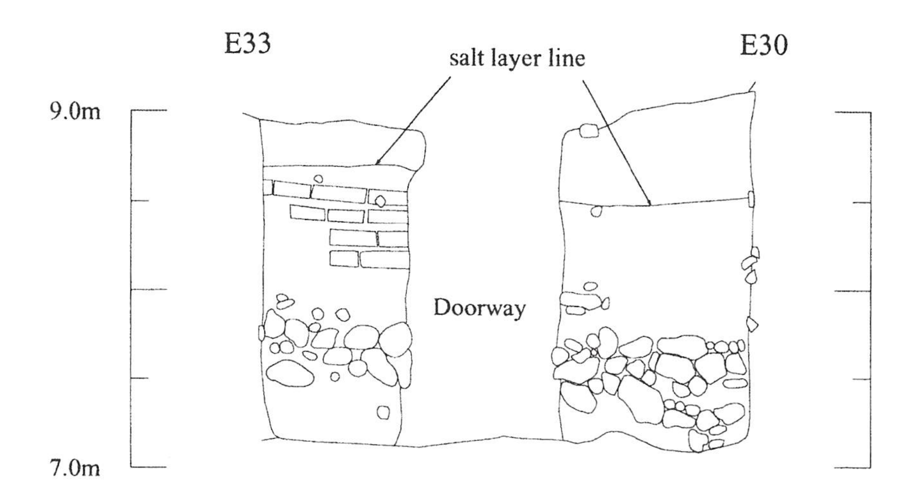
Pl. 16



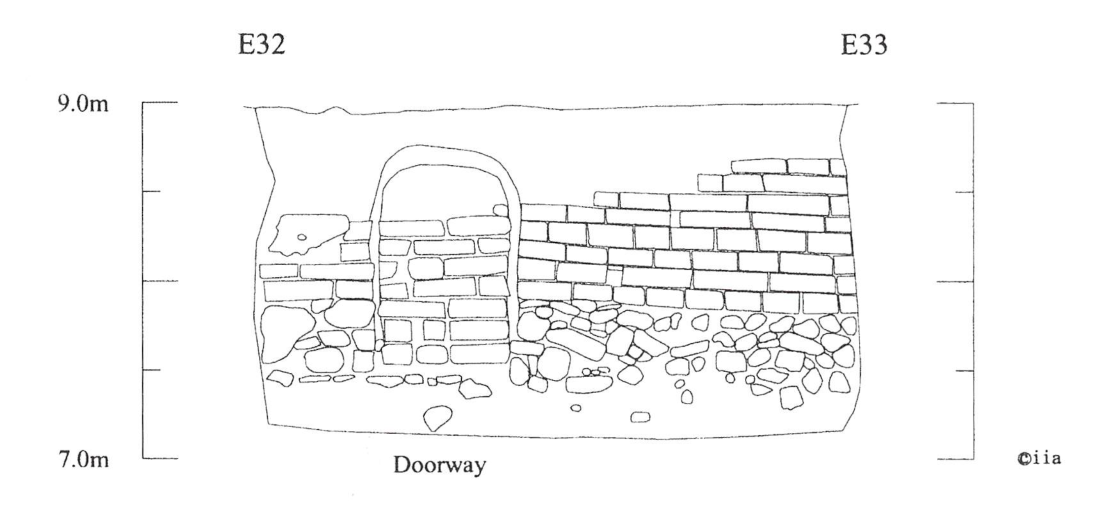
South-East cross-section of Room 4-12

1. Surface sand layer.
2. Sand layer containing a small amount of soil.
2'. Layer with less soil mixed in than in the 2nd layer.
3. Sand and soil layer.
4. Sand layer containing a large amount of fine gravel and pebbles.
5. Soil layer.
6. Mud-brick débris layer containing many pebbles.
7. Sand layer containing slightly more fine gravel and pebbles.
8. Loose sand layer containing much soil.
9. Ash and black ash layer.
10. Loose sand layer containing slightly more fine gravel.
11. Loose sand layer containing much fine gravel.
12. Loose sand layer containing much ash.
13. Loose sand layer containing slightly more soil.
16. Loose sand layer containing a large amount of mat fragments, shell fragments, and fine gravel.
17. Hardened sand layer containing mud-brick débris.
18. Sand layer containing much ash.
19. Slightly hardened sand layer containing much soil.
20. Slightly hardened sand layer containing much ash and soil.

Pl. 15

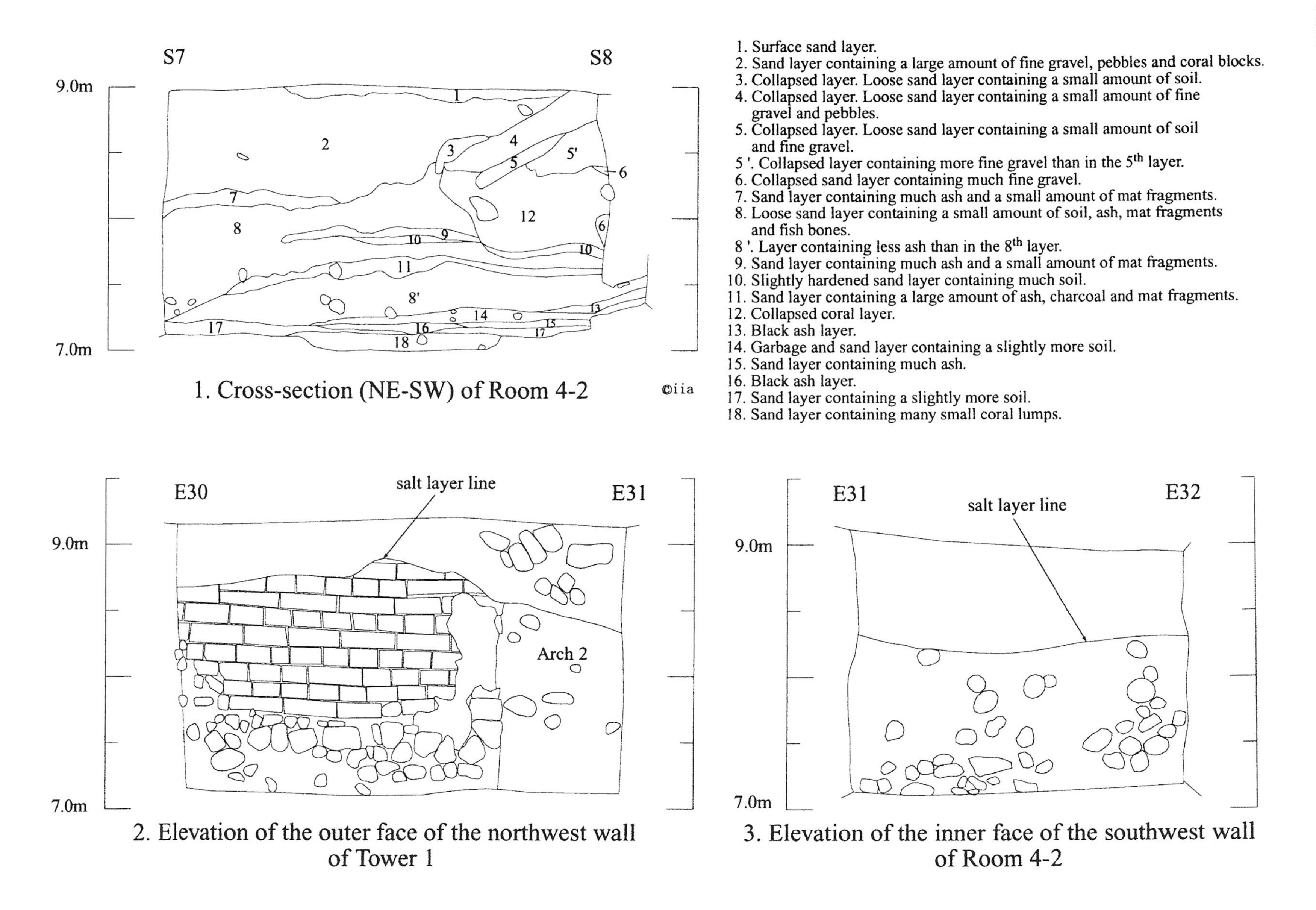


1. Elevation of the inner face of the northeast wall of Room 4-2



2. Elevation of the inner face of the northwest wall of Room 4-2

Pl. 14

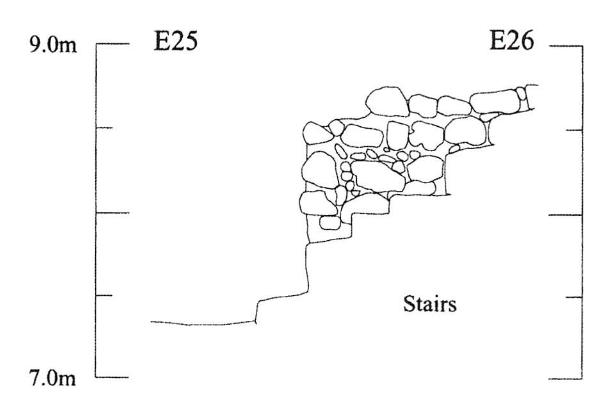


1. Cross-section (NE-SW) of Room 4-2

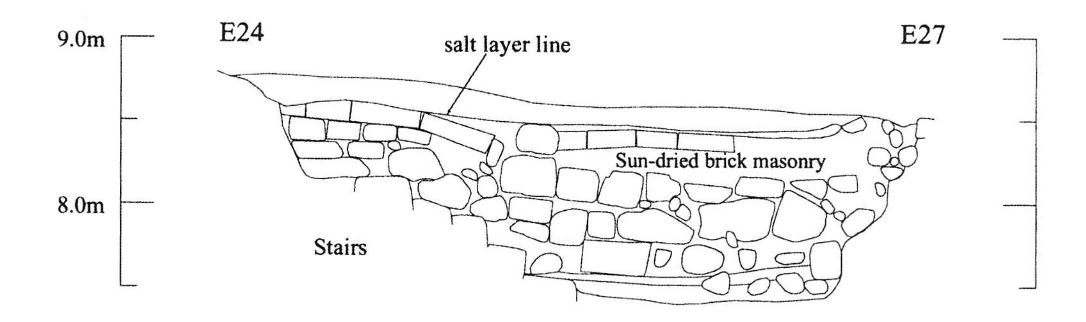
2. Elevation of the outer face of the northwest wall of Tower 1

3. Elevation of the inner face of the southwest wall of Room 4-2

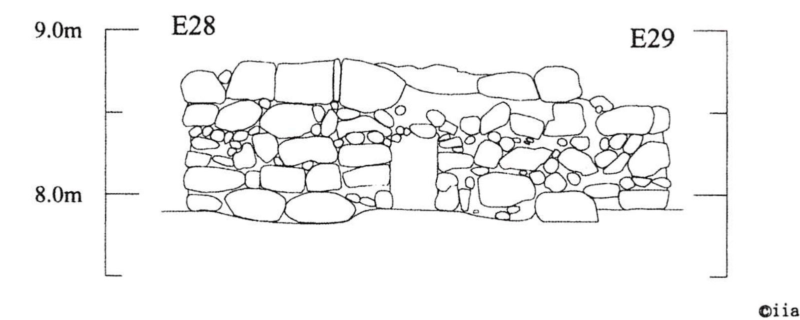
Pl. 13



1. Elevation of the inner face of the southeast wall of the staircase of Room 4-13



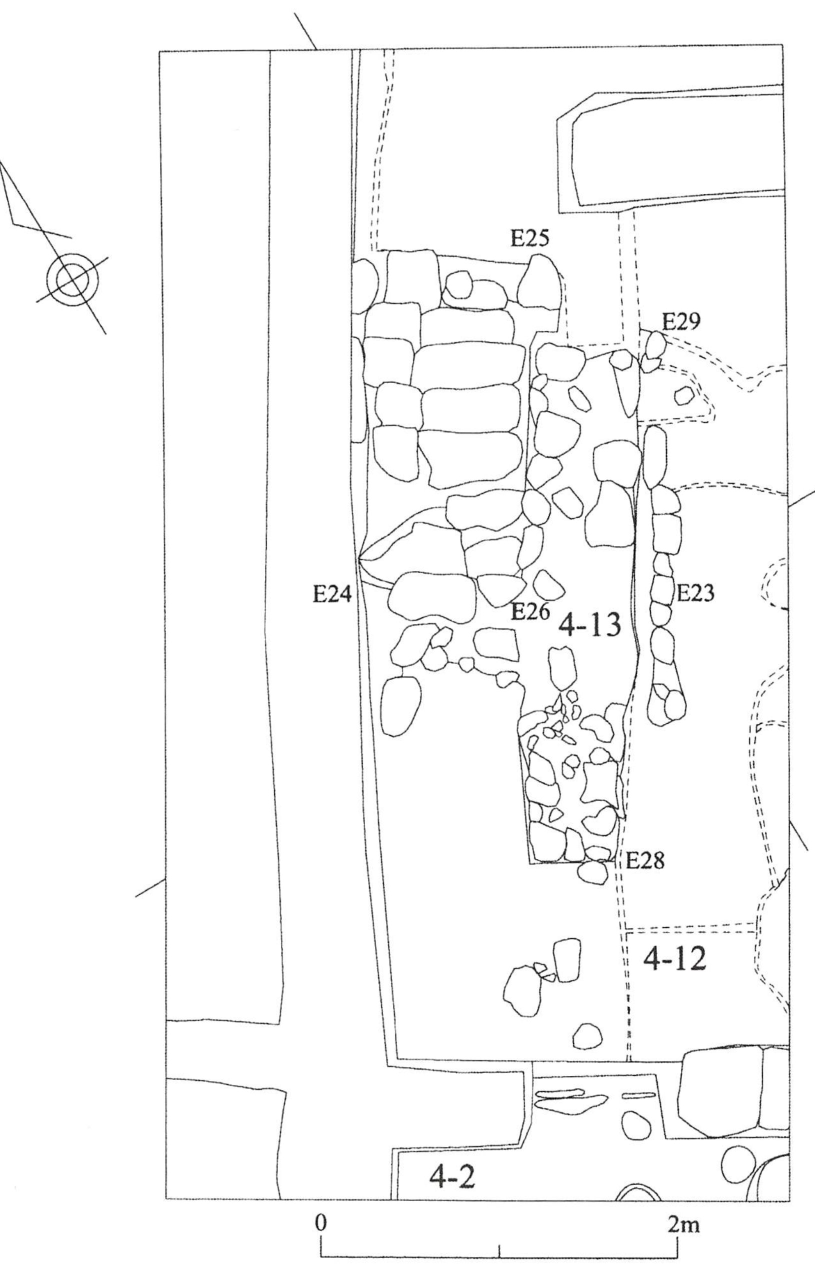
2. Elevation of the inner face of northwest wall of the staircase of Room 4-13



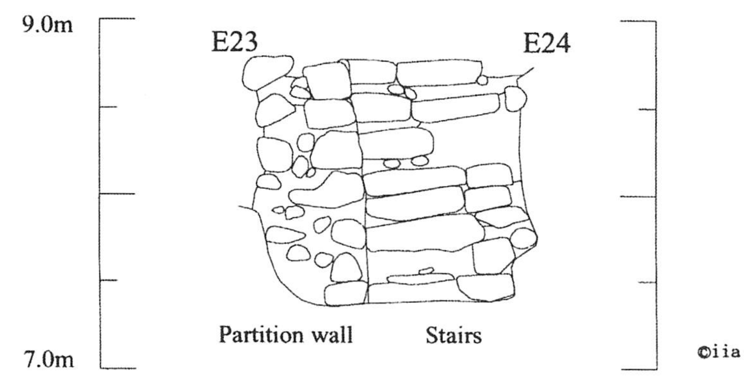
3. Elevation of the outer face of the southeast wall of the staircase of Room 4-13



Pl. 12

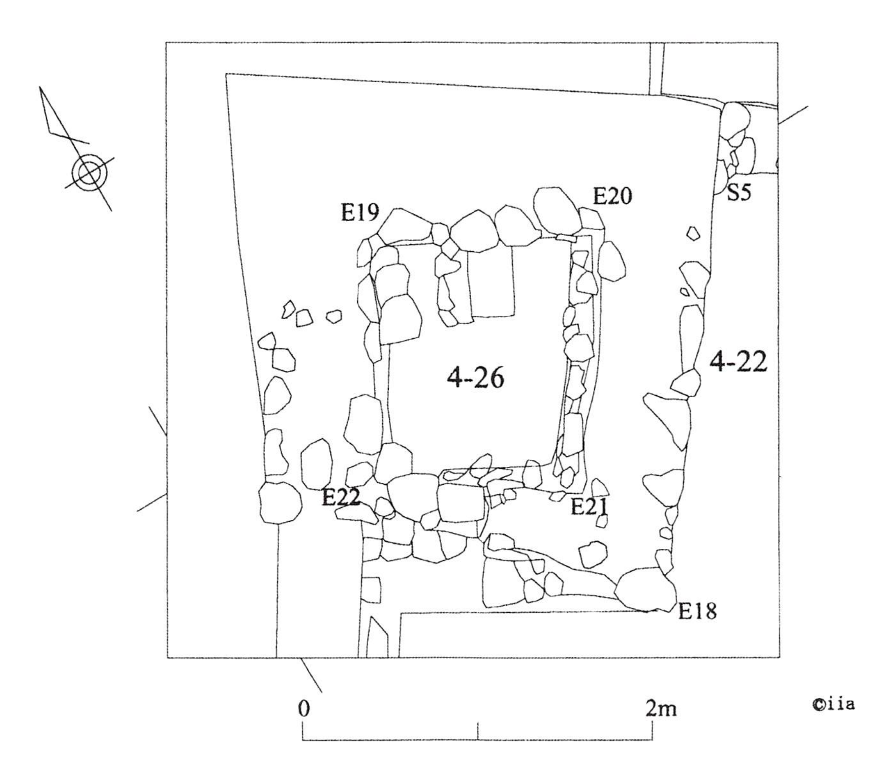


1. Plan of the staircase of Room 4-13

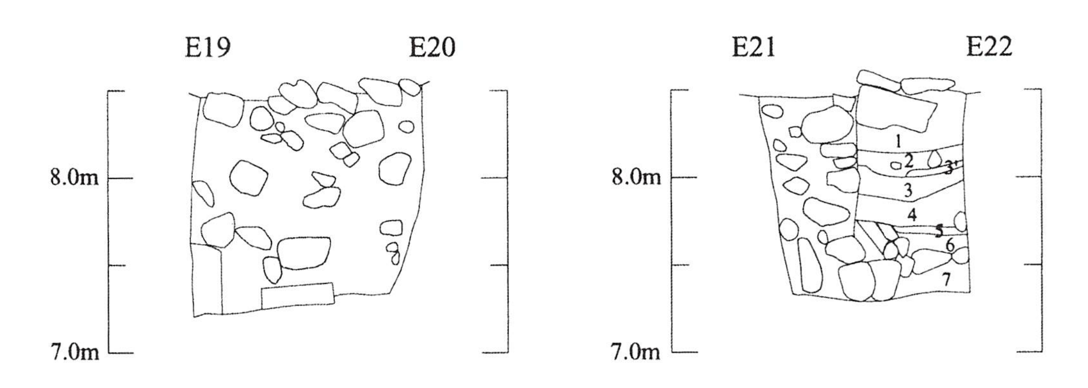


2. Elevation of the staircase of Room 4-13, from the northeast

Pl. 11



1. Plan of the latest floor of Room 4-26



2. Elevation of the inner face of the northeast wall of Room 4-26

3. Elevation of the inner face of the southwest wall of Room 4-26

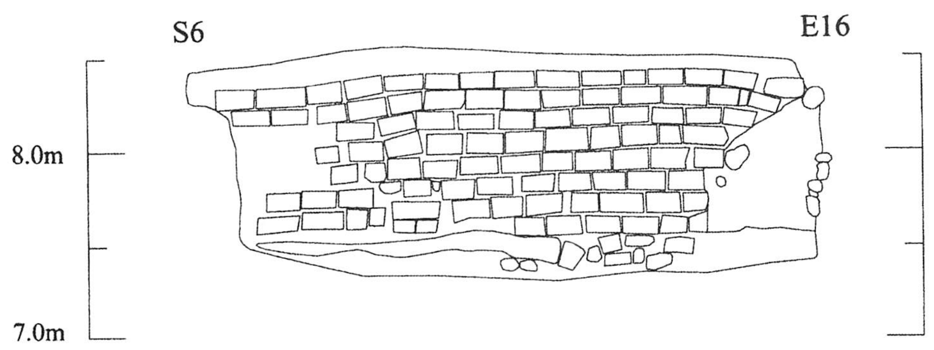
1. Sand layer containing fine gravel.
2. Sand layer containing many pebbles and much coral dėbris mixed with a small amount of charcoal and fish bones.
3. Sand layer containing much soil.

3'. The 3rd layer mergedwith the 2nd layer.

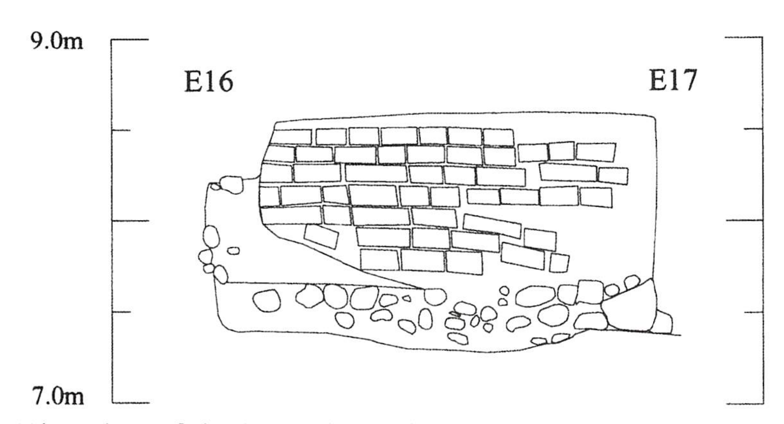
4. Sand layer containing ash.
5. Loose and smooth sand layer.
6. Hardened sand and soil layer.
7. Sand and soil layer containing much ash and charcoal.



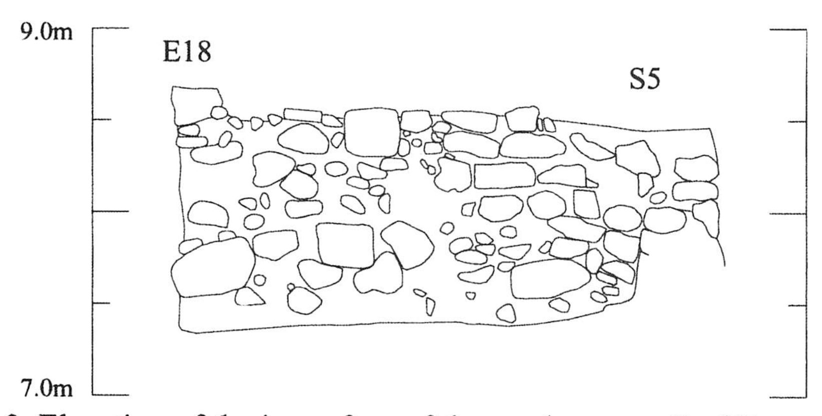
Pl. 10



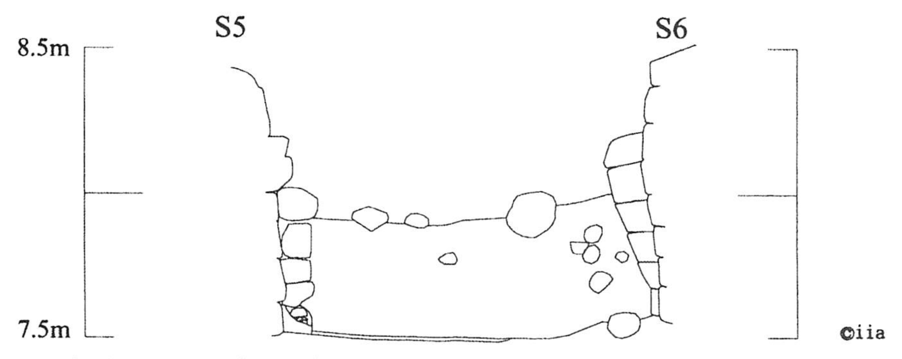
1. Elevation of the inner face of the southeast wall of Room 4-22



2. Elevation of the inner face of the southwest wall of Room 4-22

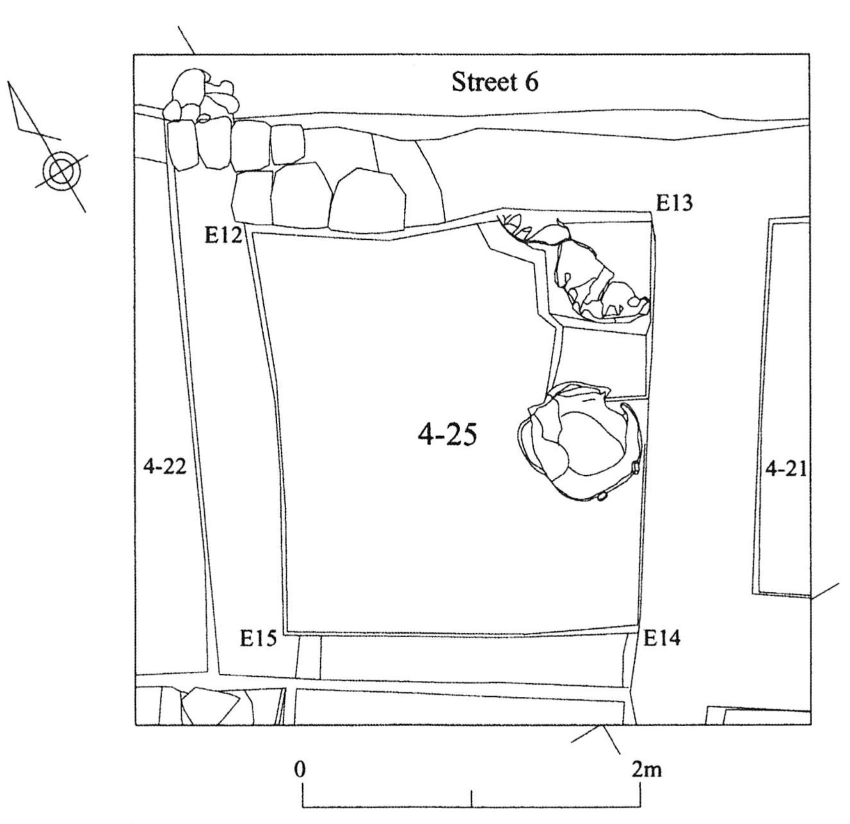


3. Elevation of the inner face of the northwest wall of Room 4-22

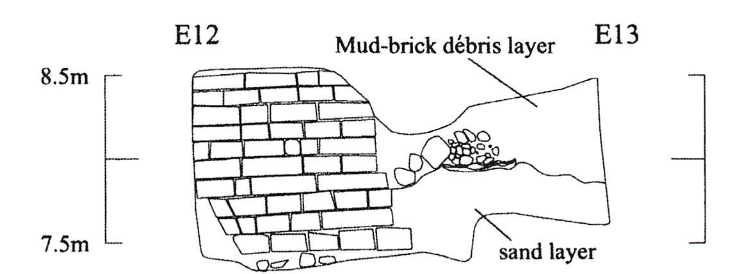


4. Cross-section of the northeast doorway of Room 4-22

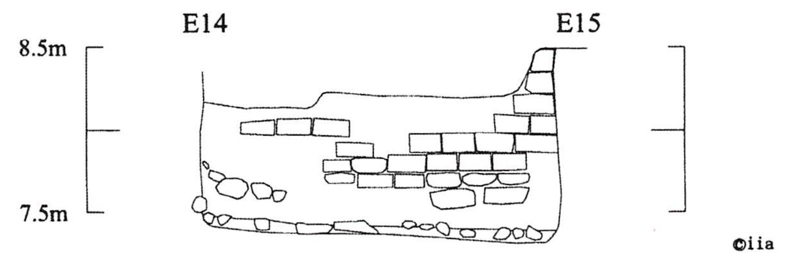
Pl. 9



1. Plan of the layer with tortoise shells of Room 4-25

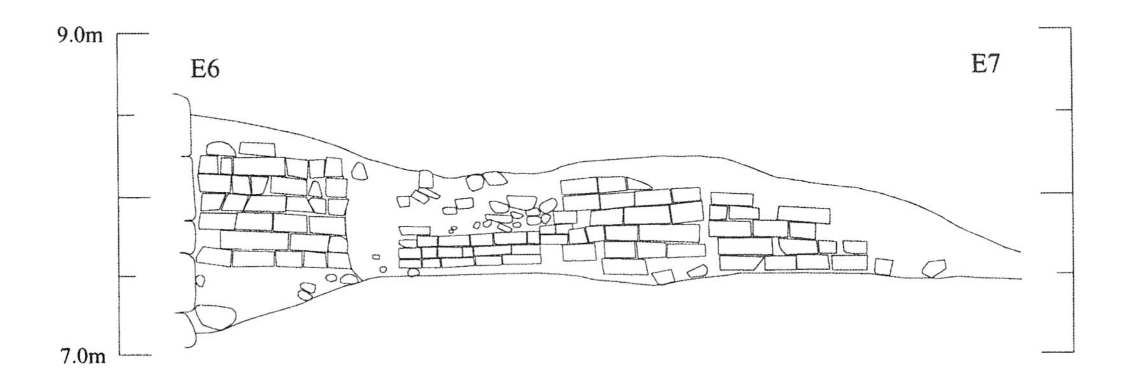


2. Elevation of the inner face of the northeast wall of Room 4-25

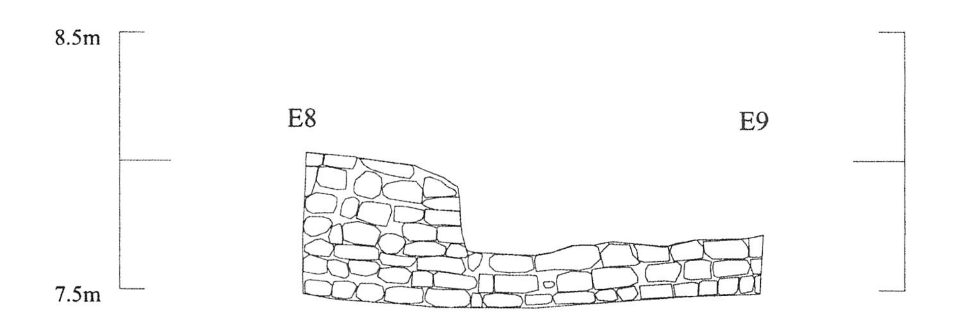


3. Elevation of the inner face of the southwest wall of Room 4-25

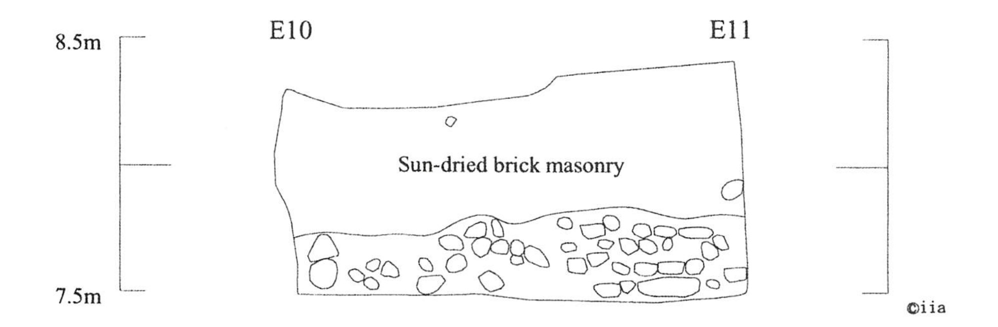
Pl. 8



1. Elevation of the outer face of the southeast wall of Room 4-19

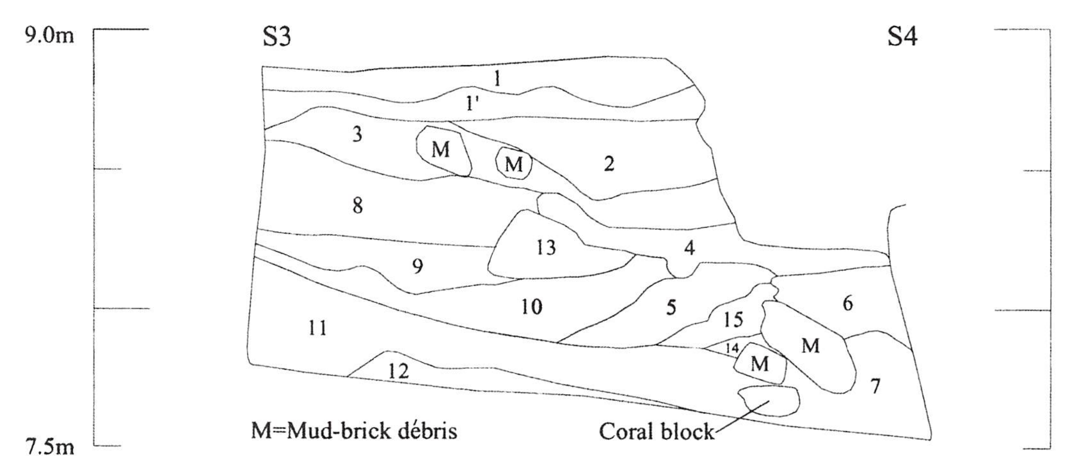


2. Elevation of the partition wall of Room 4-20



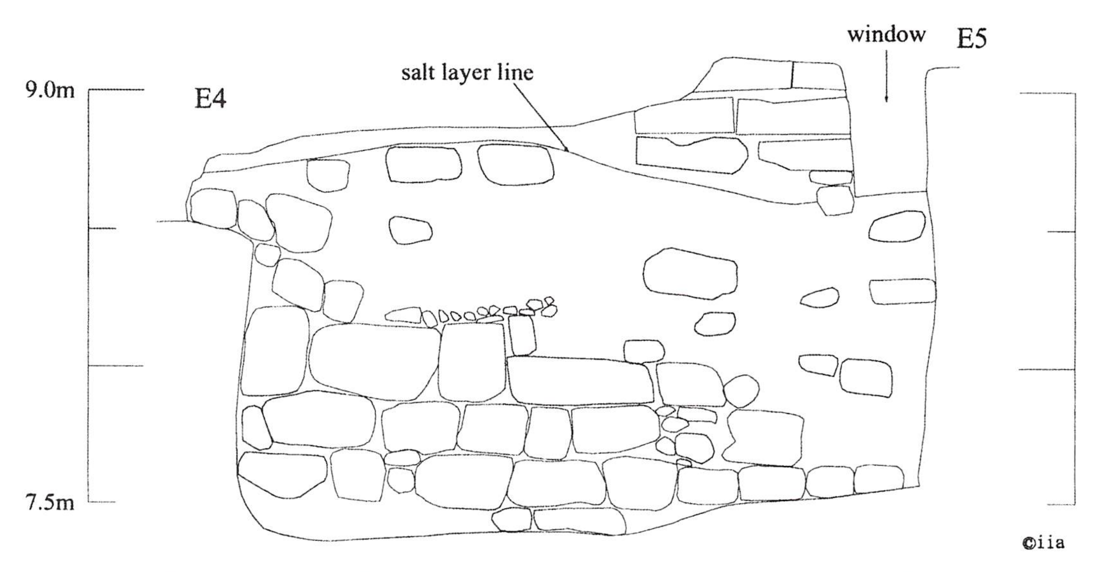
3. Elevation of the inner face of the northwest wall of Room 4-20

Pl. 7



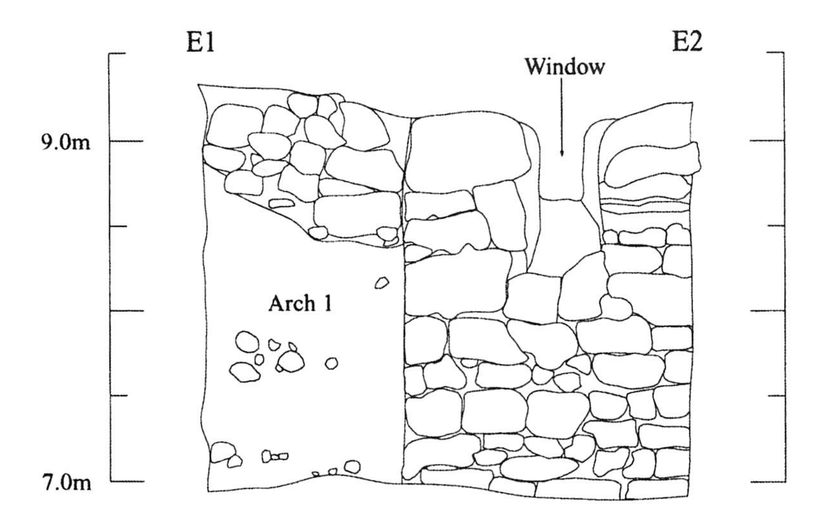
1. Cross-section (NW-SE) of Room 4-19

1. Sand layer.
1'. Sand layer hardened with salt.
2. Sand layer containing a large amount of pebbles and fine gravel.
3. Mud-brick débris layer containing a small amount of pebbles.
4. Mud-brick débris layer containing much fine gravel.
5. Sand layer containing a large amount of mud-brick débris and pebbles.
6. Sand and soil layer containing much fine gravel and a small amount of carbide.
7. Loose sand and soil layer containing coral block and mud-brick débris.
8. Sand layer containing a large amount of pebbles and fine gravel.
9. Sand and soil layer containing much mud-brick débris.
10. Loose sand layer containing granular charcoal.
11. Sand layer containing much fine gravel and animal bones.
12. Layer of mud-brick débris.
13. Extremely loose sand layer containing carbonized construction wood.
14. Sand layer containing much ash and a small amount of carbide.
15. Loose sand layer containing a small amount of carbide.

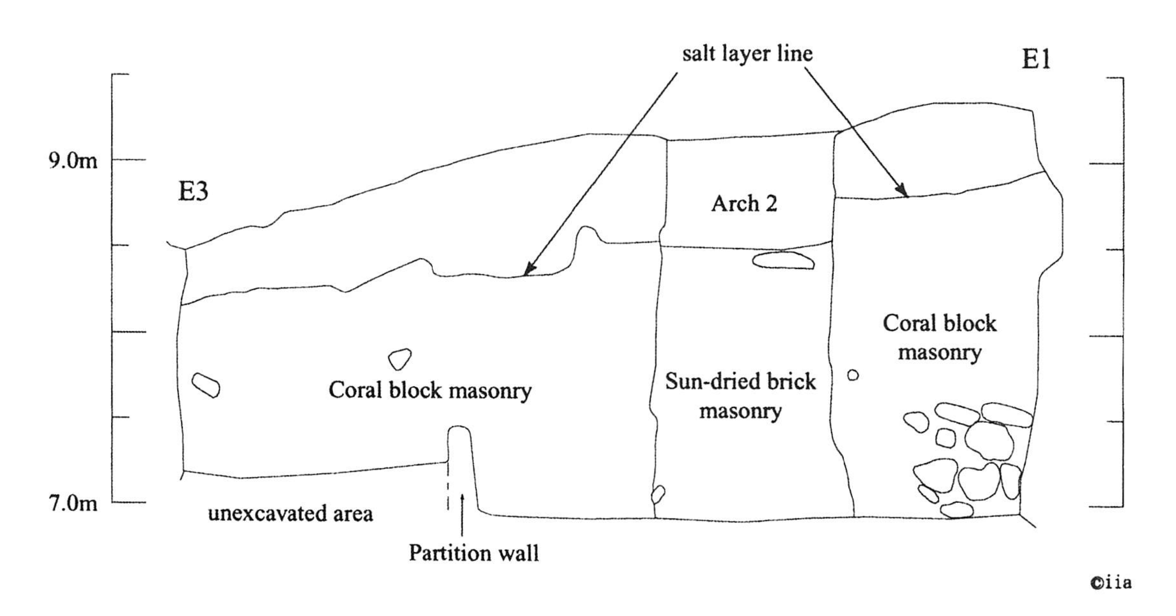


2. Elevation of the outer face of the northeast wall of Tower 1

Pl. 6

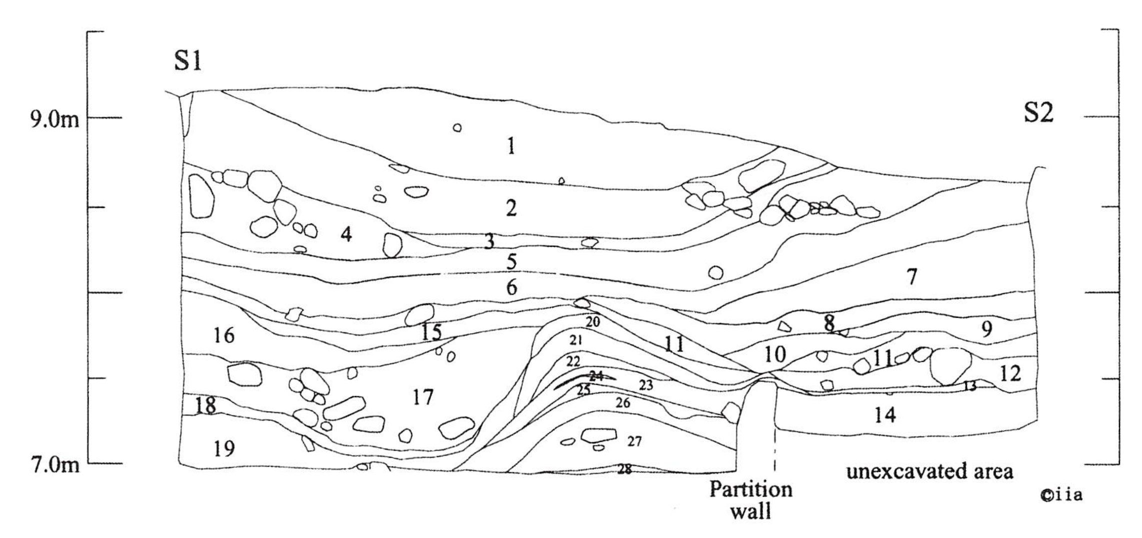


1. Elevation of the inner face of the northeast wall of Tower 1



2. Elevation of the inner face of the northwest wall of Tower 1

Pl. 5



Cross-section (NE-SW) of Tower 1

1. Sand layer containing a slightly larger amount of soil and a small amount of fine gravel, hardened with salt.
2. Loose sand layer containing much fine gravel and a small amount of pebbles.
3. Sand layer containing much fine gravel. Pebbles are fewer than in the 2nd layer.
4. Mud-brick débris layer.
5. Alternately accumulated thin sand and soil layers, the sand layers containing much fine gravel.
6. Sand layer containing a small amount of fine gravel.
7. Sand layer containing a large number of pebbles and fine gravel.
8. Sand and soil layer containing a large number of pebbles and fine gravel.
9. Sand layer containing a slightly more amount of mud-brick débris and pebbles.
10. Loose sand layer.
11. Sand layer containing much mud-brick débris.
12. Sand layer containing a large amount of pebbles, soil, and mat fragments.
13. Sand layer containing much clay and many carbonized mat fragments.
14. Loose sand layer containing a large amount of fine gravel and soil.
15. Alternately accumulated slightly hardened thin sand and soil layers.
16. Sand layer containing much soil.
17. Sand layer containing much mud-brick débris and a small amount of pebbles.
18. Loose sand layer containing a small amount of soil.
19. Sand layer containing a small amount of charcoal, mat fragments and pebbles.
20. Loose sand layer containing much charcoal.
21. Garbage layer containing a large amount of ash, a small amount of charcoal, and many fish bones.
22. Sand layer containing much brown soil.
23. Garbage layer containing a small amount of ash and charcoal.
24. Sand layer containing much soil.
25. Garbage layer containing much ash.
26. Sand layer mixed with a small amount of ash.
27. Alternately accumulated centimeter-thick ash and garbage layers.
28. Sand layer containing a small amount of charcoal and garbage.



Pl. 4

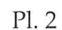
Plan of the excavated area of the Fort in 2007



Pl. 3

Plan of the Fort in the Rāya site





Pl. 2

Contour map of the Rāya site

Pl. 1

Cairo
Q
J
A
F
K
D
al-Ṭūr
Rāya
S

28° 20′
28° 15′
28° 10′
33° 30′
33° 35′
33° 40′
0 5km

Ra's al-Ghūb
Ra's Abū Ṣuwayra
Bi'r Abū Ṣuwayra
Ra's Rāya

C. Abū Ṣuwayra
N. Jabal Nāqūs
R. Rāya
T. al-Ṭūr al-Kīlānī

1. Wādī al-Aʿwaj
2. Dayr Wādī al-Ṭūr
3. Bi'r Yaḥyā
4. Bi'r ʿŪda
5. Bi'r Abū Kalām
6. Qurūm
7. Ḥammām Mūsā
8. Mabākhir
9. Karantīna

A. Ayla (ʿAqaba)
D. Dahab
F. Wādī Fīrān
J. Qalʿat al-Jundī
K. Sānt Katarīna Monastery
Q. al-Qulzum (Suez)
S. Sharm al-Shaykh

©iia

Map of the Rāya/al-Ṭūr area



Conservation Work of the Monastery of Wadi al-Ṭūr Site (Pl. 29)

Conservation work was done at the Monastery of Wadi al-Ṭūr site in 29 places on the four faces of pillars 1 to 8 in the southwestern part of the monastery, the four inner faces of Cells 2 to 6, the east face of Room 20 and the east face of Room 21 (Pls 39 and 40-1 to 40-4). This work was supervised by Mr. Hani Shakir of the Preservation and Restoration Office of North Egypt and Sinai of the Supreme Council of Antiquities (SCA).

Conservation Work of the al-Ṭūr al-Kīlānī Site (Pl. 30)

Urgent conservation work was done on parts of Modern House nos 1, 31 and 32 among the six houses situated on the al-Ṭūr al-Kīlānī site which were scheduled to be preserved (Pls 40-5 and 6). The delay in work was due to the late arrival of the conservation engineers specialized in building. This work was supervised by Eng. Saad Abd Allah Sulayman of the Department of Projects at the SCA and Mr. Tamir Idris of the Preservation and Restoration Office of North Egypt and Sinai at the SCA.

Survey of the Rock Inscriptions on Jabal (Mt.) Nāqūs (Pl. 31)
(The 8th expedition)

The eighth survey of rock inscriptions on Jabal Nāqūs was conducted from August 25 until August 30, 2007. Since February 2001 we have done the work of registration, decipherment on the spots, photographing and measurements. We completed the registration of 1,712 inscriptions in all.

One hundred and eighty-six dated inscriptions in Arabic letters, Arabic numerals and European numerals have been confirmed among the groups of rock inscriptions on Jabal Nāqūs. During this survey, we measured the points of the beginning of sentences by Total Station for more data in the compilation of dated inscriptions, which will be published as the first volume of the corpus of rock inscriptions on Jabal Nāqūs. We completed the registration of points for all the dated inscriptions on August 30, the final day of the survey (Pls 40-7 and 8). ■

Endnotes

* Acknowledgments: It was the special consideration of Sheikha Hussah Sabah al-Salem al-Sabah, Director General of Dar al-Athar al-Islamiyyah in the State of Kuwait that made this archaeological survey possible as well as the 2006 survey. First of all, I would like to express my heartfelt gratitude to Sheikha Hussah.

As usual, the 27th archaeological survey owes everything to the cooperation of many persons and institutions. I would like to express my sincere gratitude to Dr. Zahi Hawwas, Secretary General of the Supreme Council of Antiquities (SCA), Ministry of Culture; Faraj Fidda, Head of the Islamic and Coptic Archaeology Department of the SCA, and other staff members. They dealt with the complicated paperwork judiciously in order to secure permission from the Ministry of Defense and the Ministry of the Interior in advance of granting a permit for the survey. Moreover, I would like to tender my heartfelt thanks to the following persons for their kind cooperation: Mr. Abd al-Maabud Ridwan, Chief of the Archaeological Office of North Egypt and Sinai of the SCA.; Tariq Muhammad al-Najjar, Chief of the South Sinai Archaeological Office; Muhammad Fahmi Ahmad, Chief of the Archaeological Office of the Suez Bay District; Mr. Muhammad Ahmad Umran, Chief of the Archaeological Office of the al-Ṭūr District, and other officials in charge of the Rāya/al-Ṭūr area. Muhammad Hilmi Ahmad, Yasir Ahmad Ali, Ashraf Jalal Rasid, Abd al-Rahim Rihan Barakat, and Ayman Faramawi Abd Allah were assigned to the mission and assisted us. I would like to express my deep appreciation to them. Wail Zakariya al-Bulayhi, Muhammad Abd al-Munim Aql, Ahmad Muhammad Shahtatah, Tamir Idris Muhammad and Hani Shakir Abd al-Aziz of the Preservation and Restoration Office of North Egypt and Sinai at the SCA. joined the mission and engaged in the preservation and restoration work throughout the survey. I would like to express my sincere appreciation to them.

This survey was conducted with a budget from the National Council of Culture, Arts and Letters of the State of Kuwait. In addition, we were supported by the Teikei, Inc. Group and Japan Tobacco Inc. I would like to tender my sincere appreciation to all of them.

List of Members in 2007:

Director: Mutsuo Kawatoko, Research Institute for Islamic Archaeology and Culture.

Archaeologists (Field): Takeshi Takahashi, Chief of the section, Teikei Trade Corp.; Yoshie Kumagai, Hanamaki City Museum; Takeshi Honjo, Teikei Trade, Inc.; Kosuke Kitamura Teikei Trade, Inc., Masao ABE, Teikei Trade, Inc. and Takuma Kawabe, Teikei Trade, Inc.

Kuwait Team: M. M. Sultan al-Duwaish, Kuwait National Museum, National Council for Culture, Arts and Letters; F. B. Abdulaziz al-Duwaish, Dar al- Athar al-Islamiyyah-Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters and A. A. S. Osama al-Balhan, Dar al- Athar al-Islamiyyah-Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters.

Archaeologists (Artifacts):

Yoko Shindo, Chief of the section, The Middle Eastern Culture Center in Japan; Nobuo Takahashi, Hanamaki City Museum; Kazuyo Iseki Osaka University of Arts; Yoko Ueba Osaka University of Arts and Hiroko Kikuchi Kitakami, City Archaeological Center Photographer: Tsutomu Saida, Zaikai Co., Ltd.

Architects: Shin-ichi Nishimoto Chief of the section, Cyber University Chemists: Izumi Nakai, Chief of the section, Tokyo University of Science; Norihiro Kato, Tokyo University of Science; Tetsuya Tashiro, Tokyo University of Science and Hiroshi Gondai, Tokyo University of Science Epigraphist: Risa Tokunaga, Keio University

Chief of Egyptian workers: Hassani Hasan Ali, Cairo Office of the Islamic Archaeological Mission; Hafiz Muhammad Fathi and Muhammad Ramadan Mahmoud

1 Prof. S. Nishimoto of the Architecture Section of the Mission observed it.

Regarding the registered objects, there are 1,971 pieces of earthenware (RE-5237 to 6259, 6261 to 7184, 7186 to 7210, Pls 23, 41-1 to 41-3), 1,895 pieces of glazed pottery (RP-18467 to 20361, color Pl. 3-3 to 3-6, Pls 24 to 26, 41-4 to 41-11, 42-1 to 42-7), two water jug filters (RF-34 and 35), 17 oil lamps (RL-195 to 211, Pls 27-1 and 2, 42-8 and 9), 11 pieces of Chinese ware (RCW-107 to 117), 1,092 pieces of glassware (RG-13107 to 14198, color Pl. 4-1g, pls 27-3 to 27-21, 43, 44-1 to 44-4), five coins (RC-116 to 120, color Pl. 3-1 and 2), 30 fragments of ostraca, papyri or paper (RM337-366), 868 cosmetic sets and accessories (RO-8648 to 9515, color Pl. 3-7, Pls 28-12 to 28-20, 45-7 to 45-14), 1,011 tools (RT-11081 to 12091, Pl. 28-1 to 28-11, 44-5 to 44-9, 45-1 to 45-6), 143 textiles (RR-1216 to 1358, color Pl. 4-5 and 6), 172 pieces of metal objects (ROM-1257 to 1351, 1353 to 1429), 912 fragments of building materials (RB-1604 to 2486, 2488-2516), one knife (RW-1), one bone object (ROB-1) and 195 natural objects.

The important artifacts are the following: the Abbasid glazed pottery (RP-19062, color Pl. 3-6, Pl. 26-5), which could be almost fully restored by joining about 20 fragments; the so-called Fayyum glazed pottery (RP-18826 and 20302, color Pl. 3-4, Pl. 24-5), which was four-fifths restored by joining five large fragments; a piece of luster-painted pottery with a gazelle or a rabbit depicted (RP-19059, 19083, 19084 and 19085, color Pl. 3-5, Pl. 25-7); a molar kohl bottle (RG-13669, Pls 27-11, 43-9); a small glass bottle which supposedly held scented oil (RG-13107 and 13326, Pls 27-19 and 20, 44-3 and 4); the so-called Coptic dolls (RO-8867, Pls 28-20, 45-14; RO-8979, color Pl. 3-7, Pl. 28-19); kohl sticks (RO-9142 and 9163, Pls 28-15 and 16, 45-10 and 11); a copper weight (RT-12023, Pls 28-10, 45-5); a copper needle (RT-11818, Pls 28-6, 45-1); a small alabaster jar (RT-11742, Pls 28-3, 44-8) and a gold coin (RC-118, color Pl. 3-1 and 2).

The gold coin is believed to have been minted in 168 or 162 AH, during the reign of al-Mahdī, Abbasid Caliph (158-169 AH /775-785 AD)

RC-118 (color Pl. 3-1 and 2)
[diameter] 1.51cm x 1.54cm
[thickness] 0.9-1.1mm
[weight] 2.709g

[recto]
la ilaha illa
Allah wahda-hu
la sharīka la-hu



There is no God except Allah. He is alone. There is no partner to Him.

[recto: circle]
محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

Muhammad rasol Allah arsala-hu bi al-huda wa din al-Haqq li-yu Hhira-hu 'ala al-dIni kulli-hi wa-lau kariha al-mushrikon.

Muhammad is the messenger of Allah. He sent him with the Guidance and a religion in order that he might cause it to be bright over the already existing religion, all of them, even if polytheists dislike it.

[verso]
Muhammad
rasol
Allah



Muhammad is the messenger of Allah.

[verso: circle]
بسم الله ضرب............ ثمان (اثنتين) و ستين و مئة

Bism Allah Duriba............ thaman (ithnatayn) wa sittina wa mi'at.

In the name of Allah. (This Dinar) was struck (in the year of) 168 or 162.



Ditch features were found on every street plane in the central part of Street 6. These took care of the runoff of rain and drain water (Pls 37-4 and 5).

A large number of artifacts were recovered in addition to many street planes. These include Chinese wares, many sherds of Islamic glazed pottery and earthenware. Among them, a gold coin (RC-118) unearthed below the first street level is worthy of note (Pl. 37-6).

Tower 9 of the Main Gate

We excavated the northwest part of Tower 9, Room 13-6N and Room 13-21N. The excavated area reached 101 sq m.

The Northwest Part of Tower 9

We excavated the northwest half of Tower 9. As a result of this, two niches were discovered on the northwest wall (color Pl. 2-4, Pls 19-1, 37-7). The foundation of this wall and the outside of the upper structure were built of coral blocks, and the inside was built of sun-dried bricks. The niche was made in this way: a rectangular, solid space about 60cm wide, 60cm deep and 50cm high was made in the foundation of coral blocks and a half-dome set over it. The half-dome is a fine, two pointed arch built of burnt bricks held together with lime. The half-dome was built by filling the mold with plaster and laying burnt bricks on the mold. Consequently, plaster seeped into the bricks of the abutment.[1] Conservation work was done on the arch.

Conservation work was done on Arch 1 which had been unearthed in 2006 (Pl. 38-1).

The last hardened ground (*dakka* 1) was found over the entire part of Tower 9, but we could not remove the accumulations under Arches 1 and 2. *Dakka* 1, at the center of Tower 9, is 6.943m above sea level, and the eighth street plane (*dakka* 8) at the halfway point between the first and second gateposts of the main gate is 6.933m above sea level. After this excavation, Tower 9 was reburied with sandbags for preservation.

Rooms 13-6 and 13-21

We excavated Rooms 13-6N and 13-21N which we had not done in 2006 (Pl. 19-2). The excavation revealed that there was no partition wall between the two rooms. It is clear that the wall extending southeast from the southeast wall of Tower 9 was built with a *tandoor* oven. This had been made on the northeast end outside the southeast wall (Pl. 38-2).

Ovens were found along the outer faces of the southwest wall of Room 13-20 and the southeast wall of Room 13-18. The former are quintuplet *qānūn* ovens. One is along the southeast wall of Room 13-18, one on the north corner and three lined ones are along the southwest wall of Room 13-20. A round oven had been built on the southwest end of the southeast wall of Room 13-18 (Pl. 38-3).

A coral block structure existed on the southern, outer corner of Room 13-20. This is connected with the coral block structure on the northwest end of the southwest wall of Room 13-22, and extends southwestward about 1.00m from the southeast end of the southwest wall of Room 13-20 (Pls 19-3, 38-4).

Many important artifacts were discovered in this large space. They include a large-sized bowl with manganese violet spots on a yellow ground (Pl. 38-5), an earthen vessel covered with some kind of knitted material (Pl. 38-6) and a steatite incense burner (Pl. 38-7).

Artifacts

We found around 20,000 artifacts, excluding natural objects. The registered objects numbered 8,326, with the remainder around 12,000 (earthenware sherds are 64%, glass fragments 12% and glazed pottery sherds 24%).

35-3). A narrow doorway was built in the southwest wall (Pls 11-3, 35-4). The room was supposedly a bath and toilet.

Staircase

There is a staircase (Room 4-13) to the southwest of Room 4-26. Eight of its steps remain. The rise is about 15cm, and the tread is about 25cm, except for the section between the fifth and sixth steps. The existence of this staircase and the related large space shows that a workshop, storeroom or kitchen was on the ground floor and a living space was upstairs (color Pl. 2-3, Pls 12-1 and 2, 13-1 to 13-3, 35-5).

Rooms around Tower 1 (Pl. 35-6)

Room 4-2 shares the northwest wall with Tower 1. There are thick garbage layers, and many artifacts were excavated (Pls 14-1, 35-7). Fragments of Yueh celadon, a steatite incense burner, a wooden comb and a molar kohl bottle were found together with many sherds of Islamic glazed pottery and earthenware (Pls 35-8, 36-1 and 2).

The last hardened floor (*dakka* 1) of this room was found at 7.061m above sea level. It is just above the natural ground (Pl. 36-3). Observation of the foundation shows the following facts: the substructures of the southeast (Pl. 14-2) and southwest walls were built of coral blocks and extend below the last hardened floor (Pl. 14-2; Pls 14-3, 36-4). The southeast wall is the northwest wall of Tower 1, and the southwest wall is the southwest wall of the fort. However, the northeast and northwest walls have foundation layers about 30cm higher than the last hardened floor (Pls 15-1, 36-5; Pls 15-2, 36-6). A foundation of small coral lumps was laid on the foundation layer, and sun-dried bricks were placed above.

In other words, when the last hardened floor was constructed, Room 4-2 did not exist, leaving a large space connected with Rooms 4-12 and 4-23. The northeast and northwest walls were constructed after an accumulation of about 30cm of garbage. The doorways were built in the two walls, but the doorway of the northwest wall was soon blocked by carefully laid sun-dried bricks. Mud-mortar was applied thickly on the part where the northeast wall adjoins the northwest wall of Tower 1, i.e., the east corner of the room. It can be assumed that the newly-built east part of the northeast wall was a continuous line, and mortar was applied to strengthen it. The lowest level of this mortar is almost on the same level as the doorway in the northwest wall (Pl. 36-7).

The abovementioned facts clearly show that this room was used as a living space even though the floor was not hardened.

It can be reasoned that Rooms 4-12, 4-13, 4-23 and 4-24 made a large, unroofed space at the time of construction of the fort along with Room 4-2. We could not expose the hardened floor just above the natural ground during this excavation because of the time limit, but there are no foundations near the natural ground except for the walls of the staircase (Room 4-13) (Pls 16 and 17, 18-1).

The partition wall (Pl. 36-8) between Rooms 4-12 and 4-23 was built when the *tandoor* oven in the south corner of Room 4-12 (Pls 18-1, 37-2) was made at the stage of the last hardened layer (Pl. 37-1). This oven was repaired more than twice. A thick ash layer had accumulated on this hardened layer, and a fireplace had been built by the wall of the stairs. In addition, some unidentifiable grooves were found (Pl. 37-3).

Street 6

Street 6 is broad, measuring 2.50m in width at its intersection with Central Street. The eighth street plane was unearthed in the southeast part of Central Street and the third street plane in the northwest part, but the way they were formed was not the same.



the window of Tower 1 was made in the northwest edge of the southwest wall reinforces this view (Pls 7-2, 33-5). The doorway was made slightly to the northeast of the center of the southeast wall (Pl. 33-6).

Room 4-20 has a doorway at the northeast end of the southeast wall which faces Central Street (Pl. 33-7). It is a deep room with a partition wall about 70cm from the northwest wall (Pls 8-2, 33-8). Six tiers remain in the southwest part and three tiers in the northeast part. The foundation of the northwest wall is made of special tiers: coral lumps, stone and burnt bricks were firmly packed with mud-mortar (Pl. 8-3).

The floor and four wall surfaces of this room have a second coat of mud-mortar and a finishing coat of cement-mortar. Traces can be partly seen of applied cement-mortar from the floor up to the wall.

Room 4-21 is on the corner lot where Central Street intersects Street 6. It is an almost square room, where dakka 1 was discovered. The floor and walls are finished with cement-mortar with which lime was mixed. Mortar was applied partly from the floor up to the wall (Pl. 34-1). Black ash cement-mortar adhered to the walls around the east and north corners.

There are large depressions in the floor in the east corner, the part to the northwest of this corner and in the south corner. They were probably made to set water pots and other containers in. The abovementioned black ash cement-mortar was possibly used to fix them (Pl. 34-2). Traces of a fireplace were also found on the south corner of the floor.

The doorway to this room existed in the northwestern part of the southeast wall, although the southeast wall was destroyed near its foundation.

Rooms along Street 6 (Pl. 34-4)

We excavated three rooms facing Street 6: Rooms 4-22, 4-25 and 4-26. Room 4-25 was covered with a thick black ash layer mixed with brick lumps, concentrated in the southeast part. Many tortoise bones were unearthed, and a complete skeleton was found by the southeast wall in the central part (Pls 9-2, 34-5). Nearly 4000 yellow glass beads came up in the southwest part.

Room 4-25 is a square room with distorted corners. The northwest wall is shared with Room 4-22 and is off the datum axis (Pl. 9-1). The north corner is acute angled and the west corner obtuse angled. The foundation of the southwest wall was built of coral lump masonry, and was later attached to the southeast wall. What this means is that the northwest wall and the southwest wall were joined (Pls 9-3, 34-6 and 7).

Room 4-22 is adjacent northwestward to Room 4-25 and has a trapezoidal plan. The southeast wall is shared with Room 4-25. Traces are clearly visible of sun-dried bricks, which were relaid on the lower second course (Pls 10-2, 35-1). Thick soil and sand accumulation in the south corner can be used as evidence for the sun-dried bricks being relaid (Pls 10-1, 34-8). The southwest wall was built in a quite different way. Coral lumps were piled up in three courses, and sun-dried bricks were laid on them (Pls 10-2, 35-1). This wall seems to be attached to the southeast wall. The northwest wall was built of coral blocks and has the doorway to Room 4-13 at its southwest end (Pl. 10-3).

It is deduced that these two rooms with doorways to Street 6 combined to form a large space with the rooms on the southwest side (Pls 10-4, 35-2).

Room 4-26 is built of coral block masonry (Pl. 11-1). As seen from Room 4-22, coral blocks were stacked on the layer about 15cm higher than the last hardened floor (*dakka* 1). This is a small room with sides of about 1.50m. To build the floor, cement-mortar was put on the packed, small coral lumps, after which finishing plaster was applied. The northeast wall has a drain, so that water runs out to Street 6 (Pls 11-2,

Tower 1

Tower 1 is on the northwest side of the two towers which constitute the main gate (color Pl. 2-2). The doorway to Room 4-23 is in the northeast wall, and the doorway to Room 4-2 in the northwest wall. The upper part of these two doorways is arched (Pls 5 and 6, 32-1 and 2).

The lower part of Tower 1 was built of coral blocks, as was the outside of the upper part. The inside of the upper part was built of sun-dried bricks as were the other towers and walls of the fort. We reached the last hardened floor (*dakka* 1) by digging to a depth of about 2.30m from the existing wall. The central part of the ground is 6.888 m above sea level. The lower coral blocks were built evenly about 1.50m from dakka 1 on the southeast wall, the southwest wall, the eastern part of the northeast wall and the southern part of the northwest wall, and then about 50cm on the northern part of the northwest wall and the western part of the southeast wall.

A window-like a loophole was put on the southeast side of the arch in the northeast wall. It stands today at a height of 90cm from the lower coral block structure (about 1.30m from *dakka* 1) (Pls 6-1, 32-3).

Dakka 1 of Tower 1 was constructed on bedrock. No hardened floors were discovered over it, but the traces of many fireplaces were evidence of much use.

A partition wall lay about 1.50m from the southwest wall. Its function is unknown. It was built on dakka 1 and then relaid twice (Pls 32-4 and 5). The high pile of garbage and ash in the central part are blocked by this partition wall, except for the top part (Pls 5, 32-6).

The path leading to Arch 2 is fully blocked by the sun-dried brick wall about 1.65m high which was laid on *dakka* 1. An undercoat of cement-mortar was also applied in the same way as the inner face of the northwest wall (Pls 6-2, 32-7).

Rooms along Central Street

Rooms 4-19, 4-20 and 4-21 lie toward the northeast of Tower 1 and face Central Street (Pl. 32-8). The southeast wall of the three rooms facing Central Street had coral blocks for the foundation with sun-dried bricks stacked on it. We had already dug down to the eighth street plane on the southeast side of Central Street, which we regarded as the lowest plane, and confirmed that the foundation of the northwest wall of Rooms 13-17, 13-18 and 13-19 on the southeast side was constructed of two tiers of shaped coral blocks. However, the substructure was not exposed because the third street plane had not yet been excavated on the northwest side of Central Street. We set a trench around the eastern, outer corner of Room 4-21 and dug down Central Street and Street 6. Then we discovered the foundation of coral lumps on the side of Central Street and a similar foundation of coral blocks on the side of Street 6 (Pl. 33-1). It was confirmed that the coral blocks of Street 6 lay on a straight line with the shaped coral blocks of the outer face of the northeast wall of Room 4-22 (Pl. 33-2).

Room 4-19 adjoins the northeast wall of Tower 1. It was covered with thick layers of collapsed sun-dried bricks. Many large-sized bricks (41 x 19 x 9cm) were found, on which some lines scratched by fingers are visible. They were used for building arches or domes (Pl. 33-3).

The last hardened floor (*dakka* 1) was found under the collapsed brick layers (Pl. 7-1), and a hardened floor was found about 15cm higher than *dakka* 1 along the northwest wall. It is presumed to have been the space where goods were stored. A fireplace was excavated along the southwest wall, which is the northeast wall of Tower 1 (Pl. 33-4).

The southeast wall of this room was coarsely built, giving the impression that this wall was not built when the fort was constructed (Pl. 8-1). The fact that

ARCHAEOLOGICAL SURVEY OF THE RĀYA / AL-ṬŪR AREA ON THE SINAI PENINSULA, EGYPT IN 2007

Mutsuo KAWATOKO
*and Yoko Shindo TAKAHASHI**

Abstract

The Second Japanese-Kuwaiti Islamic Archaeological Mission conducted its 27th archaeological survey in the Rāya/al-Ṭūr area (Pl. 1) from July 15 until September 15, 2007. The survey consisted of excavations and conservation work in the Rāya port city site (the 11th expedition), survey of rock inscriptions on Jabal (Mt.) Nāqūs (the 8th expedition), conservation work at the Monastery of Wādī al-Ṭūr site, conservation work on the modern houses on the al-Kīlānī port city site, classification and study of the artifacts and restoration work of the walls of the mosque in the Rāya site. At the same time, chemical composition analyses of glazed pottery, coins and glass were made by using a portable X-ray fluorescence spectrometer and diffractometer.

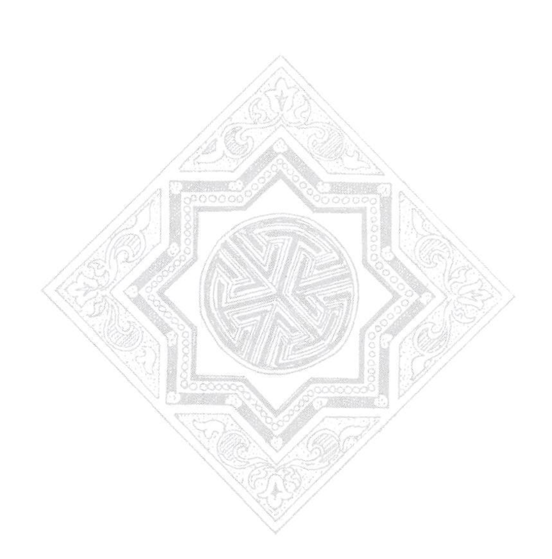
We excavated the fort in the Rāya site. We continued a close examination of the main gate area, and excavated Tower 1, 11 rooms to the northeast of the tower, Street 6 and the remaining side part of Tower 9. Although the excavated area was only 287 sq m, Tower 1, Room 4-2 and the northwest part of Tower 9 were dug to a depth of about 2.5m.

Since 1987 we have recorded the strata, the precise location of all the artifacts and their distribution and the building features throughout the site on a 3-D coordinate axis by Total Stations (surveying instruments), and have made modeling plans by computer graphics so as to facilitate the daily excavations. Then we have recorded the plans and elevations of the features and the cross-sections of the strata, and photographed and drawn these. The data recovered through the process of digging will provide material for future generations to use not only from the aspect of the excavated features and artifacts but also from the viewpoint of how conditions had changed.

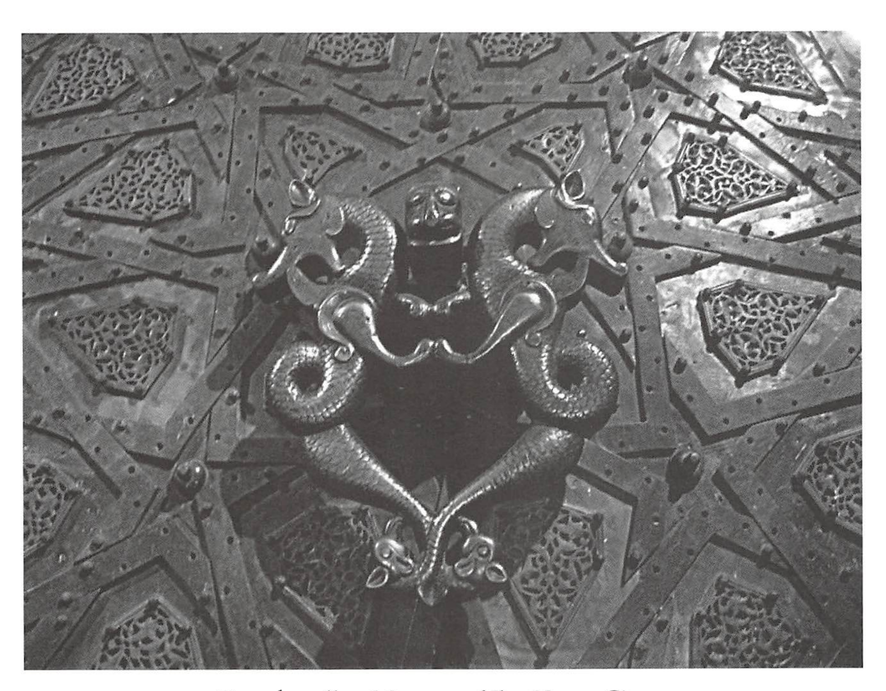
Excavation of the Fort in the Rāya Site (Pls 2 and 3)

Tower 1 of the Main Gate Area

We excavated Tower 1, Rooms 4-2, 4-12, 4-13, 4-19, 4-20, 4-21, 4-22, 4-23, 4-24, 4-25, 4-26 and a part of Street 6 on the side of Tower 1 of the main gate area (Pl. 4). The excavated area was 186 sq m. The purpose of the excavation was to discern the features of the main gate area of the fort. As a result of the excavation, we found arches of sun-dried bricks on the northeast and northwest walls of Tower 1.







Door handles, Mosque of Ibn Umar, Cizre.

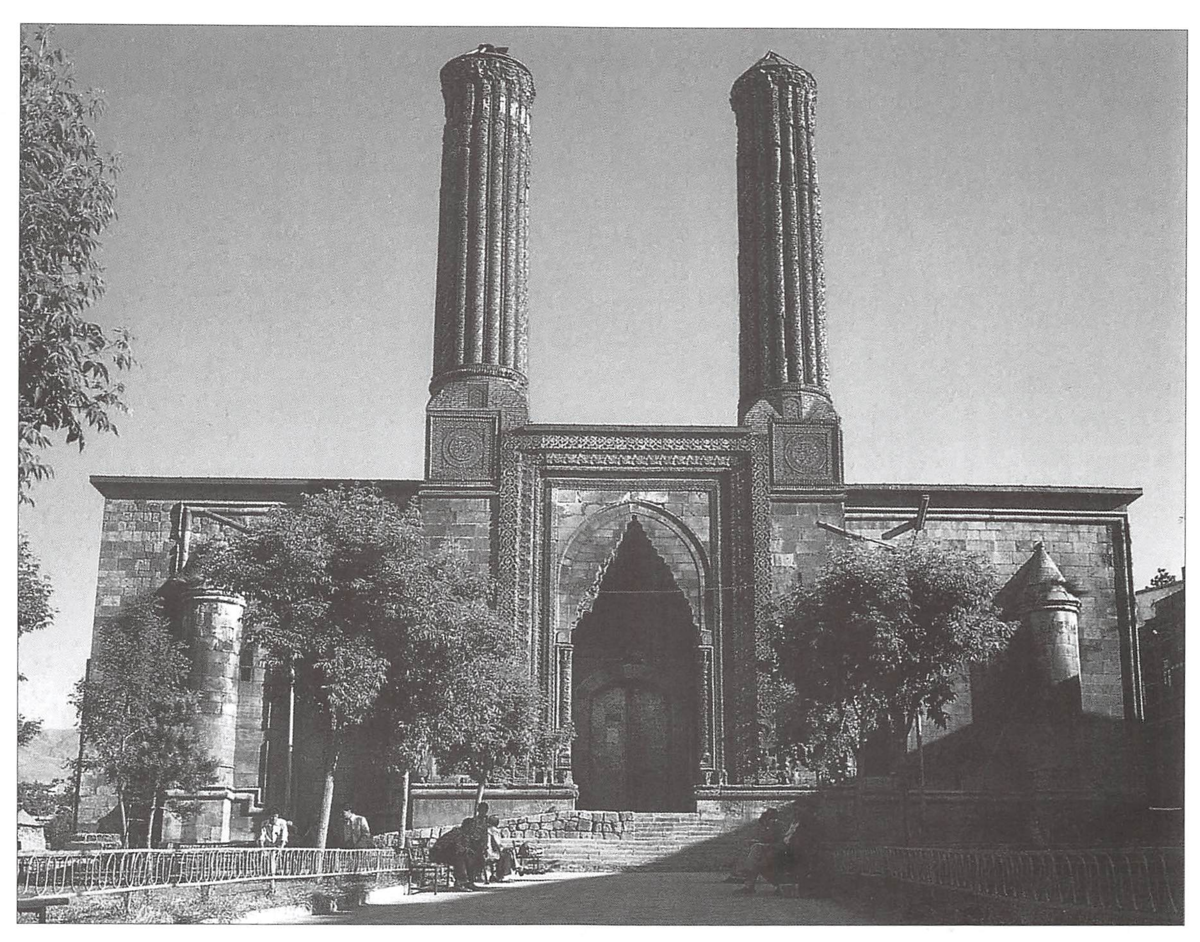


Incense-burner made by mohammed ibn Khutlukh, Dumascus, C. 1230-40.



Details from Incense-burner made by mohammed ibn Khutlukh, Dumascus, C. 1230-40.





The Cifte Minare Medrese, Erzurum.

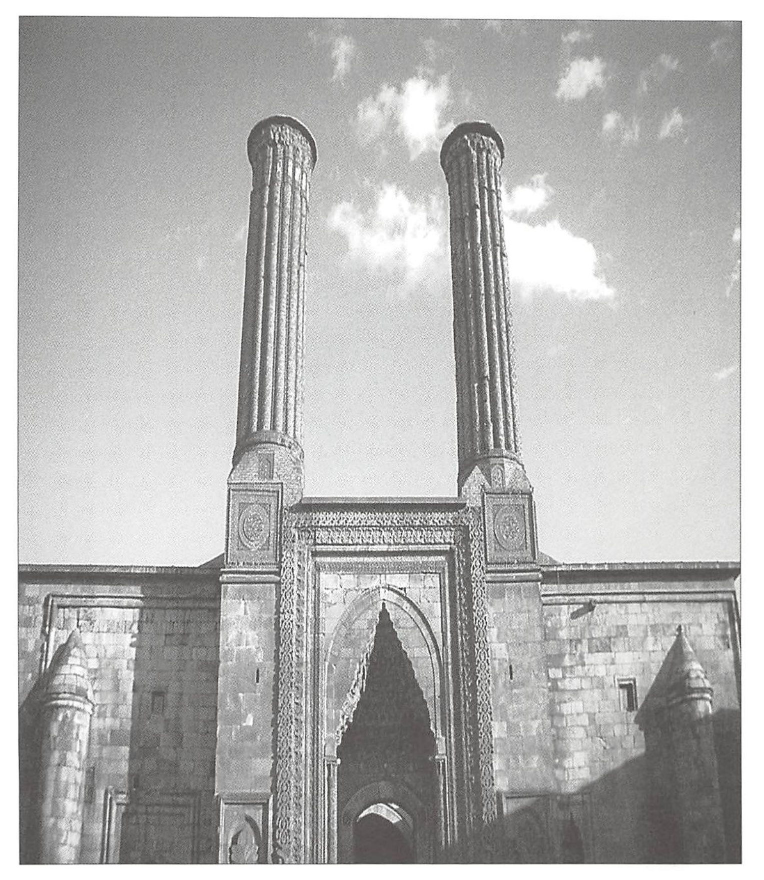
The Cifte Minare Medrese
portal, Erzurum.



The mosque of Qijmas al-Ishaqi, Cairo.

Dragons-headed candlestick, Khurasan, 15th century.





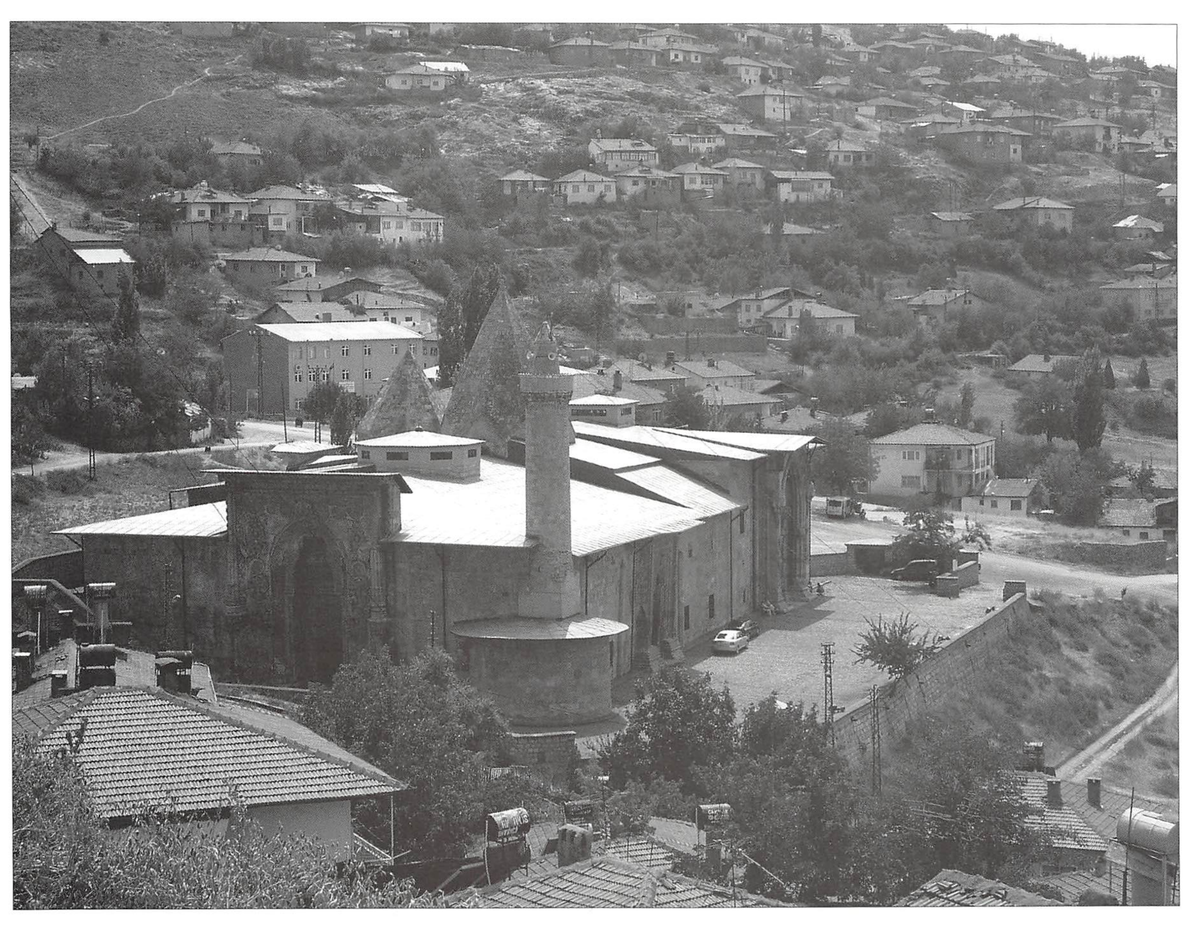
Cifte Minare, Erzurum.



Carving lion in Citadel of Aleppo.

The Gok Medreses, Sivas.





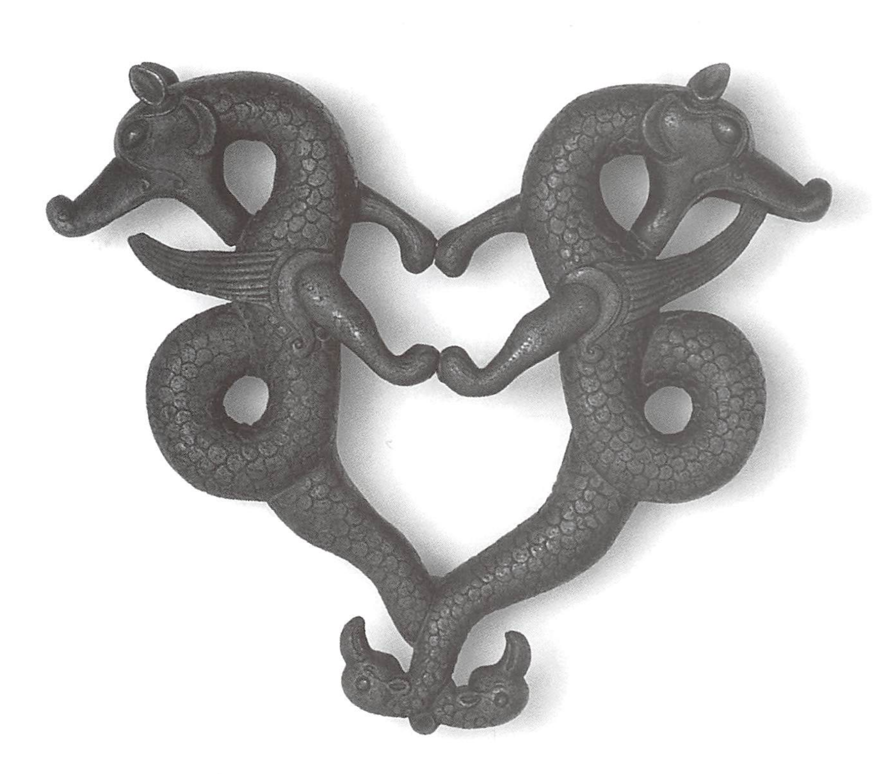
The Divriği Great Mosque and Hospital, Divriği.

Page from al-Jaziri's book, Metropolitan Museum of art.

Brazier, 2nd half 13th century, Egypt, The Metropolitan Museum of art.



Pair of door handles, early 13th century, Jazira, The Nasser D. Khalili Collection of Islamic art.



Pair of door handles, early 13th century, Jazira, The Nasser D. Khalili Collection of Islamic art.



Erdmann, 156, 157.

37 E. Ettinghausen, *Treasures of Turkey* (Geneva, 1966), 161.

38 van Berchem and J. Strzygowski, *Amida* (Heidelberg, 1910), 82-5; A. Gabriel and J. Sauvaget, *Voyages Archéaologiques dans la Turquie orientale*, I (Paris, 1940), 321, no. 66; II, pl. LIII.

39 M. S. Mtendadaran 979, cf. L. A. Durnovo, *Armyanskaya Miniatyura* (Erevan, 1969), pl. 43.

40 D. S. Rice, *Anatolian Studies* II (1952), 50, 63-5, fig. 3. This part of the gate was erected by the Numairid Mani b. Shabib and bears an inscription dated 451AH / 1059AD.

41 H. Gluck und E. Diez, *Die Kunst des Islam: Propylaen Kunstgeshichte* (Berlin, 1925), 450. This is not in the Museum für Islamische Kunst, Dahlem. Inventory no. 1.2242.

42 C. Preusser, *Nordemesopotamische Baudenkmaler* (Leipzig 1911) pl. 36.

43 (Index no. 114), 885-6AH/ 1480-1AD.

44 The entrance doorjambs bear the date 886/1481. The Qu'an stand (*kursi*) inside bears the title of Qijmas as Kafil al-Mamlaka al-Shamiyya and the date 887/1482, both dated after his transfer to Syria. (Ibn Iyas, *Bad'i^c al-zhuhur fi waqa'i^c al-duhur*, II 184, 203, 245-6; Al-Sakhawi, VI, 213, no. 706.

45 (Index no. 43) 683-84AH/ 1284-85AD.

46 *The Book of Knowledge of Ingenious Mechanical Devices* (Kitab fi Macrifat al-Hiyal al-Handasiyya) by Ibn al-Razzaz al-Jazari, trans. D. R. Hill (Dordrecht-Boston, 1974), 195. Review by J. M. Rogers in *Biblioteca Orientalis*. I am grateful to the reviewer for this reference.

47 The general Arabic term for dragon and the constellation. Draco is *tinnin*, described in the fourteenth and fifteenth century dictionaries as a monstrous serpent, cf. Majd al-Din al-Fayruzabadi, *al-Qamus al-Muhit* (Cairo, 1371AH/1951AD). The original was revised by the author in 814AH/1412AD.

48 Al-Jazari, *Kitab fi Macrifat al-Hiyal al-Handasiyya*, 194-5, describes the *anf* (literally nose), the vertical strip or fly down the center of the bronze doors he made, as inlaid with the heads of various animals. These need not, of course, have been like the heads of the fantastic animals on the Gok Medrese at Sivas (see note 35), nor the two slabs in the Egyptian Museum (see notes 15, 20, 21). However, al-Jaziri's choice of these motifs may have been dictated by a similar tradition. In parts of northern Mesopotamia, pagan beliefs are deeply rooted and still persistent, and even in the Middle Ages, Orthodox Islam was particularly difficult to impose. Ibn Jubayr, *Tadhkira bi'l-Akhbarcan Ittifaqat al-asfar*, more generally known as Rihlat Ibn Jubayr (M. Ziyada (ed.) (Cairo, 1388AH/ 1968AD), 172) who visited these areas in 580AH/1185AD remarks appositely that none of the rulers of these petty kingdoms who assumed titles (*laqabs*) in al-Din (of the Faith) was worthy of them, with the exception of Salah al-Din. His general accuracy suggests that his observation was seriously meant.

49 *Sefernameh*, trans. Yahia al-Khashshab (Cairo, 1364AH/1945AD), 46.

50 Maqrizi, *Khitat*, II, 273.

51 *Comptes-rendus du Comite de Conservation des Monuments Arabes*, Exercise 1946-1953, fasc. 40 (Caire, 1961), 394-6.

52 F. W. Hasluck, *Christianity and Islam under the Sultans*, II, in M. M. Hasluck (ed.) (Oxford, 1929); reprinted New York, 1973), 655-62.

53 Sarre und Herzfeld, *Archaologische Reise im Euphrat-und Tigris-gebeit*, II (Berlin, 1920), pls VI, XCVI, XCVIII, and 28-30, 246. RCEA 4447-51.

54 Sarre und Herzfeld, *Archaologische Reise im Euphrat-und Tigris-gebeit*, II, pl. VIII and 20-2; RCEA, 4289.

55 Reitlinger, art. cit., 152-3, pls XXIV, 14-5 and XXV, 16-7.

56 Gluck und Diez, *Die Kunst des Islam: Propylaen Kunstgeshichte*, 242.

57 Reitlinger, art. cit., 149-50, pls XXIII, II and XXIV, 12; RCEA 4446.

58 Maqrizi, *Khitat*, II, 2, 20, 36, 93, Salah al-Din expelled the Fatimids from his quarter and reapportioned it among his emirs. Baha' al-Din Qaraqush, his vizier, had his residence there and built a famous Khan outside the Bab al-Futuh, the Khan al-Sabil, which gave free lodging to all travellers.

59 Ibn Iyas, *Bad'ic al-zhuhur fi waqa'i^c al-duhur*, I 90-3.

60 Ibn Duqmaq, *Kitab al-Intisar li wasitat ^ciqd al-amsar* (Bulaq, 1309AH /1892AD), IV, 102.



Endnotes

1 Only the doors appear in the Index to the Muhammedan Monuments of Cairo shown on the special 1:5,000 scale maps of Cairo (Survey of Egypt, Cairo 1951).

2 Index no. 6, 480/1087.

3 *Al-Akhitat al Tawfiqiyya al-Jadida*, V (Bulaq, 1306/1889), 114-5.

4 Muhammad ibn Mohammad ibn Abu Bakr ibn Muzhir, born in 860AH/ 1456AD, began his career very young, first as the Nazir al-Khass (royal treasurer) of Qaytbay then as *muhtasib* (inspector of the markets). He also assisted his father in the chancellery; and, in 890AH/ 1485AD on his father's death, he replaced him as Katib al-sirr (chancellor). Unscrupulous and ruthless, he instigated most of the confiscations during the troubled period 899-910AH/ 1494-1505AD, appropriating for himself both *iqtac* (fiefs) and private property. He was several times arrested and released. Finally, in 910AH/ 1505AD, he was tortured to death by al-Ghawri. His younger brother shared the same fate, while a third brother committed suicide. Al-Daw' al-Lamic li ahl al-qarn al-tasic, VII (Cairo, 1354/1935), 197-98, no. 465. See also Ibn Iyas, *Bad'ic al-zhuhur fi waqa'ic al-duhur* (Bulaq, 1311/1894); for the father II, 3-250 passim; III, 60 and for Muhammad the son, II, 132-342 passim. In the Bulak edition of Ibn Iyas, the text covering the years 905/ 1505-922/1517 is missing. These years are in the Cairo edition 1379-83/1960-63 M. Mustapha (ed.), IV, 71.

5 Index no. 43, 683-4/1284-5.

6 L. A. Ibrahim, 'The Great Hanqah of the Emir Qawson', *MDAIK* 30/1 (1973), 37-57, pls 7-11, 52-5.

7 Maqrizi, *Al-Mawaciz wa'-Ictibar fi dhikr al-khitat wa' al-Athar* (Bulaq, 1270/1835) II, 387. Mankutamir/Mengutamur was a favorite of Lajin, who dubbed him an emir on his succession to the throne. In 696AH/1297AD he appointed him viceroy (*na'ib el Saltana*) with the power to issue royal decrees (*marsum*) during his illness. Lajin had no male descendants; Mankutamur demanded that he be nominated his heir. The established emirs refused, and in retaliation Mankutamur ordered the emirs on an expedition to Sis in Armenian Cilicia to get rid of them. He then proposed to Lajin a cadastral survey and redistribution of the fiefs (the *rawk al-husami*). He survived Lajin's murder in 689/1298, only by a few hours. See also K. V. Zetterseen, *Beitrage zur Geschichte der Mamlukensultane* (Leiden, 1919), 43, 49-52. Ibn Aybak al-Dawadari, *Kinz al-Durar wa jamic al-Ghurar*, U. Haarmann (ed.), VIII (Cairo, 1971), 369-83 passim; Maqrizi, *Kitab al-Suluk li macrifat duwal al-muluk*, in M. Ziyada (ed.), I-III (Cairo, 1956-1970), 822-56, passim. Ibn Taghri-Birdi, *Al-Nujum al-zahira fi muluk Misr wa al-Qahira*, VIII (Cairo, 1358/1939), 87-188 passim.

8 For the town house, Maqrizi, *Khitat*, II, 52. For the madrasa, Maqrizi, *Khitat*, II, 387.

9 A. Mubarak, III, 21-2.

10 Index no 37, 660-2/1262-3.

11 K. A. C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, I (Oxford, 1959), pls 64-b, 66-b; II, 149; P. Casanova, *Histoire et Description de la citadelle du Caire* (Paris, 1894), pl. X.

12 The earliest datable knotted arcading appears on the marble pavement of the mausoleum of Baybars al-Ghashankir/Chashnegir, attached to his Khanaqah (Index no. 32), 706-9AH/ 1306-10AD.

13 (Index no. 282) dated by inscription 631AH/ 1216AD. M. Van Berchem, *Corpus Inscriptionum Arabicarum. Egypte,* I (*CIA*) (Cairo, 1894), 95, no. 58.

14 For example, the mosque of Uthman Katkhuda/al-Kikhiya (Index no. 264), 1147/1734.

15 Inside the mausoleum attached to his mosque (Index no.190) 818-23AH/1415-20AD. The mausoleum was terminated after he died, Maqrizi, *Khitat*, II, 328-30.

16 Inventory no. 1120. Wafiyya 'Izzi and J. M. Rogers, *Islamic Art in Egypt, 969-1517*, Exhibition Catalogue (Cairo, 1969), 203-4, no. 194.

17 Van Berchem, *Corpus Inscriptionum Arabicarum. Egypte,* II, 686-8 no. 510 and 688 n. 3.

18 Maqrizi, *Khitat*, 329, describes for example how al-Muayyad's emirs sacked mosques, madrasas and houses for marble.

19 Inventory no. 12752, purchased. Catalogue, no. 195. For the medallion on the Madrasa al-Muqaddamiyya in Aleppo, cf. R. Ettinghausen, *The Unicorn* (Washington, 1950), pl. 6; J. Sauvaget's photograph. I am indebted for the latter's reference to J. M. Rogers.

20 Inventory no. 12752, purchased.

21 M. H. Simaika Pacha, *Guide summaire du musée Copte et des principales egliges du Caire* (Cairo, 1937), pl. CXXXI.

22 For Coptic iconography, see V. Girgis, *Al-lawhat al-musawwara* (Icons of the Coptic Museum) (Cairo, 1965). St. George, Icon no. 12, St. Mercurius (Abu'l-Sayfayn), St. Menas (Mar Mina), St. Demetrius and St. Theodore are all generally represented mounted. The latter is even called Maqrizi (*Khitat*, II, 512) 'al-Shahid (Saint) Ta'urus al-Isfahsalar' (the general). The iconographic tradition is ancient, since a stone slab in the Louvre shows Horus mounted, dressed as a Roman soldier and slaying a crocodile, M. Du Bourguet, *The Art of the Copts*, trans. Caryll Hay-Shaw (Holland, 1971), 89.

23 Sirapie der Nersessian, *Agh'tamar. The Church of the Holy Cross* (Harvard, 1965), pl. 50.

24 J. F. Rogers, 'Aeolipiles Again', in O. Aslanapa and R. Naumann (eds), *Forschungen zur Kunst Asiens, in Memorian Kurt Erdmann* (Istanbul, 1969), 154-5; E. Kuhnel, 'Drachenportale', *Zeitschrift fur Kunstwissenschaft*, IV (Berlin, 1950) has not been accessible to me. The Western dragon derives from antique, winged sea monsters and symbolizes evil, as in the Western iconography of St. George. In Greek mythology, snakes were often beneficent as well as the guardians of fabulous treasures. Chinoiserie dragons appear only in the late thirteenth century. The Chinese dragon (*lung*) is a beneficent divinity which governs the sky, the rain, the sources of rivers and the ocean, and also guards treasures and guides the soul (Celal Esad Arseven, *Les Arts décoratifs Turcs* (Istanbul, 1952), 25-8, 33-8). The earliest dated occurrence of the Chinoiserie dragons is the *lajvardina tiles* (1271) from the Palace of Abaqa Khan at Takht-i Sulayman in northwest Persia. (E. und R. Naumann, 'Ein Kosk im Sommerpalast des Abaqa Chan auf dem Tacht-I Sulaiman und Seine Dekoration', in *Forschungen zur Kunst Asiens*, in *Memorian Kurt Erdmann*: in Aslanapa and Naumann (eds) (Istanbul, 1969), 35-63. Non-chinoiserie dragons of Mesopotamian type also appear there.

25 Arseven, *Les Arts décoratifs Turcs*, 33, 38, figs 103, 125.

26 Arseven, *Les Arts décoratifs Turcs*, 33-80. The Tree of Life, the symbol of Astarte, the affronted birds representing the duality of life, etc., became purely decorative in Islam; whereas, the fish, a sign of abundance, and the hand (*Khamsa*), a talisman against the evil eye, are still widely used. It is unnecessary here to give a conspectus of the abundant literature on these topics.

27 The definition of talisman, Arabic *tilsam*, given in al-Shahab al-Khafaji, *Shifa'al-ghalil fima fi kalam al-Arab min al-dakhil* (Bulaq, 1282/1868), 150, 153, translated literally reads: 'Tilsam is a word of Greek origin', and citing an earlier work, *al-Sirr al-maktum*, '(the Tilsam) is a science by which the effective celestial powers are united with the effective earthen powers to bring about an unusual effect or change a usual one', 'Tislam is also used in magic.' (Greek τελεομχ).

28 F. Sarre and E. Herzfeld, *Archaologische Reise in Euphart und Tigris Gebiet*, III (Berlin, 1911), fig. 11, Bab al-Talism. For details of these snake-dragons, see D. Talbot Rice, *Islamic Art* (London, 1965), 102-3, fig. 100.

29 Compare to the inner gateway, dated 606AH/1209-10AD (Herzfeld, *Materiaux pour un Corpus Inscription Arabicum Inscription et monument d'Alep* (Cairo, 1954-5), I, 85, no. 36) which is of the same period.

30 J. Sauvaget, *Les Peres Choisies* (Beirut, 1933), 135-7. Also, Ibn 'Asakir (d. 1176) who devoted a chapter to the talismans in the Great Mosque of Damascus giving no indication, however, of their appearance. N. Elisseeff, *La Description de Damas d'Ibn 'Asakir* (Damascus, 1959), 72-3 (Text 47-8).

31 D. S. Rice, 'Medieval Harran, studies on its topography and Monuments', *Anatolian Studies* II (1952), 40.

32 G. Reitlinger, 'Mediaeval antiquities West of Mosul', *Iraq* (1938), 149-50, pl. XXIII. Also R. Ettinghausen, 'Interaction and Integration is Islamic Art', reprint from *Unity and Variety in Muslim Civilization*, in G. E. von Grunebaum (ed.) (Chicago, 1955), 120, attributes it to Badr al-Din Lu'lu', where it is given a terminus of 657AH/ 1259AD, and cf. RCEA 4446.

33 J. M. Rogers, 'The date of the Cifte Minare Midrese at Erzurum', *Kunst des Orients* VIII/1-2 (1974-5), 77, 119; R. H. Unal, *Les Monument Islamiques Anciens de la ville d'Erzurum et de sa région* (Paris, 1968), pl. XXV.

34 K. Otto-Dorn, 'Darstellungen des Turco-chineseischen Tierzyklus in der islamischen Kunst', in *Beitrage zur Kunstgeschichte Asiens: in Memoriam Ernst Dies*, in O. Aslanapa (ed.) (Istanbul, 1963), 150-1, figs 16-17.

35 Y. Onge, 'Cankiri Darussifasi', *Vakiflar Derigisi*, V (1962), 251-5; A. Gabriel and J. Sauvaget, *Voyages archéologiques dans la Turquie orientale* (Paris, 1940), I, 166-7 and fig. 136.

36 J. M. Rogers, 'Forschurgen zur Kunst Asiens', *in Memoriam Kurt*



seems highly likely from their position as consoles, the Muzhiriyya dragons were talismans, they follow a non-Egyptian tradition.

The second unusual element of the decoration of the doorway of the Muzhiriyya Mosque is the blind arcading outlined by an interlacing molding. Narrow bands bearing blind arcading are used in Cairo inside mihrabs and for the tops of dados, but never otherwise on the exterior of Cairene monuments. It is again in the Jazira, and particularly in the Mosul area in the thirteenth century, that carved stone blind arcading is used for the frames of doorways, niches and mihrabs. This is best exemplified in the remains of Badr al-Din Lu'lu's palace in Mosul, the Qara Saray (pre - 657AH/1259AD),[53] and in the Mashhad al-Imam ᶜAwam al-Dine, restored by Badr al-Din Lu'lu' (646AH/ 1248AD).[54] A ceremonial niche in the same style at Gu'kummet near Balad Sinjar was discovered by Reitlinger,[55] who points out its similarities to the mihrab of the Great Mosque at Mosul erected by Nur al-Din Mahmud ibn Zanji, dated by an inscription to 543AH/1148AD.[56] The three-lobed arches linked together with loops occur also on the doorjambs of al-Khan which also bear the name of Badr al-Din Lu'lu' (restoration datable before 657AH/ 1259AD).[57] The arcading on the Muzhiriyya Mosque (though somewhat similar) is, however, completely different in style to that of Mosul. The colonettes, the arches and the decoration except for the dragons are all typically Cairene. Since, however, bands on doorjambs do not exist outside Egypt, we may presume that the entrance decoration of the Muzhiriyya Mosque is the work of a foreign craftsman well acquainted with animal representations, who adapted himself to the local building tradition.

That the doorway was originally ordered for a religious construction in Egypt is highly improbable, in view of the disapproval in Mamluk Egypt of human or animal representations. The dragons on the door knockers of the Mosque of Qijmas/Qachmaz are barely noticeable. Those on the Muzhiriyya are, however, so conspicuously placed that the only possible explanation is that they are from a secular construction.

Dragons, even in northern Mesopotamia, do not appear on buildings before the twelfth century and disappear by the beginning of the fourteenth century. Nor are any dragons known from Ottoman Egypt. The Muzahiriyya Mosque is built in a quarter which was fashionable in the Ayyubid period (1172-1249AD).[58] After Nur al-Din's reign, upper Mesopotamia was periodically under Ayyubid rule, and it may well be that some Ayyubid notable, having contacts with upper Mesopotamia, adopted the idea of talismans and has dragons carved on the entrance of his palace as decoration.

In the early Mamluk period, relations with the Jazira were even closer. Al-MuᶜIzz Aybak had asked for the hand of the daughter of Badr al-din Lu'lu', but was murdered by Shagar al-Durr before the marriage could be arranged.[59] Badr al-din Lu'lu's own son lived and died in Cairo; he had a house and a mosque on the Khalig as well as several other important buildings.[60] This evident connection with the Jazira makes it all the more likely that the other Mosulis, including craftsmen like the famous Mosuli brass workers, accompanied these notables.

Originally, therefore, the doorway decoration may have been from some secular construction (a *dar*, a *khan* or a *wakala*). When this fell into ruin, the doorway was incorporated into the cheap and somewhat haphazard reconstruction of the Muzhiriyya Mosque in the late Ottoman period.

The work of craftsmen acquainted with the decoration of northern Mesopotamia is particularly interesting in that it shows how a typically foreign element could be adapted to Cairene taste. ■

interesting in this connection is the illuminated heading of the title page of an Armenian Lectionary dated 1286AD.[39] The characteristically architectural form of the heading is an extraordinary miscellany of traditional Armenian, Byzantine, chinoiserie and Islamic motifs. Among these are dragons' heads which appear conspicuously as the consoles of the broken arch. Too much should not be made of the architectural features of the heading, but the appearance of thoroughly Islamic dragons' heads used as a console suggests that it may have been inspired by an architectural model not dissimilar to the Muzhiriyya consoles. A comparison may also be made with the chained dogs on the consoles on the doorway of the Citadel Gate of Harran.[40]

Equally significant from this point of view are door knockers in the form of dragons (see Figures). A cast bronze door knocker bought at Tiflis (thirteenth/ fourteenth century)[41] and a pair on the doors of the Mosque of Jazirat Ibn ᶜUmar/Cizre[42] bear confronted dragons hanging from a knob in the form of a lion's (or a feline's) head. One such pair without the lion's head, André Leth informs me, is now in the C. L. David Foundation in Copenhagen.

There are also dragon knockers on the doors of a much later Cairene mosque, that of Qimas/Qachmaz al-Ishaqi (1481–2AD),[43] which was completed after his nomination as governor of Damascus (Kafil al-Mamlaka al-Shamiyya) in 885AH/1480AD,[44] though the doors bear the title of Amir-Akhur (master of the royal stables), a position he held prior to 885AH/1480AD. There are no other knockers of this type in Cairo, though knobs on the entrance doors of the complex of Qala'un (683-4AH/1284-5AD)[45] in the form of lions' heads identical to the holders of the door knockers from Tiflis and Jazirat ibn Umar, suggest that these may have had dragon's head knockers too. However, the two hundred year gap between the two Cairene monuments makes it impossible to establish a tradition of dragon/knockers in Cairo, and such knobs and their knockers may have been a direct import from northern Mesopotamia or southeastern Anatolia.

There is some evidence for this conclusion in al-Jaziri's description (probably between 1200AD and 1206)[46] of the doors he claimed to have made for the palace of the Artuqid ruler Nasir al-Din at Amid/Diyar Bakr. The rings of the door knockers were, he says, in the form of two serpents[47] (shown in a fifteenth century copy as confronted snake-dragons) with gaping mouths as if to devour the neck and head of the lion knob from which they hung. Al-Jaziri suggests no symbolic meaning for the dragons. In their descriptions, Muslim authors take so much for granted that the omission is inconclusive; it is highly probable that the dragon door knockers were in the talismanic tradition.[48]

There is some evidence for supposing that talismans generally took the form of the creature against which they afforded protection. Nasir-i Khusraw[49] states that the city of Misr had a talisman against crocodiles. Maqrizi,[50] more informatively, notes three capitals in the Mosque of al-Azhar which he identifies as talismans against birds. As other extant capitals elsewhere in Cairo show, these were evidently late Roman, Corinthian capitals with eagles instead of acanthus volutes. Even more striking is a talisman in the form of a chained scorpion, believed to be against scorpions. This is found on a bridge, the Qantarat al-Majdhub attributed to al-Ashraf Barsbay (825-41AH/1422-38AD) at Assiut in Upper Egypt.[51] However, though Egypt must have had talismans against snakes, these do not appear to have been snake-dragons, nor do the sources mention any such thing. Hasluck has demonstrated that, at least in later periods in the East Mediterranean, dragons or dragons' heads did serve this purpose.[52] If, therefore, as



Holy Cross at Agh'tamar on Lake Van (915-25AD).[23] However, my purpose here is not to discuss iconography, but to establish that by the twelfth century, in some Islamic countries, dragons had come to have a talismanic importance.

Representations of dragons from the twelfth century onwards are particularly characteristic of the Jazira (upper Mesopotamia, northern Syria, Diyar Bakr and southeastern Anatolia), a region where animal representations are generally more frequent. Dragons are often paired, and most have the bodies of winged snakes, short forelegs and heads resembling wolves with gaping mouths and long, forked tongues. They appear mainly on gateways, entrances and doors.

The single dragon is generally thought to have originated from the Babylonian star picture of the constellation Draco.[24] Paired dragons are probably part of the Mesopotamian tradition. One of the earliest representations of paired snake-dragons is from Susa; this is a carved stone slab showing either two snakes or dragons guarding a Tree of Life, and there is a further slab with two dragons guarding a door.[25] With the advent of Islam, many pagan symbols lost their original meaning, becoming merely decorative motifs; others, however, may have retained some symbolic force.[26] It is highly probable that paired dragons on the entrances of buildings continued to be considered guardians or protectors with the efficacy of talismans.[27]

The Raqqa gate of Baghdad, built by the Caliph al-Nasir before 1225AD (destroyed in 1917) and known as the Talisman Gate (*Bab al-Talism*), bore two confronted gaping dragons with knotted tails, their tongues held by a figure seated between them.[28] Knotted snake-dragons also appear on the entrance to the Citadel of Aleppo as two confronted snakes with dragons' heads. This gate most probably dates from the fortifications of al-Malik al-Zahir Ghazi,[29] (1209-10AD), and the dragons may also have been talismanic. Ibn al-Shihna[30] relates that on one of the gates of Aleppo (probably the Bab al-Ma') there were talismans against snakes, but he does not describe them. Rice[31] suggests that the use of symbols as prophylactic or apotropaic talismans on city gates had its roots in remote antiquity, and the Muslim rulers also attached great importance to them. On the gateway of a ruined *caravansaray* in the Jabal Sinjar known as al-Khan, datable to the mid-thirteenth century,[32] each of the spandrels of the entrance arch bears a representation of St. George as dragon slayer or his Muslim equivalent al-Khidr/Elias, the patron of both Muslim and Christian travellers. Significantly, the accompanying inscription grants sanctuary to all comers.

There are also dragons' heads on the entrances of the Çifte Minare Merese at Erzurum (1242AD),[33] the Gok Medrese at Sivas (670AH/1272AD),[34] among heads of other fantastic animals and the Çankiri hospital (1235AD).[35] It has been suggested that the pair of dragons on this hospital are a survival of the Hellenistic use of dragons or snakes to personify medicine (*Hygeia*), and hence that they continue the tradition of the ancient Greek Aesculapius.[36] However, the fairly general occurrence of dragons on entrances in Anatolia and Mesopotamia makes the Çankiri case probably a coincidence, since the motif does not occur on other Seljuk hospitals.

There are also dragons on the Great Mosque at Divrigi (west porch).[37] On the Urfe gate at Diyar Bakr dated 579AH/1183AD,[38] among symbolic representations of an eagle, a crescent, a sun disc or a moon, there is a pair of confronted snake-dragons with tails knotted on a lunette above the doorway.

Dragons represented inside buildings are much less frequent, and this catalogue of occurrences makes it obvious that dragons occur mainly at entrances. Particularly

Bab al-Mudarraj at the Citadel attributed to Salah al-Din and the lions on the bridge of Abu'l-Munagga built by Baybars.[11]

The decoration on the doorway of the Muzhiriyya Mosque is limited to the console brackets of the doorway and a marble band which runs across the doorjambs. The brackets each bear a dragon with a gaping mouth from which hangs a long tongue. This becomes the stem of a repeated palmette motif forming a narrow horizontal band at the height of the brackets on either side of the entrance.

The marble band across the doorjambs is embedded in the masonry. It consists of blind arcading with a foliate motif in the center of each arcade and dragons' heads at each end in a bow-shaped bracket. The molding outlining the arcades interlaces and forms a knot at the apex of each arch,[12] which has a scalloped filling and rests on two small colonettes with bell-shaped capitals.

Bands (*tiraz*) running across doorjambs bearing Qur'anic or foundation inscriptions are a typical Cairene feature. Their earliest occurrence is on the entrance to the Iwan al-Thacaliba, an Ayyubid funerary complex (*turba*).[13] By the early Mamluk period, these bands become standard for both secular and religious constructions. In the Ottoman period, by the eighteenth century, such inscription bands were replaced on some monuments by repeated decorative motifs,[14] though not by animal representations. The present decoration is doubtless an Ottoman reuse, but its provenance needs consideration.

Only three other dragons, all in the Islamic Museum, Cairo, are known. The first is on a marble slab from the cenotaph of al-Mu'ayyad;[15] it faces inwards with a pair of confronted dragons' tails entwined. It bears the inscription 'al-Sultan al-Mucazzam' (the exalted sultan), a non-Mamluk royal title used by Baybars for a short period.[16] Rogers argues against Van Berchem's suggestion[17] that the plaque is from a fourteenth century Karamanid monument and favors an Anatolian Seljuk provenance. Marble, being extremely scarce, was highly prized in Mamluk Egypt and was continually taken from one building to another.[18] This piece very probably, therefore, reached Egypt long before al-Mu'ayyad's time.

The second and third pieces in the Islamic Museum also bear pairs of dragons' heads. The recut marble roundel, perhaps a talisman, with an eagle surrounded by heads of fantastic animals, is probably of Syrian Ayyubid provenance since it is remarkably similar to an almond-shaped medallion with similar decoration on the Madrasa al-Muqaddamiyya in Aleppo.[19] The other piece is a rectangular marble slab, the frame molding of which has a pointed break in the center of its lower border. Its upper part is missing, which suggests that is also was reused.[20]

Dragons are almost unknown in Egyptian iconography. On wooden Fatimid panels from the iconostasis of the Church of Abu Sirga (St. Sergius) in Old Cairo, St. George is represented as a mounted warrior holding a sword or lance, not as a dragon slayer.[21] The panels representing St. Theodore and St. Demetrius show them both mounted, but killing human figures. In early Coptic iconography, these mounted warrior saints are often indistinguishable.[22] L'abbé Jules Leroy kindly informs me that there is a representation of St. George slaying a dragon, datable to the thirteenth century, among the frescoes of the Monastery of St. Anthony in the Eastern Desert in Egypt. However, Coptic icons, evidently under Western influence, do not regularly show St. George slaying a dragon until the seventeenth century.

This is in striking contrast to the early iconography of these warrior saints outside Egypt, for example St. Theodore killing a spotted snake dragon on the Church of the

DRAGONS
ON
A CAIRENE MOSQUE

Laila ALI IBRAHIM

The Jamic al-Muzhiriyya[1] is a late Ottoman mosque outside the Bab al-Futuh in Cairo.[2] Ali Mubarak[3] writes after al-Sakhawai[4] that it occupies the site of a *madrasa* (college mosque) built by Muhammad ibn Abi Bakr ibn Muzhir, son of a famous Qadi and *katib al-sirr* (chancellor) of Sultan Qaytbay. The present building is of minor architectural interest. Nevertheless, it is one of the few old buildings in a quarter now in danger of demolition due to urban redevelopment; it is, therefore, important to record its interesting decorative features.

The present mosque bears no date. The only inscription is on the bronze facing of the doors, which are of exceptionally fine workmanship. They are very similar to the doors of the complex of Qala'un.[5] It reads:

'Made by Royal command for his high noble excellency... the Emir: Sayf al-Din Mankutamur [Mamluk of] al-Malik al-Mansour Lajin...1

The formula *mimma cumila bi rasm* evidently refers to an order by the sultan for an emir;[6] hence, the doors must have been ordered by Sultan Lajin for the Emir Mankutamur / Mengutamur whose name appears in the inscription. Mankutamur had a short but dramatic career, rising from a simple Mamluk to viceroy (*na'ib al-Sultana*) in less than two years (696-8AH / 1296-8AD).[7] His palace (town house) and madrasa, completed in 698AH / 1298AD, were both in the Harat Baha' al-Din, just inside the Bab al-Futuh.[8] According to Maqrizi, by the early fifteenth century, the house was a *waqf ahli* (family trust) still inhabited by his descendants. The madrasa, endowed with waqfs in Syria (*Bilad al-Sham*), was by then in decline. In the nineteenth century, Ali Mubarak describes it as ruined except for the *qibla* wall which contained the main entrance and a *sabil* (public fountain) next to it.[9]

The magnificent bronze doors of the Muzhiriyya Mosque are considerably higher than the doorway. One may, therefore, conclude with some assurance that the doors are from a different building altogether. Mankutamur is not known to have founded any building other than the madrasa, hence the doors are presumably from this or, more probably, from his own house, since the inscription they bear contains no allusion to a madrasa.

The subject of this article is the carved stone decoration on the entrance of the present building, which is a unique occurrence in Egypt of animal sculpture prominently displayed on a religious monument. The two relatively inconspicuous lions or panthers on the madrasa of Baybars,[10] in the present Suq al-Nahassin, are exceptional; animal sculpture is also rare on secular constructions, for example the bulls' heads on the Bab al-Futuh, the eagle on the

Pl. V



a. Corner building, view from the southwest.



b. Staircase building, traces of a later added wooden stairway.



Pl. IV



a. Corner building, view from the west.

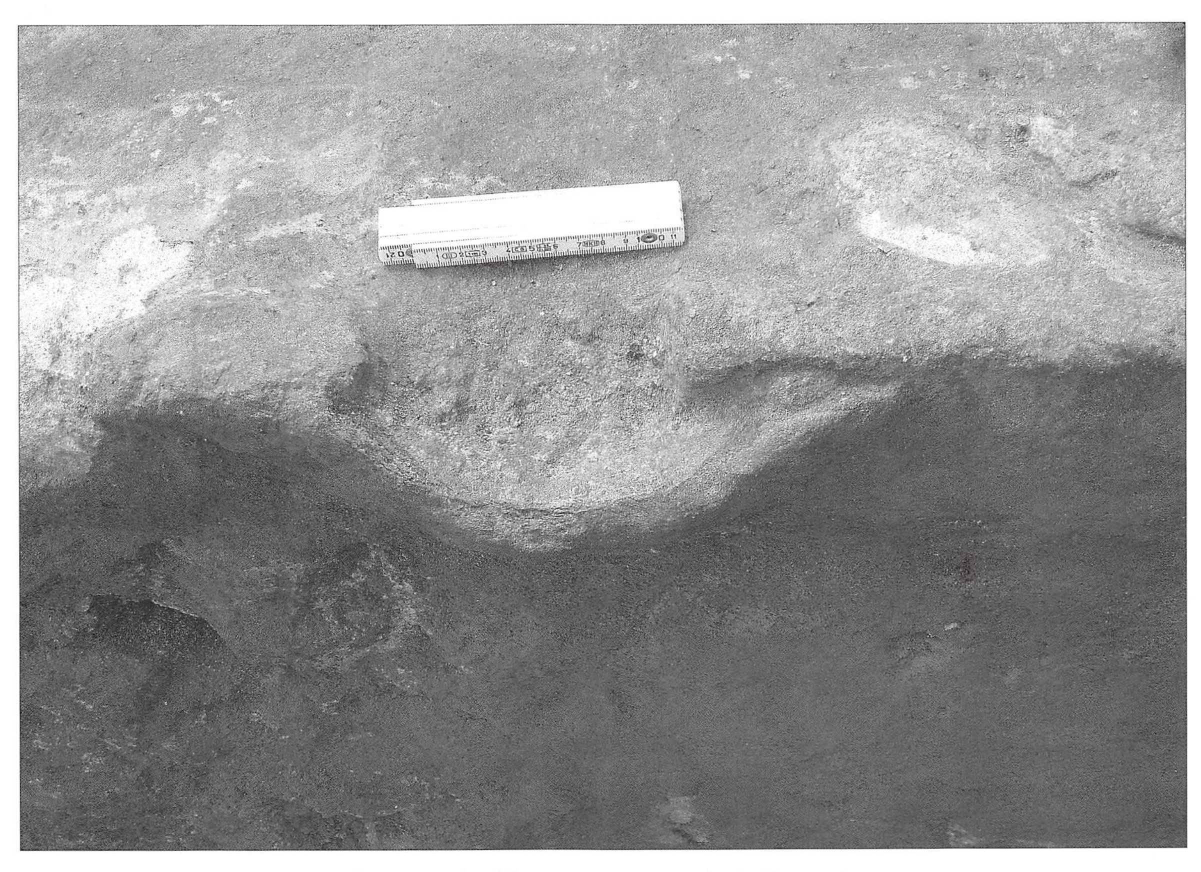


b. Corner building, view from the northeast.

Pl. III

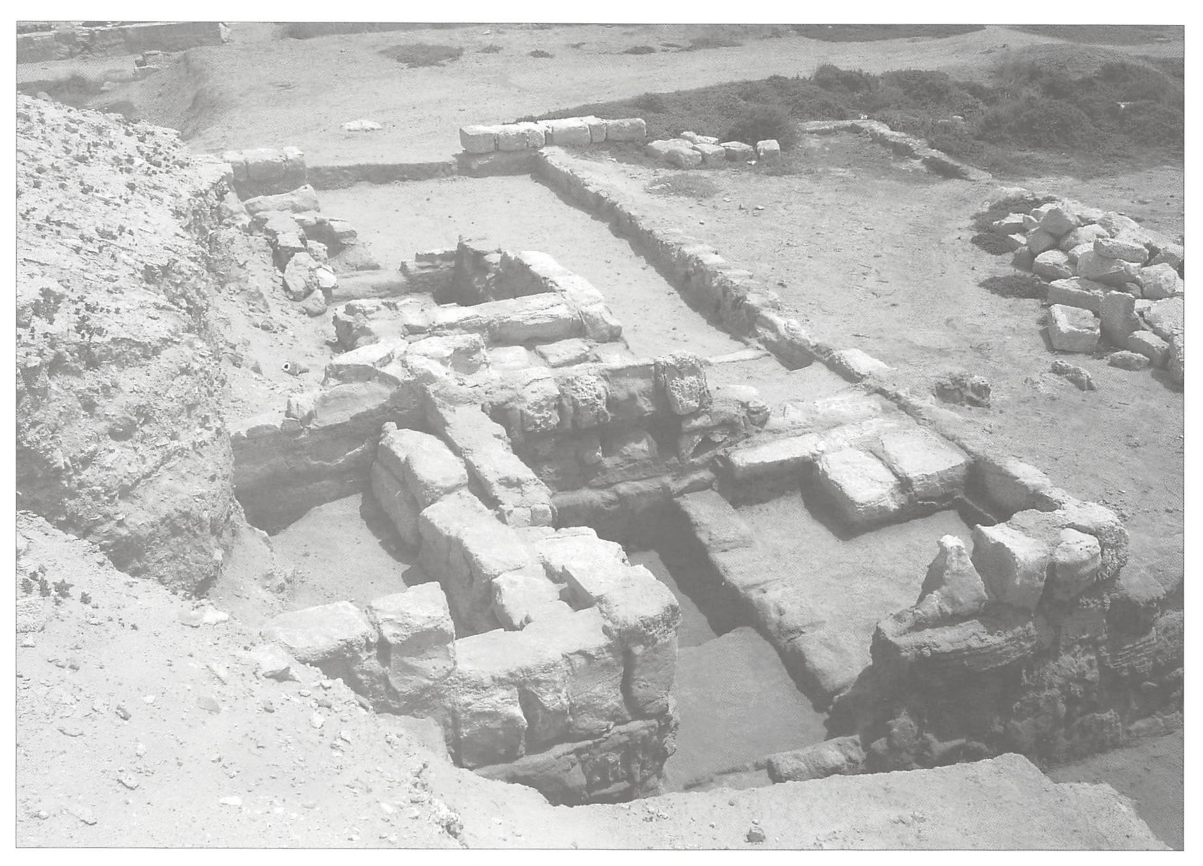


a. Corner building, Rooms 1 and 5.



b. Corner building, projecting niche in Room 1.

Pl. II



a. Double Bath North, general view from the west.



b. Corner building, corridor 5.

Pl. I



a. Flood in Abu Mina.



b. Abu Mina, northern end of the Double Bath, Room C6.



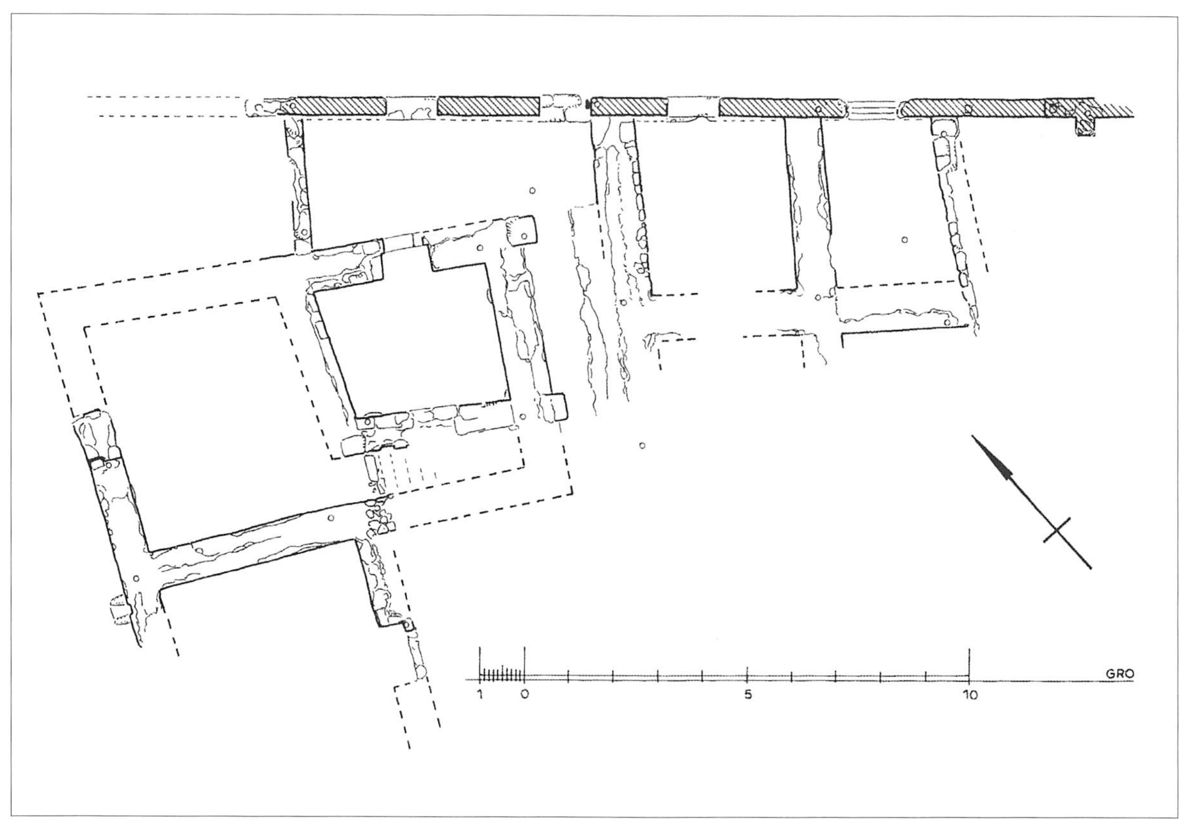


Fig. 2. Rooms at the northern end of the passageway behind the shops opposite to the North Bath.

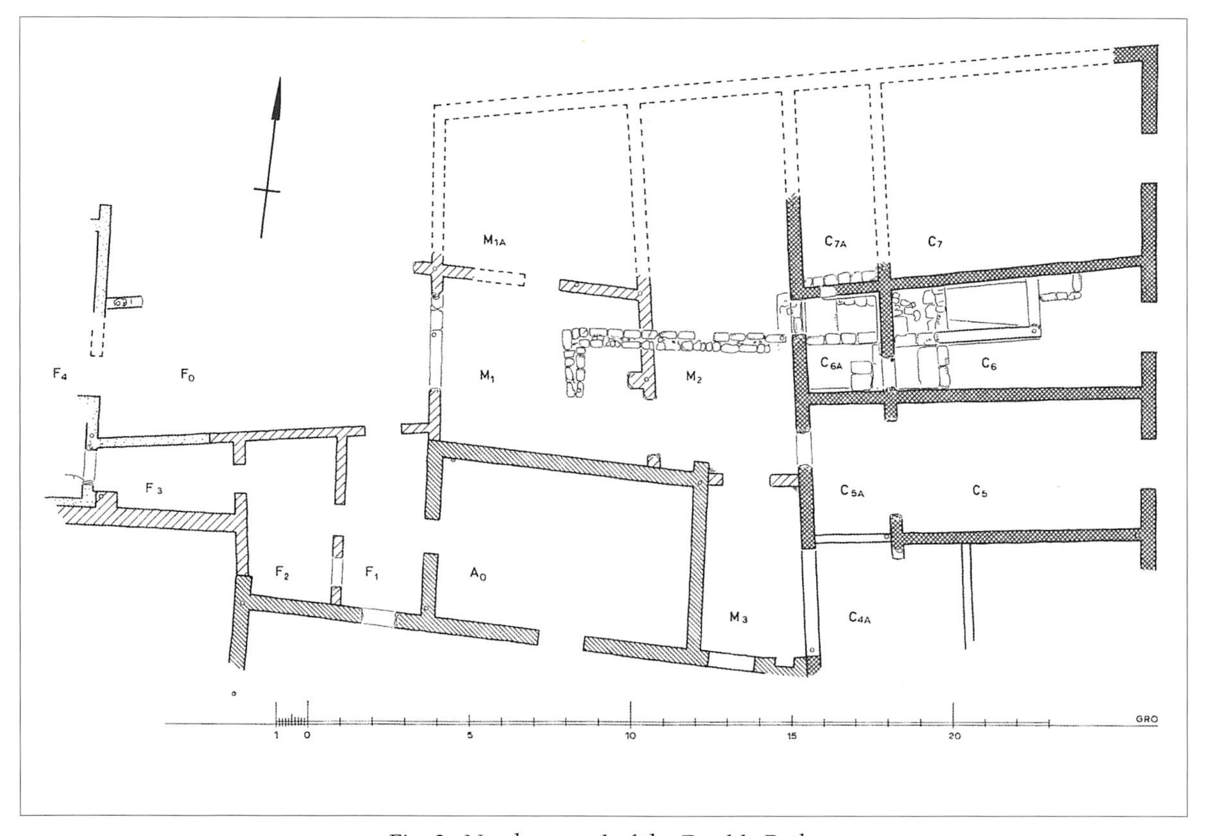


Fig. 3. Northern end of the Double Bath.

Fig. 1. Section of the main street from the staircase building to the Double Bath with adjacent buildings.



a straight, oblique line to receive several roughly similar shaped horizontal beams, which apparently carried some equally obliquely laid planks rising parallel to the wall, upon which a sequence of some simple steps as for an ordinary ladder could be fixed. Apparently, at a certain instance, a secondary interior floor was added to this sottoscala accessible via this simply fixed ladder. The whole construction needed at least two wooden posts as well to hold the other ends of the small, trapezoidal, horizontal beams. In order to keep the rear part of the sottoscala accessible, the two wooden posts were probably placed in the middle between the two lateral walls.

Directly behind this ladder, obviously even below it, a small, secondary wall niche was inserted into the wall. ■

Endnotes

1 The Permanent Committee of the Supreme Council of Antiquities (SCA) kindly granted permission for the excavation in its session of March 13. 2006. Members of the crew were Peter Grossmann (Cairo), Jacec Kościuk (Brozlav), Hans-Christoph Noeske (Frankfurt) and Andrea Rehkopp (Bonn). The Inspector Hossam el-Din Mohammad Abd el-Basit joined the Mission as representative of the SCA. Finally, twenty-two well trained workmen from Quft under the command of Rais Bahit Hussein were engaged.

2 Cf. P. Grossmann and J. Kosciuk, 'Report on the excavations at Abū Mīnā in spring 2005', *BSAC* 44 (2005), 29-44, esp. 33ff, fig. 3.

3 Whether a second wall of this kind was erected further to the north to create an additional room at the northern end of the row is open to question, but not excludable.

4 It is not to be excluded that this stairway is a later addition, and Room 3 did not originally exist as it appears with traces of a rainwater drain at the outer, northern end of the western wall of Room 1.

5 W. Müller-Wiener, 'Abu Mena 3. Vorläufiger Bericht', *MDAIK* 20 (1965), 126-137, bes. 133.

6 Müller-Wiener, *MDAIK* 20 (1965), 133.

7 Müller-Wiener, 'Abu Mena 4. Vorläufiger Bericht', *MDAIK* 21 (1966), 171-187, bes 175ff.

8 Müller-Wiener, *MDAIK* 21 (1966), 175ff, fig. 3.

9 Grossmann, 'Altägyptische Elemente in der frühchristlichen Baukunst Ägyptens', in: H. Guksch and D. Polz (eds), *Stationen. Beiträge zur Kulturgeschichte Ägyptens Festschrift Rainer Stadelmann* (Mainz, 1998), 443-458, bes 446f.

10 See Grossmann, 'Report on the excavations at Abū Mīnā in spring 2003', *BSAC* 43 (2004), 33-43, esp. 39f, fig. 4.



very normal wall of pseudo-ashlar masonry. (see Fig. 3) The partition wall between M1 and M1A is a new discovery and shows the traces of a door in the middle. How this part of the building was connected with the arrangement of the row of shops opposite the North Bath is not clear. It could be that the long room (M2) forms the continuation of the passageway behind these shops, but their correct position does not support this assumption. Room M1 is accessible from the east, out of Room M2. Directly beside the opening, a buttress is keeping the end of the wall as one can see this often in mud-brick houses.[9] But another door could also have existed in the western wall.

Whether the court (F0) had originally a clearly closed margin at the northern side is open to question. (see Fig. 3) The visible buttresses at both ends do not have the same orientation; and, a possible wall in this area, which would combine both buttresses, would thus not run parallel to the northern wall of F1-3.

Strangely enough, although the northern part of the Double Bath with the well planned, double-absidial apodyterium appears as a well organized structure, the latrine is the last element added to the building. Apparently, it replaces an earlier one of different shape and perhaps at another position. Originally, the actual latrine had only a central door on its eastern side, coming out of the court (F0). But later a small, secondary entrance was opened at the western end of Room F3, located at the southeast corner of the latrine. (see Fig. 3)

Additional observations at the staircase building beside the North Bath

At the staircase building to the north of the North Bath, which was partly excavated in 2003,[10] only a few additional examinations were carried out. Of some interest is the construction of the double stairways. (Pl. Vb) Both stairways were added independently from the rest of the building during a second building operation but together by erecting two walls, one in the east-west direction parallel to the rise of the stairs, which separates both stairways from each other, and a shorter transverse wall against which the lower flights of steps are leaning. The two areas behind the latter transverse wall functioned as the two sottoscalae below the upper flights of the stairways.

The surroundings of both stairways were differently arranged. Already the two outer entrances from the street differ from each other. The positions of the doors proper are symmetrically placed, and both are two winged openings. But, the fixing of the leaves of both doors was different. While the threshold of the northern door shows clear impressions on both ends for two flat slabs of wood or harder pieces of stone for keeping the two door pivots, the southern door has only the impression of a longer wooden board in the threshold, which probably contained the impressions for the door pivots at both ends.

More interesting are the differences of the two sottoscalae. Both are accessible from two doors situated at the very eastern ends of the lateral partition walls against the neighboring double bayed rooms. Whether the two sottoscalae communicated with each other appears doubtful. The traces of an opening at the eastern end of the partition wall are apparently not original.

The southern sottoscala later received another door situated roughly in the middle; while, at the same time, the original door at the eastern end of the wall was closed.

At the northern sottoscala, the original access was kept. However, several interior changes were undertaken. Directly beside the entrance door, a secondary, little stairway was installed, of which traces of the fixing holes in the northern wall are still in evidence. There are three slightly trapezoidal holes following each other in

brought some further clearings and results. Some new walls were excavated, and careful examination of the joints between the different walls also gave a clear understanding of the relative chronology of the development of this part of the building. As it was observed already by W. Müller-Wiener, the row of shops C1 to C6, flanking the western side of the main street of the town of Abū Mīnā, belong to the earliest elements in this part of the Double Bath.[5] In the new excavation, a seventh shop (C7) could be added at the northern end. (Fig. 3) Only as a second step in the development, when these shops already existed, the northern *apodyterium* (A1) with the two conches at the eastern and western ends were added. Apparently contemporary with this is also the northern hall (A0) with the original central entrance from the northern aisle of the apodyterium (A1). (see Fig. 3) Everything else in this part of the building is of later origin. This is especially valid for Rooms F1-2 and M1-3. Even later than this is the little outer court (F0) and the latrine (F4).

Considerably later is an east-west running wall of large blocks of stones bound only with clay mortar in Rooms M1-2. (Fig. 3) It belongs obviously to the post-Arabic, medieval period, of which the bottom of the lower row of stones is just about 0.75 m above the original floor level of both rooms. Too few survives of this building to understand the sense of it. However, it might have been a member of the structures discovered further to the southwest of the Double Bath.[6] Of similar date is probably also a row of stones leaning against the south wall of Room C7A. (see Fig. 3)

Returning to the early Christian or late antique (pre-Arabic) structures, while of the last northern shop (C7) only some of the outer dimensions could be exposed, indicating that this shop is larger in size than all the others, Shop C6 could be fully excavated. (see Fig. 3, Pl. Ib) It is smaller in size than the other shops, and its lateral walls are not parallel which has the result that it is considerably shorter at the western end than at the eastern end. The southern wall is parallel to the partition walls between the southern shops, while the northern wall follows apparently the orientation of the northern outer wall of Shop C7. Inside of Shop C6, there is an original partition wall between C6 and C6A with a door at its southern end. In front and behind this door, the floor level is higher than at the eastern section of C6, apparently to facilitate the access to a stairway which started in the northern half of Room C6A and raised continuously in the eastern direction. The floor of the northwestern quadrant of Room C6 was deepened to gain a room that could serve as a sottoscala and was accessible from the east. During the excavation, below the left side wall, that obviously belongs to the installation of that stairway, an earlier wall with a slightly different orientation became visible. Until now, no other walls were found in this new area which could be contemporary with this earlier wall. It might, however, belong to the earlier structures mentioned by Müller-Wiener in 1966.[7]

At a later occasion the rear room (C6A), which contained the beginning of the mentioned stairway, received an additional entrance from the rear side out of the corridor-like Room M2. (see Fig. 3) Because of the considerably higher floor level of C6A, at the entrance side from Room M2, a small step was added in front of this new opened door. The door between C5A and M2 is equally of later origin, while Rooms C4A and M3 were originally openly combined.

The newly discovered rooms to the west of the shops and to the north of the bath building proper are of minor interest. The partition wall between M1-M1A and M2, which was understood by W. Müller-Wiener as a colonnade,[8] turned out to be a

The arrangement at the northern end shows, however, that at least one building of this group with several rooms, which is situated at a certain distance to the passageway, already existed before the construction of the passageway. It also does not follow the general orientation of the latter, but belongs apparently to a building which continues further into the southwestern direction. However, after the passageway was built, this building, which we called the corner building, received some further extensions to bring into relation with the arrangement of the passageway. Further to the south, some further rooms were also added. The fact that additional operations to combine these rooms with the passageway were intended from the very beginning of the construction of the passageway appears from the way in which the northern end of its western, bordering wall was performed. The continuation of the latter was separated from the main part of the wall by a clear joint; and, it was not provided with the outer buttresses, but is interrupted at several instances by closable doors that all correspond well in their position with the later attached rooms in this section.

On the other hand, apart from the western bordering wall of the passageway and its northern continuation, which were both built in the traditional pseudo-ashlar manner, nearly all the walls of the mentioned northern building were erected of unfired bricks. They were often repaired at the foot with stones of various shapes and sizes bound with lime mortar. Only the short wall,[3] which produced the direct connection of the earlier house with the western bordering wall of the passageway, is again a stone wall of thinner size, but of a rather inferior quality. The used stone material was irregular in shape, probably fallen off material from other buildings.

As one can say now, the earlier corner building in this position consisted of two roughly rectangular rooms which at least at ground floor were not interiorly connected. The smaller room (no. 1) was entered from the north, the other (2) from the west. In the southwest corner, a very narrow third room (3) exists, which seems to be the *sottoscala* of a stairway starting from the north[4] and was accessible through an opening in the western wall of Room 1. All the walls were lined with lime plaster. The smaller Room 1 has the remains of some rather unsually low placed (0.60-0.70m above floor level), small containers projecting as small, half-rounded shells out of the walls, of which the purpose is not at all clear. For oil lamps or other small vessels, they are unsuitable because all of them need a horizontal position.

The original southeastern outer wall is reinforced on the outer side by two strong buttresses built of large blocks of stone, bound and plastered with lime mortar. Both buttresses apparently belong to the original structure of the house and were probably built before the brick masonry of the adjoining southern wall was finished, as it appears from the lateral plastering of the buttresses, which enters deeply into the area which was later covered with brick masonry. The purpose of these buttresses is not clear. One would expect some corresponding structures of similar design further to the south, but there is nothing in evidence of this kind.

The younger brick walls further to the south show different arrangements. They are all separated as well by obvious joints from the western bordering wall of the passageway. However, the noticeable doors in the latter correspond well to the positions of these rooms so that there cannot be any doubts that they were planned together with the arrangement of the passageway.

Investigation at the northern annex of the Double Bath (Pl. IIa)

Also the continuation of the excavation at the northern end of the Double Bath

REPORT ON THE EXCAVATIONS AT ABŪ MĪNĀ IN SPRING 2006

*Peter GROSSMANN**

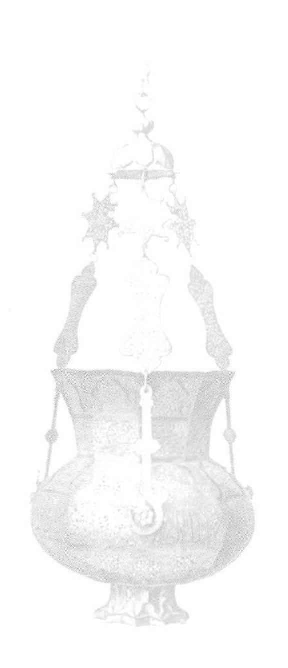
The seasonal work in spring 2006 at Abū Mīnā lasted from April 4 to April 22.[1] The bad situation of the ground water table, going along with the agricultural development in the neighborhood, did not change in comparison with the preceding years. It even continued to rise. In the antiquities area of the ancient city, the ground water table appears almost at ground level in several places. (Pl. Ia) The German excavation house stands in the middle of a lake several hundred meters in diameter. Access to the house was only possible with the help of a dam, which was thankfully built at the initiative of the Supreme Council of Antiquities (SCA), as are several other dams in the area. Again, in this year, it was necessary to sacrifice a large portion of the excavation budget for drying the area around the excavation house.

Concerning the archaeological activities at Abū Mīnā, apart from some investigations in the area of the western town and in the Great Xenodochion on the northern side of the so-called pilgrimage square, the field work was again concentrated on some smaller complexes in the area such as the clearing of the northern end of the Double Bath, which started already in the preceding season, and the building on the northern end of the rear side of the row of shops opposite the North Bath (Fig. 1). A. Rehkopp recorded the capitals of various public buildings of Abū Mīnā to prepare them for publication.

Passageway and rooms behind the row of shops opposite the North Bath (Fig. 2)

As it was noticed previously, behind the row of shops opposite the North Bath, a long, narrow passageway is situated, roughly four meters wide and accessible from all the shops through a small door on the rear side. On the opposite western side, the passageway was bordered with a long wall, which itself was reinforced at regular instances with short, outer buttresses. At the southern end of this passageway, close to the northern end of the Double Bath, the passageway turns slightly to the west. (Pl. Ib) How it was connected with the the Double Bath could not be examined, because a relatively high dumping hill of ancient rubbish between both buildings put a barrier to the continuation of the excavation.

At two positions, a small group of rooms was attached to the western side of the passageway. One is situated roughly in the middle between the northern and southern end of the whole structure, and was excavated already during our last season in spring 2005.[2] It was obviously added at a later occasion as the original bordering wall of the passageway with outer buttresses was incorporated to these rooms.





Pl. VI

collapsed hermitages indicated by pottery

well visible hermitages

hermitages adopted to contemporary domestic functions

excavated hermitages

Polish Center of Mediterranean Archaeology

- survey plan of the hermitages located in area of the Naqlun Monastery -

N W E S

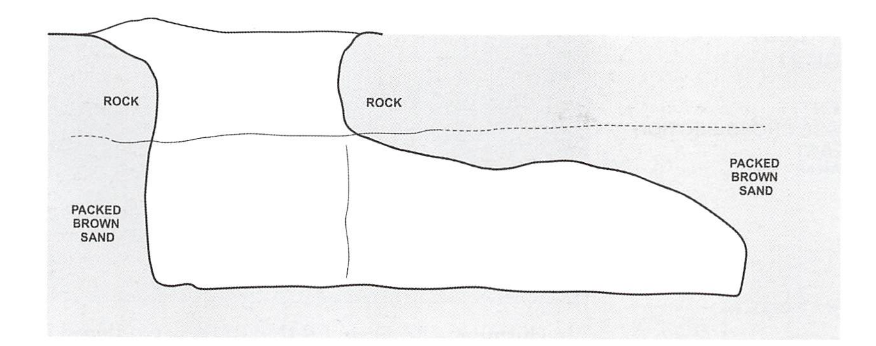
0 50 100 200 300 500m

W. Małkowski, 2007

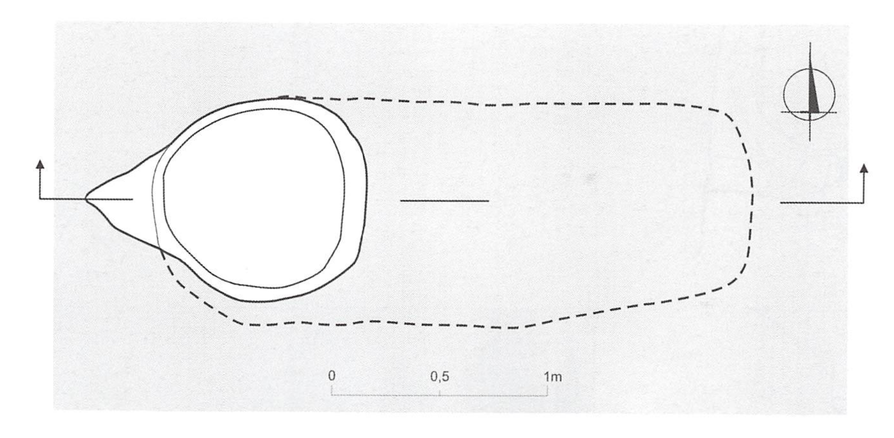
Topography of the site with hermitages excavated in 2006. Małkowski.



Pl. V



NAQLUN 2007
CEMETERY C.2
TOMB T.201
PLAN & EW CROSS-SECTION
LOOKING NORTH
DRAWING: W.GODLEWSKI, SZ.MAŚLAK



a. Cemetery C.2. Tomb T.201. Plan and section. Godlewski, Maślak.

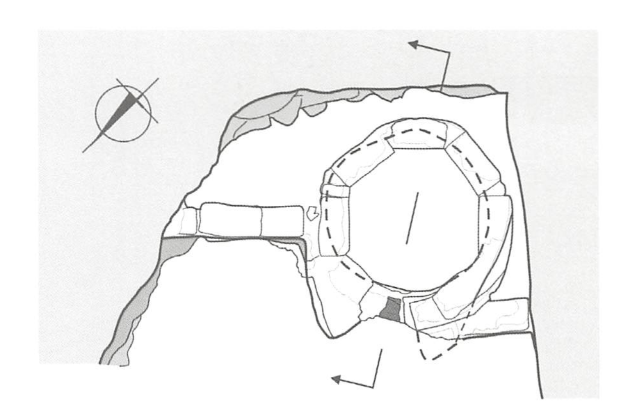


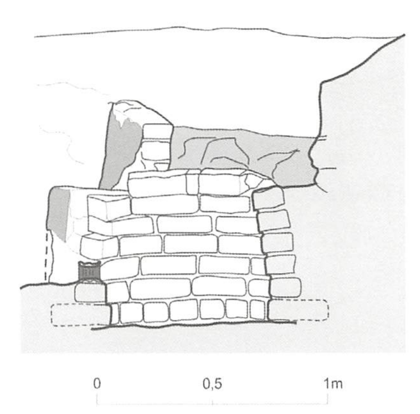
b. Tunic sleeve. From T.201 in Cemetery C.2. Godlewski



Pl. IV

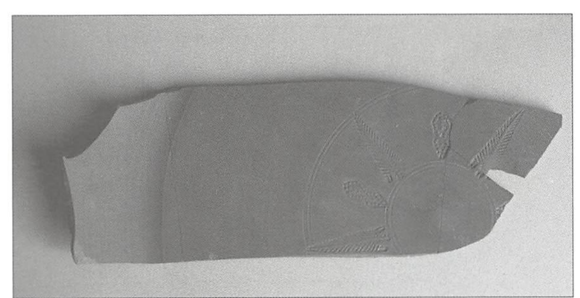
NAQLUN 2007
HERMITAGE 87
ROOM 10
BREAD OVEN
PLAN & NW-SE CROSS-SECTION
LOOKING EAST
DRAWING: SZ.MAŚLAK



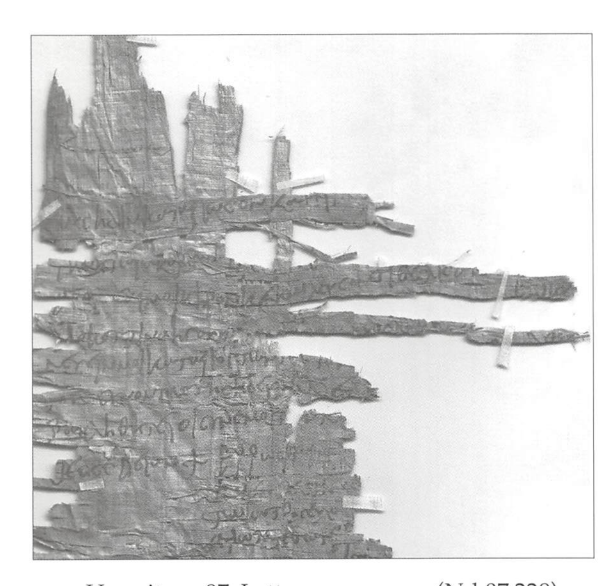


SUN-DRIED BRICK , PLASTER AND MORTAR LIGHT GREY-BEIGE IN COLOUR
SUN-DRIED BRICK , PLASTER AND MORTAR "GREYISH" IN COLOUR
TERRA COTTA OBJECTS (POTTERY)
STONE

a. Hermitage 87. Bread oven. Maślak.

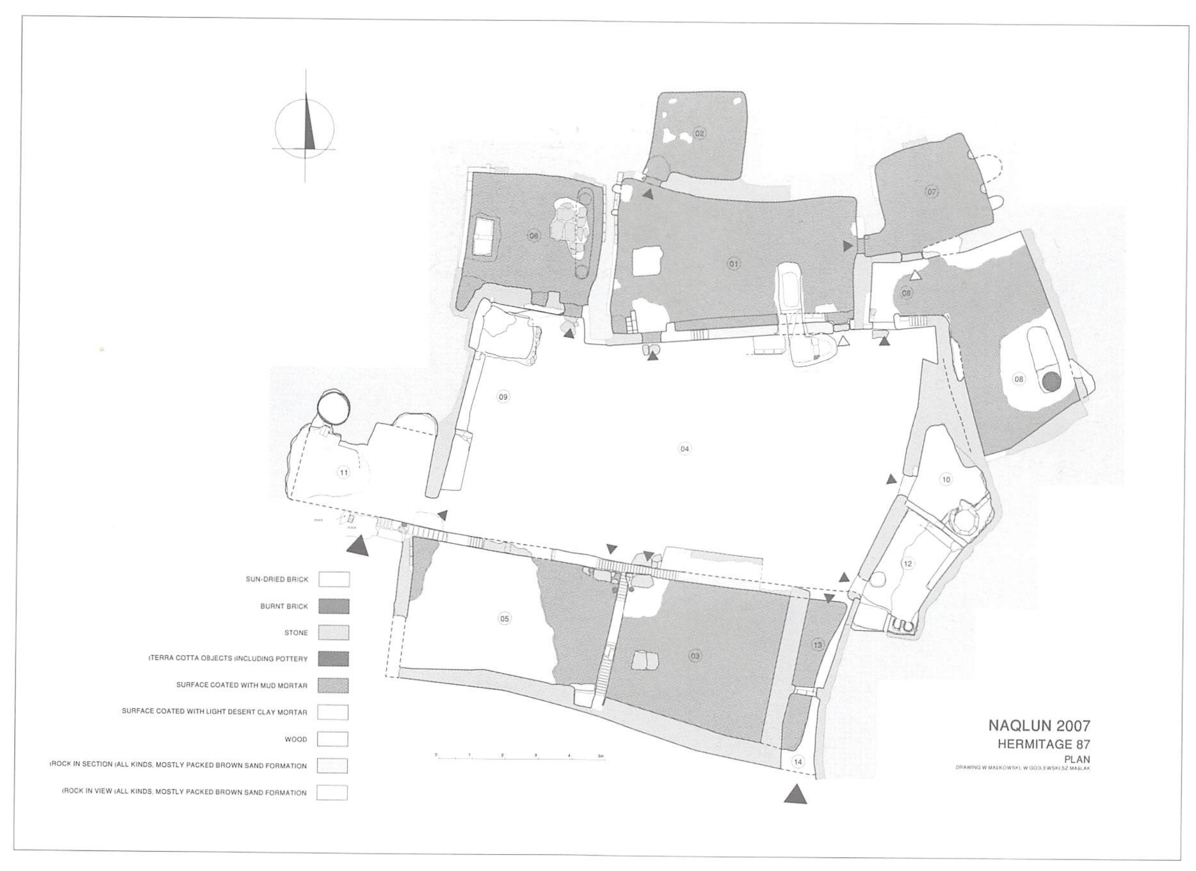


b. Hermitage 87. Dish, LR (Nd.07.065). Godlewski.

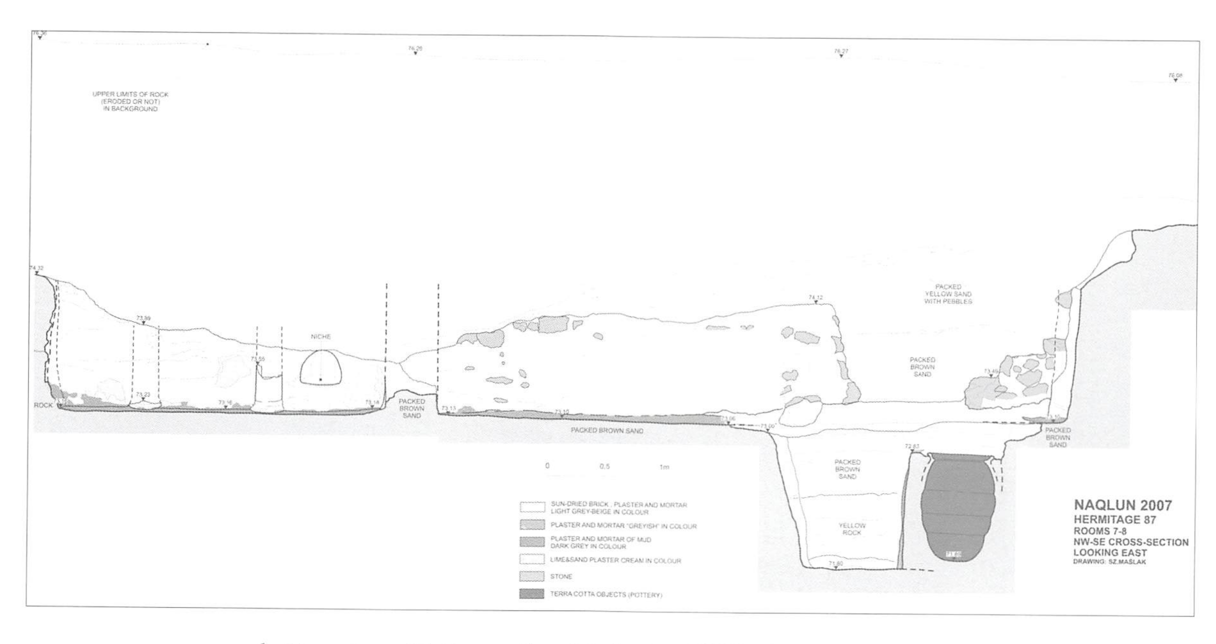


c. Hermitage 87. Letter on papyrus (Nd.07.228). Godlewski.

Pl. III



a. Hermitage 87. Plan. Sz. Maślak, Małkowski, Godlewski.



b. Hermitage 87. Rooms 7 and 8. Section EW looking east. Maślak.

Pl. II



a. Hermitage 87. View from the south. Godlewski.



b. Hermitage 87. Northern part. View from the west. Godlewski.

Pl. I

JEBEL NAQLUN

NAKLUN MONASTERY

MONASTERY OF THE ARCHANGEL GABRIEL

CONTEMPORARY MONASTERY

CEMETERY

ROAD TO:
QALAMSHAH EZBA
FAJUM

POLISH CENTER OF MEDITERRANEAN ARCHAEOLOGY

SURVEY PLAN OF THE ARCHANGEL GABRIEL MONASTERY

NAQLUN

excavated or conservated old monastery
A,D - buildings
C,B - trenches
unexcavated kom area
excavated tombs
unexcavated tombs
destroied tombs
87 point with number of the cave - ermitage
26 collapsed cave - ermitage indicated by pottery
86 excavated ermitages
jebel Naklun
contemporary buildings
contemporary buildings under construction
trees
electric pole
contemporary fence
106.55 height points *

*all level measurements were calculated as (a.s.l) +100m

0 50 100 200m

W. Małkowski 2007

Naqlun. Topography of the site with new monastic architecture included. W. Małkowski.



and presentation on a stiff ground to enhance its display value and protect it against potential damage. For this purpose, the shawl was tacked on to creamy-colored linen for easy (the more laborious task of couching the piece will be completed in the coming season without removing it from the foam support). The fringes, which required full conservation treatment, were straightened out and couched with silk thread to the ground. All further conservation work will be accomplished with a special semi-round needle.

Documentation work in the Coptic Museum

The work of the mission proceeded effectively and efficiently thanks to the all-encompassing assistance of the Coptic Museum authorities in Cairo. All Coptic and Arabic documents on paper and parchment uncovered in Naqlun in seasons 1986-1989 were documented. The texts from the 1991 season will be recorded once the appropriate storage box is identified inside the museum's storeroom.

Security of the monastic site at Naqlun (Pl. VI)

The topographical survey carried out in 2007 on the whole site of the ancient monastic complex revealed extensive evidence of illicit digging, especially in the southern part of Cemetery C and the group of eastern hermitages. It seems that most of this work was carried out at the end of 2006 and beginning of 2007. During excavations in September-October 2006, no damages had been observed in the Cemetery C area, but the eastern hermitages were not examined from this point of view.

In the cemetery area (C.2), 13 tombs were opened, and the ground was disturbed in several places in unsuccessful attempts to identify tombs. Dumps of archaeological fill hurriedly thrown out of the robbed tombs can be seen next to them on the surface. They contain fragments of shrouds, amphorae, bricks and bones found in the burial chambers. Judging by what can be seen, all of the disturbed tombs had been pillaged already in antiquity.

In the group of eastern hermitages up in the *gebel*, a few dozen have been penetrated by illicit diggers. Some have been cleared completely, and new structures have been erected in front of their facades, clearly preparing them to serve living functions. These unsupervised excavations have removed the entire fill of the hermitages together with objects which are now dumped nearby. Even well-preserved vessels can be seen on the dumps, which means that all the categories of objects found in hermitages previously explored by the mission (pottery, documents on paper and papyrus, wooden and glass objects) have also been thrown out. ■



Endnotes

1 The staff of the mission included: Ms. Barbara Czaja-Szewczak and Ms Mirosława Machulak, textile restorers; Dr. Christian Gaubert, Arabist; Mr. Wiesław Małkowski, topographer and archaeologist; Mr. Szymon Maślak, archaeologist; Dr. Maria Mossakowska-Gaubert, archaeologist; Ms. Katarzyna Danys and Mr. Łukasz Krupski, students of archaeology.
The work of the mission proceeded effectively and efficiently thanks to the all-encompassing assistance of the Supreme Counsel of Antiquities (SCA) authorities, in Cairo as well as in Fayum. The mission would like to express its gratitude to Ibrahim El-Ragab, a SCA inspector also in charge of the mission's storehouse in Naqlun. The hospitality of the Fayum Coptic monastic community and the personal involvement of Abuna Abraam in creating the proper environment for effective work which was greatly appreciated.

2 W. Godlewski, T. Derda and T. Górecki, 'Deir el-Naqlun (Nekloni), 1988-1989, Second Preliminary Report', *Nubica* III.1 (Warsaw, 1994), 202 (simplified map); T. Derda, *Deir el-Naqlun: The Greek Papyri* I (Plates), (Warsaw, 1995), pl. II (detailed map of Gebel Naqlun with the localization of hermitages except for the southern part of Gebel Naqlun, plus the kom and modern monastic architecture). A full map of the site has not been published to date.

3 W. Małkowski, in this volume.

4 J. Dobrowolski, 'Naqlun - Deir al-Malak Gubrail', *Nubica* I/II (1990), 161-170.

of the entrance to the burial chamber.

Fragments of destroyed cartonnage were removed from the burial chamber. Among the recorded finds were scraps of textiles from the robes and shrouds wrapping the corpse, rolled up pieces of shrouds used in building up the cartonnage superstructure above the head and broken pieces of a board made of jarids tied together with palm fiber rope to stiffen the frame of the cartonnage (L. +155cm; W. 34cm).

Tomb T.202 had a vertical shaft (1.00 by 0.82m at the mouth and 1.42m deep) opening into a burial chamber 1.82m long (2.84m together with the bottom of the shaft), 0.92m wide and 0.85m high. Part of the burial was preserved inside the chamber. The corpse was wrapped in shrouds and placed inside a coffin made of jarids tied together with palm fiber rope. The preserved section of the coffin measured 0.74cm; and, if it is assumed that the jarid poles were tied in four places at regular intervals, then the original length of the coffin could have been close to 2.20m. The fill of the grave contained pieces of robes, a long-sleeved tunic and fragments of shrouds. One incomplete amphora came presumably from the filling of the tomb shaft.

Each tomb appears to have contained one burial, but the preserved skeletal material was too fragmentary for anthropological examination.

Textile Conservation

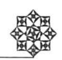
In the course of the excavation season which lasted from September 8 to October 10, 2007, newly uncovered textiles were documented and subjected to preliminary conservation treatment. The finds came from Hermitage 87 and from the two explored burials T.201 and T.202 (Cemetery C2). (see Pl. VIb) The textiles were washed in a liquid fabric softener (PRETEPON G) and disinfected with a microbicide (PREVENTOL R80).

Full conservation was carried out on two textiles Nd.06.641 and Nd.99.410. Washing and disinfection of the two had been carried out immediately after excavations in previous seasons. Textile Nd.06.641 (sixth century), which was a fragment of a bigger curtain or coverlet, was straightened out on a panel of DEPARFIT foam and then laid out on creamy-colored linen ground, to which it was attached by couching with grege silk. The protected piece was then fixed to a stiff support (acid-free cardboard) and the face protected with acid-free tissue. The last step was placing it an envelope of acid-free paper for storage.

Shawl Nd.99.410 (twelfth century) was the other textile conserved this season. It was composed of a number of pieces which had to be fitted into the general shape of the shawl according to the distribution of the ornaments and evidence of staining and destruction. The pieces were straightened out on a foam panel and then moved to a new linen ground, to which they were either basted or couched. The work could not be finished this season owing to the size of the textile. The fragment that was already preserved was stored as a roll and protected with acid-free tissue and plastic film.

Provisional conservation and reconstruction was carried out also on cushion Nd.02.109. The mutual positioning of the particular fragments was determined, and the design of the ornament reconstructed.

Conservation work also included preparing two textiles Nd.00.083 and Nd.02.245 for the exhibition Seventy Years of Polish Archaeology in Egypt organized by the Polish Center of Mediterranean Archaeology at the Egyptian Museum in Cairo. The first of these (Nd.00.083, tunic currently under conservation) required arranging a safe form of display due to its size and the need to present it in a vertical position. The second (Nd.02.245, shawl after conservation) required straightening



amphorae, including a few necks of small diameter. Local wares are represented by more than a hundred LR 7 amphora (toe count), a few dozen bottles and *qullas* mostly of marl clay, dishes, carinated bowls with painted decoration below the rims, small red bowls with a flange rim and one fragmentarily preserved piriform lamp with concave top and three filling holes.

A fairly abundant assemblage of pieces of plates and footed bowls suggest a rich and varied set of glassware used by the hermitage owner. Room 87.11 also yielded a scrap of papyrus with a fragmentary Greek text identified as a letter which may be dated to the fifth century. (see Pl. IVc) A few graffiti preserved on vessels point to one of the inhabitants of the hermitage being called Abraham.

An analysis of the wall construction and the changes in interior furnishing of particular rooms indicates at least one phase of major rebuilding. At this point, the entrance to the hermitage was moved to the eastern end, the room with a bread oven (87.11) went out of use, replaced by a new bread oven in Room 87.10. Rooms 87.1-2 and the oratory (87.7) seem also to have been abandoned after their roofs had collapsed.

Based on the ceramic evidence, the hermitage was abandoned in the sixth century, probably after the rooms in the northern part of the complex were destroyed.

Cemetery C.2: Salvage work (Pl. V)

Cemetery C, which is situated to the west of the monastery enclosure wall opposite the west gate, is composed of two parts located on low eminences running from east to west. (see Pl. I) Sections of the northern part (C.1) had been explored in 2004 and in 2006, while the southern part (C.2), not investigated so far, was seriously disturbed in the summer of 2007 in the absence of the mission. The 15 graves that had been robbed were spread along the entire length of Cemetery C.2. A provisional appraisal of the damages shows that most likely the graves had already once been penetrated. The reopening increased the destruction, seriously limiting any anthropological examination of the remains and documentation of the damaged cartonnages.

Not having planned to work on the cemetery this season, the mission safeguarded all of the disturbed tombs by backfilling them. The sole exception were Tombs T.201 and T.202 in the central part, which were cleared completely and documented in order to determine the character of this necropolis.

The rock surface around both these tombs was found to be heavily eroded, leaving no trace of potential grave superstructures. Tantalizing evidence of these was provided by a fragment of a limestone stela lying on the surface in the central part of the cemetery. This piece, very finely carved, represented part of an *arcosolium* with the capital of the right column, constituting the framing for a relief cross and inscription of the same kind as can be seen on practically all the funerary stelae known from Naqlun.

The tombs, both cut in the soft rock, comprised a vertical shaft opening into a burial chamber located on the east side. T.201 had a circular shaft measuring c. 0.85m across and 1.18m deep. (Pl. Va) The burial chamber was 1.94m long (2.70m including the bottom of the shaft), 1.03m wide and 0.94m high at the most, although leeway should be left for damages incurred during the two separate instances of illicit digging.

The fill still inside the tomb, as well as the dump left by the latest plundering, yielded two broken LR 7 amphorae used presumably to block the shaft, as well as a few pieces of red brick, measuring 230 x 110-120 x 65-70mm, which may have come from the tomb superstructure or from the closing

was bigger originally (6.00-6.70 by 4.45m), and it had a fine floor and plastered walls, as well as presumably a wooden ceiling. In the second phase of use, it was reduced in size, its eastern end apparently being transformed into the main entrance to the hermitage. No furnishings of any kind were found here except for a cooking pot (Nd.07.___) set into the floor by the west wall in the entrance to this room.

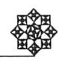
The western of the two rooms (87.5) with an area of 29.9m^2 was also finished with a mud floor and finely plastered walls. It had a niche in the southeastern corner and a cooking pot set into the floor by the east wall in the entrance. No benches or storage bins, which could further identify the function of these units, were found here. Nonetheless, they could be entered only from the courtyard and thus formed an integral part of the complex.

The small unit (87.11) cut in the rock on the west side of the courtyard was furnished with a niche in the north wall. A bread oven, 100cm in diameter, had been installed in it. It is only partly preserved having originally two ceramic rings placed one above the other, giving a full height of 80cm. An air hole carefully lined with bricks was recorded at the bottom front of the installation.

On the opposite, eastern side of the courtyard, there were two units - a kitchen (87.12) and a bakery with a bread oven (87.10). (see Pl. IIIa) The former incorporated a two-burner 'stove' set into a niche in the south wall and benches alongside the east and north walls; a basin dug in the rock floor, 47cm in diameter, and hence sufficient to house a storage jar and finally a large niche in the south wall. In turn, the bakery had a round bread oven made of bricks and equipped with an air vent in the front wall (see Pl. IVa).

The south wall of the hermitage, separating it from a narrow wadi, was constructed of broken stone bonded in mud mortar. (see Pl. IIIa) It was much more massive than the other hermitage walls, securing the complex and isolating it from the outer world. The hermitage was entered from this side. The entrance from the second phase (87.13-14) is well preserved. It takes on the form of a narrow passage carved out of the eastern end of Room 87.3. Its width is no more than 102–110cm, and it was additionally subdivided into a small, outer vestibule (87.14) and an inner one (87.13), the two separated by a door which protected against unsolicited entry. The original entrance must have been at the western end of the south wall where, already by the west wall of Room 87.5, some fragmentary evidence for it was discovered in the form of a threshold with a door pivot hole and the eastern jamb. It led to a small room (87.11) with another bread oven located in its western end. A door in the east wall of this room led to the courtyard (87.4).

Hermitage 87 appears to have been erected in the middle of the fifth century based on the ceramic evidence from the domestic parts of the complex. Two partly preserved plates are imports from North Africa. One is a flat base dish (Nd.07.065) with curved wall and most probably plain rim (LRA form 62A) with stamped decoration on the bottom in style B, that is five palm branches radiating from a groove around the center and *planta pedis* in between (Pl. IVb). Hayes dates this form with B-style ornament to AD 350-426. The other dish, of which only the bottom with decoration in A.III style, that is popular palm branches with toothed rings enclosed between grooves, has been preserved (Nd.07.130), can be identified as LRA form 61, which Hayes dates to AD 410–470. A few fragmentarily preserved amphorae are identifiable as the larger versions of *spatheia* (Keay 26), dated by Makensen to the late fourth to middle sixth centuries. Moreover, there are several dozen sherds of LRA 1



were accessible from the courtyard. The function of particular rooms was précised thanks to the interior furnishings cleared in them. Living quarters were found on the northern side of the courtyard. Domestic units were located on the east and west, and included a kitchen space and bread ovens. On the south side, there were two rooms of unspecified function.

The residence of the hermitage owner was located in the center of the eastern part. It was composed of three interconnected units: a larger room (87.1), a smaller one (87.2) and an oratory (87.7). All the rooms had mud floors and finely plastered walls. The larger room had a low bench by the south wall and a storage bin dug into the floor in the southeastern part. In the last phase of occupation, this bin was enlarged in a southerly direction, and became accessible from the courtyard. The eastern room, interpreted as an oratory, was furnished with a prayer niche in the east wall. It was preserved only up to 70cm of its height, but it retained its architectural framing consisting of two semicircular pilasters with capitals bearing a decorated arcade. The stylized palm leaf ornament on this arcade could be fully reconstructed based on two surviving fragments. A small niche was preserved on the south side of the described arcade. The interior arrangement of this room brings to mind a similarly designed oratory discovered last season in Hermitage 85. It should be added that for awhile room 87.7 was also accessible from the south, presumably for the benefit of other residents of the hermitage.

A second living unit consisting of a single cell (87.6) was fitted into the northwestern corner of the hermitage. Much care had been put into the interior finishing of this room which was accessible straight from the courtyard. There were two large niches in the south wall and two tiny ones in the west wall. Apart from this, there were two installations in the floor. One was a long depression measuring 270 by 43cm and 32cm deep, with circular hollows at either end, the southern one 26cm in diameter and the northern one 40cm. Stone slabs were fitted into the floor lining the western edge of this cut in the floor. On the whole, this installation, which resembles that discovered in Room 3 of Hermitage 85, must have been used for some, unspecified as yet, household purpose. After awhile, it was filled in and overlaid with a floor partly made of stone slabs. The other installation was a storage bin set into the floor by the west wall. At the top, it measured 100 by 57cm, and it was 114cm deep. The opening in the floor was divided into two square parts fitted with *jarid* frames which leaves no doubt that there were small trapdoors closing them.

Lying to the northeast of the courtyard and south of the oratory was an L-shaped room (87.8), 21.5m^2 in area, which appears to have been a third living unit added most probably in the second phase of the occupation of the hermitage. It was entered from the courtyard, and it may have been connected with the oratory for a period of time. A storage bin dug in the floor was found in the southeastern part of this room. (see Pl. IIIb) In the southern part of this bin, there were two big storage jars, 98cm high and 57cm in rim diameter; the inner ledge on the mouth of these vessels suggests a lid that had once closed them.

The courtyard, which covered an extensive 95.3m^2, was furnished with benches near the south and west walls, most likely also near the north wall. (see Pl. IIIa) It had a kind of silo in the northwestern corner, measuring 128 x 163cm, preserved flush with the walking level of the courtyard. Grain seed was found at the bottom of it. All of the above-described living units were entered from this courtyard, as well as two large rooms on the south side, 87.5 and 85.3, the walls of which were raised in mud brick and broken stone. The eastern room (87.3)

at the old monastery complex. The height of this point was established as 7.27m a.s.l + 100m to eliminate the minus values of the survey points localized in the western part of the site.

A GPS survey followed the topographical part, focusing on the hillside hermitages, as well as the so-called western group already on the desert plateau. All the hermitages were measured with GPS – Garmin Map 60CS, and photographed from different distances. GPS measurements were carried out using WGS 84 datum and degrees: decimal grid hddd°mm.mmm′.

The nomenclature of the Naqlun monastic complex was also in need of revamping, having lost its original clarity once the new monastery buildings were constructed. The division of the Nekloni monastery into parts was revised and given new designations (see Pl. I):

1. Eastern group of hermitages located in the valleys and hollows of Gebel Naqlun, altogether 81 identified rock-cut complexes, although the number may still grow
2. Western group of hermitages located near the canal: eight complexes of which three are dated to the middle and second half of the fifth century
3. Cemeteries C.1 and C.2, dated to the end of the fifth and the sixth century, currently west of the monastery enclosure wall at the spot where it is pierced by the west gate
4. Site A (main kom) to the east of the later medieval monastery, including monastic architecture from the end of the fifth and the sixth century, as well as later structures dated to the tenth and eleventh century when the Nekloni monastery reached an apogee of its spatial development
   In the second half of the eleventh and in the twelfth century, an extensive cemetery grew around the Church of the Archangel Michael on Site A (Cemetery A). It was still in use in the thirteenth century.
5. Church of the Archangel Gabriel, erected in the eighth century and refurbished in the beginning of the eleventh century, encompassing a partly preserved complex of medieval architecture.[4] The complex was surrounded by walls and accessible through a still existing western gate. It was modified in modern times and refurbished in the twentieth century.

Hermitage 87 (Pls II-IV)

Hermitage 87 is included in the western group of hermitages, which were cut into the rock in the neighborhood of the canal. It made use of a small hollow just north of the location of Hermitage 85 and the nearby complex of no. 90. A wall of broken stone could be seen separating the hermitage from a *wadi* used as a local trail. The pottery-strewn surface of the hollow promised a site which had not been disturbed recently, unlike Hermitage 87 which had proved to be the site of illicit excavations in the not -so- distant past.

The entire hermitage consisting of 14 rooms was cleared. (see Pl. IIIa)The units were located around a central courtyard with most of the rooms on the north, east and west being cut in the soft rock sandwiched between a hard limestone layer at the bottom and a compact layer of conglomerate at the top. The latter formed natural ceilings in the complex where individual walls were lined with brick or rock chips and subsequently plastered. The rooms on the south side of the courtyard were built of brick or broken stone. The entrance was located in the southeastern corner of the complex (Rooms 13 and 14). It was constructed in the second phase of occupation, the original one having been situated probably in the southwestern part, although the evidence for this is hardly satisfactory. All the rooms

NAQLUN 2007:
PRELIMINARY REPORT

Włodzimierz GODLEWSKI

A mission from the Polish Center of Mediterranean Archaeology of Warsaw University, directed by Prof. Włodzimierz Godlewski,[1] completed another season of excavation on the site of the Nekloni monastery in Fayum. The season lasted from September 8 until October 22, 2007, and had the following objectives:

1. Research on the site of the western hermitages, specifically Hermitage 87, to the west of Cemetery C
2. Conservation of textiles from Cemeteries A and C
3. New topographical work on the whole site, including new architecture, using Total Station Leica TCR 407
4. Study of Arabic documents discovered in 2005
5. Documentation of Arabic and Coptic texts on paper and parchment from Naqlun, uncovered in 1986-1989 and stored at the Coptic Museum in Cairo

Topographical Survey (Pl. I)

A comprehensive map of the entire site, including the identified hermitages on Gebel Naqlun and the western group of hermitages by the canal, as well as the modern monastic complex erected around the Church of the Archangel Gabriel, Cemeteries C.1-2 and an extensive *kom* with the buildings of the Nekloni monastery to the east of the church, was made by Mr. Jarosław Dobrowolski in 1986-1988.[2] The topographical situation changed with the progress of excavations on the kom, uncovering sixth through tenth to eleventh century monastic architecture, and with the building of a new monastery, which started in 1999 and partly encroached on the already surveyed area. A renewing of the general map was in order, and this was accomplished in 2007. Using state-of-the-art topographical equipment, Mr. Wiesław Małkowski completed a full topographical survey, producing a new map of the site based on Dobrowolski's earlier effort.[3] The present work covered:

1. Survey in monastery area, c. 19.8ha (including excavated area located inside the old monastery complex, medieval monastery and contemporary buildings)
2. Topographical measurements in the area of Cemeteries C.1 and C.2 (c. 3.25ha) situated close to the contemporary monastery wall (southwestern part)
3. Topographical measurements in the complexes excavated in the western hermitages group (no. 85 explored in 2006 and currently excavated no. 87)

A Total Station Leica TCR 407 electronic tachimeter was used in the project. All level measurements were calculated from the reference point situated inside the excavated area

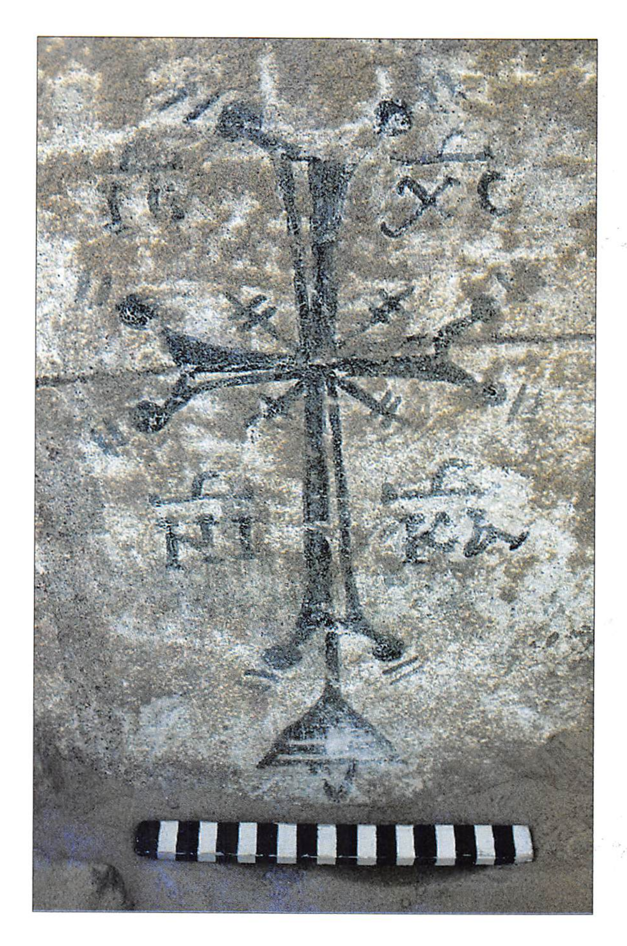


Fig. 8. Cross on the east face of the west wall in Room 3, facing west.



Fig. 9. Low-rise oven in the most recently used area of the building.





Fig. 6. Wall painting of two individuals from fill near the west face of the east wall in Room 3.

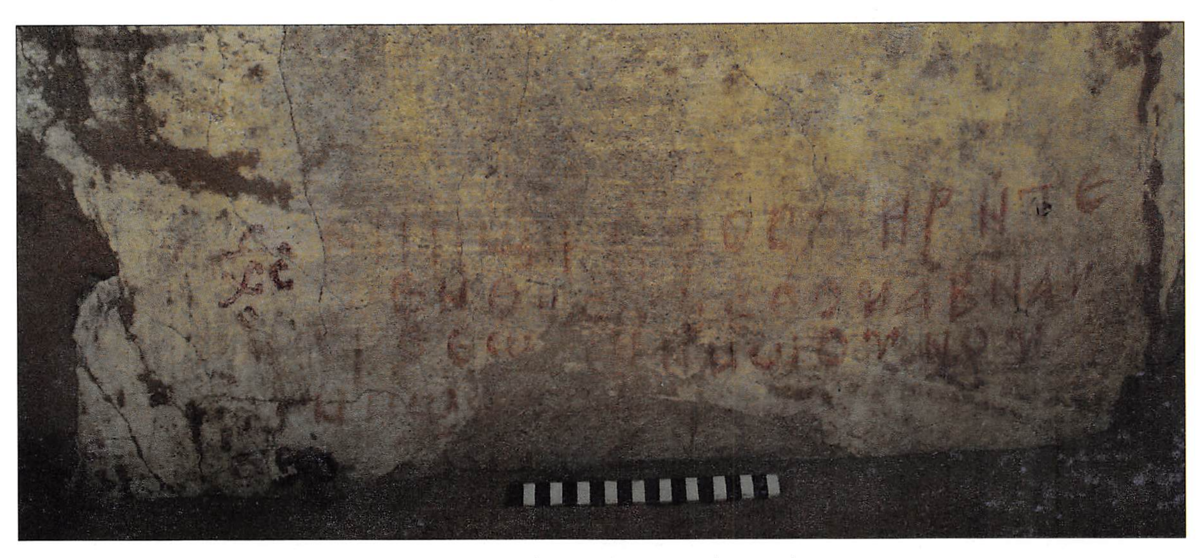


Fig. 7. Coptic inscription on the north face of the south wall in Room 3.

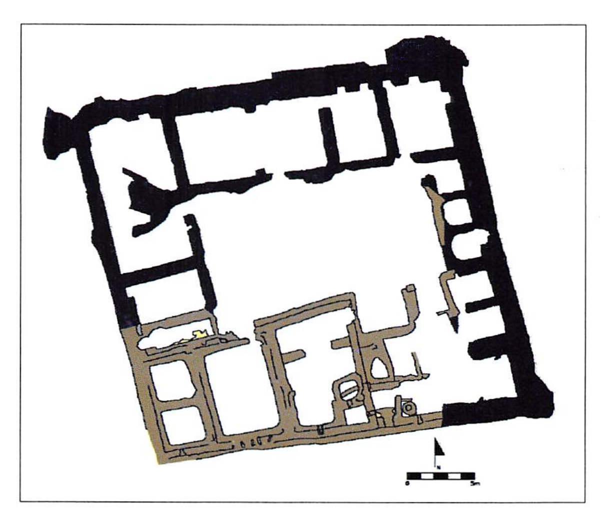

Fig. 3. Map of the excavated architecture (brown) with the plan of the building's walls visible from the surface (blue).


Fig. 4. Rooms 3-9 facing west showing an oven and the main living quarters, facing west.



Fig. 5. A glass and plaster window from Room 2.



remodeled in three or four phases. The earliest phase of the building excavated consisted of four large rooms (Rooms 1-4) on the southwest side of the mound with rooms that were plastered at least twice. The modifications include events when new walls were added to presumably expand the structure. The presence of air shafts, the blocking of windows and doorways and the addition of cuts into abutting walls are all present in the area we excavated. Additionally, some smaller rooms were added into the four large rooms to provide additional spaces that might serve for storage for this end of the residence.

A first remodeling created a division that produced Rooms 1 and 2 on the west side. Rooms 3 and 4 were the two central rooms on the south side of the courtyard. Evidence of the apex of a dome covering Room 3 was found in the tumble on the north side. Room 4 was redesigned to include two smaller rooms on the southwest corner, and to be entered on the north side by an arched foyer. The additions of Rooms 5 and 6 were cut directly into a central north-south wall. Room 9 later functioned as a kitchen with an oven, after the western rooms had fallen into disuse (Fig. 9). This room also produced our highest yield of ceramic material.

Goals for next season

Building on the foundation of work established during this season, we plan to continue clearing the entire building in 2008 in order to outline the entirety of the complex and examine its role as a monastic residence. We will continue to add to the site and topographical maps; both surveys are producing effective results in adding to our understanding of the site as a whole since we have excavated a very select area of the site. ■

Endnotes

* Stephen Davis (Project Director), Darlene Brooks Hedstrom (Co-Director and Chief Archaeologist), Dawn Mccormack (Field Director and Surveyor), Gillian Pyke (Ceramicist).

The project would like to acknowledge the officials and representatives of the Supreme Council of Antiquities (SCA), both nationally and locally, who have made this field season possible. Special gratitude is extended to Dr. Zahi Hawass, Secretary General; Farag Fadah, Director of Islamic and Coptic Monuments; Magdi al-Ghandour, Director of Foreign Missions; Abd al-Rahim Salim Wahbi, General Director of the al-Buhayra Region; Abd al-Fattah Zaytoun, Director of Antiquities in the Wadi al-Natrun Region; Muhyi Basyuni 'Abd al-'Aziz, Director of Academic Documentation in the Wadi al-Natrun and Gamal Fathi, Senior Inspector in the Wadi al-Natrun.



Fig. 1. Map of the archaeological mounds at John the Little.

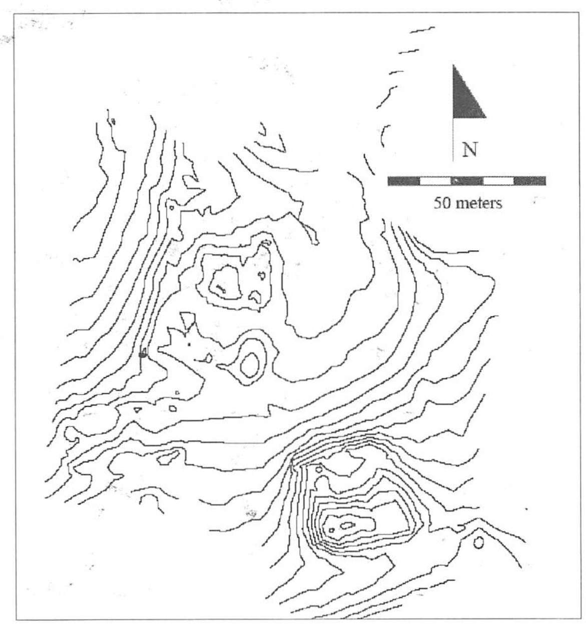


Fig. 2. Topographic map of a small section of the site with 0.20 meter contours.

To begin our investigations, we excavated an area (340m²) on the southwest section of a small mound with visible walls. The mound is located directly west of the midden excavated in Season 1, and was selected because of its smaller size with the hopes that we could complete excavation of the complex in three years (Figs 3 and 4). Due to its relatively smaller size, in comparison with others at the site, we excavated approximately one-third of the mound in the 2007 season and plan to finish excavating the remaining rooms in 2008 and 2009. With the results of our 2007 season, we have enough information to begin formulating hypotheses that address key research questions that we have raised about the settlement and its history.

The following conclusions can be drawn based upon our initial study of the manshubiya. First, we have a sample of a building that is unique in comparison with the typology of buildings found at Kellia. Unlike at Kellia where the central residence is found in the northwest of the complex, this complex seems to have its core in the southwest, and was later remodeled and extended to the north and the east. This information suggests that there may be regional differences in layout that we will continue to explore as we excavate more manshubiyyat. Second, the dated ceramics and wall paintings place the occupation of the residence in the medieval period (the ninth to eleventh centuries); and therefore, the monastic community may be a rare example of a later semi-hermetical community.

Third, there is inscriptional evidence present within the structure that will assist us in the reconstruction of who used and lived in it as part of the local monastic community. It is possible that this way of marking residential space, similar to that seen at the communities at Esna and Kellia, will provide information for the production of a detailed history of the site.

Currently, the earliest phase of occupation of the building was in the ninth or tenth century, and the latest use of the building dates to the tenth and eleventh centuries in the area that contained an outdoor oven. Our dating is based upon the ceramic evidence analyzed by Gillian Pyke. An examination of the walls of the building demonstrated that there were at least four distinctive phases of construction or remodeling. We reached floor level in only one of the 13 rooms identified during the excavation. Room 2 proved to have nothing informative on the floor; and, therefore, our next season will aim to reach floor and wall bases in all exposed rooms.

The finds recovered from the excavation include fragments of glass windows with geometric patterns (Fig. 5); glass cups; two Islamic coins; small animal bones (mostly of rodents); white wall, ceiling and floor plaster; painted plaster with geometric and figural motifs and ceramics. Room 3 had the highest yield of painted plaster in fallen fragments (Fig. 6), and we documented two Coptic inscriptions still on the walls of Room 3 (Fig. 7).

The majority of evidence for painted decoration was found in Room 3, and can be divided into the painted plaster remaining in situ and that which fell off the walls in ancient times. The in situ painted decoration was restricted to the west wall and the west end of the south wall of Room 3, being the only locations in which the plaster remained on the walls. It consists of two red-painted inscriptions, one located at the west end of the south wall, close to the doorway leading to Room 1. The second is on the west wall, between the doorway to Room 1 and the doorway to Room 2. The placement of these marks may indicate the original pathways through Room 3 into Rooms 1 and 2. Crosses in both red and black were also located on the west wall (Fig. 8).

The architectural history of the building already demonstrates that the complex was

YALE MONASTIC ARCHAEOLOGY PROJECT
JOHN THE LITTLE
SEASON 2 (MAY 14-JUNE 16, 2007)

*Stephen DAVIS, Darlene BROOKS HEDSTROM, Dawn McCORMACK, Gillian PYKE**

Abstract

The archaeological research at John the Little's Monastery in Wadi Natrun included two objectives: first, to continue mapping the archaeological features of the site; and second, to continue stratigraphic excavations with the focus of this season upon a small mound (roughly 40m in diameter) which contained visible walls. The mound was located directly west of the midden excavated in Season 1, and was selected because of its smaller size and proximity to the midden. By excavating this area, we seek: 1) to reveal the spatial layout and phases of the *manshubiyyat* at John the Little; 2) to ascertain if the location of the dwellings reflected any apparent correlation with the lines of footpath access within the settlement and 3) to investigate how the manshubiyyat at John the Little relate to the manshubiyyat found at other monastic settlements, such as those further north at Kellia-Pherme.

Survey

The surface mapping of the site of John the Little included three objectives. The first objective was to continue mapping the extent of the *koms*, or mounds, that are visible on the surface. This season we added 70 mounds to our overall map of the site (Fig. 1). The second objective was to produce a strip of topographical mapping (135 x 135 meters) that would assist us in creating a detailed map of the surface of the site (Fig. 2). The third objective was to establish an identification system for labeling the archaeological features at the site.

Excavation

A small mound (roughly 700m^2) was selected for excavation as a sample manshubiya in order to achieve three goals. First, we selected an area that had visible architecture knowing that we can begin studying the methods of construction and remodeling at John the Little. Second, we plan to excavate around the exterior of the manshubiyyat in order to examine what material is found between the residences. The closeness of this residence to a midden will provide a small area for us to excavate the content found between the building and a dump so that we might find possible footpaths and other features, such as *mastabas* or pens for animals, that may be found along exterior walls. Third, we want to know how the layout of the residences may relate to the architecture of the well-known monastic community of Kellia, where the surface features share similarities with the mounds found at John the Little.





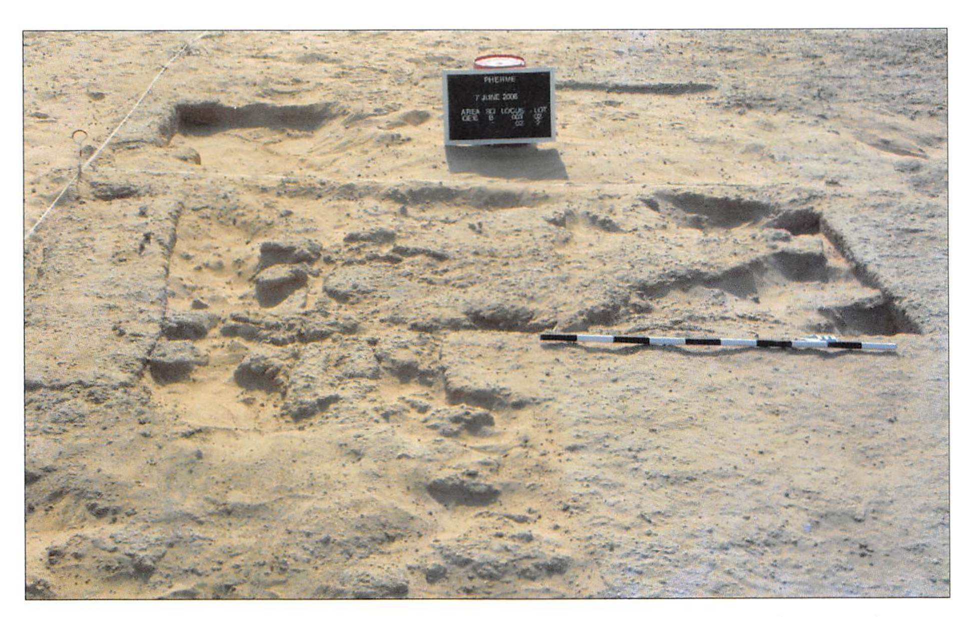


Fig. 4. Close-up of QE16, Square B, with details of a room in the northeast with an opening to the west and east.



Fig. 5. View South of QE14, Square C, mud-brick walls, outlined in black, are visible after minimal surface clearing.

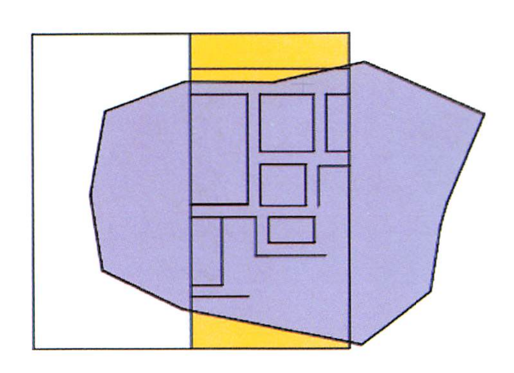


Fig. 6. Map of mud-brick walls exposed in QE14. Excavation Square C is shaded in orange, and the physical mound is shaded in purple. Scale 1:100.

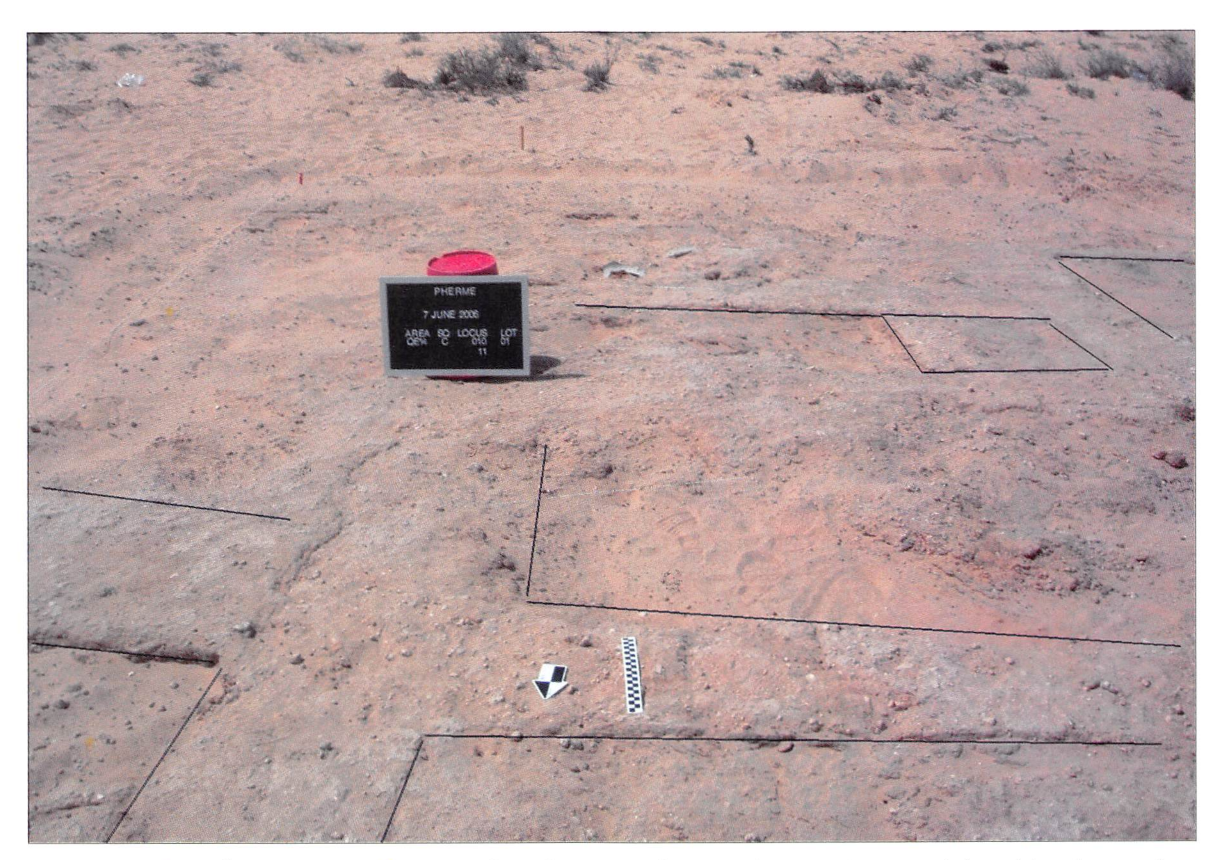


Fig. 2. View North of QE16, Square A. Surface clearing and minimal excavation reveal the white plaster of a niche along the northern balk line of the square.

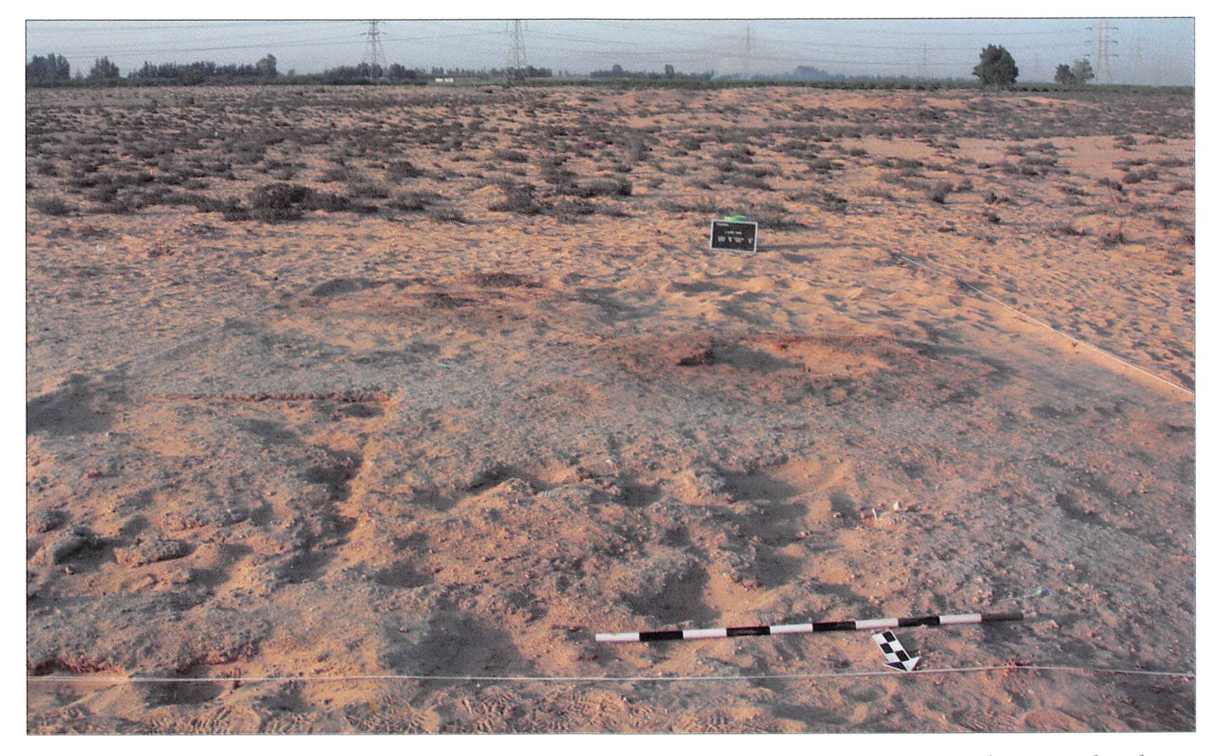


Fig. 3. View South of QE16, Square B, after surface clearing. Lines of a room are visible in the left of the photo on the east side of the square.



which the organic component is now lost. Unfortunately, work at the site ended before any stratified material was encountered, and no typological or secure quantitative data was collected.

The pottery from complex QE14 and QE16 was processed separately in order to establish the range of vessel types present at each location. The pottery was sorted on site, recording for each unit the total weight of the sherds of each recognized fabric, in order to study the proportions of each fabric and for what types of vessel they were used. During a weeklong excavation at the site that excavated only surface loci, the total of ceramic evidence recovered was 11.62kg, and no significant finds were collected. All the major ware groups (i.e., transport vessels, coarse and fine wares) were represented among the surface sherds.

In both areas, the dominant vessel type was the LRA 1 amphora, dating to the late fourth to early seventh centuries AD. Its abundance at Pherme, Saqqara and sites on the Red Sea coast suggests that this amphora was particularly abundant near its ports of entry into Egypt.[3] This amphora was represented by many body sherds and a few diagnostic elements in a characteristic hard, dense cream, pale orange or pale brown fabric with abundant fine to medium white, black and red inclusions. All these sherds seem to be from the standard form of this amphora, with a wide neck and bands of closely and widely set ridges.

Sherds of a LRA 7 amphora, a local Egyptian wine amphora, were consistent with the standard shape of a carrot-shaped body and prominent ribs, dating to the same broad period as the LRA 1 amphora. The occurrence of this amphora type at Pherme south is less frequent than at many sites in the Nile Valley, where they often account for over 50% of the ceramic material.[4] Coarse ware sherds were made of a silt with a relatively low organic component, which seems to be the preferred fabric for this group of vessels at Pherme. A small number of cookers were made in a sandy silt fabric. ■

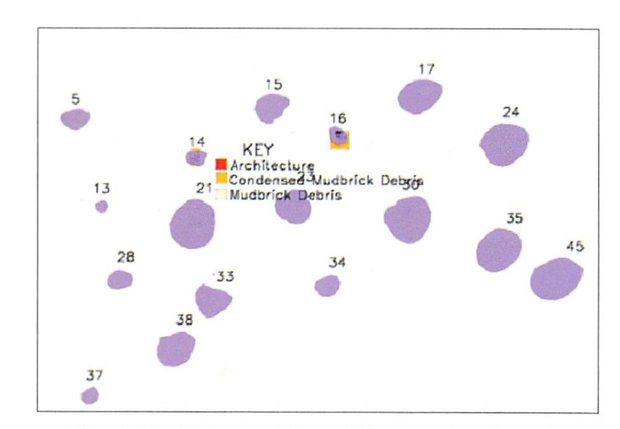


Fig. 1. Preliminary Map of Pherme South with mounds and the location of excavation Squares QE14 and QE16. Scale 1:2000.

Endnotes

* Stephen DAVIS (Project Director), Darlene Brooks Hedstrom (Chief Archaeologist), Tomasz Herbich (Geophysical Surveyor), Gillian Pyke (Ceramicist), Dawn Mccormack (Surveyor).

The Expedition would like to acknowledge all of the officials and representatives of the Supreme Council of Antiquities (SCA), both nationally and locally, who have made this field season possible. Special gratitude is extended to Dr. Zahi Hawass, Secretary General; Abdallah Kamel, Director of Islamic and Coptic Monuments; Magdi al-Ghandour, Director of Foreign Missions; Muhammad Abdul-Aziz, General Director of the Alexandria Region; Fikri Muhammad, Chief Inspector and Muhammad Mustafa, Inspector of Antiquities.

We received permission from the SCA to do the following: first, to survey Pherme with magnetometric prospection and a Total Station; second, to excavate one or two mud-brick structures to address our research questions and third, to construct a magazine for future storage of finds.

1 The settlement was surveyed between 1987 and 1989 by the Swiss, whose results are published as *Explorations aux Qouçoûr Hégeila et 'Éreima lors des campagnes 1987, 1988 et 1989*, Ph. Bridel (ed.) (Leuven, 2003).

2 Bridel (ed.), *Explorations aux Qouçoûr Hégeila et 'Éreima*, 7–8, plan 1; P. Ballet, 'La céramique, contextes et classification', in *Kellia. II. L'ermitage copte QR 195. 2. La céramique, les inscriptions, les decors*, P. Ballet, N. Bosson and M. Rassart-Debergh (eds) Fouilles d'IFAO 49 (Cairo, 2003), 1-207.

3 S. Sidebotham, H. Barnard and G. Pyke, 'Five enigmatic late Roman settlements in the Eastern Desert,' *JEA* 88 (2002), 187-225.

4 J. Faiers, *Excavations at Amarna*, I, *A Corpus of Late Roman Pottery and Related Studies* (London, 2005).

magnetic elements under the surface, including the mud brick used to construct early Christian manshubiyyat in the region. The selection of particular areas to survey was motivated by strategic factors: areas with heavier concentrations of dwellings not fully documented by the Swiss team received special priority. Our goal was to confirm and (where possible) refine the results of the Swiss survey from the 1980s, which was conducted by making early morning surface tracings of dew condensation above the lines of walls beneath the surface. Our results were as follows. First, we were able to identify the proper location of one structure (QH14) that had been misplaced on the Swiss map. Second, we were able to detect the remains of what is probably a monastic trash dump under a previously unidentified surface scattering of pottery sherds. Third, we were able to identify the location of ovens within a number of the manshubiyyat. Fourth, we were able to recognize the expanded plan of a monastic dwelling whose size was underestimated in the original Swiss results (QE21).

Excavation

Two mounds in Pherme South were selected for excavation: QE14 and QE16 (Fig. 1). These two were selected for the following reasons: first, to complete the plans for the manshubiyyat which were not completed by the Swiss in the 1980's; second, to investigate if the smaller manshubiyyat followed a general plan of construction and spatial layout; and third, to ascertain if the location of the dwellings reflected any apparent correlation with lines of footpath access within the settlement.

On June 3, three 10 x 5m squares were laid out in relation to a northeast point over two mounds. The removal of 5cm of surface sand revealed the tops of mud-brick walls in each square. The walls were identified as the following loci: 011.01 (QE14) and 003.01/020.01 (QE16) (Figs 2-3). All three squares yielded pottery and plaster finds consistent with the physical evidence already recovered by the Swiss excavations in the 1980's. Each square included evidence of significant mud-brick wall tumble that in two areas completely sealed the rooms in both QE14 and QE16 (Fig. 4). In Square C, a deposit of fine, grey ash (Locus 012.01) was partially excavated in the southwest quad. This deposit may indicate the location of one of the kitchens typically present in these structures. One niche with white plaster (Locus 023.01) was exposed in the wall in the northwest quad of Square A (Fig. 5). The surface clearing confirmed that excavation is necessary to correct the Swiss plans of the manshubiyyat, and even our initial surface clearing demonstrates that excavation of the smaller dwellings would enrich our understanding of the settlement and its layout (Fig. 6).

The investigation of the ceramic material at Pherme in the 2006 season was organized in two stages. The first, a surface survey, complemented the topographical and archaeological survey of the site using modern scientific techniques to verify the positions and compositions of the complexes. The aim of the ceramic survey was to establish the composition, density and distribution of surface pottery, and to investigate the significance of any trends observed. The surface evidence of the ceramic repertoire was compared with that of excavated complexes at Pherme published by the Swiss mission and other parts of Kellia published by the French.[2] This survey showed that the surface of the *koms*, under which cell complexes are located, are characterized by a harder crust, pebbles and fossilized coral with a few large sherds of the most common amphora types and rare silt coarse wares. Low-lying scatters of pottery between the koms seem to contain smaller and more worn sherds within the same range of vessel types that perhaps represent middens of

YALE MONASTIC ARCHAEOLOGY PROJECT PHERME (QUSUR HIGAYLA AND QUSUR 'ERAYMA)

SEASON 1 (MAY 29-JUNE 8, 2006)

*Stephen DAVIS, Darlene BROOKS HEDSTROM, Tomasz HERBICH, Gillian PYKE, Dawn McCORMACK**

Abstract

From May 29 through June 8, 2006, the Yale Monastic Archaeology Project (YMAP) conducted the first season of excavations at Pherme. (YMAP) had three goals for the first season: first, a geophysical survey of the site; second, begin mapping the two clusters of settlements (Qusur Higayla and Qusur 'Erayma) that comprise Pherme and third, selective excavation at two *manshubiyyat*. Our results from this short season include the following. First, we identified the proper location of one structure that had been misplaced on a 1980's Swiss map of Pherme. Second, we detected the remains of what is probably a monastic midden under a previously unidentified surface scattering of pottery sherds. Third, we identified the location of ovens within a number of the manshubiyyat. Fourth, we exposed the tops of walls for smaller manshubiyyat that demonstrate they are larger in extent than what was found on the Swiss map.

Introduction

The settlement of ancient Pherme consists of two distinct areas of occupation: Pherme North (Qusur Higayla = QH) and Pherme South (Qusur 'Erayma = QE).[1] Each area contains over fifty mud-brick installations, the earliest of which date to the fifth century. A ceramic study of the surface sherds and excavated deposits confirms that the settlements were abandoned in the seventh century.

Between 1987 and 1989, the Swiss mission surveyed the site using humidity traces on the surface, and then excavated eight installations in Pherme North and four in Pherme South. One of our goals in this first season was to conduct a magnetometric prospection to confirm and improve upon their survey results. Our second goal was to conduct a targeted excavation of an installation not completely documented through their methods.

Geophysical and Topographical Survey

One important priority of our work at Pherme was the task of surveying the site. A topographical survey was conducted by Dawn McCormack. Her survey had two important results. First, she created the basis for a universal map of the site. Second, she initiated work in producing a topographical map of Pherme South.

In addition to this topographical survey, a geophysical survey totaling four hectares was performed by Tomasz Herbich. Areas within both Pherme North and Pherme South were selected for magnetometric prospection, a scientific method designed to detect trace



Fig. 8. Ceramic cross stamp from AB52020.02.



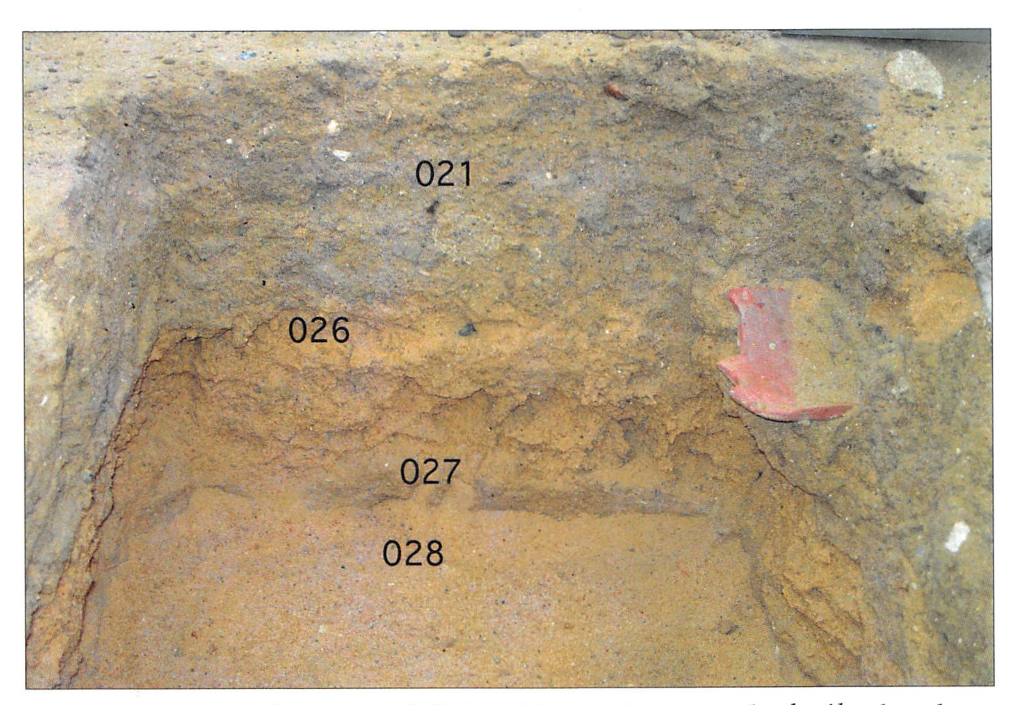


Fig. 6. Test probe along eastern balk line of Square 52 exposing depth of hard sand deposit and drift sand below dump.

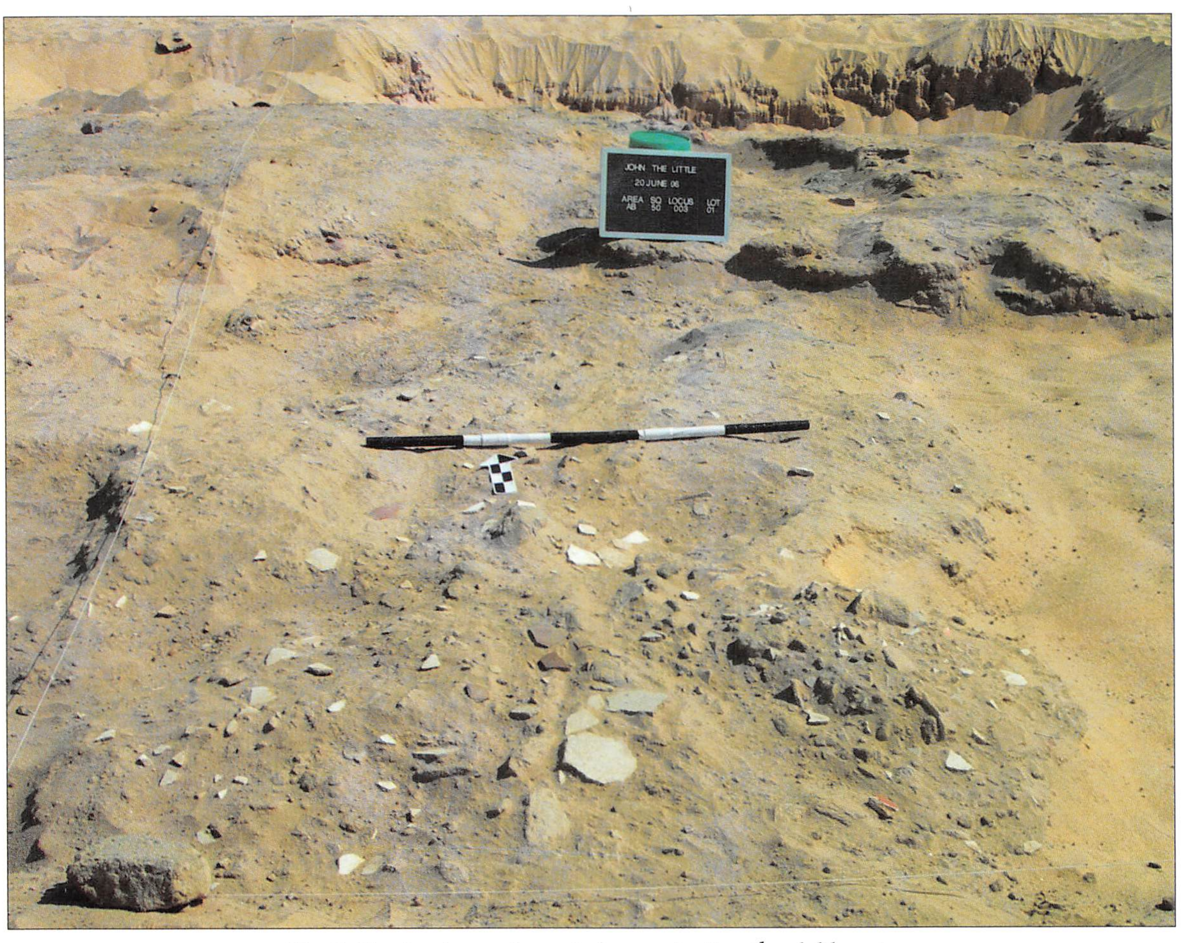


Fig. 7. Plaster dump deposit demonstrating the deliberate collection of white skim wall plaster, AB50003.01.

Endnotes

* The Expedition would like to acknowledge the officials and representatives of the Supreme Council of Antiquities (SCA), both nationally and locally, who have made this field season possible. Special gratitude is extended to Dr. Zahi Hawass, Secretary General; Abdallah Kamel, Director of Islamic and Coptic Monuments; Magdi al-Ghandour, Director of Foreign Missions; Mr. Abd al-Rahim Salim Wahbi, General Director of the al-Buhayra Region; Mr. Abd al-Fattah Zaytoun, Director of Antiquities in the Wadi al-Natrun Region; Mr. Muhyi Basyuni 'Abd al-'Aziz, Director of Academic Documentation in the Wadi al-Natrun and Mr. Gamal Fathi, Senior Inspector in the Wadi al-Natrun.

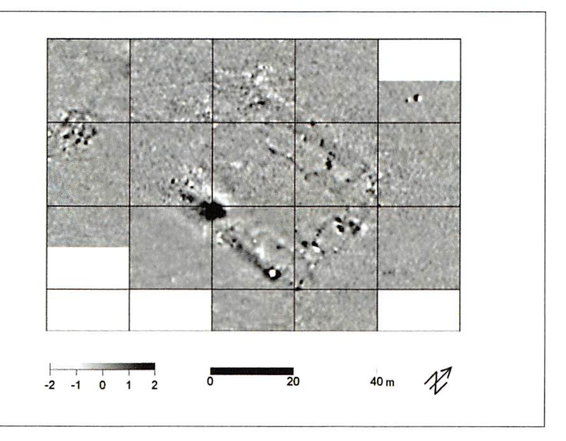


Fig. 2. Geophysical survey map illustrating the architectural features of a manshubia and evidence of a fire deposit along the south wall.

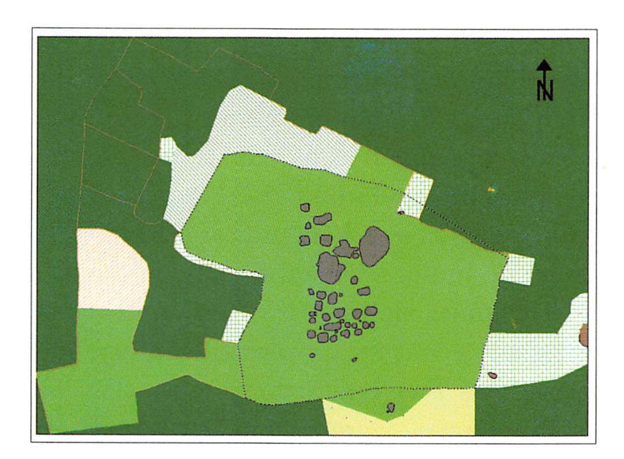


Fig. 1. General plan of John the Little illustrating the mapping of 40 koms.



Fig. 3. Excavation Squares 50-53 in area AB.



Fig. 4. Ashy deposits in AB50, view toward the south.

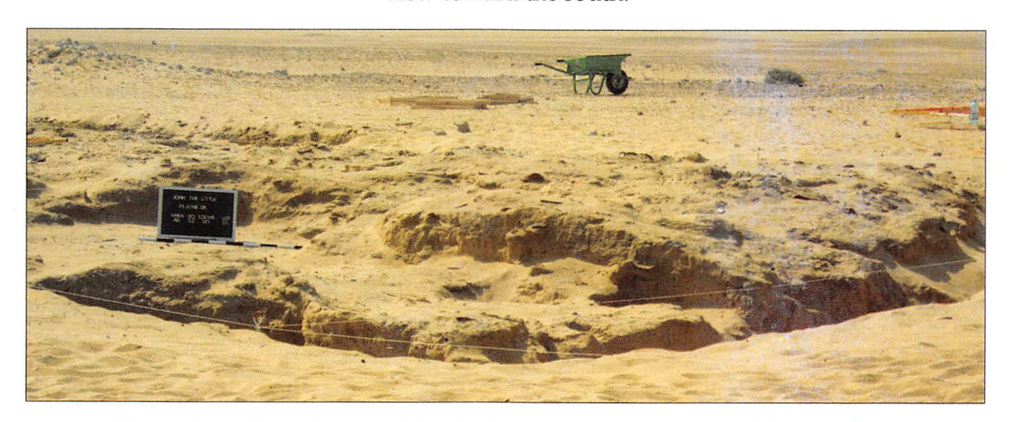


Fig. 5. Overview of the midden, looking southeast across AB51 and AB52.

Based upon the ceramic corpus found within these deposits, Gillian Pyke has proposed the ninth century as a preliminary date for the midden, thus suggesting that the strata reflect disposal activities of the community in the Fatimid period. The excavation of the midden produced well-defined strata, and all layers included the same corpus of evidence. In particular, glass and plaster were found in all layers, including moderate amounts of glass on the surface. Charcoal, ash and bone were also found in all loci, but especially in the upper layers.

The composition of the deposits can be broadly divided into three categories: discarded pottery, architectural debris (both destruction and construction) and hearth clearings of ash and bones. The discard loci were very visible after the clearing of the desert sand, revealing hard deposits of sand forming around each instance of disposal (Fig. 6). The only case in which a visible unit was not formed was with the discard of pottery, which was frequently found simply resting in sand, and the bottom of the deposit was difficult to determine.

The construction middens consist of two clusters of materials: wall plaster and coarse flooring. The wall plaster is almost exclusively a white skim with a few examples of painted fragments showing signs of red, yellow and brown paint. The major deposits of this wall plaster were found in the south (AB50003.01/AB51011.01) (Fig. 7). A few fragments of red-lined inscriptions provide evidence of inscribed walls. There is no evidence that the wall plaster had suffered any deliberate destruction such as fire. The wall plaster dumps are also almost exclusively plaster and have only small examples of mud bricks, which suggest that the plaster was deliberately collected for disposal. The deposition of the plaster appears to be at the hand of humans in that the pieces are closely associated, being deliberately collected and then deposited as a group, rather than in a scatter that might appear if the plaster had fallen from a nearby wall.

Glass fragments (4.4 kilos) were mostly flat sherds from the upper levels, but in the earlier strata we recovered a footed base, six etched pieces (with a possible cross) probably from a closed form and one small piece banded in gold. Bones (3.4 kilos) were found primarily in or adjacent to ash deposits and included several examples of fish and rodents. Three highly corroded coins were collected and could not be identified at this time. In contrast to the high yield of plaster, pottery, glass and bones, copper and iron finds were not found in any significant numbers. Likewise, trace indications of eggshell, nuts and resin were collected in the excavation of the midden.

The most significant object, outside of the daily recovery of plaster, pottery and glass, was a ceramic stamp cross (Fig. 8). Such stamps were frequently used for making impressions upon the holy bread distributed in the monastery and churches.

Conclusion

The results of the surveys conducted by McCormack and Herbich have confirmed that John the Little will yield decades of productive work in excavating and conserving the extant remains. Our targeted excavation of one kom revealed a cluster of monastic middens located in an area between three small hills that are likely monastic dwellings of considerable size. The distance between this dump and the three dwellings ranges from nine to twelve meters. The relative proximity of the dump provides us with data for investigating the disposal habits of the community. We have yet to ascertain if those who lived immediately around the dump used this dump. However, if the residents of the surrounding manshubiyyat in fact produced the middens, as we suspect, then we have begun to address some of our research questions regarding the monastic use of space between dwellings. ■

build on in subsequent seasons. Third, she produced a detailed map of the previously excavated church, which will serve as the basis for its publication.

In addition to this topographical survey, Tomasz Herbich performed a geophysical survey totaling approximately seven hectares or 2% of the site. A wide range of koms was selected for magnetometric prospection. The results of Herbich's survey exceeded our expectations, revealing a number of large-scale monastic structures under the surface, including one that exceeded 90 meters in length; this structure is similar in size to the main enclosure at the nearby Monastery of the Syrians in Wadi Natrun (Fig. 2). The survey also indicated the presence of production areas for working with pottery, glass and metal. In a few areas, we observed discrete areas where walls of manshubiyyat were burned and later rebuilt. The survey results, therefore, have produced essential information that will help us shape our future research objectives for investigation of the monastic community of John the Little.

Excavation

On the basis of the magnetometric survey, one small kom was selected for excavation during two and half weeks of our first season. A relatively small mound, located 305 meters south of the mound of the central church, was selected on the basis of the significant sherd scatter on the surface and slight indications from the geophysical survey of some features, although no walls were visible in the subsurface readings.

Two 10 x 10 meter squares were laid out in area AB, adjacent to each other and then divided along the north-south axis at the five meter line to create four 10 x 5 meter excavation units (Fig. 3). The squares running from east to west are: 50, 51, 52 and 53. While the magnetometric survey gave poor results that failed to demonstrate the presence of obvious architecture below the surface, the survey did indicate that there was some archaeological material below the surface, and we wanted to determine what processes produced the surface scatter.

Excavation of the squares began on June 11 with surface pickup of all pottery, glass, bone, plaster, architectural features and metal. A few fragments of plaster with a white skim bore fragments of inscriptions in red paint, most likely of Coptic letters. After surface clearing, ashy depressions appeared across all the units. These deposits initially appeared to be surface fires, yet further investigation proved that these were more substantial and ubiquitous throughout the easternmost squares (50-52) (Fig. 4). The uppermost ash deposits were likely modern, although we recovered no diagnostic finds to help us date these fire pits (1.40cm). Once the surface deposits were documented and removed, more ashy lenses appeared. The deposits were evidently the result of hearth clearings or domestic refuse deposits. We plotted the presence of these deposits throughout the excavated areas and were able to determine that that there were three major areas to the midden. The exposure and documentation of the distinctive ash layers were our first indication that we were excavating a midden and not an area that had been burned due to large-scale fires.

Continued excavation of the four squares (50-53) in area AB provided indisputable evidence that we were excavating a series of dump deposits (Fig. 5). The midden included discarded wall and floor plaster, pottery, glass, metal, food (nuts and seeds) and bones (from fish and domestic animals, rodents and in a few instances humans). Further exposure of the midden clarified its shape, and indicates the pattern of deposition across the area with more recent deposits in the southern part of the units with earlier and deeper deposits in the northern quadrants of the squares.

YALE MONASTIC ARCHAEOLOGY PROJECT
JOHN THE LITTLE
SEASON 1 (JUNE 7-27, 2006)

Stephen DAVIS, Darlene BROOKS HEDSTROM,
Tomasz HERBICH, Gillian PYKE,
*Dawn McCORMACK**

Abstract

The 2006 season of the Yale Monastic Archaeology Project (YMAP) at John the Little achieved three objectives. First, we conducted a subsurface magnetometric survey of select areas over the 265-hectare site. Second, we mapped the area of John the Little and plotted the location of several *koms,* and produced a preliminary plan of the monastic church excavated in the 1990's by an American project. Third, we excavated a small kom located between three large *manshubiyyat*. The kom proved to be a large monastic midden with two distinct deposits of construction debris and domestic refuse dating to the eighth and ninth centuries.

Introduction

The archaeological site known as John the Little, located approximately three kilometers southeast of Dayr Anba Bishoi in Wadi Natrun, comprises an area of 265 hectares, with over 100 mounds (koms) marking the location of monastic structures beneath the surface. Based upon ceramic surface scatter, these structures range in date from circa the sixth to the thirteenth century. The buildings include a wide variety of architectural remains, from large-scale edifices (including a central church) to smaller monastic dwellings (manshubiyyat). Previous archaeological work at the site was limited to three seasons (1995, 1996, 1999) conducted by a privately funded American team from Grand Rapids, Michigan, which excavated the central church and a couple of nearby residential structures. Unfortunately, this team never conducted a survey of the site as a whole and never published the results of their work. One of our goals is to document their work so that we will have a comprehensive map of the site and its evolution as a monastic settlement.

Geophysical and Topographical Survey

An important priority of our work at John the Little was the task of surveying the site. Given the fact that no professional survey had ever been attempted there, it was hoped that the results of our survey would provide us with unprecedented data regarding monastic settlement patterns in the region.

Dawn McCormack conducted the mapping survey of the entire site. Her survey had two important results. First, she was able to create a universal map of the site, onto which we will be able to plot all the monastic structures preserved there (Fig. 1). Second, she initiated work in producing a comprehensive topographical map for the site that we will



Fig. 59. Right pilaster capital, after restoration (plastic repairs to left side). Photo: E. Ricchi.

IX. Conclusions

In summary, the test cleanings of December 2002 and the work undertaken in 2003 and 2004 were a great success. The projected areas of wall painting were cleaned and conserved, in addition to a few extra test areas. Four layers of painting were discerned in the north semi-dome and three in the niche below. The paintings have been redated to a period four to six centuries earlier than has been previously thought. Photographic, architectural and graphical documentation, as well as testing and art historical study, were completed. These multidisciplinary efforts have begun the process of properly dating and more fully understanding the complex and its dynamic, painted architectural space that is the Red Monastery church sanctuary. ■

Endnotes

* Subproject Director: Elizabeth S. Bolman, PhD; Associate Professor, Temple University
Core Staff for the Project:
Conservators: Adriano Luzi† (2002); 2002-2003: Luigi De Cesaris, Alberto Sucato, Gianluca Tancioni, Emiliano Albanese, Emiliano Ricchi, Chiara Di Marco, Chiara Compostella, Maria Cristina Tomassetti, Photographer: Patrick Godeau
Monastic Liaison and Conservation Consultant: Father Maximous El-Anthony, Art Historians: Elizabeth Bolman, and Karel Innemée
Archaeologist and Art Historian: Hans-Georg Severin, Epigraphist: Paul Dilley

** All work is being carried out in collaboration with the Egyptian Supreme Council of Antiquities (SCA). The team is particularly grateful to Dr. Zahi Hawass, Dr. Abdallah el-Attar and Mr. Magdi el-Ghandour for their assistance. The Coptic Church is providing exceptional support and hospitality. Many thanks to Pope Shenouda III and Bishop Yohannes, and to Father Antonius and Father Wissa, as well as all of the members of the Red and White Monasteries, for their confidence in our project and for their considerable efforts on our behalf. The Coptic Church is very kindly providing the team with food in addition to a comfortable and furnished residential building adjacent to the Red Monastery church.
The success of this project would not be possible without the vision, hard work and patience of the staff of the Egyptian Antiquities Project (EAP) and the American Research Center in Egypt (ARCE). We wish in particular to thank the late Chip Vincent, Michael Jones, Janie Abdel Aziz, Gerry D. Scott III and Madame Amira. All members of the Red Monastery Project are greatly appreciative.

1 André Grabar, *Martyrium: Recherches sur le culte des reliques et l'art chrétien antique,* 2 (Paris, 1946), 225. Grabar applied this passage to the iconographic subject of the galaktotrophousa in general, and specifically to the two-zoned composition in Cell 42 at Bawit.

2 December 2002 (cf. A. Luzi and L. De Cesaris, Red Monastery-Monastery of St. Bishoi, December 2002- Cleaning Survey Mission) and March-April 2003 Campaigns.

3 These are deep-seated repairs with the following succession of layers: vegetable fibers and animal glues, gypsum, cement and gypsum.





For the cleaning, reference is made to the methods employed during the interventions carried out in December 2002 and April 2003. In short, in this case, work also commenced with the removal of the overlying varnishes (oils and resins), by alternate use of organic solvents (acetone, nitro solvent and nitro solvent with the addition of dimethylformamide in a proportion of 4:1) applied using single layers of Kleenex tissue. At the end of each varnish removal phase, the acetone was then applied using the same methods described above. It should be noted that this cleaning phase involved the figure of the saint inside the niche more than the architectural elements, which were obviously less frequently subjected to later interventions.

In specific cases, where there was the impression that waxy substances might be present, chlorinated solvents (trichloroethylene and baltane) were used. These were never used in the presence of paint layers applied using the encaustic method.

The residual oily substances overlaid were removed using a slightly basic pH polar solution (ammonium carbonate 70gr/l in distilled water). The solution was applied to the surface using single layers of Kleenex tissue, with a contact time ranging from five to eight minutes as regards the decorations on the moldings, whereas the contact time was reduced to two to three minutes on the figure of the saint within the niche.

Thanks to the data acquired, we now understand the technical and constructional characteristics of the surface. As a result, it is now possible to define the various operations required and plan the timing for future working campaigns.

Also in this area, it was proposed to use a line of intervention at substrate level involving repair by analogy of the decorative elements prepared and painted in lime-wash, using mortars treated in such a way as to show the decorative unity of the architectural elements, while at the same time allowing the restored areas to be identified immediately (Figs 57-59).



Fig. 57. Right pilaster capital before conservation. Photo: E. Ricchi.

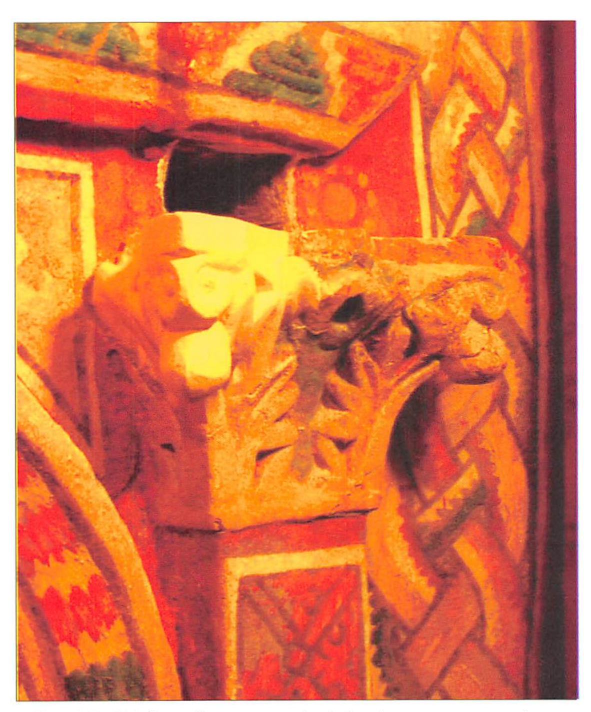


Fig. 58. Right pilaster capital during conservation. Photo: E. Ricchi.

Coptic inscriptions, thus allowing a new understanding of the iconography and style of these paintings.

Thanks to the consolidation work it has been possible to reestablish physical and static equilibrium in the renderings of the semi-dome and in that outside the arch, on the top wall.

Working in the semi-dome has allowed further investigation of the knowledge acquired during the previous missions, so that we now have a clear idea of the preparatory layers used on the limestone and baked bricks, the levels of rendering and the various phases and painting methods used.

The work carried out on the level below the semi-dome, on the third niche from the left (Figs 53-56), has allowed the decorations and paintings present in this area to be clearly related to the pictorial phases seen in the semi-dome, particularly the phase immediately below the paint layer visible today in the apse.

The state of conservation required no more than simple operations for pre-consolidation of the rendering and the paint layer, and in limited areas only.

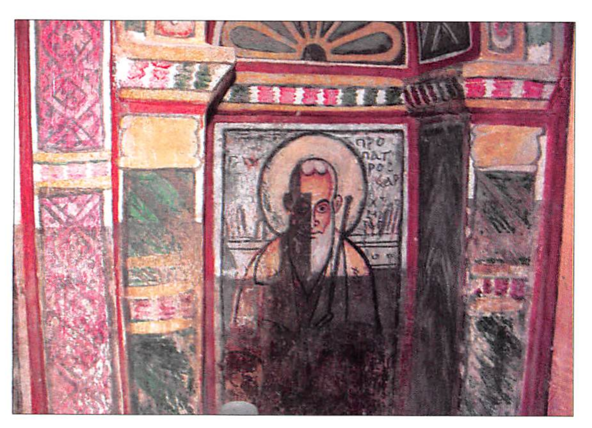


Fig. 54. Central register, third niche from left, view showing cleaning in progress. Photo: Ricchi.

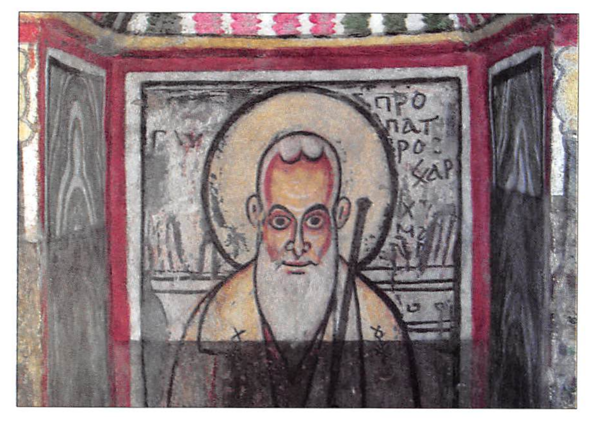


Fig. 55. Central register, third niche from left, view showing cleaning of the figure in the niche. Photo: Ricchi.

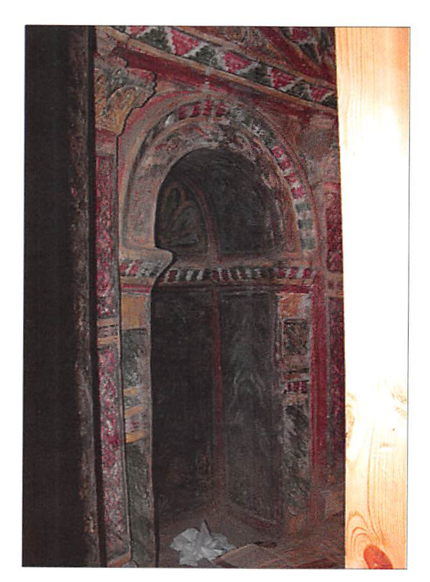


Fig. 53. Central register, third niche from left, view showing preliminary test cleaning. Photo: Ricchi.

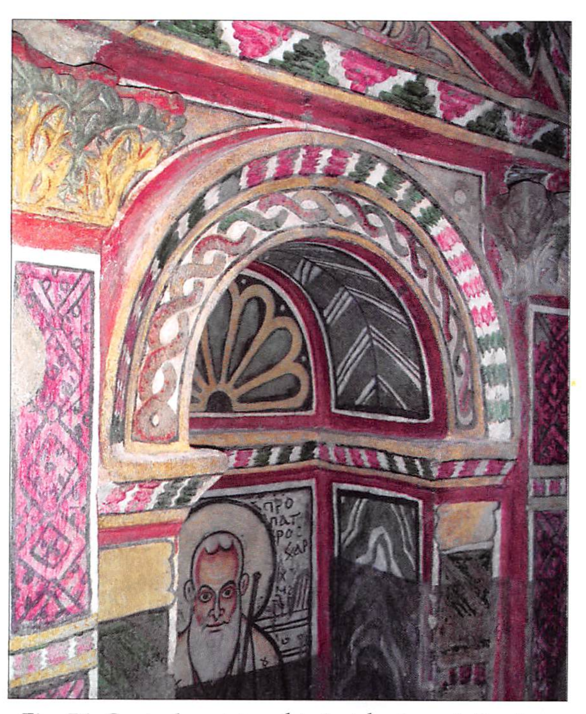


Fig. 56. Central register, third niche from left, view showing cleaned upper sections at the end of the season. Photo: Ricchi.





Fig. 49. Removal of all superimposed substances, with the exception of one small square to show the existing conditions before conservation. Photo: Ricchi.

The aesthetic presentation was aimed at clarifying an understanding of the visible paint layers. For this reason, the losses in the paint layer were treated by lowering the tone, so as to give the painting legibility and coherence without any invasive operation either in terms of the drawing or of the original color. This reintegration method is inspired by an attempt to match the particular tone of original patina that can be seen in the older losses (Figs 50-52).

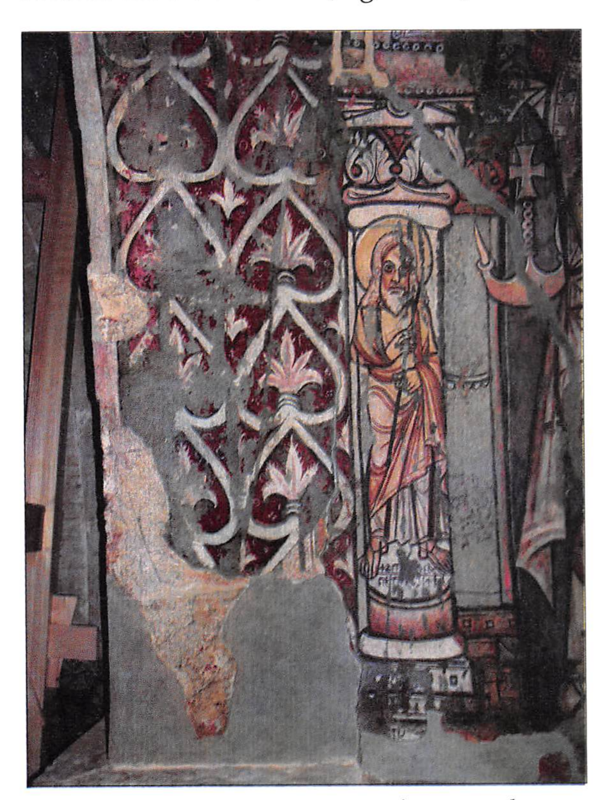


Fig. 50. Treatment of losses. Photo: Ricchi.

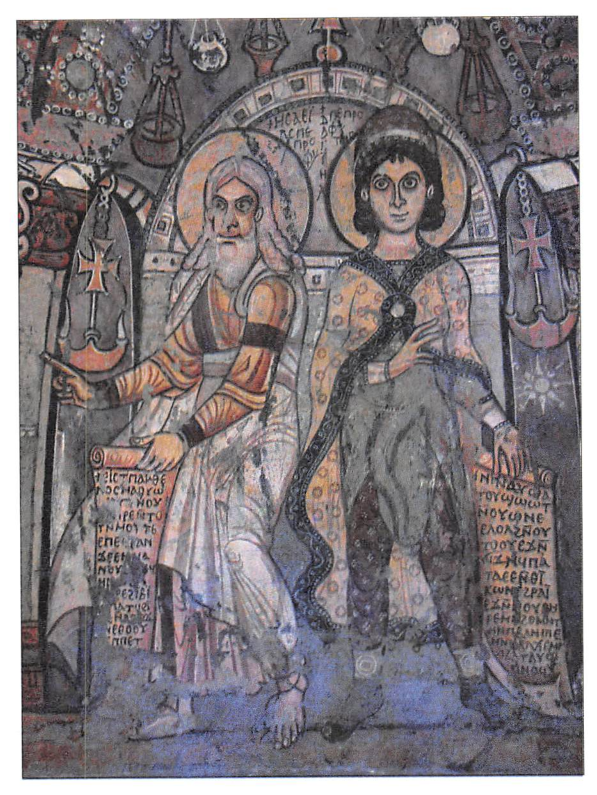


Fig. 51. Treatment of losses. Photo: Ricchi.



Fig. 52. Treatment of losses. Photo: E. Ricchi.

Remarks

The operations carried out in the semi-dome have made it easier to read the drawing, modeling, colors and also the

B72). The fragments were repositioned using a fluid mortar (Figs 41 and 45).

The areas of rendering that were lacking in adhesion were consolidated by infiltration of suitable mortars. In some cases, it was considered advisable to create initial anchor points using circumscribed infiltrations of acrylic resin in 35% emulsion (Acryl 33).

As regards cleaning of the paint layer, methods and materials have been consistently used, beginning in the December 2002 test cleanings and during the subsequent periods of work. The cleaning method perfected during these missions has been found to be particularly easy to use and safe on these types of materials, reducing mechanical stress in the painted surface (suction with organic solvents and solubilization of overlaid substances using compresses). In short, the work proceeded as follows: removal of overlying varnishes (oil and resins) by alternate use of solvents (acetone, nitro solvent, nitro solvent with the addition of dimethylformamide 4:1) applied on single layers of kleenex paper tissue until evaporation. At the end of each solvent application, the acetone was then applied in the same way (Figs 46-47). In certain specific cases, in the presence of waxy substances, it was necessary to use chlorinated solvents (trichloroethylene, baltane), heated in a water bath to a temperature of approximately 45°C. These solvents were never used in the presence of a paint layer containing a wax binder (encaustic). The residual oily substances overlaid and overpaintings (Fig. 48) were removed using a controlled pH polar solution, slightly basic (ammonium carbonate 70gr/l in distilled water). The overpainting operation on all the black outlines was removed wherever it was possible to recover the original lines below them, or an imprint of those lines. Wherever losses were found the intensity of the repainted lines was reduced. The solution was applied to the surface using a number of single layers of Kleenex paper tissue with a contact time ranging from five to eight minutes. This was followed by removal of the carbon deposits, oily residues, thin films of salt efflorescence, using a slightly basic polar solution (10 drops of ammonia to 1 liter of distilled water) applied on single layers of Kleenex paper tissue, proceeding by small areas. The thicker layers of salt efflorescence and the overlaid mortars from previous repairs were removed mechanically using a scalpel (Fig. 49).



Fig. 46. Uncleaned square showing the pre-conservation brown, shiny surface with varnishes and oil-resinous substances. Photo: Ricchi.



Fig. 47. Three-quarters of the varnish and oil-resinous substances removed with solvents, showing carbon deposits, oily residues and thin layers of salt efflorescence. Photo: Ricchi.

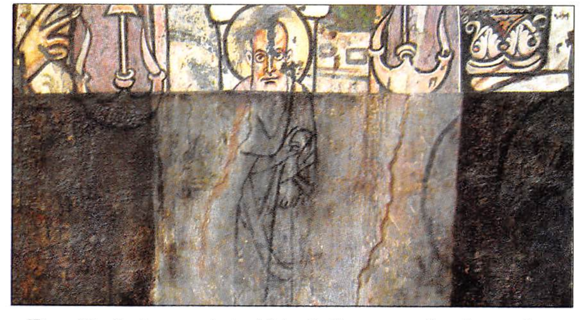


Fig. 48. Late repainted black lines, made clear after removal of varnishes with solvents. Photo: E. Ricchi.





Fig. 43. Area fixed with strips of Japanese paper attached to the surface with a solution of acrylic resin. Photo: E. Ricchi.

Consolidation was carried out by infiltration of fluid mortars made up of materials similar to the composition of the original rendering. In some cases, it was necessary to anchor the margins of the original rendering with circumscribed infiltrations of acrylic resin in 35% emulsion (Acryl 33) and to fix certain areas with small strips of Japanese paper attached to the surface with acrylic resin in 15% acetone solution (Paraloid B72) (Fig. 43). Wherever necessary to prevent leakage of the fluid mortar or provide additional, immediate support to the detached areas, filling was carried out around the edging of the rendering, using mortars of a similar composition and appearance to the original ones. All exposed levels of the palimpsest were left in view. The cracks and losses of rendering, in the cases where no underlying palimpsest appeared, were leveled up with a filling, using mortars of a similar composition and appearance to the original ones, but with a slightly less compact consistency (Fig. 44).

Some fragments of rendering, which had been badly positioned during the previous restoration, were repositioned to follow the original palimpsest. During this operation, the parts were protected with a sheet of Japanese paper, in some cases doubled-up with a veil of cotton gauze, fixed with acrylic resin in 15% acetone solution (Paraloid

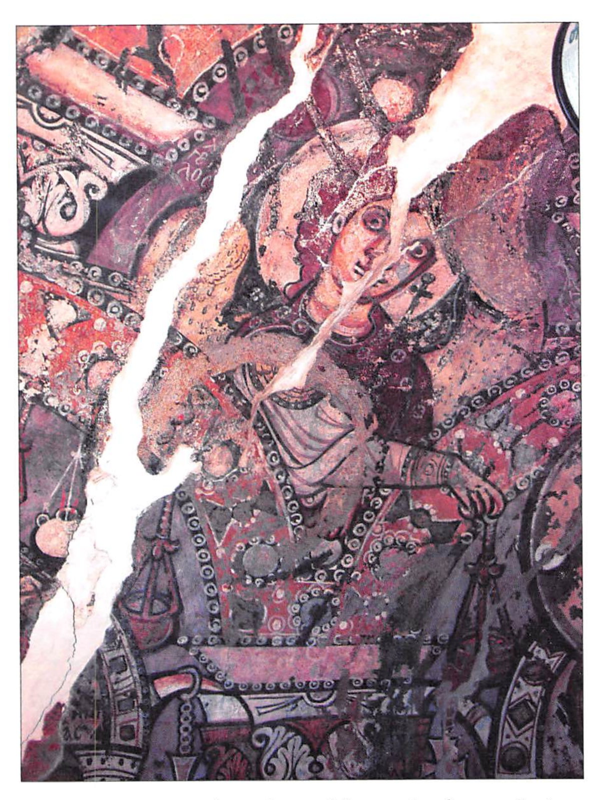


Fig. 44. Fillings of cracks and losses in the rendering (plaster layer). Photo: E. Ricchi.



Fig. 45. The previously misplaced fragment with the foot of Ezekiel is now in its proper position (lower left; compare with Fig. 41); note also the square of uncleaned painting in the center right, showing the condition of the paintings prior to conservation. Photo: Ricchi.



Fig. 41. Fragment of rendering (painted plaster) showing a foot, incorrectly placed by a previous conservation team. Photo: E. Ricchi.

The area with the cracking and with the greatest imbalance corresponds with extensive detachments of the layers of rendering from the masonry support.

The paint layer likewise shows various states of conservation, which can be attributed to a number of factors:

A. Technical Characteristics and Construction of the Materials Used

The paint layer that is currently visible has a series of losses corresponding with certain pigments and binders used in the underlying paint layer which, due to their own constitutive characteristics, have in the long-term discouraged adhesion of the overlying layer. In particular, adhesion is compromised in the areas where there is a presence of yellow pigment (lower area of the Madonna's throne, nimbus emerging from under the archangels, Salome and Joseph) and of pigments applied with wax as a paint medium (encaustic), such as the green pigment used to paint parallel lines that bring to mind drapery. It should be noted that in the opposite semi-dome, during cleaning tests, four trees with fruit, wax painted using a green pigment, were identified as belonging to the same earlier level.

The characteristics of the wax used for binding are also responsible for the poor state of conservation of the finishing elements on the paint layer that is currently visible.

B. Natural Factors

Infiltration of water through the cracks has produced various areas of salt efflorescence on the painted surface, some of which are of considerable thickness (1-2 mm). These are presumably salts such as carbonates, sulphates and chlorides. There are also a number of wasps' nests, with the characteristic layers of mud and organic secretions superimposed on the painting. A considerable portion of lost paint layer can be attributed to the static imbalance mentioned above.

C. Maintenance Factors due to Previous Restorations

The painted surface is covered by a thick layer of highly oxidised, oil-resinous varnish. Under this layer of varnish are various areas of red-brown or more infrequently grey-green old retouchings in correspondence with the repairs, but also often directly over the paint layers, to hide the presence of losses or the reappearance of underlying layers in the palimpsest. Over the varnish, there has been a rough and methodical recopying of the black contours in the painting. During removal of the varnish, an old layer of dirt emerged, essentially made up of carbon deposits, and a general blanching of the surfaces around the cracks, which can be associated with clumsy attempts to repair the losses.

Conservation Treatment

Removal of fillings was carried out mechanically (Fig. 42).



Fig. 42. Old repairs with vegetable fiber, animal glue and gypsum and cement fillings. Photo: Ricchi.





Fig. 37. Uppermost paint layer on whitewash, decorations made with white pigment. Photo: Ricchi.

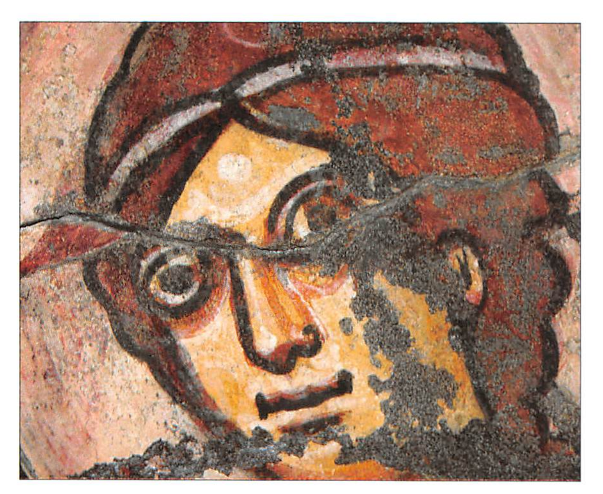


Fig. 38. Uppermost paint layer on whitewash, showing facial highlights of white pigment. Photo: Ricchi.

State of Conservation

The area taken into consideration during these operations (the semi-dome, including the shell) shows a different state of conservation, both as regards the masonry itself and as regards the paint layers. In the left-hand half of the semi-dome and in the area surrounding the shell, there is a considerable concentration of cracks and fractures running in an oblique line from the base of the semi-dome up to the central shell. One crack separates the thickness of the limestone block arch from the rest of the structure in baked bricks (Fig. 39). This static imbalance means that the surfaces with painted renderings are now no longer on the same plane (Fig. 40).

The area involved by this imbalance has been subjected to various maintenance operations over the years: some fragments of rendering have been replaced at random, in incorrect areas and at times rotated (Fig. 41); the cracks and fractures have been filled in with mortars of various compositions, sometimes incorporating fragments of painted rendering and frequently overlapping some way onto the painted surface. During preceding operations, filling was carried out using various materials: it is basically possible to identify initial in-depth repairs with hemp fibers and animal glue, sometimes with the addition of gypsum-based mortar, followed by filling with a cement-based mortar and finally filling with a gypsum-based mortar.



Fig. 39. Crack separating the limestone arch from the rest of the baked brick structure. Photo: Ricchi.



Fig. 40. Areas of painted renderings (paint on plaster layers) showing static imbalance (no longer co-planar). Photo: Ricchi.

is then redrawn, and in some cases slightly adjusted and corrected, using a black line of irregular thickness that systematically follows the outlines of architectural elements and figures, the edges of objects and physiognomic elements (Fig. 34). This line is also used to create the Coptic inscriptions (Fig. 35), when these are not painted in white (Fig. 36). Simultaneously, the painter also uses a pale pigment to create various decorations (Fig. 37) and highlights on faces (Fig. 38), on draperies and on anatomical elements. The finishing phase involves the use of pigments applied with wax as a binder *encaustic*, as can be seen in the inner bands of the Madonna's cushion, in the shadows on the child's clothes, on the throne, on the columns, on Daniel's clothing and in the backgrounds behind the four prophets. The pigments applied with wax medium are present in the last two layers of the palimpsest, but they differ from each other: the green pigment used in the older paint layer has a darker, cooler dominating tone than the green pigment used in the final layer.

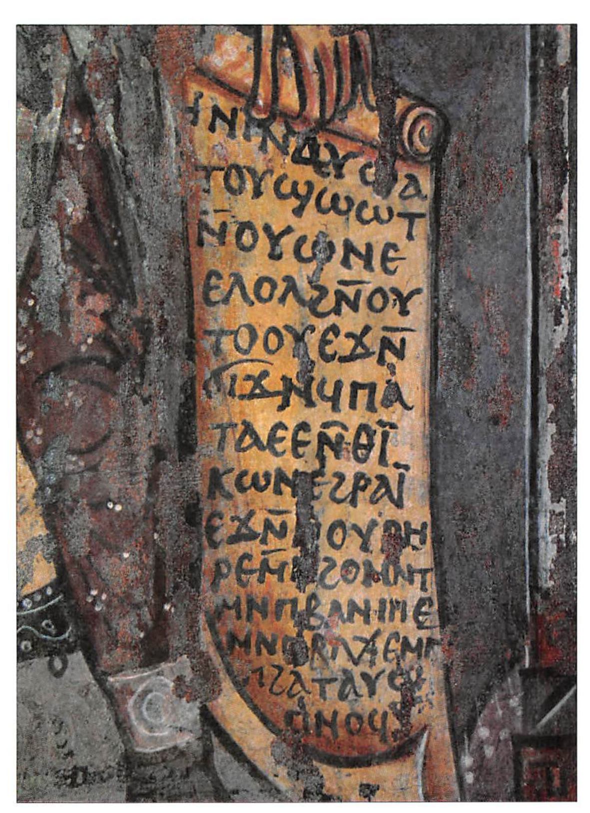


Fig. 35. Uppermost paint layer on whitewash, Coptic inscription using black letters. Photo: Ricchi.

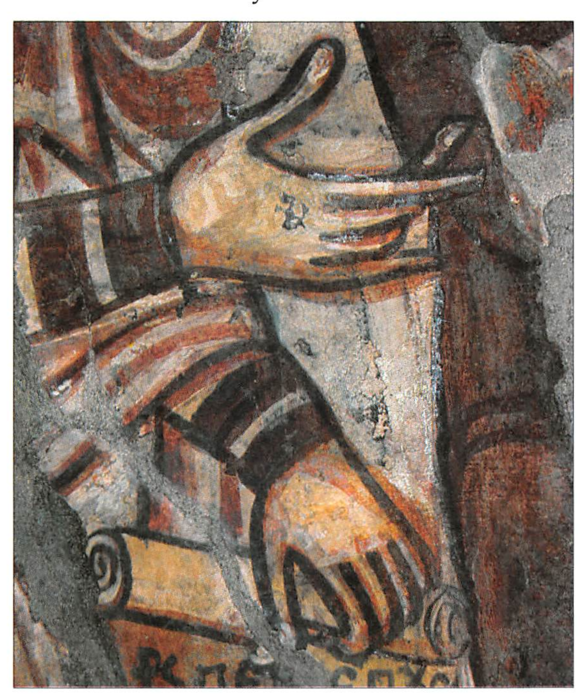


Fig. 34. Uppermost paint layer on whitewash showing composition created with black lines. Photo: Ricchi.



Fig. 36. Uppermost paint layer on whitewash, Coptic inscription using white letters. Photo: Ricchi.



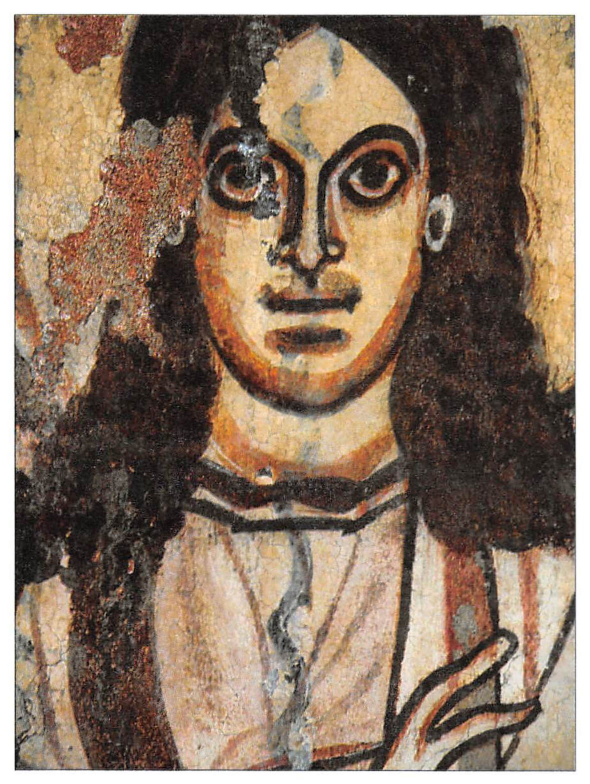


Fig. 31. Paint on second layer of rendering, sinuous black line marking the column axis. Photo: Ricchi.

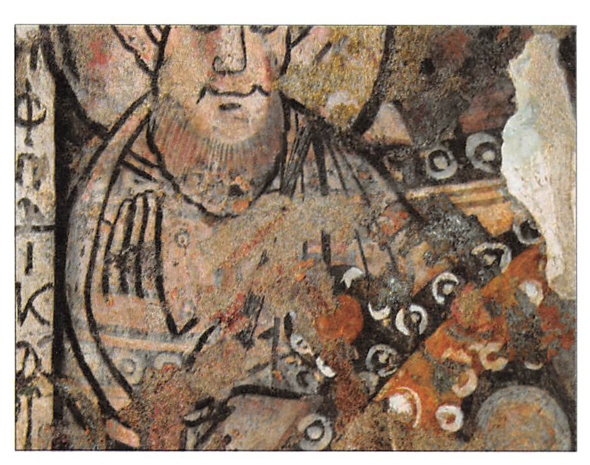


Fig. 32. Paint layer on whitewash, Joseph created after (on top of) the architecture, which shows through (e.g., his hand). Photo: Ricchi.

The characteristics of this type of painting provide the artist with an additional resource, in terms of the ability to change the figurative composition during its execution. An example of this can be found in correspondence with the left-hand part of the cushion in the Virgin Mary Galaktotrophousa: the area appears to have been painted, initially, with a decorative motif of crosses surrounded by circles (perhaps as a decoration of the throne or of a fabric); this application was later covered by the paint layer representing the cushion, which can be seen today (Fig. 33).

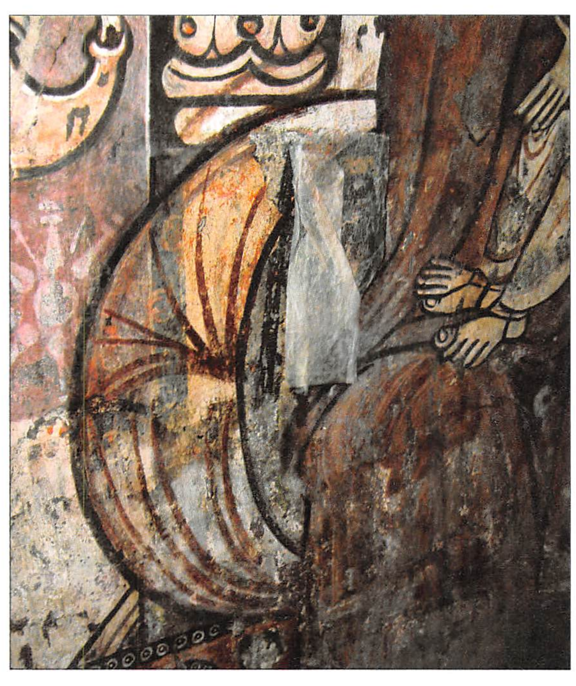


Fig. 33. Paint layer on whitewash, seen on the Virgin's cushion, which shows an underlying cross-in-circle design when the painting is dampened. Photo: Ricchi.

The execution of the painting can be reconstructed as follows. Some pigments are applied in even, restrained ground tones: white, some yellows (Daniel's vestments, background of the scrolls), the violet colored ground tone, the ocher of the architectural elements and the red earth of the capitals and bases of columns. The draperies and flesh tones, which vary from an extremely pale dominant to a more ocher colored one, are likewise created using a covering color, to which a series of fluid, transparent glazes are later applied to define shading and three-dimensional constructional elements. At this point, the painter completes definition of the shading on flesh and drapery using drawing elements, such as stronger lines in a less transparent color, with a thickness that varies from 0.5 to 1.5cm. The composition

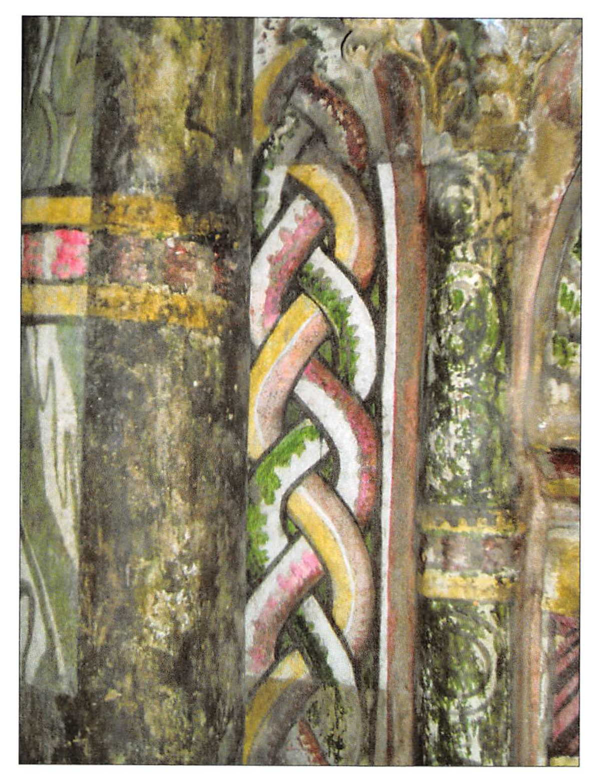


Fig. 29. Niche, central zone, north lobe. Photo: Ricchi.

On top of this paint layer is another phase in the decoration: in this case, the artist has not considered it necessary to lay a fresh layer of rendering, but has counted on the properties of a special whitewash, used as a covering directly over the pre-existing paint layer. This layer, which shows the characteristic *cracquelure* typical of an organic binder, has been applied over the whole surface, with a thickness that varies between 0.5 and 1.5mm (Fig. 30).

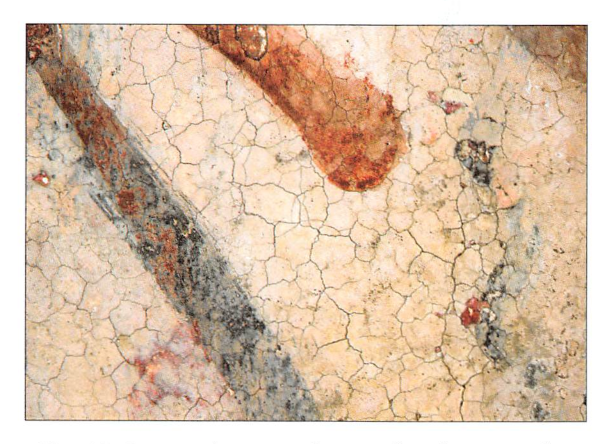


Fig. 30. Cracquelure on whitewash. Photo: Ricchi.

No systematic method of transposing the drawing of architectural dimensions into the painted areas can be observed, nor is there any trace of a preparatory drawing for the figures. The painter presumably used a delicate, preparatory drawing, painted using the same colors that were to be used in the painting itself. It is reasonable to suppose that the painter, making use of the covering properties of the whitewash, may have built up the image in a series of overlapping layers, rather than creating the whole composition, systematically and from the very beginning, on the basis of a precise, preparatory drawing. It seems likely that the painter went ahead with the architectural spaces during an initial application, which was then completed subsequently by insertion of the figures. This method is particularly evident in the case of the painted columns: these are completed down to finishing operations with application of the black contours, and it is only at this point that the figures of the saints and prophets are positioned on the painted surface. What is more, at the center of each column, it is possible to glimpse a sinuous, black line under the figures of the saints, marking the axis of the column. This line might have had a decorative function, or it might have served as an indication for positioning of the figures themselves (Fig. 31). A pictorial method of this type is based on an awareness of the fact that areas already completed, present underneath the saints, will not emerge in transparency because of the coverage given by the whitewash and the paintwork itself. A similar method of operation is also found in correspondence with the figures of Salome and Joseph, originally not foreseen by the painter and only added at a later date over the completely finished architectural structure (Fig. 32).

belonging to the subsequent paint layer (Fig. 28). This pictorial phase certainly also includes the decoration visible today in the architectural area below the semi-dome (Fig. 29), involving evident use of pigments applied with wax as a binding medium, in particular an extremely bright green and pink. In this case, the specific characteristics of the wax paint layer, brightness and richness, prove particularly suited to the type of pictorial decoration with fake marbles and inlaid motifs.

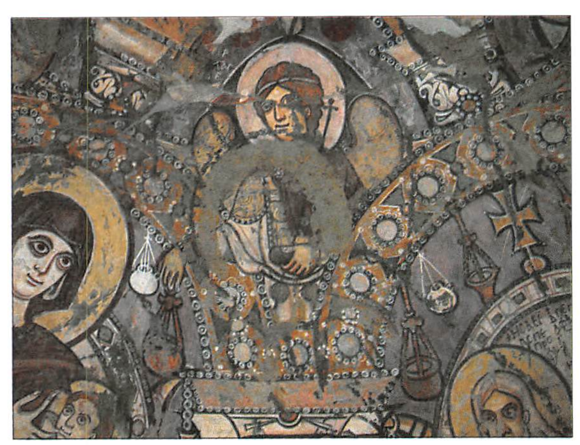


Fig. 26. Loss over the bust of the archangel Gabriel, showing presence of a painted halo in the underlying level. Photo: Ricchi.



Fig. 24. Paint on second layer, with green wax tones. Photo: Ricchi.

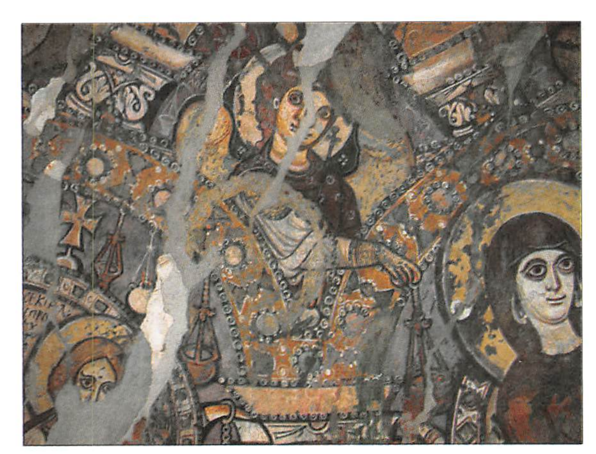


Fig. 27. Paint layer on second level of rendering, with parallel black lines across the angel's head, perhaps originally wings. Photo: Ricchi.



Fig. 25. Paint on second layer of rendering, black ground tone decorated with white concentric lines. Photo: Ricchi.

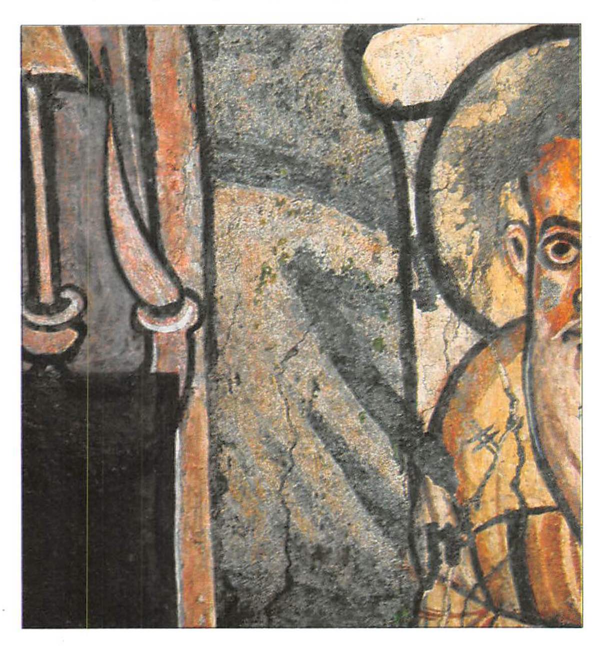


Fig. 28. Paint layer, second layer of rendering, with a large hand showing through the later layer. Photo: Ricchi.



Fig. 19. First phase of decoration, on limestone. Photo: Ricchi.



Fig. 20. First phase of decoration, on limestone. Photo: Ricchi.

At the points in which it is visible through losses in the overlying layer, the white rendering in various parts of the upper semi-dome shows the presence of blue pigment, perhaps representing the sky (Fig. 22); certain areas colored red; and, in the central area, a face partially in view (Fig. 23).

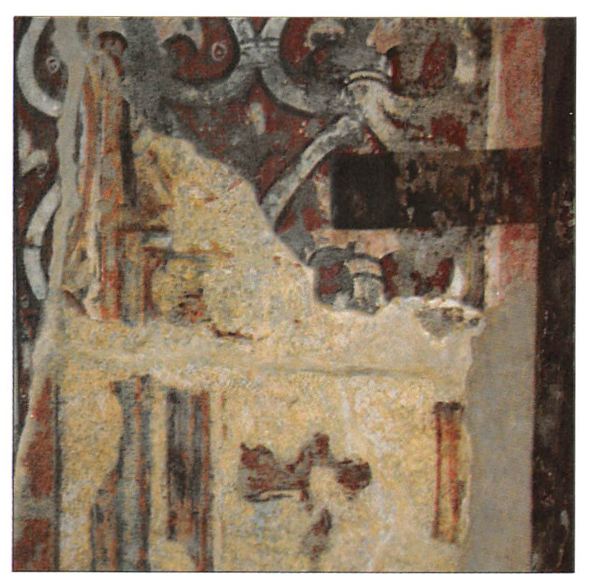


Fig. 21. First phase of decoration, on limestone. Photo: Ricchi.



Fig. 22. First layer of rendering (plaster), with traces of polychromy. Photo: Ricchi.

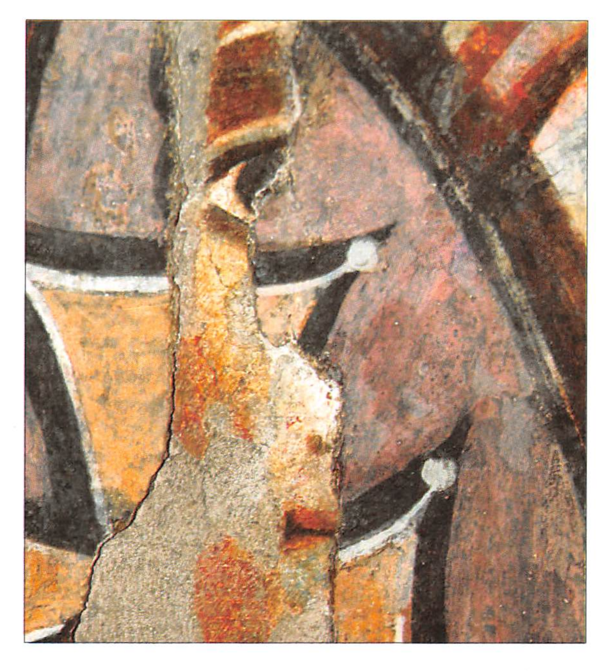


Fig. 23. First layer of painted rendering (plaster) seen in an area of loss in the overlying rendering. The first layer shows a face. Photo: Ricchi.

The original painting on the grey rendering (plaster preparation) is currently covered by a later paint layer, and can thus be seen only through the losses in the latter. In the semi-dome area, this first pictorial phase is represented by vast areas of green wax painted (Fig. 24) and black ground tones, sometimes decorated with thin, concentric white lines (Fig. 25); fragments of red; five yellow haloes (Fig. 26); a number of parallel black lines that bring to mind wings (Fig. 27) and a hand of considerable size, which emerges from beneath the column to the left of the monk



Finishing of Architectural Structures

The surface of the limestone blocks is treated with a very thin (1-2mm), smooth, painted finishing, which is white with a slight ocher element (Fig. 17).

During the work, a finishing level was identified on the red bricks of the semi-dome: this is a grey layer, presumably comprising a clay base with the addition of vegetable fibers, which is evenly applied to the bricks and junction mortar. This layer, which is approximately 2-3mm thick, fills in and levels any unevenness in the surface.

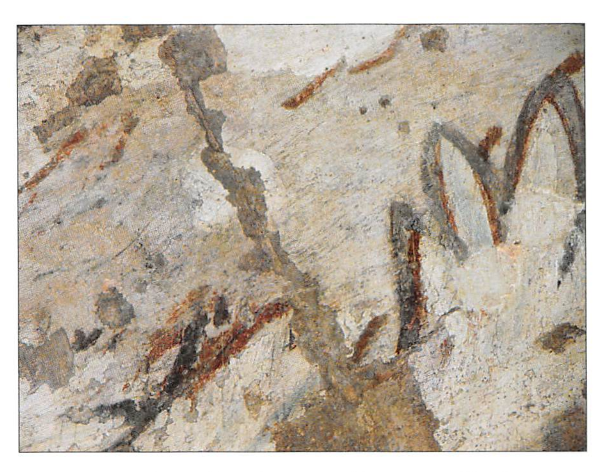


Fig. 17. Finishing layer on limestone blocks. Photo: Ricchi.



Fig. 18. Black line, inner perimeter of limestone arch, framing area with a red ground tone. Same phase as the early red layer. Photo: E. Ricchi.

Above this level is a layer of bright red pigment, with a warmer, brighter dominant tone than the red of the bricks, which is evenly applied over the whole surface and has a thickness of approximately 1-1.5mm. This layer, which likely gave a uniform color to the semi-dome, might be interpreted either as a red finishing destined by the maker to remain in view, either temporarily or permanently, or as a method of preparing the brickwork for the painted rendering.

It is interesting to note that, along the inner perimeter of the limestone arch, there is a black line approximately 6mm thick, surrounding an area with a red ground tone, probably connected to the red ground tone of the bricks (Fig. 18).

Palimpsest Renderings (Preparatory Plaster Layers)

Over the red brick structure, it is possible to see a pale colored rendering, with a slightly ocher tint, incorporating vegetable elements (straw) and small fragments of baked brick. This rendering can be divided into two distinct phases: the layer in contact with the surface of the bricks has a composition richer in vegetable elements, containing larger fillers than the surface layer which, having a finer texture, is more easily workable. The first layer, which is used to fill in any irregularities in the surface, is of uneven thickness; the second layer, on the contrary, has a regular thickness of 2-3mm.

Over the white rendering, it is possible to note a further layer of grey colored rendering, with dark colored fillers, approximately 1cm thick. The surface of this level is slightly less smooth than that of the level below, due to the rather coarser granulation of the components used in the mortar.

Paint Layer

The limestone preparation layer is painted with decorative figures: architectural partitions and plant elements (Figs 19-21).

carry open scrolls on which are written in Coptic (Sahidic dialect) passages from their prophecies: Ezekiel 34:10, Jeremiah 38:4, Isaiah 7:14 and Daniel 2:34. These selections from the Old Testament are understood to make reference to the incarnation of Christ, and perhaps also to the act of nursing. For example, the passage from Isaiah 7:14 reads: Behold, a young woman shall conceive and bear a son, and shall call his name Immanuel. This text has been associated with one of the paintings of the *galaktotrophousa* found at Bawit.[1] Additionally, Bolman has identified numerous parallels between these paintings and those at Bawit and Saqqara, leading to her redating of the painting in the north semi-dome to circa the eighth century. Van Moorsel's dating of this painting was early fourteenth century. Full study of this material will require both additional work by Dilley, and also considerable additional research by Bolman.

VIII. Technical Conservation Report

During the work carried out in fall 2003, the operations relating to conservation of the north semi-dome of the apse were completed, confirming the methods of operation perfected during previous campaigns.[2] In this phase, the delicate question of removal of the old mortar repairs[3] that are not structurally compatible with the original ones was dealt with. These repairs were mainly concentrated in the left-hand area of the semi-dome, in correspondence with the figures of the prophets Ezekiel and Jeremiah (?), and in the area surrounding the shell, where static impairment has gradually produced a series of cracks and fractures. The operations for repair of the renderings (preliminary plaster layers) have made it possible to restore the static equilibrium of the original mortars and, at the same time, to give a clear reading of the various levels forming the palimpsest.

During the campaign, a conservation treatment regarding the decorated architectural areas in the level beneath the semi-dome was also begun. The operation of conservation involved the third niche from the left, where the aim was to reach a final effect coherent with and similar to the results already achieved in the area above.

Techniques of Execution: Architectural Structure

The structure of the north apse is made of blocks of white limestone, presumably extracted from local quarries, with curtain walls in red colored baked bricks. The limestone is worked in ashlars, set together with extremely precise, fine joints (1-1.5mm) and joined to each other with a junction mortar. The ashlars, in the visible parts, show a diagonal chiseling, made by a *marteline*. When viewed in raking light, an irregular conchoidal working pattern can be seen, typical of the type of tool used (Fig. 16). The half shell in the semi-dome, adjacent to the arch of the vault, is also made of limestone.

The dome and certain of the internal curtain walls of the apse are made of baked bricks, with an approximate size of 19 x 9 x 11cm, arranged lengthways perpendicularly to the axis of the semi-dome. The bricks are deep Indian red in color, with a dark dominant tone, and contain fillers of various types. They are compact but friable in consistency. The bedding mortar used for the bricks, which are set at a distance of approximately 1-1.5cm from each other, is grey in color with irregularly sized fillers, and is relatively friable.



Fig. 16. Limestone with chisel marks. Photo: Ricchi.





Fig. 12. North semi-dome, detail, upper left showing Joseph (at far left), after conservation. Photo: Bolman.



Fig. 13. North semi-dome, detail, upper right showing Salome (at far right), after conservation. Photo: Bolman.



Fig. 14. North semi-dome, left side, after conservation. Uncleaned square visible in center right of photograph, showing the condition of the paintings before conservation. Photo: Ricchi.



Fig. 15. North semi-dome, right side, after conservation. Photo: Ricchi.

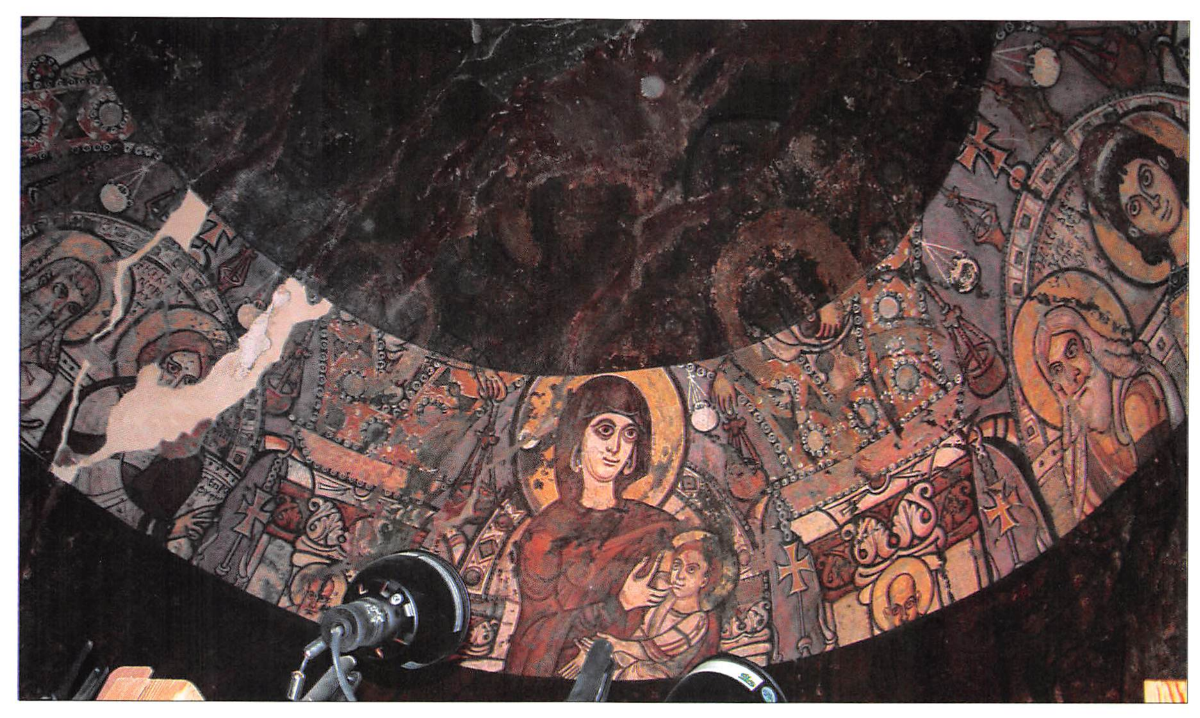


Fig. 8. North semi-dome, showing cleaned band of paintings, after the March-April 2003 period of work. Photo: Bolman.

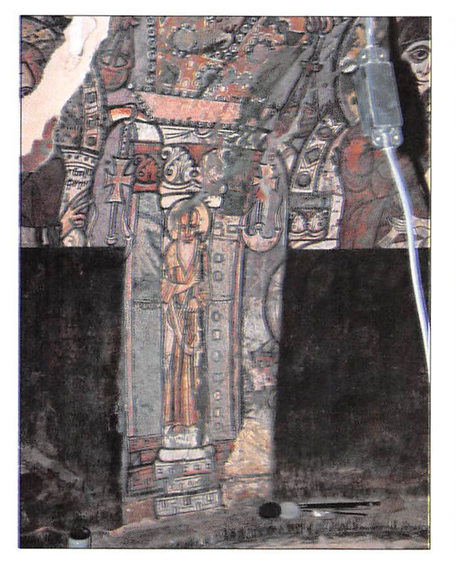


Fig. 9. Cleaning in progress, north semi-dome, showing saint (possibly Shenoute?) to the left of the Virgin Mary. Photo: Bolman.



Fig. 10. The Virgin Mary Galaktotrophousa, with Saints and Prophets, at the end of the October-November 2003 campaign. Uncleaned square visible at left. Photo: Ricchi.



Fig. 11. Eastern apse, decorative border, showing two layers of painted plaster. Photo: Ricchi.



conservators all worked exclusively in this area. They completed work on a horizontal band that showed the faces and busts of the four major prophets and the Virgin Mary (Figs 1, 8).

During the October-November 2003 campaign, the entire semi-dome, including the wide painted arch fronting this apse, was cleaned and conserved. The majority of the team worked here for the whole mission (Figs 2, 9). Two small rectangles were left untouched to illustrate the pre-conservation state of the paintings. One is to the left of the Virgin Mary (Fig. 10), and the second is at the eastern edge of the wide arch (Fig. 15).

Additionally, segments of the arched border on the wall around the easternmost semi-dome were attached securely to the wall surface. During the March-April 2003 campaign, it was noted that sections of painted plaster in this area had been lost, and others were at risk of falling down; so the remaining sections were temporarily secured with rice paper. At the beginning of the October-November 2003 campaign, Albanese took on the challenging job of attaching these without causing additional damage. After this was finished, a segment of this decorative border was cleaned, revealing a lower layer of painted plaster (Fig. 11). This shows the first phase of painting in the Red Monastery church.

Figure eleven illustrates two of the principal phases of painting. The earliest phase is shown at the lower right side of the arch. Plant motifs are rendered in a loose style, with little use of pigment. The colors are yellow, blue-gray and brick red. It is at this point not clear if the later layer, with a dense application of pigment covering the entire plaster surface, belongs to the final phase of painting (contemporary with the Virgin Mary in the north semi-dome), or an earlier one. The evidence for layers is explained in detail below in the 'Technical Conservation Report' (section VIII), by De Cesaris and assistants.

B. Preliminary Art Historical Conclusions

Now that the semi-dome is fully cleaned, it is possible to read the inscriptions identifying most of the figures in the composition. At the upper left is Joseph (Fig. 12), and across from him at the upper right is Salome (Fig. 13), whom we know from apocryphal gospels is a midwife brought by Joseph to attend the birth of Christ. Still in the upper section, the identity of the angel at the left can only be guessed at, but that at the right is clearly indicated as Gabriel. Michael is usually paired with Gabriel, and may well be in this composition.

Of the four figures standing in front of pillars, as visual expressions of the traditional description of saints as the pillars of the church, we know the identity of two securely and of the other two less so. Dilley has established these identities, and his more complete report is appended at the end of this one. At the far left (Fig. 14) is a holy man, Apa Elias. Bolman at first thought that the column saint to our left of the Virgin Mary was St. Peter (Fig. 14), because of the clearly named St. Paul on the other side of the Virgin (Fig. 15), with whom Peter is commonly paired, and the figure's white-bearded face. However, Innemée commented on the anchoretic dress, and asserted that despite the fact that the inscription is largely illegible and also inconsistent with his attribution, this figure is St. Shenoute. Paul Dilley's examination of this partially preserved text has shown that it is not Shenute, but in fact is Pachomius (Pachom), another major monastic founder. To the far right, after St. Paul, is a figure named Moses, likely not the biblical figure, due to the title 'propatros', but more probably the monastic leader of the Red Monastery community at the time the paintings were made (Fig. 15).

Dilley has identified the four large-scale standing prophets and the passages on their open scrolls. From left to right they are: Ezekiel, Jeremiah, Isaiah and Daniel. They

included only partial painting, and the application of pigment was much more complete in the second phase.

The second phase, that now visible in the niches and on the columns of the middle register, includes iconographic motifs and color schemes consistent with Coptic paintings that are generally dated to the sixth or seventh century, such as those found in the monastic cells at Bawit and Saqqara. We are, therefore, dating the two phases in these lower zones as follows: first phase, fifth century, when the church was presumably built; and second phase, sixth or seventh century.

Work on the third niche from the left revealed a point of major interest. This is the existence of deep, rectangular gaps located between the tops of the pilaster capitals and the lower edge of the pediments, in all of the niches of the central zone (Fig. 7). These holes date to the first period of decoration, and were later filled with mud (as used in brick making) and covered with painted plaster. In the eastern lobe, this plaster covering survives intact with what we now believe are second phase paintings on top.

The gaps do not exist in the lower zone of niches; and, even more interesting, the empty spaces in the architectural ensembles of the middle register are not visible from the floor. This point prompted Bolman to propose that the intention for leaving the space was an aesthetic one, to make the pediments of the middle zone seem to rest lightly and, from a visual point of view, correctly on their capitals. The project architect Michelangelo Lupo proposed that these were the physical remains of a scaffolding that had been built into the walls. The conservators, and later Innemée, expressed the opinion that the spaces were designed for protruding wooden supports from which lamps would have been suspended. Innemée has observed similar, regularly spaced holes in the walls of the Church of the Virgin Mary in the Syrian

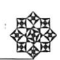

Fig. 7. Third niche from the left, north lobe, showing an opening above the pilaster capital. Photo: E. Ricchi.

Monastery, some of which have remnants of wood in them. Peter Grossmann, while visiting the site, reiterated Lupo's proposal to account for the holes. Several members of the team agreed that the gaps could have had multiple functions, first as part of the scaffolding and then as lamp supports and aesthetic devices to maintain an illusion of lightness and correct placement for the pediments. All noted that the uppermost layer of painting in the north semi-dome shows architecture with extensions from which are suspended lamps. Any physical lamps hanging from protrusions in the lower levels would have been echoed in the semi-dome by the painted lamps.

VII. North Lobe, Semi-Dome

A. Areas Conserved

Cleaning and conservation of the north lobe semi-dome was begun first in December 2002 by Luzi, with a test cleaning of the Virgin Mary's face (Fig. 3). During the emergency campaign of March-April 2003, Luzi, De Cesaris and three assistant



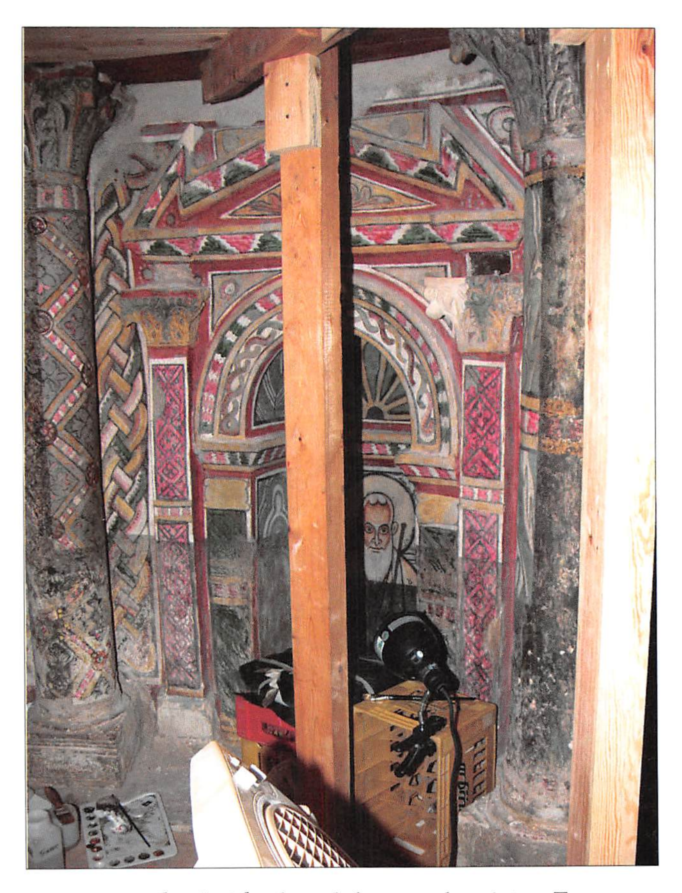


Fig. 5. Third niche from left, central register. Two-thirds cleaned; status at the end of the October – November 2003 campaign. Photo: Bolman.

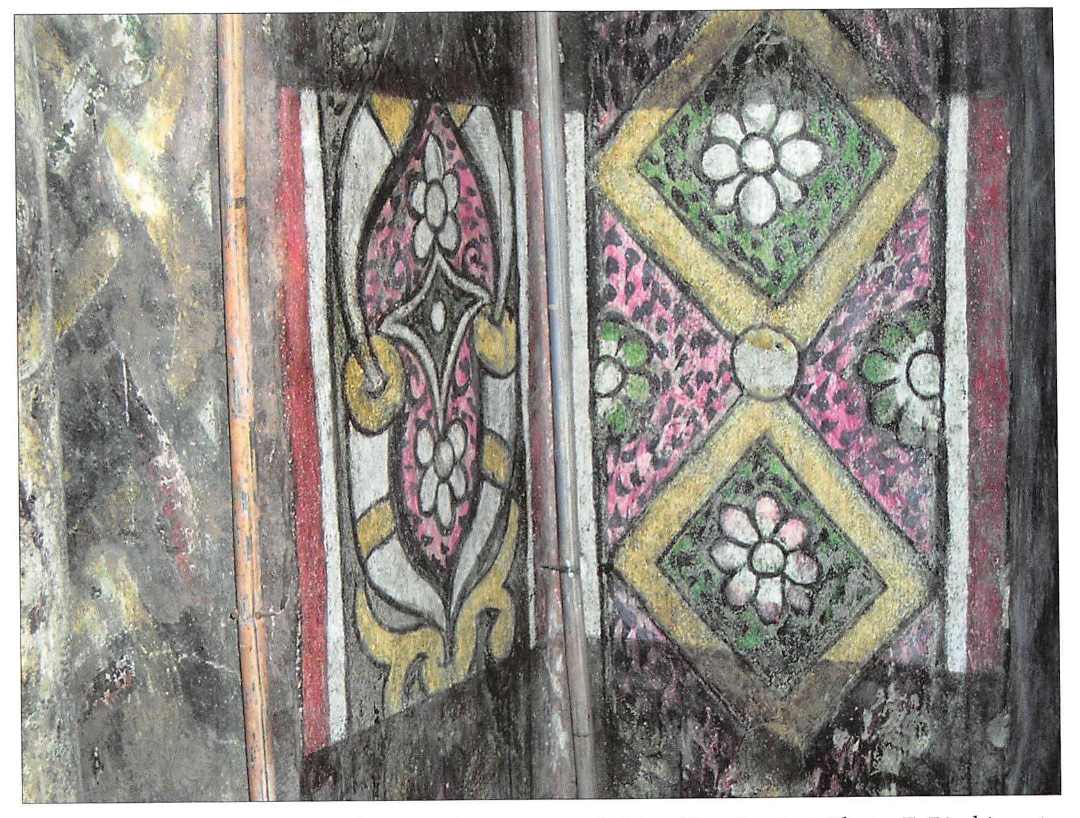


Fig. 6. Far eastern end of the central register, north lobe. Cleaning test. Photo: E. Ricchi.



Fig. 4. South semi-dome, with test cleaning showing at left. Photo: Bolman.

smaller standing saints, with the adjacent decorative border (south semi-dome; Fig. 4). The east semi-dome does not have well preserved paint layers, and so it was not chosen for the test cleanings. They identified three pictorial layers, at least, from these first small tests. A fourth layer was later discovered during the intensive work on the north semi-dome in October-November 2003.

VI. North Lobe, Central Register

A. Areas Conserved

After completion of the tests, the areas selected for cleaning and conservation for this campaign were in the north lobe, including the central or second register of architecture supporting the semi-dome and the semi-dome itself (see the frontispiece for an architectural reconstruction). In the middle register, one principal area was chosen for cleaning and conservation, supplemented by several small test areas. Alberto Sucato worked on the third niche from the left, and was at times assisted by Maria Christina Tomassetti. The upper two-thirds of this niche were cleaned and conserved in the course of this campaign (Fig. 5).

Several other small sections in the general area were also chosen for cleaning and conservation (Fig. 6). Some of these are on pilasters and columns, and one is a small area of drapery of the bust-length figure located within the second niche from the left.

B. Preliminary Art Historical Conclusions

Work on the middle register revealed several points of interest. There seems to have been only two principal phases of painting in this zone, and presumably also that of the two registers of niches elsewhere in the church. The first phase most likely



III. Periods of Work on Site between December 2002-May 2004 (Figs 1, 2)

December 2-8, 2002: test cleanings

March 31, 2003–April 19, 2003: painting conservation

October 6, 2003–November 8, 2003: painting conservation, art historical analysis of the paintings and graphical and architectural documentation

February 29, 2004–March 7, 2004: art historical analysis of the sculpture and paintings

May 2004: professional photography of conserved paintings and continuing work documenting existing conditions

May 16-20, 2004: test with the muSIS Hyperspectral Imaging Camera and art historical analysis of the paintings.

IV. List of Principal Components of the Project

This list identifies the principal components of the project. Some of these take place more than once, and simultaneously, so this list is not strictly chronological or sequential.

I. Documentation of Existing Conditions: Photography
II. Test Cleaning and Preparation for Wall Painting Conservation
III. Wall Painting Conservation
IV. Graphical Documentation
V. Architectural Documentation
VI. Photographic Documentation
VII. Art Historical Study and Publication
VIII. muSIS Camera (Hyperspectral Imaging Camera, Noninvasive) Test
IX. Epigraphical Study and Publication

V. Test Cleanings:

North and South Lobes, Semi-Domes

Test cleanings were undertaken by the two chief conservators, Luzi and De Cesaris, in December 2002. Luzi and De Cesaris worked between December 2, 2002 and December 8, 2002. During this time, they cleaned, consolidated and conserved two squares in the semi-domes on the north and south sides of the ancient sanctuary (frontispiece Fig. 1). They revealed the face of the Virgin Mary (north semi-dome; Fig. 3) and the faces of two large and one

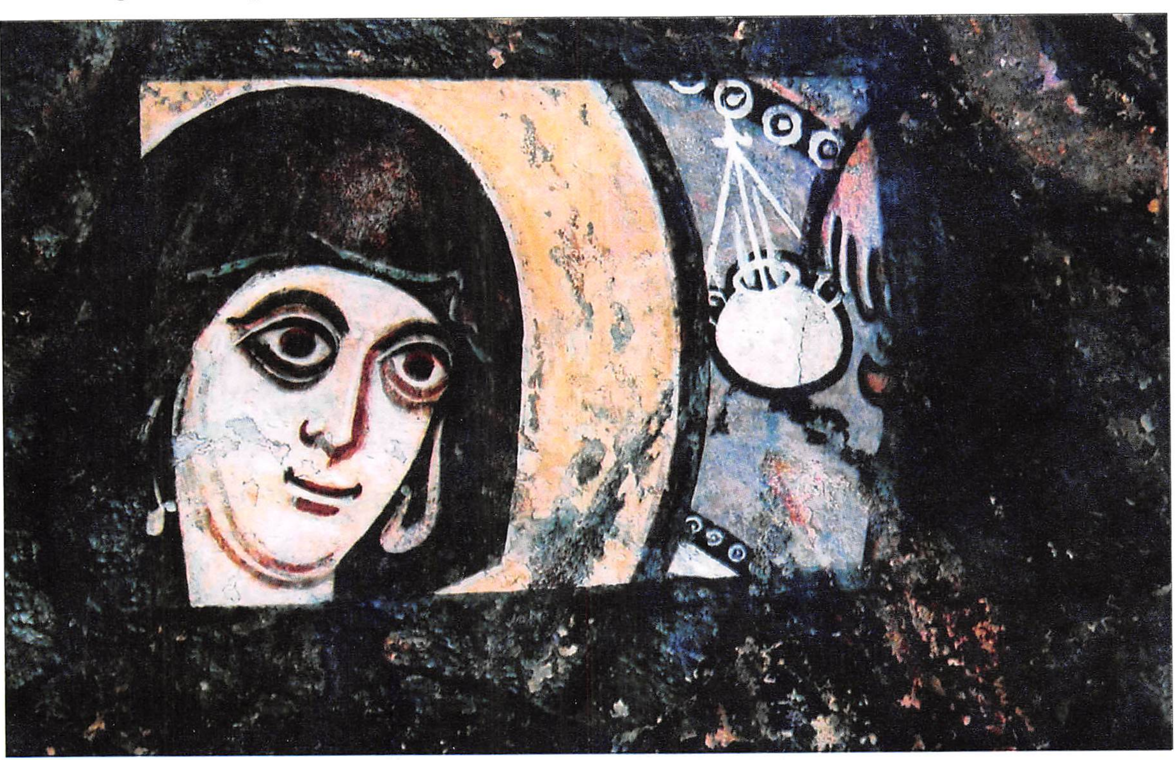


Fig. 3. Cleaned face of the Virgin Mary, test cleaning, north semi-dome. Photo: P. Godeau.

This report documents the fifty-five days of conservation that took place between December 2–December 8, 2002, March 31–April 19, 2003 and October 6–November 8, 2003, and additional work undertaken by a variety of specialists through May 2004. Principal staff on site during these periods of work were the project director and principal art historian, Elizabeth Bolman, nine conservators and Father Maximous el-Anthony. The technical supervision of the conservation began under the joint direction of Adriano Luzi and Luigi De Cesaris. After Luzi's untimely death in June 2003, Luigi De Cesaris was ably assisted in the supervision of the conservation work by Alberto Sucato. Returning to the site were also Emiliano Albanese and Emiliano Ricci. New to the Red Monastery Project this season, but not to conservation at Coptic sites, was Gianlucca Tancioni, who worked extensively on the conservation projects at the Monasteries of St. Antony and St. Paul. Three female conservators joined the team for the first time: Chiara Compostella, Chiara Di Marco and Maria Christina Tomassetti. All three professionals have worked on numerous conservation projects in Italy.

Additional specialists took part in the work of this campaign, including architect Michelangelo Lupo, graphical documentation specialist Sergio Tagliacozzi, and art historians Karel Innemée and Hans-Georg Severin. Ioanna Kakoulli and Yanis Bitsakis of ForthPhotonics (Athens, Greece) spent five days on site examining the paintings with the noninvasive hyperspectral imaging device called the muSIS camera. Using digital photographs, epigraphist Paul Dilley began the long-term process of studying, identifying, transcribing and translating the inscriptions. Professional photographic documentation was undertaken by Patrick Godeau. Much of the work of these specialists is included as appendices to this report.

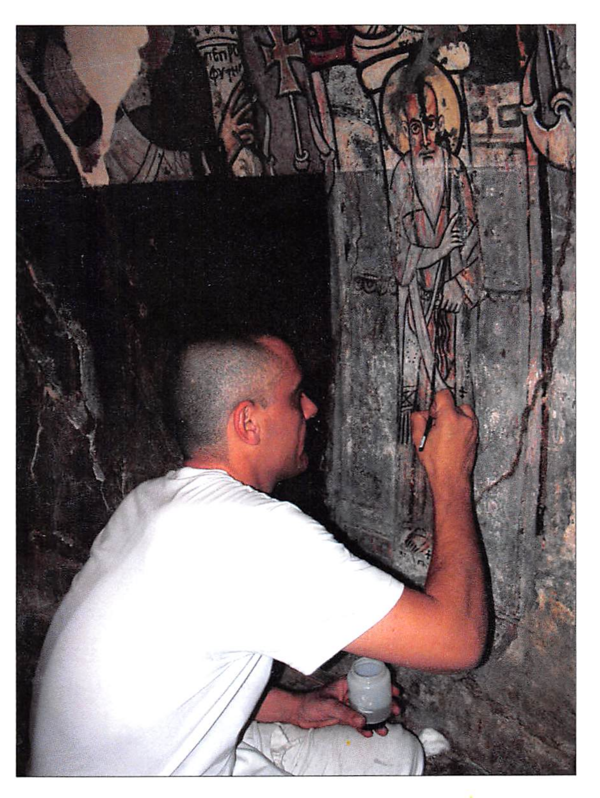


Fig. 2. De Cesaris at work in the north semi-dome, October 2003. Photo: E. Bolman.

II. Existing Conditions

Since he first undertook work at the site about a decade ago, with Paul van Moorsel, Innemée has noted significant damage to the site. Sections of wall painting included in early photographs have since fallen off the walls, and the painted plaster in the semi-domes is detaching from the walls. An additional factor mandating quick intervention is the rehabitation of the Red Monastery by Coptic monks and the increasing popularity of the site for Coptic pilgrims. The pressures to make the church building more comfortable have caused the insertion of numerous fans and light fixtures, attached in many cases to the ancient sculpture and paintings. The large numbers of people in the church cause problems with dramatically fluctuating humidity.

FINAL REPORT: DECEMBER 2002-MAY 2004 CAMPAIGN EAP SUBPROJECT: CONSERVATION AND PUBLICATION OF THE LATE ANTIQUE AND MEDIEVAL WALL PAINTINGS AND SCULPTURE IN THE RED MONASTERY (DEIR ANBA BISHOI), SOHAG

*Elizabeth S. BOLMAN**

I. Abstract and Acknowledgements

This is a project to clean, conserve, document (with photographs and technical drawings) and publish the wall paintings in the so-called Red Monastery (Deir al-Ahmar), also known as the Monastery of St. Bishoi.** The Red Monastery is located outside of the city of Sohag. The paintings date to late antiquity, and are of extraordinary significance for our understanding of Coptic art, late antique art in general and also the continuation of the classical tradition. When cleaned, they will revolutionize our knowledge about late antique decorative programs, and will become a major tourist destination, increasing tourism in Sohag considerably.

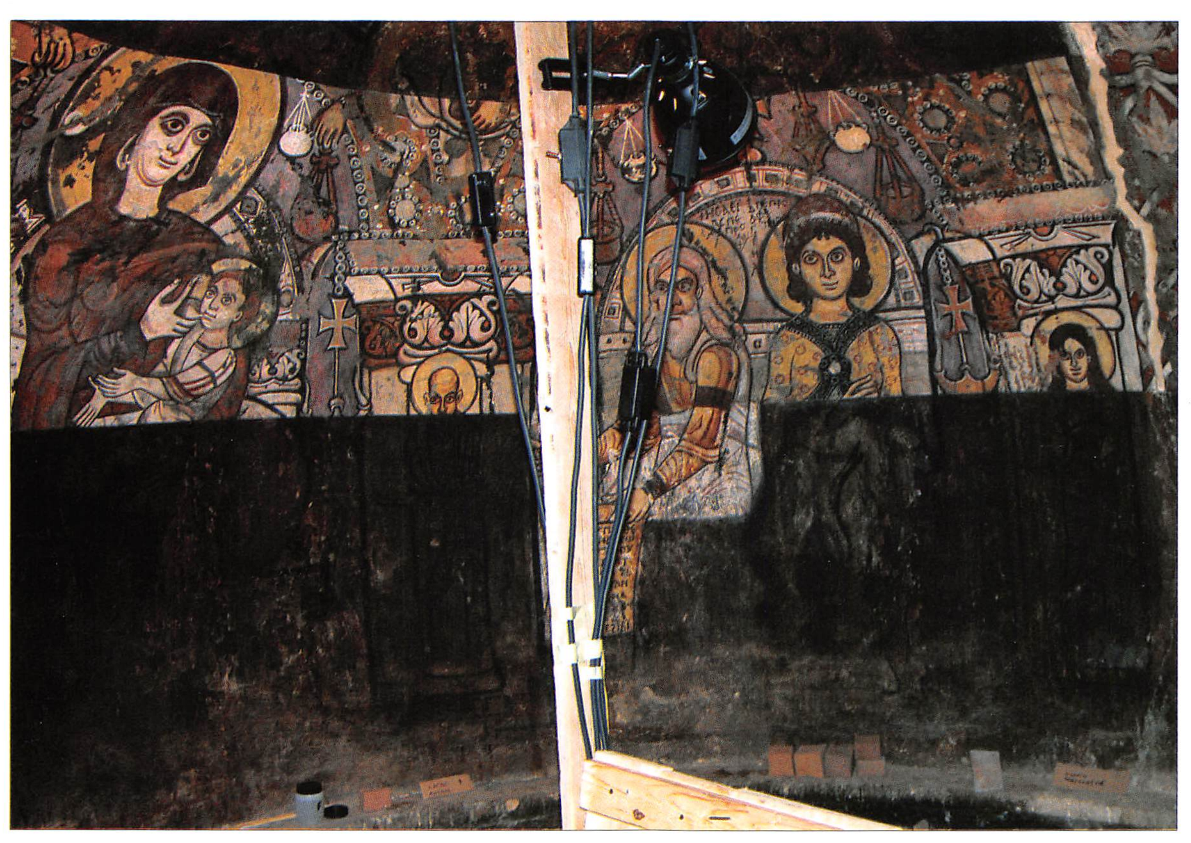


Fig. 1. North semi-dome, showing the horizontal band cleaned during the March-April 2003 campaign. Photo: E. Bolman.

Endnotes

* A researcher in Islamic archaeology, Arab Republic of Egypt.
1 Al Qalqashandi, *Sobh Al A'sha*, 3, 667.
2 H. Al Basha, *Al Wadaif Wal Alqab* 3, 1111. The art of architecture was also known among Muslims as the 'science that provides knowledge about measures and components, their proportion to each other, their degrees and the specificities of their forms. The subject matter of this science consists in the absolute proportions applied to lines, surfaces, informative mass and other relevant aspects such as angles, lines and forms. The benefit of this science is to gain knowledge of these aspects in existing structures and confer on the mind sharpness and acuity. It provides a tremendous mental exercise since it has been agreed that architectural sciences are the most pragmatic of all sciences. Another benefit of this science is victory over ignorance thereof. It is an exact science where there is no room for imagination, nor does it allow the mind to indulge in such exercise. Compounded ignorance is nothing but the victory of the imagination over the mind.
3 Al Basha, *Al Wadaif Wal Alqab* 3, 1111.
4 A. Ghaleb, 'Proportional Harmony in the Architecture of Schools of the Mamaluke Era in Egypt', authenticated by Amal Al Amri, in press.
5 F. Chafii, *Arab Islamic Architecture: Past, Present and Future* (Riyadh, 1982), 75-76.
6 M. A. Othamne, *Functional Theory in Surviving Religious Monuments in Cairo* (Alexandria, 2000), 241.
7 Sh. Dagher, *Islamic Art in Arab Sources: The Industry of Beauty and Aesthetics* (Kuwait, 1999).
8 H. Abdelwahhab, 'Architectural Drawings in Islamic Architecture', *Sumar Magazine* 1 and 2/14 (1958), 77.
9 Ibn Iraq, Anu Mansur Ibn Ali, 'Letters on Architecural Matters', *Bulletin of the Ottoman Ministry of Education* (Hyderabad, India).
10 Dagher, *Islamic Art in Arab Sources: The Industry of Beauty and Aesthetics*, 45-46.
11 R. Lewcock, *Materials and Technique*, 132.
12 Al Yaqubi and Ahmed Ibn Abi Yaqub Bin Wadeh, *Al Buldan* (Leyden, 1892), 241-243; Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 78; M. Al Mousoui, *Historical Factors in the Development of Arab Islamic Cities* (1982), 135.
13 Othman, *Functional Theory in Surviving Religious Monuments in Cairo*, 233.
14 Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 81.
15 Attabari, Abu Jaafar Mohammed Ibn Jarir, 'History of Messengers and Kings' 9, 261; Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 78.
16 Al Maqrizi, *Al Khutat*, II, 264-265.
17 Lewcock, *Materials and Techniques*, 32.
18 Lewcock, *Materials and Techniques*, 300.
19 Ibn Ayyas, *Badaii Azzohour*, IV, 196; Al Jabarti, *Ajaib Al Athar*, III, 175; Abdelwahhab, *Sumar Magazine*, 1 and 2/14, 82; Abdelsattar, *Functional Theory in Surviving Religious Monuments in Cairo*, 236.
20 Abdewahhab, *Sumar Magazine*, 1 and 2/14, 81-82.
21 Abdelsattar, *Functional Theory in Surviving Religious Monuments in Cairo*, 234.
22 Al Baghdadi, *Abdellatif Ibn Youssef, Benefit and Lessons from Witnessed Events and Incidents in the Land of Egypt*, 41 (1988).
23 Abdesattar, *Functional Theory in Surviving Religious Monuments in Cairo*, 234.
24 *Ajaib Al Athar*, IV, 27.
25 Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 83.
26 Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 85.
27 Abdelwahhab, *Sumar Magazine* 1 and 2/14, 86.
28 Ibn Battuta, *Tuhfat Annodhar Fi Gharaib Al Amsar*, II, 179.
29 Pelagia Astrnidou, 'The Architect in Ottoman Time': *a study in the commemorative book published by Attamimi Foundation for Scientific Research in Honor of Michael Kayle* (Tunis, 2000).
30 Al Maqriz, *Al Khutat*, II, 181.
31 Masr refers to the city of Al Fustat whose name evolved over time to become the name of the whole country. The city was the hub of power and economy, and later on became Old Egypt, as it is known today.
32 The Fortress of Salah Eddine El Ayyoubi is still in existence today.
33 Al Bindari, Al Fath Ibn Ali Ibn Mohammed, 'Sana Al Barq Ash-Shami', authenticated by Fathiyya Nibrawi (Cairo, 1979), 119; O. Talaat, *The Walls of Salah Edine and Their Impact on the Expansion of Cairo in the Mamluke Era* (Master's Thesis, Cairo Univesrity, 1992), 26.
34 Abdelwahhab, *Sumar Magazine*, 1 and 2/14, 84.
35 Kh. Azab, *Jurisprudence of Islamic Architecture* (Cairo, 1997), 50.
36 The prejudice of exposure means looking into a neighbor's house through a window. Juridical sources contain rulings as to the organization of the opening of windows. The scholar Shams Eddine Mohammed Ibn Al Minhaji Al Asiouti, a ninth century. historian, wrote the following about the subject of 'Opening Windows': 'The owner has the right to enjoy his property in a way that does not prejudice his neighbor'. Scholars disagreed as to the act that prejudices the neighbor. Abu Hanifa and Chafii allowed it, while Malek and Ahmed declared it as unlawful. For example, a man opens a window or an aperture that overlooks his neighbor's house. They agreed that a Muslim can elevate the building of his house but cannot breach the privacy of the neighbor. According to Malek and Ahmed, if the roof of a person is higher than those of his neighbors, it is his duty to erect a partition that would prevent him from looking into his neighbor's house. Abu Hanifa and Chafii, on the other hand, said that he was under no obligation to do so. Azab, *Jurisprudence of Islamic Architecture*, 48.
37 Achizari, Abdurrahman Ibn Nasr, *Nihayat Ar-Rutba bi Talab Al-Hisba*.
38 Ibn Rami, *Al I'lan Bi Ahkam Al Bunyan* (Tunisia, 1999), 15.
39 This includes the task of removing protruding porches in markets by the Muhtasib (inspector) in AH 590 following a directive from the sultan; Al Pasha, *Al Wadaif Wal Alqab* 3, 1035.
40 Ibn Al Oukhouwa, *Maalim Al Qurba fi Ahkam Al Hissba* (Cairo, undated), 234-235.
41 Registers of the Assalih Court in Cairo, register 323, entry 453, 137.
42 Registers of the Assalih Court in Cairo, register, 582, 173.
43 Al Bab Al Aali Court, register 144, entry 746, 229.
44 Azab, 'Architectural and Artistic Characterstics of The Mosque Monuments of Fouwa', *Symposium on Mosque Architecture* 7 (Riyadh, 1999), 36-37.
45 M. Kurd Ali, *Khutat Ash-Sham*, V, 248-300.
46 On the architecture of this school, cf. A. Al 'Alabi, *Khutat Ash-Sham* (Damascus, 1989), 135-136.
47 A. Teimur, 'Muslim Architects', *Architecture Magazine* 2 (February 1923), 76.
48 Al Asqalani, Al Hafid Ibn Hijr, *Inbaa Al Ghamr Bi Anbaa Al Omr* 2 (Cairo, 1994), 58-59 .
49 Teimur, *Architecture Magazine* 2, 80.
50 One of the governorates of the Nile Delta in Egypt.
51 Teimur, *Architecture Magazine* 2, 79.
52 M. Ibn Abdallah Noueicer, *Features of Architectural Heritage in the Kingdom of Saudi Arabia-Najd Region* (Riyadh, 1999), 147.
53 Noueicer, *Features of Architectural Heritage in the Kingdom of Saudi Arabia-Najd Region*, 147.
54 Abdelwahhab, *Architectural Drawings*, 87.
55 R. Al Jadirji, 'The Social Dimension of What is Built', *'Abwab' Magazine* 18 (1998), 167.



this trade from its ancestors. The person who engaged in and excelled at this activity was called the *Meallim* (master). The same method is followed in the Arab Peninsula.[52] Occasionally, the building works were carried out by the owner with the help of neighbors who had a prior experience in building.[53] It is interesting to note that the category of architects who inherited the profession existed until a recent past. One of these was Mohamed Ghattas Annahat who took part in the renovation of many monuments in Cairo. He dismantled and then put together the Caravansary of Faraj Ibn Barquq after making a drawing of it. He also painted the northwestern gate of the Caravansary, a beautiful gate decorated with *muqarnas*. Mohamed Al Habbal inherited the trade from his ancestors and remained active in the restoration of monuments until his death. He drew the entrance of the Qaousoun Palace and the entrance of the Sultan Hassan School despite their great difficulty.[54]

All of this goes to show the important role of the architect in Islamic architecture within the society where he was born and in the traditions and values in which he became steeped. As such, he was able to give shape to a product that had distinct features and that evolved at the same pace as this society. The product involved the transformation of the raw material into an appropriate shape, and its use as a means to meet the requirements of the user. The process of developing the product is based on transforming a raw material derived from nature through a socially inherited legacy of knowledge that is also acquired through exposure. This interaction occurs when a set of ingredients bring into play three factors:

- The performing individual such as the architect, the craftsman and the end user who will benefit from the architectural product.

- The social need or the appreciation of the specificity of what society needs in terms of architecture, and defining this need as a requirement that may be met under the circumstances and according to society's resources.

This request involves financial and emotional aspects, including the satisfaction of the emotional needs, identity and pleasure calls.

- The social technology of which the ingredients comprise the raw materials, knowledge of the characteristics of the material, the processing of this material, the ability to identify the social need and to take a stance thereto.[55]

The Muslim architect dealt with all these elements with great talent and skill. He fully understood the nature of the social needs. He engaged in an intellectual interaction with the end user, resulting in an architecture that fully met the latter's needs. He harnessed the raw element drawn from nature to serve architecture. However, this intellectual interaction was soon extinguished at the turn of the nineteenth century. The awe felt towards the West became the pivotal point of life in this century, and architecture served as the medium through which Western thought, with its values and concepts, penetrated Muslim society. It would be absurd to say that all architecture hailing from the West was useless and inappropriate. In Western architecture, there are experiences that attempted to bring what is beneficial to humanity, either by inventing new, cheap and practical building materials, or by innovating through designs never witnessed by humanity before. The problem lies with those architects who totally and unwittingly surrender to the Western style, oblivious of the environmental differences for example, and even of the differences in values, norms and traditions. ■

who set up a secretariat for construction and building activities. Under the Ottoman rule, official architects had their own secretariat which was headed by a Me'mar Pashi (chief architect). There are also accounts with the names of innumerable architects who worked on public edifices, mentioned in endowment documents and in the records of courts of justice. Some architects acquired great fame for building impressive structures such as the architect Abu Bakr Ibn Al Bassisi, who specialized in bridges, and the architect of the Akka port, Abu Bakr Al Maqdissi Al Banna.[45] But most prominent of all were the Muslim architects who left behind monuments that are witness to their talent and creativity such as Ibn Ghanaim -Abrahim Ibn Ghanaim Ibn Said, a seventh century architect who entertained close ties with Sultan al-Zahir Baibars Al Bindaqdari. He carried out all the buildings the sultan erected in Damascus, and his name is still engraved on the wall of the al-Zahiriyya School in this city.[46] Ibn Touloun Assalehi mentions a palace that Ibn Ghanaim built for al-Zahir Baibars in the Damascus meadow.

Muslims were familiar with the transfer of a profession through generations as the son usually learns the trade from the father. Thus, many techniques were practically secrets that were exclusively inherited within the family. This explains the minimal number of works that reached us addressing the various trades. One of the most renowned families whose children inherited the profession of architect was the Toulouni family, which became famous under the Mamluke reign and operated in Egypt until the Ottoman time. Most prominent among this family was Shihab Eddine Ahmed Ibn Mohammed Ibn Ali Toulouni, chief architect during the reign of Sultan al-Zahir Barquq. In his biography, Ibn Fajr Al Asqalani says that he was knowledgeable about his trade from a very early period and called him the master of all architects. His elevated status was such that the sultan married his daughter. He was appointed to head the building of the Holy Sanctuary in Mekkah, and visited Mekkah regularly for that purpose until his death there after he finished rebuilding the holy precincts[47] in 801AH.[48] His son, Mohammed Ibn Ahmed, inherited his trade but died in the same year as his father. Another architect from this family was Abderrahim Ibn Ali Ibn Omar Az-Zine Toulouni, architect of the Holy Sanctuary. He was called the architect as well as the son of the mason, and died in 819AH.[49]

Assejini: Ahmed Ibn Ubaid Allah Ibn Mohammed excelled in many sciences particularly algebra, geometry, architecture and astrology. He was born in Sejjin in the Gharbiyya Governorate in Egypt[50] and then lived in Cairo, and was subsequently referred to as Al Qahiri. He lived near Medinah in Saudi Arabia for approximately two years to finalize some buildings. After building many edifices there, he returned to Cairo where many scholars visited him to learn from him until he fell and injured the nerves in his left foot. He was ill for awhile and then died in 855AH.[51]

The architectural movement in terms of official structures and edifices built by princes and notables relied on architects. Buildings for the use of the general public were carried out by lesser architects who served at the same time as the supervisor of the construction works, and were often called the master and sometime the builder. In some rural parts of the world, the builder carries out both design and implementation. This can be clearly seen in the Egyptian countryside where only a short while ago builders also designed the houses. They would first draw an outline using powdered lime after discussing with the owner what he wished to build, and then they would carry out the works. This method is common in Matoubes where some families are renowned for this activity. One of these families is the Othmane family that inherited



The Muhtasib was, for example, in charge of verifying the quality of building materials.[40] One of the responsibilities of the *Memar Pashi* (chief architect) Prince Sanqar Ibn Ali Jaweesh was to set the price for gypsum and inspect its quality.[41] The records of Ottoman courts of justice clearly show the relationship between the architectural corps and these courts. In fact, the assistance of the architects was sought in determining the prices of property and their locations, the degree of their prejudice to neighbors and passers-by and the amounts of compensations for prejudices suffered. This is exactly what architects Abdeljawad Ibn Mohammed Attaweel and Barakt Ibn Ali did when they served as counsel in a case reviewed by the court of Assaleh Talaaii.[42] Architects were also called upon to arbitrate in cases of conflict concerning the limits of buildings. One of these was the case of Mohammed Ibn Nasouh who went to the court of Al Bab Al Ali in Cairo to put a stop to the violation by Abdelghani Al Aseel of the waqf of Ibraheem Abu Osboo. He appealed for an expert evaluation to be conducted by architects who were knowledgeable about buildings, their measurements and the town's sections and quarters. After an inspection by Cherif Hejazy Al Qoraafy, Nasef Ibn Abdeddayem and Shahada Ibn Abi Ennasr Toulouni, it turned out that the plot of land, the subject of the conflict, was indeed part and parcel of the waqf of Abu Osboo. In fact, the *romt, rabt* and the building were all connected to each other from the lower to the higher levels, and the old waqf building stands witness to that.[43] One name that stands out among the names of the architects mentioned is that of Shahada Ibn Nasr Toulouni, who belonged to the Toulouni family which had a prestigious status among the corps of architects from early in the Mamluke era. It is a known fact that professions, such as that of architects, were inherited by children from their fathers.

The records of the courts of justice also reveal the existence of bodies of architects that were in charge of regulating and organizing the profession and that granted the status of a membership to those deserving of the title of architect. These orders did not thrive only in large metropolitan areas but also existed in medium-sized and small towns. One of these was the corps of architects from the town of Fouwa in Egypt. The chief of the order of architects in Fouwa was held in great esteem. Courts of justice often tasked him to inspect buildings and report on their viability for residence, and to divide the property that the court deemed fit to allocate to the conflicting parties. One of these records reads: 'A legally recognized division and modification by the chief of the corps of architects in Fouwa, Zaini Abdurrahman Ibn Abdellatif Al Banna Ash-Shihabi Ahmed Ibn Abdel Karim Al Banna. The two parties were notified, attended and witnessed the proceedings of the division'. The opinion of the chief of architects was held in high esteem, and as such he was entrusted with the supervision of the maintenance of such public facilities in Fouwa as mosques, streets and other features. The sheikh of architects also supervised the rebuilding of the pavement adjoining the minaret of Abu Annajat Mosque and the restoration of the minaret.[44]

Prominent Architects

Many biographies of Muslim architects have survived to this day, although the most prominent of them lived in later eras. In most cases, the architects whose biographies have survived to our time are those who built edifices for sultans, kings and princes. This does not mean that they did not extend their services to the public, but sometimes they themselves were part of the court. This was the case during the era of Annaser Mohammed Ibn Qalawoun

subordinates showed the measurements of the precincts of Cairo and Al Fustat, including the coast and the mountain, to be 29,302 yards. The records show that the distance between the Moqattam Fortress on the Nile bank and the Tower at Al Koum Al Ahmar on the bank of Masr was 10,500 yards. It also showed that the distance from the fortress on Al Moqattam to the wall of the fortress by the Mosque of Saad Addawla was 8,092 yards. From the side of the fortress wall next to the Mosque of Saad Addawla to the Tower of Al Koum Al Ahmar, there were 7,210 yards. All of this included the arches, body and towers from one bank of the Nile to the other, after verifications and modifications. The unit of measure used here is the Hashemite yard, and the supervision was conducted by Bahaa Eddine Qaraquche.[33]

It is worthy of note that when Imad Eddine wrote about the wall, he was not reporting on a standing edifice that he saw with his own eyes but quoting information found in records. This means that while he was engaged in his occupations at the secretariat and handling correspondence for Salah Eddine El Ayyoubi, he became acquainted with the project of the walls in the records and the cost estimate made for it. This emerges from the details that are thus provided, knowing that the project was never completed according to the plans initially made.

It was common practice in olden times for the architect or the project supervisor to provide the owner with the itemized list and final accounts of the project. When Zubaida, wife of Haroun Arrachid, was presented with an account of the expenditure involved in creating the watering source 'Ain Zubaida', installed on the way from Baghdad to Mekkah, she took the accounts and threw them in the river saying: 'Let us leave accounts to the Day of Reckoning'. Similarly, when Sultan Nour Eddine Mahmoud built his mosque in Mosoul and completed it in 586AH/1172AD, he was presented with the accounts of his spending as he sat by the Tigris River. He said 'We have done this for the love of Allah, let us leave the accounts to the Day of Judgment', and threw the papers in the river.[34]

The Architect as an Expert

Courts of justice often sought the expertise of architects to arbitrate in the conflicts that arose within society or those that opposed the authorities with respect to the common people. This close association between the body of architects and judges speaks volumes for the nature of rulings issued with regard to the organization of the urbanization movement in society.[35] One amusing quarrel recorded in the *waqf* records where architects were called upon was a conflict about the opening of a window and for which the expertise of architect Ahmed Ibn Ali and architect Ahmed Ibn Mohammed Ibn Othmane was called for. It is a fact that opening windows is one of the actions that may impinge upon the privacy of adjoining buildings.[36] To ascertain prejudice, experts are needed, a matter established in all audit and finance books where these experts are referred to as the *urafa* (knowledgeable ones).[37] Architects in these cases play the role of the 'knowledgeable ones' whether their services were solicited by the controller, the special court or the judges. Ibn Rami, a Tunisian architect who lived in the fourteenth century, was requested to look at the development of the construction of roads and markets, and judges entrusted him with a number of cases referred to him in his capacity as an expert.[38] In Ottoman times, courts were entrusted with new tasks such as those falling within the ambit of the *Muhtasib* (inspector) in addition to the regulation of professions. The supervision of building matters was part of the duties of the Muhtasib.[39]



and before its renovation, a model was built and used later on in building the Dome of the Rock in 72AH/961AD. When King Abdulmalik Marwan wished to build the Dome of the Rock, he described the shape he wanted the dome to look like to the architects. They fashioned a prototype of the Silsila Dome for him which he liked, and gave his directives for the Dome of the Rock to be built according to the model presented to him.[26]

When the minaret of the mosque of Tuzer, a city in Ifriqiyah (Tunisia), was being built in 422AH/1030AD and its minaret had reached its height, the architect felt that his death was near. He fashioned three models in wax for its apex so that his successor could choose the one he liked to finish the minaret. He also named an architect from Qayrawan to complete the work after his death.[27]

The interest that the Moroccan Sultan Abu Inan Al Marini took in Gibraltar after its restoration and expansion in 733AH /1332AD reached such an extent that he ordered the fashioning of a miniature model of the mountain complete with its fortress, towers, gates, plants, mosques and everything seen on the mountain, including the reddish soil. The model was made and seen by Ibn Battuta who described it as 'an extraordinary artifact displaying great craftsmanship and truly appreciated by those who had seen the mountain and could see the small replica'.[28] The wooden models which were often carved before construction were used by architects to convince the owner to proceed with the construction. This method was used at some stage in building the Taj Mahal. The use of prototypes became common practice in the Ottoman era. Wooden and silver models, such as the one of the Izet Pasha Mosque, became common. Records also mention models fashioned out of wax. It is a known fact that Sultan Mohammed I only became convinced of constructing one of the Ottoman buildings after he saw a miniature model of it.[29]

Cost Estimates and Closing Accounts

With the help of the plans prepared for him and the costs of construction materials and manpower, the architect made an evaluation of the building's construction costs. After completion, this would be called the itemized list, and helped the owner of the project gain clarity of the costs. When the architect Saleh Ibn Nafii designed a garden and a palace in Rawda (Cairo) for Ikhshid, the latter approved the design and inquired about the cost estimate. He was told that it was thirty thousand dinars. He asked for the cost to be lowered and then authorized the execution.[30]

Imad Eddine Al Asphahani, a statesman in the court of Salah Eddine El Ayyoubi, quoted a highly important text which was later on mentioned by Al Bindari in his book 'Sana Al Barq Ash-Shami'. The text pertains to the walls enclosing Cairo which were built by Salah Eddine to protect the city from possible Crusade attacks. The text reads: 'When Sultan Salah Eddine conquered Egypt and Allah granted him victory over the enemies there, he saw that Cairo'[31] and Al Fustat had each a wall surrounding them and providing little protection, and that their inhabitants had no army to protect and defend them. He said: 'If I build a wall around each of these two cities separately, they will each need their own armies and sentinels. It is my opinion to enclose the two cities behind one and the same wall that would stretch from bank to bank, then place my trust in Allah to protect them'. He ordered the building of the fortress[32] in the middle, next to the Mosque of Saad Addawla on the Moqattam mountain. He began construction outside Cairo starting with a tower at Moqattam and ending it at the higher levels of Cairo with other towers, which he connected to the Greater Tower. Records kept by his

sultan came out with them to inspect the site they had chosen. They presented him with the preliminary cost evaluation and other relevant matters, and then a drawing of the mosque was made for him. He instructed them to build one of its gates to resemble the gate of Az-Zahiriyya School (Damascus), and to raise a dome above the mosque's *mihrab* to equal the Imam Chafii's dome in size.[18]

Architects also carried out drawings of existing edifices. When the Ghurid sultan expressed a desire to know the layout of the city of Alexandria in 916AH, he commissioned the architect Hassan Assayyad to do so. The architect chose an empty plot close to the Matariyya quarter, and drew up in gypsum a layout of the city with its towers, gates, walls and houses. Then he called the sultan to inspect it. The sultan came out of the fortress on Wednesday 19 Rajab 916AH/1510AD to inspect the layout and was impressed with it.[19]

Some princes developed a taste for drawing the layouts of the edifices they wished to build. In seventh centuryAH/ fourteenth centuryAD, Prince Alaa Eddine Al A'maa, trustee of the Waqfs of Al Quds and Al Khalil, personally drew up the initial outline of the building and then outlined it in gypsum on the ground for the workers.[20] The use of gypsum powder to make the outline to be followed by the workers in digging the foundations was a practice that is still in use today.[21]

Al Baghdadi confirms the above when he says: 'If they-the people of Egypt-wished to build a royal house or a market-place, the architect would be sent for and commissioned. He would head out to the vacant lot, empty hilly plot or other surface area, divide it in his mind and outline it as proposed to him. He would tackle one part of the plot, build it and complete it so that people can inhabit it and benefit from it. Then, he would move to the next part and the one after it until he completes all parts with no fault and no rectification'.[22] At that time, the techniques and style of building, and most important of these was the theory of support walls and cornerstones, were among the factors that helped implementation in this order. Furthermore, the method made it possible to inaugurate buildings even before their completion, a necessity that was dictated by the desire to celebrate the inauguration of edifices, particularly religious ones, often inaugurated soon after the completion of the *qibla* hall.[23]

Al Alfi, one of the leading Mamluke princes in Egypt during the Ottoman era, designed a palace for himself in Al Azbakiyya in Cairo. He made a drawing of this palace on large parchment, and entrusted the implementation of the design to Katikhda Zul Faqar who did not respect the drawing that was made. As a result, Al Alfi demolished the palace and then rebuilt it.[24]

The various works of an architectural edifice often progressed in a simultaneous manner. In the project of Dar Assaltana in Damascus, supervised by Prince Alaa Eddine Ash-Shujaii in 690AH/1290AD, he sought to expedite the work and urged the workers to proceed in haste. When he started digging the foundations, the carpenters had already started work on the ceilings and carpentry. This would not have been possible without detailed drawings of the edifice made before actual work began.[25]

Models

The role of architects in Islamic civilization was not limited to architectural drawings, but were exceeded by the fashioning of miniature models of buildings. This practice was common among Muslim rulers and was used on several occasions. The oldest prototype in Islamic architecture is represented by the Silsila Dome which is still in existence. When it was first built



or the origin of the people who lived in a specific quarter. He set the width of the street at fifty yards and that of the alleys at sixteen yards. To each of the four architects, he assigned a quarter of the surface area of the city to build up, and placed two of his men in the supervision of the works.[12] This is an indication of the double duty of the architect who used to design and supervise implementation, and had administrators at his service to help him in this task. This record also shows that the project owner was able to make recommendations and suggestions that the architect had to adhere to when making his drawings.[13] Caliph Abu Jaafar Al Mansur asked architects to show him the preliminary outline, which was drawn up in ash, and walked around the town's streets and quarters before approving the design and ordering its execution.[14]

A similar arrangement was followed when Caliph Al Mamum Ibn Mussa directed his architect saying: 'If you build, make the building strong and indestructible so that its vestiges and layout may remain standing'.[15] When Ahmed Ibn Toloun began building his mosque in Al Qatay (Old Cairo) in 263AH/876AD, his architect wrote to him saying: 'I will build it as you wish for it to be, with no pillars but the two pillars of the Qibla, and I will make a drawing thereof that you may see it'. He called for parchment, and a drawing of the mosque was made which the caliph appreciated and praised.[16] The oldest surviving Islamic architectural drawing is preserved at Uzbekistan University for Oriental Sciences. It dates back to the eighth centuryAH/sixteenth centuryAD and is part of the Uzbek collection. It presents an illustrative diagram using the square as a unit.[17] The drawing pertains to a garden in Afghanistan, and the square units range in width from 42 to 62 millimeters.

Ibn Khaldun pointed out that the use of geometrical shapes in the architecture of his time required a special knowledge of measures and proportion in order to translate the shapes from concept to reality. The full expertise of Muslim architects in architectural drawing reached its apogee in the Ottoman era, to judge from the following famous phrase uttered by architect Sinan: 'I immediately sketched a beautiful and comprehensive drawing which was highly appreciated by the Sultan'. During the Ottoman era, architects often drew up only the lower levels, and they sometimes simplified the facades. They rarely included more than the basic lines in the drawing. Because the architect was the designer and the builder at the same time, he often left details until the phase of actual implementation. The archives of the Tubkuserai Palace (Istanbul) house several examples of drawings made by Ottoman architects. The detailed descriptions of architectural units and engravings in the documents preserved by the Waqfs Authority list the special terminology related to every architectural or decorative element. This terminology and the intricate descriptions of the endowed buildings point to the existence of an entire science, architecture, which had its own specific terminology.

The interest that the Mamluke sultans took in architecture resulted in the golden age of this science with many architectural innovations. It helped highlight the important role of the architect as a designer and a builder at the same time. He was considered the man of expertise consulted by sultans and princes wishing to build an edifice or carry out some other project. When Sultan al-Zahir (Baibars) wished to build his mosque in the famous al-Zahir quarter in Cairo in 665AH/1266AD, he sent Ataybek Faris Eddine Aqtay, Assahib Fakhr Eddine Ibn Assahib Bahaa Eddine and a group of architects to choose a site for the construction of the mosque. On Thursday 8 Rabiaa II 665AH/1266AD, the

Stones were used for the first time in building Mamluke minarets when the architect Ibn Assioufi built the minaret of the Aqbaghawiyya School. Prior to that, bricks were the building material of choice for minarets. The use of stone in the building of Mamluke minarets led to a revolution in building styles as constructions benefited from the stone's building advantages, and was reflected in the minaret's elevation, shape and size. This development reached its apogee with the Ghurid two-tiered minaret which had two stairways, a body covered in Qashani tiles and an upper floor in the form of a hexadecagon.[6]

The second source is the architectural books that have survived or did not survive but were mentioned in historical records. Some of these works may not have a direct relevance to the subject of architectural drawings, but their scientific topics were related to architecture as an art and a science. Among these works are 'Architectural Works Needed by Builders', written by Abu Al Wafa Al Boujzani who died in 998AD,[7] the book written by Ahmed Ibn Omar Al Karaissi and titled 'Hissab Addour' and the book 'The Circumference of the Circle'.[8] Some of the other books pertain to the legislation of architecture written by architects such as 'Kitab Al I'lan bi Ahkam Al Bunyan' by Ibn Rami. There are also records of correspondence which addressed one or the other architectural aspect. These include the letter to Badhahang written by Abu Rajab and the manuscript known as 'A Letter on Architectural Matters' by Abu Mansour Ibn Ali. This letter addressed fifteen issues in which Abu Mansour referred to the use of the compass and theoretical arguments, and addressed the complex mental processes of the resolved questions that represented some of the dilemmas encountered by architects in their activities.[9]

Let us discuss briefly the manuscript of Abu Al Wafa Al Bouzjani. The manuscript contains architectural equations that were of great help to architects. It also quotes a conversation between an architect and a craftsman, revealing the close relationship between the two. This is one of the few conversations quoted in cultural heritage books. The book is divided into thirteen chapters and is more like a guidebook for architects. One of the chapters addresses the use of the ruler and the compass, another equivalence in forms, a chapter on applying the circle to forms and yet another chapter on dividing squares into squares and vice versa.[10] Of the book of Rachid Eddine Al Mi'mari Al Farisi who lived in the thirteenth century, nothing has survived but the index where headings pertain to the rules of building houses for habitation, places of worship, fortifications and information on building mausoleums. Many architectural theories were recorded in a book written by Safar Afandi on the works of Mahmoud Agha, chief court architect of the Ottoman state in the seventeenth century. One may wonder about the lack of clarity in the link between standing architectural models and the architectural books written by Muslim architects. The book of the Persian architect Ghayat Eddine Al Kashi, written in 1423AD , shows the way of designing arches in building.[11]

The third source lies in the historical events that confirm the use of architectural drawings by Muslim architects when they built their edifices. One of these events was the founding of Baghdad. When Al Mansur launched the constructions after he personally chose the site, he appointed the architects Abdullah Ibn Mehrez, Al Hajjaj Ibn Youssuf, Imrane Ibn Waddah and Shiha Ibn Kuthayyir. He ordered them to make the number of shops large so that each suburb could have enough open and close-ended streets and alleys to service all the houses. He also instructed them to name each street after the chief who was residing there, the virtuous man who dwelled there

THE ARCHITECT
IN
ISLAMIC CIVILIZATION

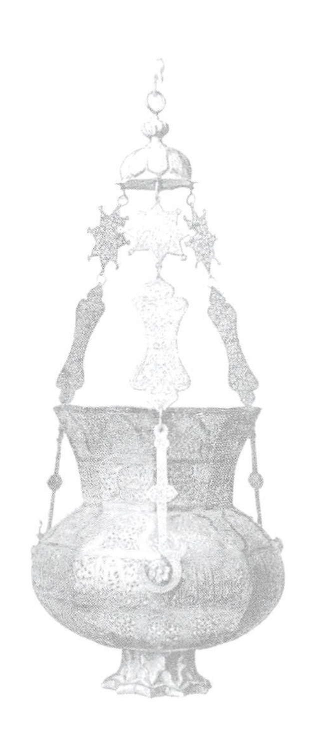
*Khaled AZAB**

Although architects played a distinct role in Islamic architecture, this role remained undocumented as a result of the ignorance of researchers of its nature and their presumption of its similarity to that of architects in contemporary times. Al Qalqashandi identified the architect as the 'person who is in charge of designing the layout and proportion of a building and supervising the workers'.[1] Ibn Khaldun described the architect as the 'the person engaged in architecture' and architecture as the science of buildings, their construction and variations, of lands and their surface areas, of digging waterways, clearing canals, building bridges and other such activities.[2] The architect was also known under the names of mason and builder.[3]

Architectural Drawings

It is unfortunate that no specimens of architectural drawings made by Muslims have survived. However, their achievements speak eloquently of their use of architectural drawings, a use that is obvious in the following three points. The first of these is the architectural vestiges that have survived and that stand witness to the meticulousness of the Muslim architect in his work. This precision is manifest in the highly exact proportions of the components of buildings,[4] and the attention paid by the architect to the nature of the edifice being erected and its surrounding environment. It is also evident in the architectural inventiveness of Muslim architects and the degree of their talent, including innovations in military architecture. The walls erected by Badr Al Jamali in the Fatimid era, between 480 and 485AH/1087-1092AD, reveal great inventiveness and reflect an extraordinary architectural sense of creativity. The structure includes a huge spiral staircase that connects the platform of the walls from the inside and the roof of the structure containing the Nasr gate, and spirals around a huge, chiseled stone pillar. But the most impressive innovation is in the building of a hemispherical vault that rises on an incline with the semicircular staircase, thus achieving the effect of a curve running in different directions and resulting in spherical surfaces that involve greater difficulty in design and execution. All of this reflects an impressive knowledge and a talent for descriptive architecture. Another architectural innovation is found in the depression of the wall at the angle where it faces the minaret of the Mosque of Al Hakim.[5]

Other existing architectural marvels testify to the intimate knowledge of Muslim architects of descriptive architecture, considered one of the most complex sciences of modern times. During the Mamluke era, architects utilized stone as a building material.



EDITORIAL FOREWORD

It is a great pleasure to introduce the third issue of Mishkah: Egyptian Journal of Islamic Archaeology, after the first two volumes proved to be a success.

In this volume we publish a variety of subjects tackling new discoveries in Islamic archaeology. The volume includes a study by a distinguished scholar, Laila Ali Ibrahim, who passed away after she made valuable contributions to the field. We are also keen to publish reports on Islamic archaeological excavations at various sties. Such reports were kept unpublished for many years, and now it is time to let them see the light and make important information and discoveries in this field accessible to a wide audience.

We have already begun preparing for the forthcoming issues of Mishkah; a very near volume will be dedicated to discuss the discipline of Islamic archaeology; its origin, role and future. This discipline was first introduced by English, French and German archaeologists who were pioneers in the field; now we have a generation of distinguished Arab archaeologists.

Therefore we sent out a call for contributions that may introduce new perspectives and open new horizons in the field of Islamic archaeology, particularly after the great progress in modern technology and its utilization in various aspects serving the field, such as registration, archives, digital photographing, bioarchaeology, and satellite archaeological survey.

It gives me great pleasure to dedicate this volume to the memory of my dear friend, the late Ahmed Kadry, who dedicated his life to the study of Islamic history in Egypt. His efforts in the field produced new ideas about the period, and awoke a new interest among modern Egyptians for their own heritage.

Zahi Hawass
Secretary-General
Supreme Council of Antiquities



TABLE OF CONTENTS

Page

11 *Zahi HAWASS*
Editorial Foreword

13 *Khaled AZAB*
The Architect in Islamic Civilization

23 *Elizabeth S. BOLMAN*
Final Report: December 2002-May 2004 Campaign EAP Subproject: Conservation and Publication of the Late Antique and Medieval Wall Paintings and Sculpture in the Red Monastery (Deir Anba Bishoi), Sohag

47 *Stephen DAVIS and Others*
Yale Monastic Archaeology Project John the Little: Season 1 (June 7-27, 2006)

53 ***Yale Monastic Archaeology Project Pherme (Qusur Higayla and Qusur 'Erayma): Season 1 (May 29-June 8, 2006)***

59 ***Yale Monastic Archaeology Project John the Little: Season 2 (MAY 14-JUNE 16, 2007)***

65 *Włodzimierz GODLEWSKI*
Naqlun 2007: Preliminary Report

79 *Peter GROSSMANN*
Report on the Excavations at Abū Mīnā in Spring 2006

91 *Laila Ali IBRAHIM*
Dragons on a Cairene Mosque

111 *Mutsuo KAWATOKO and Yoko Shindo TAKAHASHI*
Archaeological Survey of the Rāya / al -Ṭūr Area on the Sinai Peninsula, Egypt in 2007

quantity of images to be included with any article will be that of the Editor-in-Chief.

Photographs will all be reproduced in black and white or colour and should be of good quality.

Line-drawings. These must be supplied at least twice as large as they are likely to be reproduced and inked appropriately. Any internal labelling should either be already in position, in type, or letterset (not hand-written) or should be supplied separately on disk for placing by the typesetter and a clearly labelled mock-up must then also be provided. If artwork consists of a copy of something published previously (see further under 'copyright' below) then the copy must be of a very good quality. Photocopies are not acceptable.

Digital images. Increasingly authors are submitting digital images. The following guidelines are intended to help. If in doubt, please consult the SCA Scientific Publication Department before scanning the images. High-quality print-outs must also be submitted of all digital images.

Photographs. These should be scanned at 300 dpi for reproduction at the same size. If they are likely to be reproduced at a larger scale, then they should be scanned at a proportionately-higher resolution (e.g. an image likely to be reproduced at twice its size, should be scanned at 600 dpi). The images should be saved as CMYK TIFF files (JPEGs are rarely adequate). If the file is saved as a TIFF then LZW compression can be used (as it does not degrade the quality) to keep the file size to a minimum. High-quality print-outs must also be submitted of all digital images. All image files must be submitted on a CD. Please do not e-mail images to the SCA publication department or to the Editors without prior consultation.

Line-drawings. These should be scanned as 'line-art' at no less than 600 dpi and saved as TIFF files (see above for compression).

Copyright. Responsibility for obtaining permission to use copyright material rests with the author. This includes photographs of previously-published material.

Manuscripts which do not conform to these conventions, or are otherwise unsatisfactory, will be rejected.

Manuscripts (hard copy, and electronic versions) for consideration should be submitted to:

The Editor-in-Chief:
Scientific Publication Department,
Supreme Council of Antiquities
3 Adel Abu Bakr Street,
Zamalek, Cairo 11561,
Egypt.
e-mail: inu@liv.ac.uk
publication_department2004@yahoo.co.uk

A reliable means of contacting the authors, preferably by e-mail, must be provided with the manuscript.





ex ceptatthebeginningofasentencewhere thearticlealsomusthaveacapitalletter: *al-Gabarti.*

- Arabic diacritics are not transcribed: *laylat al qadr*, and not *laylatu l-qadri.*
- The *tā' marbuta* is written as *a*, but if followed by a genetive it should be written as *at*: *al-madina, madinat al-Qahira.*
- For transliteration of plural in Arabic words use any of the following options:
  Arabic singular: waqf
  Arabic plural: awqaf
  Arabic singular followed by s in Roman letters: *waqf-s.*

CITATIONS should take the form:

Article in a journal

J. D. Ray, 'The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382', *JEA* 85 (1999), 190.
Cite subsequently as: Ray, *JEA* 85, 190.

Article or chapter in a multiauthors book

S. Ş. Abd al-Mālik, 'Une inscription du sultan mamelouk Kitugā découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in J.- M. Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours, CAI* 21 (Cairo, 2001), 51-58.
Cite subsequently as: Abd al-Mālik, in Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours, CAI* 21, 51-58.

Monographs

K . A . C. Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 316 - 320 .
Cite subsequently as: Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, 316 - 320 .

Series publication

W. M. F. Petrie, *Hyksos and Israelite Cities, BSAE* 12 (London, 1906), 37, pl. 38. A, no. 26.
Cite subsequently as: Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, 37, pl. 38. A, no. 26.

Dissertations

Josef W. Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos* (Ph. D. diss., University of Pennsylvania, 1996), 45-55.
Cite subsequently as: Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III*, 45-55.

Electronic media

Cite preferentially to a hard-copy edition of material posted on a website. If material is available solely in electronic form, provide sufficient information to enable users to correctly access the sources. However, a citation such as www.mfa.org/artemis/fullrecord.asp?oid=36525&did=200. might be more elegantly, if less directly, expressed textually: See, for example, acc. 19.162, illustrated at www.mfa.org/artemis. The http://protocol may be omitted in citations to sources posted on the World WideWeb (e.g.,www.mfa.org/giza, rather than http://www.mfa.org/giza); it should be retained in other instances(e.g.,http://aaupnet.org; or http://w3.arizona.edu/~egypt/

For citations to electronic journals, CD-ROM, and similar media, see the relevant chapter in the *Chicago Manual of Style.*

Authors' initials and publication details, including full article title and/or series name and volume number should be provided on first citation; surname alone, and an abbreviated title should be used subsequently. The use of ibid, op. cit. and loc. cit. should be avoided. Precise page references should be given, not the entire article run.

CAPTIONS for figures with appropriate credit should be provided, double-spaced, on a separate sheet, and in an electronic form on the disk with the final version of the article.

Artwork and photographs for publication should have the contributor's name and a figure/plate reference written clearly on the back, or on the CD. All artwork will be returned to the author on publication of the volume. The number of text figures and photographs should be kept to a minimum and the final decision on the

THE SCIENTIFIC PUBLICATION DEPARTMENT
SUPREME COUNCIL OF ANTIQUITIES
GUIDELINES FOR CONTRIBUTORS

INTRODUCTION

The Scientific Publication Department, Supreme Council of Antiquities publishes the *Egyptian Journal of Islamic Archaeology*. This publication focuses on archaeological fieldwork reports, objects and textual analysis, conservation studies, and various aspects of Islamic culture.

INITIAL SUBMISSION FOR REFEREEING

Prospective contributors must submit three copies of their manuscript for refereeing purposes. The *EJIA* follows the *Chicago Manual of Style*, with some modifications as cited below. Manuscripts should conform to this style with the modifications cited in these guidelines.

FINAL SUBMISSION

The final text (after making any changes recommended by the editor or referees) must be supplied on disk preferably PC, using MS Word, composed in 12-point font, and in hard copy printed clearly on A4 or standard American paper, on one side only, double-spaced throughout and with ample margins. Please do not justify the right-hand margin or employ multiple typeface styles or sizes.
Please observe the following:

- The *EJIA* does not use titles such as 'Dr', or 'Prof.' in text, notes or for authors.
- Brackets should be all 'round', e.g. (......)
- Use single quotation marks throughout.
- Avoid Arabic diacritics. Only use in quotes.
- The '-' between dates, page references, etc (1901-2, 133-210) is an n-rule not a hyphen.

FONTS. Contributors must check with the editor, in advance, if the text employs any non-standard fonts (e.g. transliterations, Greek, Coptic, etc) and may be asked to supply these on a disk with the text.

FOOTNOTES. The *EJIA* does not employ the 'Harvard-system' of referencing. Citations must be on separate pages appended as endnotes, double-spaced. Footnote numbers should be placed above the line (superscript) after punctuation, without brackets. The title of the article must not include a footnote reference. If a note is needed for 'acknowledgement' this should be done by means of an asterisk in the title and an asterisked note before footnote 1.

ABSTRACT. An abstract in English (maximum 150 words) must be provided at the beginning of the article. The abstract will be used for indexing and information retrieval. It should therefore be written so that it can be understood independently of the body of the article.

ABBREVIATIONS for periodical and series should be those in Bernard Mathieu, *Abréviations des périodiques et collections en usage à l'IFAO*, 4ème éd. (Cairo, 2004). Available online at www.ifao.egnet.net. *Ad hoc* abbreviations, after complete full reference, may be used for titles cited frequently in individual articles.

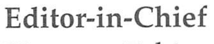
TRANSCRIPTION OF ARABIC WORDS

- The initial *hamza* is not transcribed: *amāna, ka-usra*.
- The article *al* should be connected with the word it determines through a hyphen, avoiding what is known in Arabic as 'solar' *al*, i.e. it should be written whether pronounced or not: *al-šams, al-qamar*. No capital letter is given to the article *a l* but to the word it determines,



Editorial Board

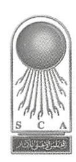


Printed in Egypt by SCA Press 2008

To

Ahmed Kadry

DAR EL KUTUB NO. 10140/2009 ISBN. 978-977-479-247-8 ISSN. 1687-5613



MISHKAH

Egyptian Journal of Islamic Archaeology



CAIRO 2008

Cover Illustration:
Polychrome-enameled Mishkah (lantern), Mameluk Period.

MISHKAH

EGYPTIAN JOURNAL OF ISLAMIC ARCHAEOLOGY

